الفيصل

مجلة ثقافية شهرية ـ العدد (٢٠٢) ـ ربيع الآخر ١٤١٤ هـ (سبتمبر / اكتوبر) ١٩٩٣م
AL FAISAL MAGAZINE ISSUE (202) SEP/OCT 1993



المحيطات: غموض تكشفه الأقمار الصناعية



الصهيونية وعبادة الخراب

العرب والمجتمع المدني

تبسيطُ العِلم: تحدٍّ إعلاميّ



الذهب: زينة وخزينة


كتاب الدرة المضية في شرح الالفية
للشيخ الامام العالم العلامة
الانباسي تغمده الله برحمته
وقدس روحه واسكنه فسيح
جنته ونور ضريحه


بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين والصلاة والسلام الاتمان
الاكملان على اشرف الانبياء والمرسلين محمد خاتم النبيين وعلى
اله وصحبه اجمعين فان كتاب الخلاصة للشيخ جمال الدين
ابن مالك عذب لفظه وكثر حظه وقد ولع به اهل الزمان
وجعلته شرحا موجزا وسهله فلخصت لنفسي منها جملة مقربة ليسهل على وعلى
كل مبتدي فهم معضله وحل مشكله قاصدا بذلك وجه الله واسال الله ان ينفع
به ومن نظر فيه وجميع المسلمين ولقبته بالدرة المضية في شرح الالفية
جعله الله خالصا لوجهه وحسبنا الله ونعم الوكيل

بسم الله الرحمن الرحيم

الفيصل

AL-FAISAL MAGAZINE

مجلة ثقافية شهرية

تصدر عن

دار الفيصل الثقافية

MONTHLY CULTURAL MAGAZINE

PUBLISHED BY

AL-FAISAL CULTURAL HOUSE

رئيس التحرير

د. زيد بن عبد المحسن الحسين

ص.ب (٣) الرياض ١١٤١١

المملكة العربية السعودية

هاتف : ٤٦٥٣٠٢٦ ـ ٤٦٥٣٠٢٧ ـ ٤٦٤٧٨٨٤

فاكسملي : ٤٦٤٧٨٥١

● أسعار بيع النسخ :

المملكة العربية السعودية ٨ ريالات ـ الكويت ٦٥٠ فلسا ـ الإمارات العربية المتحدة ٧ دراهم ـ قطر ٧ ريالات ـ البحرين ٧٥٠ فلسًا ـ سلطنة عمان ٧٥٠ بيسة ـ الأردن ٥٠٠ فلس ـ الجمهورية اليمنية ٢٥ ريالاً ـ مصر جنيهان ـ السودان ٣ جنيهات ـ المغرب ٦ دراهم ـ تونس ٦٠٠ مليم ـ الجزائر ١٠ دنانير ـ العراق ٤٠٠ فلس ـ سورية ٢٠ ليرة ـ ليبيا ٨٠٠ درهم ـ موريتانيا ١٠٠ أوقية ـ الصومال ٢٠٠٠ شلن ـ جيبوتي ١٥٠ فرنكًا ـ لبنان ما يعادل ٤ ريالات سعودية .

● أسعار الاشتراكات السنوية :

للأفراد ١٥٠ ريالاً سعوديًا، لغير الأفراد ٢٥٠ ريالاً سعوديًا، ترسل قيمة الاشتراكات باسم مجلة «الفيصل» .

في هذا العدد

إطلالة

المعلومات قوة

المتمعن في كثير من كتب التراث، وخاصة المرجعية منها، يجد أن علماءنا أولوا الجانب التصنيفي والتبويبي للعلوم والأفكار عناية فائقة بهدف توصيل المعلومات في سهولة ويسر وضم الشيء إلى نظيره؛ نلمس ذلك في التصنيف المعجمي ككتاب «العين» للخليل بن أحمد والمكتبي كـ «الفهرست» لابن النديم، وحتى التصنيف الموضوعي في الموضوعات التي تتسم بالطرافة والغرابة رغم كونها مراجع ذات فائدة في مجالها ومضمونها، مثل كتاب «الهدايا» للجاحظ و «تحسين القبيح وتقبيح الحسن» للثعالبي و «المرصّع في الآباء والأمهات والبنين والبنات والأذواء والذوات» لابن الأثير و «عقلاء المجانين» لابن حبيب، نستنتج من ذلك المستوى الثقافي لهذه الأمة؛ وما تؤكده من أهمية إعمال الفكر وإيجاد بواعث التفكير والعمل الإبداعي المنظم الذي يمثل الركيزة الأولى لأي بناء ثقافي أو معرفي. ولا شك أن هذا دليل قاطع على أن هناك حضارة موظفة توظيفا دقيقا يثبته تنوع المعارف وتعدد الآراء وظهورها بشكل متميز جعل الأمم الأخرى تقبل عليها بالدراسة والبحث والنقل.

ومما دفعني للكتابة في هذا الموضوع أن وقع في يدي كتاب THE 1992 ALMANAC، وهو كتاب سنوي سريع الدلالة يشمل أهم المعلومات في أي حقل من حقول المعارف والعلوم، شأنه في ذلك شأن معظم المراجع العامة في المكتبة اللاتينية، ناهيك عن المعلومات العامة وخرائط مناطق العالم، إلى جانب جزء خاص عن أهم أحداث السنة من خلال الصور الإخبارية والوثائقية والمقالات التحليلية. وقد اعتدتُ في كتب كهذه يجمعها التشابه ووحدة التوجه واستقاء المعلومات من مصادر معينة، أن اختبر صحة محتوياتها في موضوعات محددة، مثل (الإسلام) الذي يعبر عنه الكتاب الآنف الذكر بكلمات ذات دلالات ظنّية مثل : ,Convince, Consider Regard, Rever وفي إطار تعريفه بالإسلام لا يصف محمدًا ﷺ بأنه رسول أو نبي، وإنما يقال إن أتباعه يشيرون إليه بأنه رسولهم، وبأنه يُخيّل إليه أنه اقتنع تدريجيا بتولي المهمة التي حددها الله لتشكيل دين ومجتمع، وبالرغم من أنه لم يعرف شيئا عن اليهودية والنصرانية إلا أنه اعتبر نفسه مكملا لهاتين الديانتين وخاتما للرسل، وأن أتباعه يعتبرون القرآن غير مخلوق متجاهلا - أي الكتاب - ما يؤمن به المسلمون من تنزيل القرآن، وأن قبره في المدينة المنورة مكان يُحَجُّ إليه، وأن الوهابيين طائفة من طوائف المسلمين ظهرت من بين طائفتي السنة والشيعة اللتين اختلفتا على خلافة محمد. والكتاب لم يعرّف الإسلام بشيء صحيح سوى تعداد الأركان الخمسة، ومع ذلك فقد ذكر أن الزكاة تُنفق على الفقراء والمساجد، وأن الحج يكون مرة في العمر على الأقل وليس لمن استطاع إليه سبيلا. وكما هو واضح فإن الكتاب لم يرجع - في هذا التعريف - إلى المصادر الصحيحة عن الإسلام، بل اكتفى بأن يعكس وجهة نظر الغربيين حول هذا الدين. وهذا في حد ذاته يوضح مدى بعده عن الموضوعية وعدم ذكر الحقائق مجردة بل موظفة لرسم صورة معينة عن الإسلام.

إن مثل هذه المراجع - في هذا الزمن المسمى عصر ثورة المعلومات - تشكل خطرا كبيرا في توجيه الفكر وتشكيل الرأي حول أي قضية أو أمر تناقشه أو تعرّف به. ولا شك أن من لديهم مثل هذه المراجع قد أحسنوا بما يخدم قضاياهم وأمورهم التي يريدون أن يعرّفوا بها، سواء لهم أو لغيرهم، غير أن قضايا أخرى مثل التي أوردناها عن الإسلام كتوجّه وتحدّ للعقل البشري، لن يكتب لها أن توصف بدقة أو تستقئ من مصادرها الأصلية لتعكس الأمر على حقيقته باعتبار أن الإسلام ليس دين الفطرة فحسب؛ بل لأنه يكشف الخطر الحقيقي من كل محاولة لاستعباد الإنسان والنزول به دون مستوى الإنسانية كما نشاهد كل يوم في قضايا وأمور تؤكد ذلك كله.

وبأخذ أمثلة معاكسة عن قضايا أخرى، بالرجوع إلى موضوعات مثل إسرائيل أو اليهودية أو الصهيونية مثلا، فإننا سوف نجد الفارق كبيرًا في المنهج وفي أسلوب العرض والتوجه بين ما يكتب عنها وما يكتب عن الإسلام.

إن هذه المراجع رغم مبادرة العرب والمسلمين إلى إيجادها والاعتناء بها، في وقت كانت حضارتهم مزدهرة إلا أنها مع الأسف الشديد في عصرنا الحالي لا تكاد تجد لها أثرا في المكتبة العربية. فعلام يدل ذلك؟

للوهلة الأولى نجزم بأن ذلك انعكاس ونتيجة حتمية لمستوانا الثقافي والفكري الذي نعيشه اليوم. ففي كل قضايانا الفكرية في مجالاتها السياسية والاقتصادية والإدارية والتجارية والتعليمية . . . إلخ تجدنا نستعير ونستعير، بل نركن إلى ما لدى الآخرين دون أن نكلف أنفسنا جهدا، حتى في مسألة تطويعه وتكييفه مع خصوصيتنا وأن نوجهه لئلا يكون خطرا يهدد هويتنا.

وعليه فيمكن أن ندرج ضمن مسببات ذلك الاتكالية والانبهار بالآخرين والانهزامية وجهلنا بتراثنا وخصائصنا وما لدينا من فكر، مع ما نتمتع به مما أسبغه علينا الغرب من نظرة دونية لأنفسنا، تجعلنا نتلقف ما لدى غيرنا وننظر إليه بإعجاب وتقدير، ثم نعتمد عليه، وكأن هذا الوضع هو الطريق الصحيح والسليم كما لو كانت المعلومات التي أمامنا هي التي يجب أن نعرفها ونصدقها، بل نستعملها حتى تساعد على هزيمتنا وعلى تحجيمنا بعد أن كنا عمالقة، فينشأ شبابنا أمام الآخرين ليقبلوا بالدونية والتبعية والانقياد في كل مناحي الحياة.

ولئلا اتهم بالتشاؤم واليأس أقول : إن من أبناء الأمة من يعرف خطأ هذه المراجع وخطرها، ويعرف التوجهات التي تريد أن تنال من الأمة، وقد نبهوا إلى كثير من الأمور التي كشفتها المواقف التي نعيشها مع كل أسف في بقاع كثيرة في عالمنا العربي والإسلامي. ولا أرى أن الحل هو تأليف مراجع بديلة بما يخدم قضايانا رغم أهمية ذلك والحاجة إليه، فنظرة أصيلة وفاحصة ومنهجية إلى هذه الظاهرة تفرض أن نتعامل معها على أنها عرض لمرض، وعلينا كشف هذا المرض وتشخيصه ومعرفة أسبابه لتحديد العلاج الشافي منه، بوضع منهج شامل لحياتنا الثقافية وبنائنا الحضاري، ويكون وجود مثل هذه المؤلفات منبثقا من هذا الواقع المأمول.

د. زيد بن عبدالمحسن الحسين

آدابُ فنِّ القولِ وحقيقةُ الإبْداع

بقلم: محمّد العربي الخطّابي

ما من عملٍ يَتّخِذه الإنسـان حِرفةً أو صناعةً إلاّ وتحكُمـه في العادة ضوابطُ خُلقية تحظى بالاتفاق الضمنيِّ العـام بين أرباب الحرفة من غير أن تكون هذه الضوابطُ مدونةً أو قسريةَ التنفيذِ يعـاقب على مخالفتها القانون الوضعيّ، تلك هي آداب المهنة، كما سمّاها السّلف، وتعرف عند الغربيين عامة بالديونتولوجيا ومعناهـا قواعـد السلوك المطلوب مـراعاتها في كل صنفٍ من أصنـاف النشاط الإنساني.

وفَنُّ القول الذي يشمل الشعر والنثر ــ بما في ذلك القصة والرواية والحكاية والمقالـة والنص المسرحي والنقد وتـاريخ الأدب ـ هـو من أعرق الفنـون الجميلة التي عرفتها الحضارات الإنسانية منذ فجر التاريخ، وهو فنٌّ لـه ـ بطبيعة الحال ـ قواعده وأصوله التي تتجدّد تبعًا لسنَّة التطور، وتحكمه فضلا عن ذلك ضوابط معنوية تحظى باتفاق أهل الفنّ ورعايتهم.

ويمكننـا أن نستخلص من حكمـة السّلف والخلف وتجاربهم طـائفـةً من الآداب العامـة التي يستحسن أن يتقيّد بمـراعاتها أربابُ صنـاعة الشعـر والنثر بصفة عفوية، إذ الأمر في ذلك موكول إلى ضمير الكاتب أو الشاعر أو الناقد، متوقف على الحاسة الاجتماعية والوعي الخلقي لكل واحدٍ من هؤلاء على الإجبار والإكراه ما لـم تكن المخالفات من مشمولات سلطة القانون الجزائي.

وقبل الشروع في تعـداد جملة مـن الآداب المتصلة بفنّ القـول أودُّ أن أشير في البدايـة إلى أن السلف من اللغويين والنقاد لـم يطلقوا اسم الأدب ـ اعتبـاطًا ـ على صنـاعتي الشعـر والنثـر، بل إنهم نظـروا في ذلك إلى المعنى الأصلي لكلمـة الأدب الدالّـة على مـا ينبغي أن يتحلّى به المرءُ من حميد الخصال ورقيق السجـايا وجمال السيرة، وكأنهم أرادوا بذلك أن يربطوا بين الوسيلـة ـ التي هي اكتساب المعارف الأدبية ـ والغـاية المتوخاة ـ التي هي الوصـول إلى صيانة النفس وتهذيب الأخـلاق، وتقـويم اللسان ــ وهـذا بخـلاف لفظ الأدب "Litterature" عند الغربيين، فهـو إنما يدل في أصلـه اللاتيني"Litteratura" على كتابـة الحروف وتعليمهـا، ثم اتسع المعنى وصار يـدل على كل كلام يتسم بـالجمال والعذوبـة والرونق مع حظ وافر من الابتكار والإبداع في الشكل والمضمون.

وتجدر الإشارة كـذلك إلى أن مفهـوم الأدب في اللغة العربيـة قد تطـور مع الـزمن، وكان في بـادىء أمره حلْيـة تقتضي من صـاحبها أن يأخـذ من كل فنٍّ بطرف، وأن يحسن التحكم في مصـارف الكـلام مع معرفـة الضروريّ من علومِ اللغة والنحوِ والصرفِ والبيانِ والعَـروضِ وأشعارِ العربِ وأخبارِهم وحكمِهم وغيرِ ذلك من الأمور التـي تتقوّم بها هيئة الأديب، أي قلمـه ولسانـه. وأمـا في العصر الحديث فإنَّ مفهومِ الأدب قد اتسع من حيث أغراضه ومشاربه وأجناسه وصوره الفنيـة، وذلك بفعل الاحتكاك بـأوربا والتأثـر بأساليبها في هـذا الفنّ، فلـم يبق الأدبُ مجرد حلية تكسب صاحبها الظَّرف والتأنق في الكلام والكتابة، بل صار عند قوم، أداةً لخدمة المجتمع الإنساني، ووسيلة لتنمية الثقافة وتهذيب الذوق وامتاع الذهن والمشاعر، وعند قـوم آخرين، فنًّا يقصد منه «الفنُّ» لذاته لا لثمـراتـه. وواضـحٌ أن اختـلاف وجهـات النظـر في هــذا الشأن يجعل من الصعب صياغـة تعريف دقيق للأدب يحظى بـالقبول والاتفاق ويـرضى النقَّاد وأهل الفن على اختلاف منازعهم ومشاربهم.

ولننتقل الآن إلى بيـان جملة من آداب فـن القول، ونحن على بينـة من الآراء التي ينكر أصحابها التقيُّد بأي شيء من شأنـه أن يضيّق من حرية الأديب وحقّه في أن يقول ما يشاء كيف شاء، أو أن يخضع في عملـه وإنتاجه لغير ما يقتضيه فنه وتمليه عليه موهبته ووجدانه؛ وهي آراء كثيرًا ما تحركت لها الأقلام واحتدمت بسببهـا المناقشـات، وتضـاربت الأقوال. ولكن، لَمّـا كـان لا بدَّ لكل نشـاط إنساني متميز من مبادئَ ينطلق منها ويرتكز عليها، فإن فنَّ القول أولى من غيره

آدابُ فنِّ القولِ وحقيقةُ الإبداعِ

بأنْ يحاط بنطاق من مبادئ السلوكِ التي سميناها هنا بـالآداب ويُسميها غيرنا بأخلاق المهنة ومقتضياتها .

الأمـانـة

هي أول آداب فنّ القول وأجـدرها بالذكـر والمراعاة . وطريق الأمانـة في هذا الفنّ ألاّ يعتدي الكاتب أو الشاعـر على بنات فكر غيره وأن لا يسطو على عمله وابتكاره بسرقة أو انتحالٍ أو تشويه ، بل الواجب أن ينسب إلى غيره ما هو لـه ، وأن يذكر فضله فيه ، وسَبْقه إليه إن كان على علم بذلك .

وأما الناقد فإنَّ عليه أن ينـزه نفسه وقلمه عن الهوى والحيف والمحاباة ، وأن يكون رائده في عملـه الاحتكام إلى قـواعد النقـد وأصولـه ، ثـم إلى الذوق الأدبي العامّ إن اقتضى الأمر ذلك ، كما أنَّ عليه أن لا يخلط في نقـده بين ما هو ذاتيٌّ وما هو موضوعي .

إن الشكل الذي تصـاغ به الأفكـار والمشاعـر ملكٌ محفوظ لصـاحبه ، ومن أجل هذا سنَّت القوانين الخاصة بحمايـة الملكية الفكرية وأُنشئت منظّمات دولية لهذا الغـرض . ومع ذلك كلّه فإن ضمير الأديب يبقى هـو الحكم الأول والمرجع الأكبر في مثل هذه الحالات . ولا يخفى كـذلك دور نقّاد الأدب في الكشف عن السرقات الأدبية خفية كانت أو مفضوحة .

التـواضـع

ومظهره الأسمى عند الأديب والنـاقد الابتعاد عن الغرور الذي يولـد الرضا الكاذب عن النفس ويدفع إلى استصغار عمل الغير والاستهانة بموهبته وجهده ظنّا من المغـرور أنه وحده فارسُ الميـدان لا يجاربه أحدٌ فيه . والتـواضع إذا كان خلقًا أصيلاً في الأديب فإنـه يقوده إلى مراعاة زمـلائه في المهنة وتشجيع المبتدئين الموهوبين منهم على المثابرة ليشقُّـوا طريقهم في الحياة والفنّ . ومن قبيل التواضع عفّة اللسان والقلم في المجادلات التي تحتدم بين الكتّاب والنقّاد ، فلا تجريح ولا لَمْز ولا تحقير؛ فـالأدب رسالـة إنسانيـة تخاطب العقـول والمشاعـر ، وتؤثـر الحقَّ وتسعى إليـه ، وطـرق التعبير لإظهـار الحقّ متباينـة ، وأسـاليب التبليغ والبيـان متفـاوتـة ؛ والنقـد حـرٌّ مـا لـــم يتجـاوز حـدود الفن ليسفـل إلى التعـريض بالأشخـاص والمساس بـالذوات والأعـراض ، ويصير من قبيل الهجاء السـافل الذي يعدُّ وصمة في كثير من الشعر العربي القديم .

التعلق بالجمال

الأدب في حقيقته لـونٌ من ألوان الجمال الذي طبعه الخالق في نفـوس الناس وبثّه في طباعهم . والجمال قوامه الخير والحق ، وغايتـه إشاعة الانسجام والتناغم بين الإنسان والكـون وعناصر الطبيعـة . وحَرِيٌّ بـالأديب المبدع أن تكـون هذه وجهته وأن تتشرَّب نفسه بهجـة القيم الجميلة ليصفو مشربه وتكتمـل فيه ملكة الإبداع وتنبثق في داخله طاقة التجـديد ليُسْهم عن جدارة في تعميق الإحساس بهذه القيم بالأسلوب الذي يوافق وجدانه ومواهبه .

وليس المقصود بـالجمال الصورة الظاهـرة والعرض الزائل والفـورات الحسية العابـرة التي تثيرها الغـرائز وتفضي إلى انحطاط المشـاعر ، بل المراد جمال النفس الذي يثير الإحساس الصّادق بآيات الإبداع المتجدِّد ، ويبعث في النفس الراحة والسكينة والانسجام . ورحِم الله أحمد أمين ، فقـد قال : «إن شرورَ العالم كلَّها تنشأ من سوء تقدير الجمال لا من حُسن تقديره . والذين يستهترون ويفرطون في اللهو إنما أتاهم ذلك من قصر نظر إلى الجمال لا من سعة نظر فيه» [١] .

وتجدر الإشـارة هنا إلى أن الاحتفـاء بـالجمال والتعلق ببهائه لا يعني امتنـاع الأديب المبـدع عن تصويـر القبح والبشاعـة والـدّمامـة وغير ذلك من مظاهـر الانحراف التي تطبع الحيـاة من حولنا وتعصف بـالقيم الجميلة وتحدث الخلل والتنـافـر ، بل إنَّ من حق الأديب أن يختـار هذا المنحى إن شـاء على أن يكـون قصده متـابعة السلـوك الإنساني في محيطه البيئي والاجتماعـي المتقلِّب بما فيه من خيرٍ وشرّ من أجل الوصول إلى إبراز قيم الحقِّ والخير والجمال والعدل ، والانحياز إلى جانبهـا ، وتعميق الإحساس بها بـالأسلوب الذي يختـاره الأديب ويتفق مع اتجاهه الفني ومواهبه الخلاّقة .

إن الأدبَ جزء من الحيـاة ، والحياة لا يجوز لإنسان أن يسعى فيها بـالباطل والبهتان والفساد باسم الفنِّ وحرية القول والتعبير .

يقول عَباس العقاد ـ يرحمه الله ـ في كلام لـه عن الحياة والأدب أنهما «شيئان كِلاَ نسجَيْهما من مادة واحدة ، فالحيـاة هي شعور تتملاّه في نفسك وتتأمل آثاره في الكون وفي نفـوس غيرك ، والأدب هو ذلك متمثِّلاً في القـالـب الذي يـلائمه من الكلام» [٢] .

وكم من أديب في هذا العصر المضطـرب تعمد التغاضي عن هـذا التداخل الخلاق الكائن بين الحيـاة والأدب فراح يضرب في بيـداءِ العدم ، وظـلام العبث والفوضى ، ينكـر الفضائل ، وينشر المجون ، ويكفـر بقيمة الروابط الإنسـانية القائمة على المساواة والعدل ، وكلّ ذلك في أعمال «أدبية» قد تكون جميلة المَبنى ، أحيانًا ، لكنها ذميمة المضمونِ في كلِّ الأَحوال .

الأصـالـة

والمقصود بها أمران : أولهما أن يكون عمل الأديب نابعًا من وجدانه ، معربًا عن ذاته ، مستجيبًـا لفطرتـه الصافية ، بعيـدًا عن التقليد والمحـاكاة ، متحـريًا للابتكار سواءٌ تعلق الأمر بالأسلوب أو بالمضمون .

وثانيهما تشبُّثُ الأديب بجذوره الحية ، وانطلاقه من أصولـه الثقافية المتميزة مع الاستجابة الـرصينة لروح التجديـد والتفاعل الإيجابي مع التغيرات التي تطرأ

على الحضارة الإنسانية بما يميزها من اختلاف في مناهج السلوك وأنماط العيش وألوان التفكير وتنوع أشكال البيئة البشرية .

تنمية المعارف

إذا كان النَّهَمُ في الطعام معدودًا من النقائص بسبب آثاره الصحية والاقتصادية السلبية فإن حرفةَ الأديب تقتضي منه نهماً متزايدًا يدفعه إلى الإقبال على تنمية معارفه بمداومة قراءةِ الآثار الفكرية والأدبية، قديمها وحديثها، مع التبصر وحسن الاختيار وسلامة الحاسَّة النقدية وغير ذلك مما يتيح للأديب فرص توسيع مداركه وصقل مواهبه فتتمهد أمامه سُبُلُ الإبداع والابتكار واكتمال نُضجه الفني. والأديب الذي ينقطع عن البحث ويمسك عن القراءة والاطلاع ظنًا منه بأنه لم يبق في حاجة إلى مزيد سرعان ما ينضُبُ معينه ويصدأ فكره ويضيق خياله فيقع في التكرار والاجترار والابتذال ثم ينتهي به الحالُ إلى الموتِ المعنوي .

إنّ عُدّةَ الأديب ثقافته النامية باستمرار، ومعوّله أولاً على اللغة وقواعدها النحوية والصرفية والبيانية، لأنّ الأدبَ فنُّ التعبير بالكلام، ثم عليه بعد ذلك أن يلمّ بتاريخ الأدب ومذاهب النقد والفلسفة وعلم النفس وعلم الاجتماع وتاريخ الفنون، مع الاطلاع على عيون الآثار الأدبية العالمية، كلُّ هذا مع توافر الموهبة وصقالة الحِسِّ ويقظة الشعور لمن يريد أن يخوض غمار الإبداع . فإذا أضيف إلى ذلك إلمامٌ بمبادىء العلوم الطبيعية كانَ ذلك أوفى باكتمال عُدَّةِ المُبدع والناقد، وخصوصا من تؤهله موهبته للإنتاج في حقل ما اصطلح على تسميته بالخيال العلمي.

التفتح على الحياة

ليس يكفي الأديبَ كثرةُ القراءةِ في الكتبِ وحدها، بل يلزمه مع ذلك أن يرهف حسَّه للاستفادة الواعية من الحياة التي تزخز بما تقدّمه من دروس وعبر، وتدعو إليه من تدبُّرٍ وتأمل . فالحياة فيها معاش الناسِ وظواهر الطبيعة وتعاقب الأزمان واختلاف الأحوال الاجتماعية والاقتصادية والسياسية بكل ما ينجر فيها من تناقُضٍ أو توافق، وما تنطوي عليه من نظام أو فوضى . فلا بدَّ للأديب من أن يستفيد من تجارب الحياة وأحوال المعاش، وأن يكون دائمَ الترصد للتغيرات التي تطرأ على الحضارة والعُمران .

إنّ كتابَ الحياة لا تنتهي سطوره ولا تُختم فصوله، إنه كتابٌ مفتوح وسيبقى مفتوحا إلى نهاية الدنيا وفناء أعراضها .

تَعَهُّد المُخَيلة

يعتمد الأديب على الخيال السانح اعتماده على الواقع الماثل، والخيال ـ كالعقل والمشاعر ـ هبةٌ من الخالق سبحانه، وهو قوةٌ دافقةٌ يتَّسع بفضلها ما يضيق من أمور الحياة، وتنشط بتدفقها النفس ويتألق الضمير. والمخيلة هي الخزانة السحرية التي يلجأ إليها كل فنانٍ مبدعٍ وعالمٍ طموح . والأديب أحوج ما يكون إلى الخيال بحيث لا يستقيم له إبداع بدونه، وكلّما كان الخيال خصيبًا، وجدوله منسابًا كان عمل الأديب أروع وأتمَّ إشراقًا، وفقدانه يُبَلِّدُ الحسَّ، ويضعف الملكة، ويميت روحَ الابتكار.

والخيالُ يصان بالتعهد، ويخصب بطول الاستمداد منه والرجوع إليه، وهو يتسع ويضيق تبعا لحالات النفس واختلاف الأفراد، فإنَّ حظوظ الناس منه متفاوتة .

وللخيال مع ذلك حدود ينبغي الوقوف عندها، لأنّ الاستسلام لطغيانه يوقع الأديب في التكلف والإغراب والغموض، وهي عيوبٌ ينبغي تلافيها . والاحتكام في ذلك إلى الذوق الفنّي السليم الذي يرفض الإفراط والتفريط، ويؤثر الاعتدال والتوسُّط .

خاتمة

كثيرًا ما يقال إن الإبداع هو إيجاد شيء على غير مثال سابق، وهو بهذا المعنى لا ينطبق على الأعمال الإنسانية التي يشوبها النقص حتمًا، وتفتقر إلى المثال وجوبًا وتخضع لقانون النِّسبية في كلِّ الأحوال . وعلى هذا يكون الإبداع في الأدب وفي غيره من الفنون الجميلة عبارة عن تناول جديد لشيء موجود بالقوة أو بالفعل، مثاله قائم في الطبيعة، ومبدأه راسخٌ في الوجود؛ والتسليم بهذه البداهة داخل لا محالة في آداب فنِّ القول، ماثلٌ في وجدان الناس .

إن الفطرة الإنسانية بميلها إلى الجمال وتطلعها إلى فنونه ــ تعاطيًا أو تذوقًا ـ إنما تصدرُ في ذلك عن رغبة في تعويض النقص الدائم الذي هو قدرٌ محتوم لبني البشر. والسعي الدائم إلى تلافي النقصِ ونشدانِ الكمالِ هو الذي يفتّق القدرة على الإبداع في الحدود التي ذكرناها . فالخوف واليأس والشكّ والغمّ كلّها من مظاهر النقصان في طباع البشر، ونشدان الكمال يدفع الإنسان إلى التماس السبل الحقيقية أو الوهمية الموصّلة إلى برّ الأمان والرجاء واليقين والطمأنينة .

إنه ليس بمقدور أحد من الخلق أن يبدع الأنهار والجبال والنجوم والأزهار والألوان والضياء، ولا أن يبدل شيئًا من جواهر الوجود وأعراضه، إلاّ أنّ الفنّان الموهوب جدير بأن يلقي على ذلك كله نظرة جديدة تتألق بأحاسيسه وتتلوّن بخلجات نفسه، وبذلك يستشرف الآفاق البعيدة إن طاوعه الإلهام، وواتاه التوفيق، وأسعفه الخيال .

الهوامش :

(١) «فيض الخاطر» (القاهرة ١٩٤٨م) ٥ : ١١٤ .

(٢) «مطالعات في الكتب» (القاهرة ١٩٢٤م) ص ٥ .

الصهيونية وعبادة الخراب



بقلم:
د. حسن ظاظا

أحيانا أجد شيئًا في ذاكرتي لا يستحق الوقوف عنده، ولكنه يقفز بنشاط، ويواجهني بإلحاح حتى يلهيني عن غيره! من ذلك أنني تذكرت زيارة لطبيب في مدينة فاس بالمغرب. وكان يهوديًا طيبًا كريمًا عريقًا في هذه المدينة الإسلامية الجميلة، يقول إن أهله قد هاجروا إليها من إسبانيا منذ خمسمائة عام، عندما أمرت الملكة إيزابيلا وزوجها الملك فرديناندو عام ١٤٩٢م بتخيير المسلمين واليهود في الأندلس بين أن يتنصروا أو يهاجروا من البلاد، ومن بقي منهم بعد صدور المرسوم بثلاثة أشهر فجزاؤه القتل! قال الطبيب: وهكذا رحل أسلافي جميعا مع المسلمين من هذا الفردوس الضائع في إشبيلية وسرقسطة وغرناطة وقرطبة ولشبونة إلى المغرب، نحن وكل من استطاع هذه الرحلة الأليمة من اليهود بل إن بعضا منا انتشر في بلاد أوروبية أخرى لم يكن السيف فيها مسلطًا على رقاب اليهود، مثل هولندة وفرنسا وألمانيا وإنجلترا وغيرها. وكانت معرفتي بهذا الطبيب ترجع إلى لقاء به عند محاضر يهودي مغربيّ يحمل عني بعض العبء في تدريس اللغة العبرية في الجامعة. ثم كنت أقصده كلما احتجت إلى استشارة طبية، فتوطدت بيننا صداقة خالصة صافية. وفي ذلك اليوم الذي كنت عنده في مكتبه، لاحظت في زاوية الحائط من أسفل، وراء منضدة عليها بعض المجلدات، كسرًا في الحائط انكشف عنه الملاط والدهان والتوريق، وظهرت الحجارة على طبيعتها. فقلت له: إن جانبا من الحائط يحتاج إلى إصلاح. فضحك قائلا: لقد كسرناه عمدًا؛ لأن ذلك عندنا سنَّة! قلت: يعني أن الحائط كان سليما وأنتم أحدثتم فيه هذا التخريب؟ قال: نعم! فتلك من علامات التقوى عندنا. قلت: وكيف كان ذلك؟ قال: أنت تعرف أن أورشليم (يعني مدينة القدس) قد ضربها بختنصر البابلي في القرن الخامس قبل المسيح، ثم أعيد بناء الهيكل تحت حماية الفرس على يد النبي نحميا، ثم ضربها انطيوخوس الرابع (ابيفانس) في القرن الثاني قبل الميلاد، وأعاد إصلاحها المكابيون، وأكمل العمل هيرودس الأردني المتهوّد قبيل ميلاد المسيح، ثم ضربها الرومان عام ٧٠ بعد المسيح، وأكمل تخريبها الامبراطور الروماني هدريان في القرن الثاني المسيحي ثم بقيت خرابا - خصوصا هيكل سليمان - إلى اليوم. فأصبح من مظاهر التقوى عندنا أن نترك ركنا من مسكننا مخرّبا حتى نتذكر خراب أورشليم، ونعمل على إعادة بناء الهيكل. قلت: ولو اقتضى هذا تخريب المسجد الأقصى، وقبة الصخرة، وقبة السلسلة، وكنيسة القيامة، وحديقة الجسمانية؟ قال متبرما: لا تسألني، فهذه كما قلت لك سنّة، نتوارثها عن الأسلاف الذين هاجروا إلى بابل بقوة السلاح، وتركوا القدس الذي شيده سليمان بن داود في القرن العاشر قبل المسيح خرابا وأطلالا. وحتى تطمئن فاعلم أن هذا الاعتقاد عند أتقياء اليهود مرتبط بمجيء المسيح المخلّص، لأنهم لا يعترفون - كما تعلم - بمسيح النصارى، فإن استطعت أن تتنبأ بمجيء المسيح اليهودي، كنت في حلّ من أن تخاف على المسجد الأقصى وكنيسة القيامة وما إلى ذلك، وإلاّ فنم مطمئنا! قلت: أنا مطمئن من هذه الناحية، لكني أخشى أن يقوم صهيوني جاهل فيعطي نفسه صفة المسيح المنتظر عندكم ويقوم بتخريب هذه المعالم. قال: لا أظن ذلك، فالعالم الإسلامي ضخم جدا، وأنت تذكر أن قبة الصخرة التي شيدها الخليفة عبد الملك بن مروان، وقعت تحت الاحتلال الصليبي بعده بنحو أربعة قرون، فلم يقربها الصليبيون خوفا من إثارة الإسلام كله ضدهم. حتى المسجد الأقصى لم يدمّروه ولكنه تصدّع مع الزمن والقتال إلى أن رمّمه صلاح الدين بعد تحريره من قبضة الصليبيين. ثم تنهد الطبيب قائلا: نحن أقلية ضئيلة، عشنا مشتتين متشردين، فأصبح الخوف طبيعة ثابتة عندنا. ثم قام واقفا وقال: حتى اليهود في إسرائيل مشتتون مشرّدون، ربما أكثر منا! قلت: يبقى أن لهم دولة وجيش وشرطة ووزارات ومرافق. قال: كل هذا لا يفيد، فأكثرهم - خصوصا يهود الشمال (الاشكناز) - لم يتعودوا على هذا المناخ، ويعتبرون أنفسهم فيه غرباء وسائحين، ثم إنهم لا يعيشون في سلام، إذ كيف يعيش في سلام من فرض نفسه على أرض رغم أنف أهلها؟ وفي رأيي أن السلام هو أصل الفضيلة وأصل الحضارة وأصل

الحرّية، وبدونه تذهب كل هذه الأساسيات في هباء.

تذكرت صديقي الطبيب اليهودي المغربي، وأنا أقرأ كتابًا لمؤلف إسرائيلي من كبار أدباء الدولة الصهيونية في أيامنا هذه، اسمه أبراهام بن يهُوشُوَّعْ، وعنوان كتابه: (من أجل وضع طبيعي لليهود). والرجل حائز لجائزة إسرائيل في الأدب، ويقوم بتدريس الأدب المقارن في أحد المعاهد العليا بمدينة حيفا، وهو كاتب قصصي ذائع الصيت، تُرجمت قصصه إلى لغات كثيرة في العالم. وبكل أسف لم يقع لي كتابه هذا بالعبرية، بل قرأته مترجما إلى الفرنسية بقلم: إجلال إيريرا وعَمِّيت رُوتهارد، وظهر في دار نشر ليانا ليفي بباريس، في سلسلة عنوانها: آراء عام ١٩٩٢م، في ١٣٥ صفحة. وقبل أن أبدأ قراءة الكتاب قلت لنفسي: مجرد العنوان يتضمن اعترافًا صريحا بأن (وضع اليهود غير طبيعي) وأنني أمام محاولة من جانب المؤلف من أجل (وضع طبيعي لليهود). وعرفت أن هذا الرجل ليس مهاجرا إلى فلسطين كأولئك الطارئين عليها من حيث وصلت الدعاية الصهيونية في العالم. فهو وأهله من القلة اليهودية الفلسطينية التي كان عددها في البلاد عند صدور وعد بلفور يدور حول خمسة آلاف تقريبا.

وكان هذا العدد يزداد ببطء شديد جدا، رغم وقوع فلسطين تحت الانتداب البريطاني، واهتمام العرب في داخل فلسطين وخارجها بمستقبل هذه البلاد. ثم ظهرت النازية الهتلرية في ألمانيا والفاشية المحالفة لها في إيطاليا بزعامة موسوليني، وتبلور خطر الحرب العالمية الثانية، وبدأ هذا الشبح الرهيب يقذف الآلاف من اللاجئين اليهود إلى فلسطين. وأمام الغضب العربي في فلسطين، اضطرت بريطانيا عام ١٩٣٩م - وهو عام اندلاع الحرب العالمية الثانية - إلى إصدار (الكتاب الأبيض) الذي ينص على أن الحدّ الأقصى للمستوطنين اليهود في فلسطين هو خمسة وسبعون ألف يهوديّ لمدة خمسة أعوام، أي إلى عام ١٩٤٤م، وبعد هذا التاريخ ينبغي، قبل السماح بأية هجرة يهودية إلى فلسطين، الحصول على موافقة عربية على ذلك، وصحب هذا القرار تحديد لمناطق من فلسطين لا يجوز لليهود شراؤها. وحتى هذه الشروط رفضها العرب إذ ذاك، وطعنت عصبة الأمم (في هذا الوقت) في حق الدولة المنتدبة (بريطانيا) في هذا التصرف، كما رفضها اليهود الصهاينة أيضا. وفي إعلان قيام الدولة الصهيونية يوم ١٤ مايو ١٩٤٨م تضمن القرار أمرًا إداريًا بإلغاء هذين الشرطين، واستندت حكومة بن غريون المؤقتة إلى مبدأ (سيادة الدولة) في هذا الإلغاء. وإنما لجأنا إلى هذا الاستطراد حتى نعلم أن هناك صَدْعًا خطيرا بين (يهودي الأرض) - وهو ابن البلد الأصيل فيها بجانب العرب مسلمين ومسيحيين - (واليهودي الطارئ) على فلسطين.

ولذلك اخترعت الصهيونية اصطلاحا سكانيا جديدا هو (يهودي الصَبْرة) وهو المولود في فلسطين من أبوين مهاجرين من الشتات، شبّهوه بنبات الصبر الصحراوي الذي يتحمل أقسى ظروف الحرارة والجفاف، مما يؤكد ما أشرنا إليه من صعوبة تأقلم المهاجرين اليهود في فلسطين.

بدأ إبراهام بن يهُوشوَّع - وهو مولع بالرمزية حين يكتب - بنقل قصة قصيرة من (كتاب التسابيح) للمتصوف اليهودي القديم الحاخام بَعَلْ شِمْطُوب، يقول: جاءه جماعة من اللصوص وقالوا له: يا مولانا نحن نعرف طريقا مختصرا للوصول إلى أرض الميعاد. وهو درب يمرّ بين مغارات وكهوف، فإن أحببت أن تأتي معنا دللناك على الطريق، فوافقهم على ذلك. وبينما هم يسيرون ظهر لهم وادٍ عميق مليء بالماء والقاذورات، فصنع اللصوص لوحا للعبور، ومشوا عليه معتمدين كل منهم على قصبة طويلة يغرسونها في عمق الوادي، إلى أن وصلوا إلى الضفة الأخرى. وهمّ الشيخ بالعبور، ولكنه رأى في الفضاء (بريق سيف متقلب)، فعاد أدراجه وقال لنفسه: من المؤكد أنني وصلت إلى هنا لحكمة ما، ثم التفت وراءه فرأى ضفدعة! ولم يعلّق المؤلف على القصة التي صدّر بها كتابه، وواضح أن اختياره لها كان عنده ذا مغزى كبير. فالشيخ المتصوّف كان قد قرر الذهاب إلى أرض الميعاد - فلسطين - بصحبة (جماعة من اللصوص). وفي مرحلة ما من السفر كان لا بد من عبور عقبة خطيرة، ولكن ظهر له (بريق سيف متقلب) فتذكر قول التوراة في قصة طرد آدم من الجنة (سفر التكوين ٣ : ٢٤). وَمَنَعُ الله عودته إليها: فطرد آدم، ووضع حرسًا من الملائكة شرقي جنة عدن، (وبريق سيف متقلب) على طريق شجرة الخُلد. لهذا قرر الشيخ الرجوع، ثم لما التفت وراءه رأى ضفدعة، وهي رمز من رموز العذاب، نقيقها لا يكون إلا في الظلام، وفي مستنقعات من الوحل والعفونة، وهي من الحيوانات البرمائية المحرّم أكلها، كما أنها كانت من بين علامات الغضب الإلّهي على فرعون موسى هو وقومه، كالقمل والدم والجراد. ولم يشرح المؤلف ذلك اعتمادا على ذاكرة القارئ اليهودي.

وأشار في ثنايا كتابه، من بدايته إلى نهايته، إلى أن (الأمة اليهودية) لم تتكوّن في فلسطين. فإبراهيم قد دعا إلى التوحيد في العراق، في مدينة أور الكلدانية، التي وُلد فيها. وموسى جهر بنفس الدعوة في مصر الفرعونية، التي وُلد فيها أيضا. وكلاهما قضى فترة طويلة من عمره مغتربا ضاربا في مناكب الأرض. إبراهيم في بادية الشام ومصر والحجاز، وموسى في صحراء مَدْيَن ثم في قفار سيناء، وحده أولا، ثم مع هارون وبني إسرائيل أخيرا، دون أن يدخلوا فلسطين. ويرى المؤلف أن القفار والجبال والخرائب كانت (التضاريس) المميزة لحياة بني إسرائيل، وأنهم لم يألفوا فكرة إقامة (دولة) إلا بعد أربعة قرون من موسى وهارون، كانت كلها محاولات للاستقرار بفلسطين، بعد العمل الفاشل في إبادة سكانها الأصليين ومعهم جيرانهم المؤابيون في الأردن والآراميون في سوريا، ومن يساعدهم من المصريين والعرب. وعلى هذا المدى الطويل كان بنو إسرائيل يفكرون في إنشاء دولة. ويشير المؤلف إلى نصّ في كتابهم يشير إلى أن الربّ نفسه كان ضد فكرة الدولة، وإشارته العابرة تقتضي أن أعود إلى

الصهيونية وعبادة الخراب

هـذا النـص تيسيرا على القـارئ العربي. وكانت القصـة كلها في أيام صمويل الـذي يعدونه آخـر القضاة (شيوخ القبـائل) وأول (الأنبياء) لأن إبـراهيم وأبنـاءه وأحفـاده كـانـوا في عـرفهم (السلف الصـالح) ومـوسى كـان (رجل الله) أي رسـول الله. وهكذا أصبح صمويل أول من يحمل لقب (نبي) في بني إسرائيـل، أمـا المؤنث (نبيّة) فكـان أقـدم من ذلك عنـدهم؛ لأن النبيّة كـانت ساحـرة ومنجمّة وعَرّافـة . . . وربما أشيـاء أخـرى! تقـول قصة صمـويل في نهايتهـا إنـه تقـدمت بـه السنّ فعيّن أبناءه شيوخـا وقضاة، واشتهر منهم اثنان هما يوئيل وأبِيّـا، وكانا يمارسان سلطتهما في جنوب فلسطين، في بئـر سبع. وكـانـا غير عـادلين، اشتهـرا بقبـول الـرشـوة، والانحـراف عن الطـريق المستقيم. «فجـاء شيـوخ إسرائيل إلى صمويل في الـرامة وقـالوا لـه: إنك قـد شِخْتَ، وأولادك لا يتبعـون نهجك، فـالآن أقـِمْ علينـا مَلِكـا يقضي بيننـا كجميع الأمم! فقَبُح هذا الكلام في عيني صمويل، إذ قالوا أقم علينـا ملكا يقضي بيننا. فـدعا صمـويل الـرب، فقال الـرب لصمـويل: اسمع لكـلام الشعب في جميع ما يقولـون، فهم لـم يَسْأموك، وإنما سئمـوني أنـا في ولايتي عليهم - (صمـويـل الأول ٨)». وهنـا ورد تعـداد جـرائمهم ومعـاصيهـم منـذ خرجوا من مصر مع موسى، ووصلوا في الإثم إلى الكفر وعبادة آلهة أخرى! ثم راح صمـويل يشرح لهم سلـوك طغاة الملوك في العالم المعاصر لـه، إلى أن قال إن الملك «يستولى على أبنائكم ويأخذهم لنفسه، لعربته ولفرسانه، فيركضون أمام عربته، ويتخذ لنفسه قـادة لألف، وضبّـاطـا لخمسين، وفـلاحين للحرث والحصـاد، وعمالا لعتـاده الحربي وعـربـاتـه، ويجعل بناتكم وصيفات لزينة النساء والطبخ وعمل الخبز، ويستـولى على حقولكم وكرومكم وأطيب زيتونكم، فيأخذها ويجعلهـا لعبيـده، ويجبي العُشر من زرعكم وكرومكم، ويمنحه لخصيانه وعبيـده. ويأخذ عبيـدكم وإمـاءكم وفتياتكم وحميركـم، ويسخّر ذلك في أعماله هو. ويأخـذ عُشر ماشيتكم، وأنتم تكونون له عبيدا، فتصرخون في ذلك اليوم من ملككم الذي اخترتموه لأنفسكم، فلا يجيبكم الرب في ذلك اليوم. فأبى الشعب أن يسمعـوا قول صمويـل، وقالوا: كـلاّ، بل يملك علينـا ملكـا، ونكـون نحـن أيضـا (كسـائر الشعـوب) يحكم بيننـا ملكنـا، ويخرج أمامنـا، ويحـارب حروبنا! . . .». ونـزل صمويل عند رغبتهم - وضد رأيه هو - فولّى عليهم شـاؤول، ثـم أعقبـه داود وسليمان، وتحققت لهم (الدولـة). ولكنهم لـم يرضوا بها، فـانتحر شاؤول، وقضى داود حياتـه محاربا، أو مستعينـا بالله من قـومـه بـاكيـا، وتعـرض سليمان لثورات كثيرة، وحركات من العصيان المدني، وانقـلابـات، أهمها حـركـة يُـربْعـام بن نَبَـاط لإسقـاط عـرش سليمان، ولكن الله كـان مع سليمان ففشل هـذا القـائد، وهـرب لاجئـا سياسيا لـدى الفراعنة، ثم خفّ إلى فلسطين عنـد موت سليمان ليستـولى على العـرش، فلـم ينجح إلا في الاستيـلاء على الشطـر الشمالي من المملكـة، وهكـذا تقلصت الـدولـة بتمـزيقها نصفين، عـاش كل منهما تحت حماية دولة أجنبيـة قوية، إلى أن سقطت السامـرة في أيدي الأشوريين في القـرن السـادس قبل الميـلاد، وتمّ تدمير السامرة بـأيدي الجنود الغزاة. ثم سقطت يهوذا بعد ذلـك بقرن من الزمان أمام جيوش بختنصر البابلي، وتمّ تخريـب أورشليم (القـدس) نهائيا. وكان الذعر الذي أصاب بني إسرائيل أمام الغـزو الأشوري سببا في هجرة عشرة أسبـاط من بني إسرائيل وتفرقهـم في بلاد الله، حيث ضـاعوا ولـم يعد لهم أثـر! أما سبطـا يهوذا وبنيـامين البـاقيان، فقـد أخـرجهم بختنصر من ديارهـم وساقهم أسرى في بابل في القرن الخامس قبل الميلاد، بعـد تـدمير هيكل سليمان وتخريب مدينة القدس.

ويجعل المؤلف هـذا الحادث هـو بدايـة تكوّن الشخصيـة اليهوديـة: تكـونت في الهزيمـة والذل والشتـات والاغتراب، وسط عالم أقل ما يقال فيه إنه لا يـرحّب باليهود. ومن هنـا أبرز المؤلف الانفصام بين اليهـود والعالم، والتمسـوا السلـوى عـن هـذا البـلاء بادّعـاء أنهم أبنـاء الله، وشعبـه المختـار، الأبـدي، الضعيف دون أن يتـلاشى، المختصّ بمـزايا مقـدسـة ليست لبقية البشر، الشعب المعجزة، مصـدر النـور مهما لطختـه الخطـايـا والآثـام، يـا للغـرور! إنهم النـاس حقّـا، والبشر هو (الآخـر). ويسأل المؤلف إذا كان هناك سرّ خفي حبّب الشتـات لليهود؟ هم يبكـون من الشتـات، ويبكـون على تخريب أورشليم، ومنـذ قـرابـة ألفين من السنين واليهـودي يتمنـى في العيـد لأخيـه في الـدين (العـام القـادم في أورشليم!). ومع ذلك هو مستقر في الشتات، مهما كان قاسيا، ومتجمع بعضـه مع بعض في أحيـاء خـاصـة يمارس فيها يهوديته بعيدا عن الأنظار، ولعله يشعر بأنه حرّ في الشتات أكثر منه في ظل دولـة يهودية في فلسطين، فـالقـانـون في الشتـات يتلخص في (نصائح) يقدمها الحاخام، ولا حول لـه ولا قوة على من يخالفها، بينما هي إجباريـة وملزمـة، وهي أكثـر تعسفا وتطـرفـا في الدولـة الصهيـونيـة المعـاصرة. أي أن مخاوف صمـويل القديمة كانت مخاوف سياسية بعيدة النظـر، وكأنـه كـان على يقين من أن (دولة اليهود) ستكـون دائما مصيبـة على اليهـود! لكن لماذا؟ لإيمانهم الأسطـوري بأنهم (ممتـازون) بقـرار أبـدي وأزلي من خـالق السماوات والأرض، وأن كل واحد من خلق الله هو (شخص آخر) يجب ألاّ يختلطوا به أو يندمجوا فيه، ومن هنا جاء (الوضع غير الطبيعي) الذي يحاول مؤلف هذا الكتـاب أن يجد السبيل إلى تغييره.

وتأمّل في حيـاة اليهـود في الشتـات، فلاحظ أنهم كانوا يخلقون لهم في كل بقعة من الأرض عـاشوا فيها (كيـانا) منفصلا عن الناس، مستقلا - بقدر الإمكـان - عن سيـادة الـدولـة التي تؤويهم، ومنذ السبي البابلي في القرن الخامس قبل المسيح وهم - كما قلنا - ينتظرون العـودة إلى أرض الميعاد التي تجرعـوا فيهـا الهزائم حتى الثمـالـة. وزعم لهم شيـوخهم أن كل يهودي يـدفن في أرض عـربيـة فإن معجـزةً قـائمـة دائمـة ستأخـذ بيـده خـلال سراديب خفية في باطن الأرض، يسير فيها حتى يصل إلى أورشليم فيرقد في ثراها مع قومه! وهي أسطورة كادت تكـون نسيـا منسيـا حتى أحيتهـا الصهيـونيـة، وكأنها تقـول لكل

يهودي : أنت مطلوب حيا أو ميتا !

وقد خصها المؤلف بالذكر في كتابه قبل أن ينتقل إلى فكرة أخرى حول تبلور اليهود في كيانهم الخاص، مستعينا بالتحليل النفسي للجماعات، أو السيكولوجيا الجماعية كما يقول. وهنا يخامرني الشك في حصافة تحليله، بل في صحته. فهو يدعي أن النفسية اليهودية تقوم على دعامتين : الله والأرض. فالله هو الأب، والأرض هي الأم، واليهودي هو نتاج زواج الله – تعالى عن ذلك – بأرض الميعاد، زواجًا يتسم بأبدية الله ووحدانيته ! وهي مزاعم صهيونية مضحكة. فمنذ القدم كان أسلاف اليهود يعتقدون أن هناك زواجًا بين الله والأمة، وليس الأرض. هكذا يقول نبيهم (هُوشَع) قبل كارثة السبي البابلي بزمان : قال الرب لهوشع اذهبْ وخُذ لك زوجة زانية، وأولاد زنًى، فإن الأرض تزني زنًى من وراء الرب (هوشع ١ : ٢). ويقول بعد ذلك : حاكموا أمّكم، حاكموها، فإنها ليست امرأتي، ولا أنا رجلها (هوشع ٢ : ٢). وواضح أن (الخيانة الزوجية) التي ارتكبتها الأمة مرارا وتكرارا هي التي شردتها ومزقت أوصالها، وأن الهنغاري (تيودور هرتزل) والألماني (حاييم وايزمان) والبولندي (بن غوريون) لا يشبهون (المسيح المنتظر) على الإطلاق)، لأنهم – ومن يتبعهم – مستعمرون سياسيون استيطانيون لا أكثر ولا أقل، يبحثون في فلسطين عن (قدور اللحم) ليملؤوا بها بطونهم، حسب تعبير بني إسرائيل الثائرين على موسى من قصة التوراة «فتذمر كل جمهور بني إسرائيل على موسى وهارون في الصحراء، وقال بنو إسرائيل لهما : ليتنا متْنا بيد الربّ في أرض مصر، حيث كنا نجلس إلى قدور اللحم ونأكل من الطعام حتى نشبع ! فلماذا أخرجتمانا إلى هذه الصحراء لتقتلا هذا الجمهور كله جوعًا ((التوراة/ الخروج ١٦ : ٢).

ومع ذلك أعجبتني محاولة من المؤلف لتحديد بعض المفاهيم التي كثيرا ما تتعرض للخلط مثل : اليهودي، والإسرائيلي، والصهيوني. وفي هذا القسم بدأ بسطور من الكاتب الصهيوني (يوسف حاييم برينر) تقول : إن المسألة المطروحة أمامنا هي أن نستطيع أن نعدّل من طبيعتنا بقدر الإمكان. يجب أن تكون لنا بيئة مِلْكًا لنا. ولكي نستطيع أن نهيء تلك البيئة ينبغي أن تجتاز طبيعتنا تحولاً شاملا. وبعد هذا التصدير نقل تعريف فقهاء التلمود لليهودي، الذي أخذ به (قانون العودة) الصادر بعد إعلان دولة إسرائيل عام ١٩٤٨م وهو : إن اليهودي هو من كانت أمه يهودية، أو كان معتنقا للديانة اليهودية. أمّا كون الأم يهودية فيقصد به (التأكد) من أحد الوالدين على الأقل، والأم بالذات لأنها هي التي تحمل وتلد، بصرف النظر عن الأب الذي يمكن أن يكون حقيقيا أو وهميا، بسبب الخراب في (الأخلاقيات)، وأما المتهوّد – وهو نادر – فهو واضح لا يحتاج إلى تعريف لدرجة أن بعض ذوي الاستدراكات اللاذعة قال : اليهودي هو من يقول إنه كذلك. وفي المذكرات الإيضاحية الحديثة أن صفة اليهودي دينية بحتة وغير أبدية، يمكن التخلي عنها في أي وقت !

أما الصهيوني فهو شخص – يهودي أو غير يهودي – يؤمن برابطة بين شعب إسرائيل وشريعة اليهود، والأرض التي تقوم عليها الدولة. وكان ونستون تشرتشل رئيس وزراء بريطانيا أثناء الحرب العالمية الثانية – وهو مسيحي – يعلن أنه صهيوني ! في حين أن تنظيما يهوديا متدينا ومقيما في داخل دولة إسرائيل اسمه (نِطُوري قَرْتَا) أي حرّاس المدينة، يعلن أنه غير صهيوني؛ لأن المدينة التي يحرسها هي أورشليم السماويةوليست الأرضية.

أما الإسرائيلي فهو الذي يحمل بطاقة تثبت أنه مواطن في دولة إسرائيل، حتى العربي المسلم أو الدرزي أو المسيحي. كل أولئك إسرائيليون، لا يهود ولا صهاينة.

والمشكلة المثيرة كانت في الخلط بين اليهودي والصهيوني، بعد أن زعم الصهاينة أن كل يهودي صهيوني. فترتب على ذلك أن أصدرت هيئة الأمم المتحدة عام ١٩٧٥م قرارا رسميا بأن الصهيونية نوع من أنواع العصبيات العنصرية. وبقيت الصهيونية تتبرأ من هذه الوصمة، وتسعى لدى أصدقاء إسرائيل بين الدول العظمى إلى أن صدر قرار من هيئة الأمم المتحدة عام ١٩٩١م بإلغاء القرار السابق ! وهو حدث نادر في المنظمة الدولية.

ومنذ ذلك الوقت بدأت الدولة الصهيونية في الفصل بين الإصطلاحين : اليهودي والصهيوني، فعداوة اليهود تقع تحت طائلة تهمة (اللاسامية) وهي ذات صبغة عنصرية نازية هتلرية، أما (عداء الصهيونية) فهو خلاف سياسي فقط، من حق كل إنسان أن يكون لا صهيونيا أو ضد الصهيونية، دون أن تعلق به تهمة التعصب (العنصري) ضد اليهود. وكانت هذه الخطوة تمهيدا إسرائيليا لإلغاء تهمة العنصرية، خصوصا عندما أصدروا بحوثا تقول إن اليهود ليسوا عنصرا أو سلالة بل هم شعب فقط، كسائر شعوب العالم المكونة من عناصر وأعراق متعددة. وقد أفاض المؤلف في ذلك بحماسة حتى يصل إلى (الوضع الطبيعي) الذي يبحث عنه، وهي أمنية لم تتحقق له؛ لأن الشتات ما يزال يجمع أربعة أخماس اليهود في العالم، ولأن الانتفاضة الفلسطينية تصك بحجارتها هذه الرءوس الصهيونية اليابسة محاولة عبثا أن تعيدها إلى صوابها، ولأن (المستحمسين) من المستوطنين الصهاينة يقتلون العرب بالرصاص، ثم تأتي فرق المتفجرات بالجيش الإسرائيلي فتنسف بيوت هذا العربي أو ذاك لأن ابنه أو أخاه أو جاره رمى سيارة أو ناقلة أو محراثا بحجر. أو اعتقلته الشرطة لتأييده لمنظمة التحرير أو منظمة حماس.

ومنذ خراب الهيكل الأول على يد بختنصر، والهيكل الثاني على يد الرومان، يبدو أن الحنين الصهيوني إلى أورشليم يقترن دائما وأبدا بمنظر الخراب والدمار.

ومهما يكن من شيء فأنا بعد قراءة هذا الكتاب سعيد إذ تحققت لي أمنية كبيرة وهي أن اتبرأ من العداوة العرقية والعنصرية لليهود، وأبقى على عدائي السياسي والاجتماعي والاقتصادي والتاريخي والعسكري للصهيونية التي تحمل الخراب وتتمخض عنه وتتعبده. والحاخام (شمطوب) كان على حق عندما عاد أدراجه ولم يرافق (اللصوص) إلى أرض الميعاد !

مهرجانات التراث والثقافة
الواقع والآفاق

د. محمد سيف يس

استولى مهرجان الجنادرية الثامن للتراث والثقافة على إعجابي، واستثار بسمة الرضا عندي، ودفعني إلى الكتابة عنه.

ولقد كان بودي أن أتناول في هذا المقال كل ما احتواه هذا المهرجان من تظاهرات تراثية وثقافية بالنقد والتعليق والتحليل، ولكن الأعباء الذهنية الكثيرة، إلى قصر الوقت، حالت دون المراد وأكرهتني على الاجتزاء بالإشارات العجلى إلى أهم ما أثار المهرجان في عقلي ونفسي من أفكار ومشاعر.

ومع كل الضجيج الذي يحركه ذوو النوايا الطيبة في تذكرهم للكلام، وتحريضهم على الاكتفاء بالعمل، سيظل للكلمة مفعولها العميق في عملية التنوير والكشف عن كلمة شعوبنا وتقاليدها، ومقدساتها، وأنماط حياتها، ومذاهب آدابها، وألوان فنونها وأعمق أسرار نفوسها وسلوكياتها.

من الثابت أن الإنسان بطبعه يميل لاستماع الأخبار، ويشتاق بفطرته لمعرفة ما كان في سالف الأزمان، خصوصًا إذا كان مولعًا ومتعلقًا بوطنه، الذي فيه تربى ونشأ فيه سلفه، ليكون على بينة من أمره. لذلك عُنِيَت كل أمة من الأمم الراقية بالمحافظة على تاريخ سلفها وتعليم ذلك للأجيال المتعاقبة. وما مهرجان الجنادرية الثامن للتراث والثقافة إلا تجسيد لهذه الفلسفة التي تتيح لهذه الأجيال أن تبحث وتتقصى وتنقب وتحلل وتقارن تراثها الذي يرتبط كل الارتباط بالحوادث السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية وتستخلص منه العبر.

هناك العديد من الحقائق الكبرى التي أكدها هذا المهرجان ـ والمهرجانات التي سبقته ـ والتي يحاول هذا المقال الكشف عن مدلولاتها بغية ترسيخها في ذهن المواطن العربي لتستقر عنده ولا يبقى لأحد فيها مقال. ونحن إذ نلج عالم هذه الحقائق بأبعادها المتعددة الجوانب والأغراض، لا نطمح إلى الدخول فيما يمكن أن يشكل دراسة متقصية شاملة لها. وإنما نقصر الكلام على التعريف المقتضب بأهم جوانبها، آملين في سانحة مناسبة أخرى لتناول هذه الحقائق بشيء من الإفاضة والتدقيق. تلك الحقائق هي:

١ ـ وحدة التراث الشعبي

وحدة التراث الشعبي ـ بشقيه الروحي والمادي ـ والثقافة المرتبطة به في كل أنحاء العالم العربي.

وإذا كنا نقطع بوحدة عناصر هذا التراث فإننا لا نغفل أن هناك اختلافات وتنوعات في بعض أشكاله وإيقاعاته، تردّ إلى التحولات التي طرأت على الشعوب العربية كل على حدة، ومن الخطأ أن نحاول فصلها عن محيطها الذي لا يمكن فهمها من دونه، والتي تعكس هي صفاته الثابتة وتحولاته وتبدلاته أيضًا. فالجانب التراثي تعتوره كغيره أحوال تتغير بتغير حياة أهله العقلية والسياسية، كذلك يغير فيها اختلاف البيئة ونزوح الديار، ووسائل المعيشة، واختلاف المرئيات وتنوع الاستقرار والارتحال. هذا ومما تجدر الإشارة إليه أن هذه الاختلافات هي اختلافات أفقية ـ بمعنى أنها اختلافات في الشكل وليس في المضمون ـ وليست اختلافات رأسية ـ بمعنى التفرقة بين الأسمى والأدنى وتضارب عناصر هذا التراث وتناقض جوهره وأهدافه وفلسفته. بالإضافة إلى ذلك فنحن لا نعتبر هذه الاختلافات والتنوعات خطرًا يهدد تكامل ووحدة التراث العربي بل نعتبرها عناصر ثراء تسهم مجتمعة في إعطاء كل شعب عربي طبيعته

○ التراث عملية حية مستمرة ولا يعني مدونات الكتب القديمة فقط.



الجنادرية تجسيد لوحدة التراث الشعبي بشقيه الروحي والمادي

المتميزة وكيانه المتنوع المتكامل.

٢ ـ التراث ووحدة الشعوب

يمكن للوحدة الكامنة في هذا التراث أن تؤدي دورًا مهمًا وحيويًا في وحدة الشعوب العربية وعدم تفتيتها، وبناء كيان موحد كبير قادر على مكافحة خطري الاضمحلال والاحتلال السياسي والثقافي، وذلك؛ لأن هذا التراث يمتلك خيطًا سحريًا يجمع بينه وبين قومه، وأن هذا الخيط يمثل رابطة وجدانية تربطه بهم وتجذبهم إليه، فهو سبيل إلى التواصل بينهم، لأن الشعوب تتواصل بقدر ما يتناغم فيها من قيم وسلوكيات مشتركة. إن اشتراك الأفراد والمجتمعات والشعوب في الرموز الثقافية الأساسية يخلق بينها درجة عالية من التضامن ومن التعاطف والتقارب الروحيين. وهنا لا بد من التأكيد على أن المسألة ليست تمنيات نابعة من فراغ أو خيال، لكنها تبعات تبنى على واقع، فطبيعة الأمور تسير نحو التوحيد وليس إلى التمزق. كذلك نود أن نؤكد أنه لا حاجة بنا إلى إبراز ضخامة العمل المطلوب لتحقيق هذه الوحدة، كما أنه لا يجوز لنا أن نحجم عنه لضخامته. إن المثقفين عندما يقفون وراء مبدأ توحيد الشعوب العربية إنما ينطلقون من منصة المسؤولية الفكرية الملقاة على عواتقهم من أجل مزيد من العطاء الفكري المرتبط بإشكالات الواقع العربي، لكننا لا يمكن أن نغفل في الوقت نفسه أن الباحثين والعلماء لا يملكون أكثر من تقديم الرأي العلمي، وإن وقوف الكثير من العقبات دون تحقيق ما يذهبون إليه على أساس بحثهم العلمي من شأنه أن يشل حماستهم وحركتهم ويصيبهم بالإحباط.

٣ ـ العروبة مضمون حضاري

إن العروبة أو «العروبية» وفقًا للمصطلح الذي استخدمه ابن خلدون في القرن الرابع عشر الميلادي هي انتماء لغوي ـ ثقافي (بالمعنى الإثنولوجي)، وهي بالتالي مضمون حضاري وليس عرقيًا ـ إذ تكاد لا تخلص أمة من الأمم لعرق واحد ــ فليس الذي يكوّن الأمة العربية ويربط أجزاءها ويوحد شعوبها إلى غاياتها هو هبوطها من سلالة واحدة، وإنما هو لغة وآداب وتراث وتكوين نفسي وحضارة وولاء ودين.

٤ ـ الحفاظ على الهوية

إن حفظ هذا التراث وصحوته وإحياءه تساعد في احتفاظنا بذاتيتنا وهويتنا الثقافية التي تُعتبر في هذا الزمان عاملاً مهمًا من عوامل وجود الشعوب، لأن التراث يشكل ثقلاً نوعيًا يمنع الجماعة من التحول إلى ورقة في مهب رياح الثقافات الواحدة، ويعصمها من الجريان وراء كل بدعة، ويحميها من محاولات طمس المعالم التي تميز الشخصية العربية المستقلة، وهي محاولات لسلب الجماهير العربية أساسها الحضاري القديم الذي يمكن أن تشيد عليه مستقبلها. وإن كان ثمة من يشتبه أو يظن بأن دعوتنا هذه إنما هي تقوقع على الذات، وسعيٌ إلى العودة إلى الماضي والمكوث فيه، وصبغ هويتنا الثقافية بألوانه دون غيرها، فالأمر ليس كذلك. فنحن نؤمن بأن الاطلاع على حضارات الشعوب الأخرى هو إغناء لتراثنا، ولعله في بعض الحالات إغناء وتحديث لثقافتنا القومية. وما دام هذا الاطلاع إغناءً فلا اعتراض عليه، ولكننا نعتقد أن الاطلاع والتحديث لا يستقيمان إلا إذا اتصلا بماضينا ونسقنا الحضاري بحاضره ومستقبله، هذا والمعروف أن التحديث ــ وهو مطلوب ـ لا يقدر عليه من يجهل تراثه. من هنا كان سعينا إلى إيجاد صيغة لهويةٍ ثقافية تلتقي فيها أصولنا الموروثة مع ثقافة العصر الذي نعيش فيه، صيغة قوامها أصول رئيسة من التراث العربي وأصول أخرى مناسبة من مقومات ومكونات عصرنا الحاضر. هذا وقد كان ذلك دأب الثقافة العربية من قبل، فإنها لم تتحرج من تلقف ظواهر ثقافية أجنبية وتدجينها وتطبيعها

مهرجانات التراث والثقافة
الواقع والآفاق

حتى زالت هجنتها وتعربت عجمتها. فنحن نريد أن نعطي أنموذجًا لمعطى ثقافي محلي، متأصل في جذور التربة العربية الثقافية ومشارك مبدع في الحضارة العالمية الحديثة. إن احتفاظنا بتراثنا وثقافتنا وضمان تعميق الإنتاج والاستهلاك لهما فيه إغناء للتراث البشري العالمي، أما انقطاعنا الكامل أو حتى الجزئي عنه فيجنح بنا إلى إفقار التراث البشري وحصد تنوعه فتفقد الإنسانية زادًا فنيًا وفكريًا وتفقد عطاءً. إن التحصن ضد الغزو الثقافي بطاقات عقلية وقومية عميقة الجذور فيه إحياء للتراث وذود عن الروح أن يتلاشى، وضمان ألا تطغى المادة على الإنسان وتتقلص قيمه الأصلية التي بها شرفه وعزته وهويته الثقافية أولاً وأخيرًا. واليوم ونحن على وعي كامل بنواميس التقدم فإننا ندرك أن «المرء لا يجد الظل إلا تحت شجرة عميقة الجذور».



ارتباط وثيق بالأرض العربية

٥ ـ توظيف التراث في التربية الحديثة

تتمثل في إمكان توظيف التراث في التربية الحديثة. ولنحاول في البدء تقديم تعريف شديد الإيجاز لمصطلح: «تربية» على طريقة «تحرير المصطلح قبل الأخذ في المناقشة». فالتربية من العلوم الإنسانية غير المحسوسة، وإن أية محاولة لتعريفها لا يمكن أن يكتب لها النجاح إلا إذا تمت عن طريق الوظائف التي تؤديها والتي يمكن تلخيصها في: تنمية الفرد، والارتقاء بملكاته وقدراته العقلية والنفسية والجسدية، ومراقبة هذا النمو وتوجيهه لما يفيد الفرد والمجتمع.

وللأنماط الثقافية التي تعتمد عليها في تشكيل بنيانها الاجتماعي والأخلاقي، وذلك بتوظيف هذا التراث قد يظن البعض أن التراث من الأمور التي نجدها في الكتب القديمة، ولكنا نقول إن التراث موجود في الجماهير وجودًا حيًّا، وهو لا يمثل منتجات ماضية بل هو عملية حية ومستمرة، ولهذا أصبح من أهم مقاييس نضج الأمم وبلوغها الرشد في مجال البعث والنهضة، أن تستلهم تراثها وتستخدمه في التربية والتعليم، وأن تبحث عن جذورها وسمات حضارتها لتجعلها الواجهة للتربية في إعطاء دروس للنشء في مجالات الأخلاق والتربية الوطنية الحديثة تتمثل في اختيار مواقف تراثية أخلاقية وبطولية، وحث النشء على الاقتداء بها.

إن العودة إلى التراث والاستفادة منه في تربية الأجيال لا يمثل رفضًا مبدئيًا للحاضر والمستقبل،



مشغولات يدوية تعكس الفن والعراقة

لأن الحاضر ـ على الأقل في نظرنا ـ هو امتداد للماضي وتراكم لحكمه وتجاربه والتي تمثل ضمانة وثروة، تجنبنا في كل عصر أن نبدأ من الصفر بدعوى الحداثة. إن الإحياء الحقيقي للتراث لا يكون بتجميده والتعصب النظري له، وإنما يكون بإقبال الناس على الاتصال به وتوظيفه في حياتهم حتى يصبح جزءًا فاعلاً في وجدانهم وبنيتهم العقلية المعاصرة، وحتى يكون له فاعليته ودوره الذي يجعل من المادة التراثية قوة استيعاب حية وواعية.

٦ ـ شمولية العمل الثقافي

إن العمل الثقافي لم يعد مقصورًا على المجالات الفكرية فحسب. فمن دواعي الارتياح أن يشمل هذا المهرجان ـ والمهرجانات التي سبقته ـ جملة من الشؤون لم تكن تعتبر جزءًا من الثقافة، ولم يكن يؤخذ بها إلا في شبه استحياء أعني بذلك الغناء والرقص الشعبي (الفولكلوري) وكلّ ما يمت بسبب إلى الجمال والأريحية الجمالية الشعبية، فأصبح المهرجان مضمونًا كاملاً وشاملاً لكل الطاقات الإنسانية الخلاقة المتصلة بالإبداع الفكري والخيال الفني، القادرة على شحن الأفراد والجماعات بقوى خصبة هائلة لا يستطيع اعتراض سبيلها معترض.

أخيرًا، فلا إخالني قادرًا على ترك هذا المقال دون الإشادة بكل الذين خططوا ومولوا ونفذوا هذا الحدث الثقافي التاريخي الفريد، ودون الإشارة إلى حقيقة واضحة ألا وهي الإسهام الفعلي المكثف لكبار قادة هذا البلد في فعاليات المهرجان المختلفة، تلك المساهمة التي يُجسد جزءًا منها الاشتراك الفعلي في أداء بعض الرقصات الشعبية والفولكلورية. ونحن حينما نقرأ مثل هذه المشاركة نفهمها ونستخلص منها عمق التصاق هؤلاء القادة بتراثهم واهتمامهم المنقطع النظير بقيمه وفضائله وفلسفاته المتعددة، ووعيهم للدور الذي يقومون به كمسهمين في إحيائه، وهل بعد ذلك إحياء؟

هنالك أشياء أخرى عديدة كان بودي التعرض لها في إيجاز ولكنها أشياء لا يصلح معها التعجل في البحث والاستقصاء، لذلك يحسن أن نضعها في صورة أسئلة لعلها تُغري البعض بمحاولة تناولها بالدراسة والبحث وهي:

ـ كيف نستفيد من العمارة الشعبية وكيف نوظفها في خدمة العمارة المعاصرة؟

ـ لماذا تتجاهل بعض الحكومات والأنظمة عن قصد تراثها وثقافتها الشعبية؟

ـ كيف نستطيع تشجيع وحماية واستثمار الحرف اليدوية الشعبية؟

ـ كيف نحافظ على البيئة الاجتماعية المولدة للتراث؟

لقد أعاد إلينا مهرجان الجنادرية الثامن للتراث والثقافة عذوبة الزمان الجميل البعيد القريب. وكان مستجيبًا لمتطلبات الإشعاع الثقافي، ومتسمًا بطابع الشمول، وكانت تبدو على وجهه أمارات السكون والصفاء، كمن بحث طويلاً عن سواء السبيل واهتدى أخيرًا إلى الرضى والسلام الداخلي.



تشومسكي والعرب

بقلم: د. حسن وجيه

زار تشومسكي عالم اللغويات الشهير وأحد مفكري هذا القرن المهمين القاهرة، وألقى ثلاث محاضرات تناول فيها قضايا الجنوب والشمال والشرق والغرب والولايات المتحدة ودورها في الشرق الأوسط، وتناول كذلك طبيعة النظام الاقتصادي الكوني الجديد . . . وتشومسكي يهودي من أصل أوكراني مولود في فيلادلفيا بالولايات المتحدة الأمريكية، وبالرغم من أن تشومسكي لم يلق أية محاضرات أثناء زيارته الأخيرة للقاهرة في شهر أيار/ مايو ١٩٩٢م عن اللغويات (والتي شاع أنه يتقاضى ١٤ ألف دولار نظير إلقائها)، إلا أننا نود أن نشير إلى أن «اللغويات»(Lingnistics) هو موضوع تخصصه الأصلي، وهو المجال الذي أحدث فيه ثورة من خلال نظرياته عن «النحو التوليدي» "Generative Grammar" التي قدمها عام ١٩٥٧م وأتبعها بنماذج كتطوير لها. ولقد ساد ساحة التفاعلات بين خبراء اللغويات الجدل حول نظريات وأطروحات تشومسكي إلى نهاية الستينيات وبداية السبعينيات. ولم تكن هذه النظريات موضع اهتمام هؤلاء الخبراء فقط، بل اهتم بنظرياته في علم اللغويات الكثير من المتخصصين في العلوم الاجتماعية الأخرى خاصة «علم النفس الإدراكي» Cognitive psychology والفلسفة، واهتم بها العديد من الباحثين في العلوم الأخرى، وخاصة المعنيون بعلم الحاسوب (Computor science) في جهودهم لتطوير نظريات الذكاء الاصطناعي(Artificial Intelligence) ولغات الكمبيوتر.

ولقد هاجر تشومسكي في مقتبل حياته إلى إسرائيل بحثًا عن الحلم اليهودي المزعوم، لكنه أصيب بالإحباط وعاد مرة أخرى إلى موطنه في الولايات المتحدة وهو يدعو إلى وجود دولتين على أرض فلسطين: دولة يهودية وأخرى فلسطينية تتعايشان في آمان.

وفي هذا المقال نود أن نقدم تقويمًا نقديًا لفكر تشومسكي، الأمر الذي نتناوله تفصيلاً في كتاب عن هذا المفكر. ونحاول هنا الإجابة عن عدة أسئلة مبدئية ورئيسة لفهم هذا المفكر، مثل:

ما ملامح فكره الرئيسة في مجال اللغويات؟

وهل من علاقة بين فكره في مجال اللغويات وفكره في كتاباته في المجالات السياسية والإعلامية؟

وأخيرًا لماذا أحب العرب تشومسكي؟! وما المحاذير الواجبة في هذا الصدد؟!

ملامح فكر تشومسكي في اللغويات

نقول هذا وبإيجاز أرجو ألا يكون مخلاً، إنَّ نظريات تشومسكي هي نظريات استقلالية تنطلق من المذهب العقلاني(Mentalisme)، وهي نظريات تأتي من خيال العالم وليس من واقع البيانات أو النظريات الاستقرائية وهي تنطلق من عبارة «أنا أعرف الحقيقة» وهي عكس تلك النظريات التي تنطلق من «المبدأ الامبريقي». (Empirical principle) الذي يتبناه الباحث ليصل إلى النظرية من خلال تحليل واقع البيانات(Data) والذي ينطلق من مقولة مفادها «قد أكون مخطئًا».

ومن أهم منطلقات فكر تشومسكي في مجال اللغويات هو أن معرفة قواعد وتراكيب اللغة تختلف عن عملية استخدامها، وهذا ما أوضحه من خلال تعبيري «الكفاءة المثالية» (Competence) «والأداء الفعلي» (performance).

وقد شدّد تشومسكي على أن يقتصر البحث والتنظير اللغوي على المفهوم الأول فقط، أي على تحليل الأنماط المثالية المتصورة للتفاعل اللغوي، وأن يُترك المفهوم الثاني الخاص «بالأداء الفعلي» بكل ما يكتنفه من عوامل أخرى، وذلك لصعوبة التعامل معه على نحو رياضي علمي من وجهة نظره، الأمر الذي جعل تشومسكي موضع انتقاد شديد من خبراء علم اللغويات الاجتماعي "Sociolingnistics" وعلم اللغويات العرقية "Ethnolingnistics" الذين اعتبروا أن الهدف الرئيس لأي نظرية لغوية لابد أن يكون من واقع تحليل «الأداء» بكل ما يكتنفه من عوامل، والذين رأوا في تناول تشومسكي النظري ما يمثل نوعًا من الهروب من التعامل العلمي من خلال مجالهم مع تعقيدات الواقع الفعلية. وهم يرون أنه لا بأس من تجريد قضية اللغة ودراساتها إلى حين بمعزل عن الواقع فهذا اتجاه عبرت عنه مدرسة تشومسكي. ولكنه لا ينبغي أن يكون الاتجاه أو التوجه الأوحد. إن السؤال الذي طرحوه هو : هل يمكن الوصول إلى نظرية حقيقية لتفسير الظواهر اللغوية في سياق للتفاعل من هذا المنظور ؟!. الإجابة كانت بالنفي قطعًا. وكان رفض نظريات تشومسكي هو الرد الطبيعي لتوجهات منتقديه أمثال جيم ماكوني وحاج روس وجون جمبرز وروجر شاي وشيف وتنين وغيرهم ممن تسوء نظرياتهم ساحة علم اللغويات اليوم.

كذلك كان من منطلقات نظريات تشومسكي أن كل اللغات تشترك في تركيبها العميق لنفس القوالب اللغوية الأساسية، الأمر الذي لم يخل أيضًا من انتقادات موضوعية أخرى وجهها خبراء علم اللغويات الاجتماعية والعرقية من خلال نظرياتهم عن الخصوصية الثقافية والأداء اللغوي.

ملامح فكره في مجال العلوم السياسية والإعلام

من الأمور التي ينبغي توضيحها هنا أن تشومسكي لم يطبق شيئًا من نظرياته اللغوية في تحليله للأحداث والتفاعلات الدولية التي تناولها في كتاباته. فمن الواضح أن هذا لم يكن يعبر عن توجهه في علم اللغويات، فهو يحلل اللغة ويقصرها ـ كما ذكرنا ـ على الأنماط المثالية والمتصورة للحوار، ولا يقوم بالتنظير عن «الأداء». ولكنه يرى أن أمر تحليل «الأداء» في الأحداث السياسية والإعلام لا يحتاج إلى تعقيدات تحليلاته اللغوية أو إلى أي نظرية. فأمر تحليل السياسة والأحداث الدولية وأداء الإعلام من الأمور التي تحتاج إلى مجرد ذكاء عادي وحسّ دقيق للأمور(Good Common sense) طبقًا لوجهة نظره الخاصة.

إنه لا يعترف بأي من العلوم الاجتماعية الأخرى على أنها «علوم» حقيقية مثل علم اللغويات. طبقا لمنظوره، ولذا فإن هناك حربًا دائرة ومستمرة بينه وبين الخبراء في مجال العلوم السياسية والعلاقات الدولية على وجه الخصوص؛ لأنه يقول إن هدف «علمهم» هو تقنين وحراسة الأوضاع السائدة لنظم الحكم. فهو يسميهم تارة «حراس النظم» وتارة أخرى «حراس الايديولوجية المُهيمنة».

ولكننا نرى هنا شيئين مهمين وهما أن تشومسكي مُحق في مقولته إذا ما رأينا الكثير من التزييف وعدم العلمية التي تتسم بها كتابات سياسية كثيرة تخلو تمامًا من الدليل والموضوعية العلمية، ولكننا نرى في تصنيف تشومسكي لعلم السياسة والعلاقات الدولية برمته على هذا النحو المتّسم بغير العلمية خطأ التصنيف التعميمي «والدُجما» العلمية التي نرى لها آثارها في الإصرار على توجهه في علم اللغويات على كونه التوجه العلمي الوحيد الذي ينبغي للعلم أن يسير على هداه، وإذا كنا بصدد قبول مقولة تشومسكي عن زيف وعدم علمية الباحثين في مجال العلوم السياسية والعلاقات الدولية فهذا لأنه يضع يده على ما يدل على ذلك ببساطة شديدة حين يشير إلى ما يقوله أو يزعمه البعض منهم. ويمكننا هنا القول بأنه ينطلق من المفهوم العام لعلم اللغويات أو اللغة على أنه الوسيلة والسبيل لاستكشاف قدرة الإنسان على الإدراك ونمو هذه القدرة ولو بشكل فطري. من هنا ينتقل تشومسكي ليكتب عشرات المقالات والكتب وأهمها «المثلث المحتوم في الشرق الأوسط» و «القوة والايديولوجية» و «صناعة الرأي العام والاقتصاد السياسي لوسائل الإعلام»، و «الأباطرة والقراصنة وواقع الإرهاب الدولي» و «مسؤولية المثقفين». ونجد أن هدف تشومسكي من خلال هذه الكتابات هو هدف نبيل جمع حوله آلافًا إن لم يكن ملايين من القراء والمستمعين والهدف هو محاولة كشف الحقائق والدفاع عن حقوق الإنسان العادي والعمل على حمايته من كل أنواع القهر والتسلط.

لماذا أحب العرب تشومسكي ؟!

لقد أحب الكثيرون من الدوائر الرسمية وغير الرسمية العربية نوام تشومسكي لعدة أسباب يأتي في مقدمتها أنه يقول ما يُحب أن يقوله كل عربي. فلقد أثارت مقولاته العداء له لأنها كانت جريئة ومهاجمة لمقولات وأفعال جماعات الضغط المؤيدة لإسرائيل، ولقد نعت كيسنجر في أكثر من مرة بالجهل والتعالي؛ لأنه، من وجهة نظر، يمثل أحد المؤيدين لطغيان القوة واستخدامها، ويذكر تشومسكي هنا أن هذا المبدأ لن تعود عاقبته بالخير على المجتمع البشري في نهاية الأمر.

ماذا عن الضفة الغربية ونيويورك ؟

من أهم ما اشتهر عن تشومسكي مقولته في رده على أحد أعضاء اللوبي الصهيوني الذين كانوا يطالبون مع المتطرفين اليهود بترحيل كل فلسطينيٍّ من الضفة الغربية إلى الأردن، بحجة أن عدد الفلسطينيين بالأردن أكبر وهنا قال إذا عملنا بنفس منطلق هذه الحجة، فلماذا لا يذهب كل اليهود في إسرائيل ليعيشوا في نيويورك فعددهم هناك أكبر ؟!

وهنا ستحل المشكلة كلها بأبسط الطرق.

ماذا عن هامش الديمقراطية ؟!

إن من يقرأ كتابات تشومسكي لا بد وأن يخرج بانطباع باستحالة تطبيق المبدأ الديمقراطي على النحو الأمثل حتى في أكثر الدول ديمقراطية في العالم، ولكنه سينتهي إلى نتيجة مفادها أن هناك مجرد هوامش للديمقراطية تتسع أو تضيق أو تلغى أو تتلاشى، والأمر يختلف من دولة إلى أخرى في إطار هذه التصنيفات. وهنا يكشف تشومسكي النقاب عن زيف العديد من الصور التي تأخذ الشكل الديمقراطي الظاهري وعن التحيز ضد العرب في الإعلام الأمريكي بل وعن صور كثيرة من التحيز وأساليبه في الإعلام الأمريكي بصفة عامة، الأمر الذي اعتبره تشومسكي صورة من صور الخيانة للمواطن العادي الذي ينبغي أن يقدم الإعلام له سوقًا غير متحيزة من الأفكار بخصوص كل الأحداث. كذلك ينتقد تشومسكي النخب الحاكمة في الولايات المتحدة الأمريكية، خاصة تلك

التي لـم تكن مبـالية بالحقوق العـربية وبحقوق الإنسان في أمـاكن متعددة من العالم.

إن تشومسكي باختصار يتحدث في قضايا يود أن يتحدث بها العرب ولكن الأمر على لسان تشـومسكي بمثابة «وشهد شاهد من أهلهـا» ومما زاد الإعجاب العربي بتشومسكي أنه يهودي الديـانة، ولكنه في قضية الصراع العربي الإسرائيلي يحاول أن يكون منصفًا وعادلاً.

الإرهاب من وجهة نظر تشومسكي

من مقولات تشومسكي البليغة عن الإرهاب تلك القصة الرمزية التي ذكرها في كتـابه الشيّق بعنـوان «الأباطـرة والقـراصنة» عن ذلك القـرصان الـذي أسره الإسكنـدر الأكبر واستجوبـه قـائلاً «كيف تجـرؤ على انتهـاك سـلامة وأمـن البحـر ؟! » فـرد القـرصـان قـائلاً : «إنني أمـارس عملي من خـلال سفينتي الصغيرة فقط. ولـذلك يعتبرني النـاس لصًـا، أمـا أنت فتقـوم بها هـو أبشع بإسطولك الضخم فيعتبرونك امبراطورًا ! !

لقـد رمـز تشـومسكي من خـلال هـذه القصـة إلى واقع الإرهـاب الـدولي وإطـلاق لفـظ «إرهـابي» على كل فلسطيني أو دولـة تمارس العنف كـوسيلـة للضغط، ولكن إذا ما قـامت أمريكا وإسرائيل بأي أعمال عنيفة لتحقيق غـاية سياسية ما سمي ذلك «ردعًا» من أجل قمع الإرهاب وتحقيق السلام العالمي.

تقـويم لفكـر تشـومسكي ومحاذيــــر واجبـــة

لا بد ونحن بصدد تقويم تشومسكي أن نذكِّر بأن الآراء القومية الخاصة به ـ وهـو صـاحب شخصية تثير الجدل أينما حلت ـ قـد اتخذت شكل الأضـداد، فهناك من يكـرهه وينتقده بغير مـوضوعيـة وبحماقة كأنصار الجماعـات الموالية للصهيونية التي شعـرت بالاستياء الشديـد لمقولاته ضد طغيان القـوة وممارسات إسرائيل التعسفيـة. هذا على صعيـد القوى الصهيـونيـة والتي نعتته بأوصـاف شديـدة اللهجة وإن دلت على شيء فإنما تدل على أن «بأسهم بينهم شـديد». وعلى صعيد آخـر نجد الكثيرين على الصعيـد العربي من الممتـدحين بشيء من الإطلاقية وعدم التحفظ لمقولات تشـومسكي وتجاهل الزوايا المتعددة التي ينبغي النظر إليهـا عند وضعـه في ميزان التقويم الموضـوعي. وهذا التـوجه المديحي لا يراعي تعقيدات وحساسية الموضوعات التي يتناولها تشومسكي وأهمها ما يتعلق بقضية الصراع العربي الإسرائيلي الممتد.

وبين صعيدي الانتقادات الحادة والمديح التام لا بد أن نحاول أن نقدم رؤية أكثر موضوعية ودقـة لتقويم فكر تشومسكي

ومن أهم هذه الانتقادات نلاحظ الآتي :

(١) أنه لـم يعترف بنظريات الآخرين الـذين انتقدوه بموضوعية علمية في مجال اللغويـات. وهنا نود أن نقـول، إن نظريـاته لـم تعـد هي السائدة، وإن النقد الموضوعيّ لها جَسَّد فكرة الصراع العلمـي الصحي. فالنظريات العلمية السائدة الآن والتي هدمت نظريات تشومسكي ما كان لها أن تسود لولا بدايات تشومسكي.

(٢) إن تبني مفهـوم «الأداء» في غير علم اللغويـات ودون الأدوات العلمية التي توصل إليها من جاء من بعده في مجال اللغويات، وهذا الوضع من الأمور التي تجعل كتـاباتـه مجرد «اجتهـادات نضاليـة»، وليست مبنية على استخـدام نظريات التحليل اللغوي الحديثـة، وهذا عكس توقعات أو فهم الكثيرين ممن لا يعرفون موقع وموقف تشومسكي الراهن على خريطة تفاعلات الخبراء في علم اللغويات.

(٣) إن كثيرًا من تنبـؤات تشومسكي التي ادّعى الـوصـول إليها بـالتحليل العلمي قـد أخفقت في التنبـؤ السليم، وأقـربها ما ذكـره عن سلـوك النـاخب الأمريكي العادي في أثناء المعركة الانتخابية بين كلينتون وبوش. فلقد أخفق في تقويمه لقوة المواطن العادي في تغيير نتائج الرئاسة الأمريكية.

(٤) لم يعط تشـومسكي أية أهميـة خـاصة للعـديد من المتغيرات في العـالم الثالث، ونرى لو أن العرب صدقوه وعملوا بمنطلق مقولاته في هذا الصدد فلن يعدو الأمر أن يكون نوعًا من التبسيط الزائد للتعقيدات الخاصة بتفاعلات دول العـالم الثالث، فـوصفـه لتلك التفـاعلات على أنها تـدار فقط من قبل القـوى العظمى، وأن كل من في دول العـالم الثـالث مجرد دمى خشبيـة، تعميم زائد وتبسيط مخل للأمور. كـذلك فإن مقولته التعميمية عن نجاح سيـاسة إضعاف دول العالم الثالث واستنزافها دائمًا يناقضه وجود صناعات مبنية على التكنولوجيا المتطـورة التي قفزت بمعـدلات التقدم الهائلـة في نمـوذج مثل نموذج «النمـور الآسيـوية الجديـدة» والتي أصبحت دولها تقـوم بتصنيع أجزاء الكترونيـة بالغـة التقدم التكنولـوجي. وهنا لابد أن نعمل على تكرار نموذج «النمـور»، وهو أمر ممكن على الصعيد العربي بشروط متعددة نملك نحن ناحية الأمور فيها إذا أردنا ذلك، وأهم الشروط هـو ألا تهيمن علينـا مقـولات آمرة مطلقـة كما في مقـولات تشومسكي بخصوص العالم الثالث، حتى وإن كان التآمر حقيقة قائمة بالفعل من الخصوم والأعداء، فأمرُ القضاء على هذا التآمر مرتهن دائمًا بعدم الاستسلام النفسي والفعلي، والارتكـان لهذه المقـولات الخطيرة والتي تـؤدي إلى أن نصبح سجناء لنظـريات هيمنـة التآمـر والخوف من التحرك الإيجابي. فـالأمر مـرهون بالدرجـة الأولى بتبني الصيغة الفاعلة بصورها المختلفـة، ومن خلال التفاوض وإدارة الصراع باقتدار لصالح التقدم والأمن بمثابرة وعزم.

في ختام هـذا المقال لا يسعنـا إلا القول بأن تشـومسكي يبدو أنـه قد تـأثر بنظريـاته في علـم اللغويات التـي انتقدها خبراء اللغـويات الاجتماعيـة، وهي الخاصة بالتنظير من خيال العالم وليس مـن واقع البيانات المعقدة. فهذا التنظير نراه وربما بصورة لا شعـورية ـ قد تجسد في تحليـلات تشومسكي لكل ما يتعلق بدول العـالم الثالث والتي وضعها كلهـا في سلة واحدة. وهنا نجـد أن تحليله لا يتجاوز تحليلات كثيرة ممـن يفسرون الكون برمته من خـلال الأنماط الاستاتيكية لنظريات الإمبريالية العالمية الثقـافية والسياسية، الأمر الذي نعتبره تبسيطًا مخلاً وعكس أدلة مضادة كثيرة.

تبقى كلمة أخيرة مفادها أن علينا أن نهتم ونتفاعل بكل إيجابية مع الباحثين الغـربيين وغيرهم لصـالـح الـوصـول إلى فهم عميق ودقيق لـوقـائع العـالم وديناميكيـات التفاعل بتعقيداتها الفعلية، وألا نكـون مجرد مستهلكين لمقولات الآخرين ونظـريـاتهم، بل علينـا أن نسعى دائمًا إلى وضع الأمـور في نصـابها الصحيح من أجل تحقيق التنمية والسيادة على مقدراتنا كافة.

العربُ والمجتمعُ المدنيّ

د. عمر فوزي نجاري

يقول أرسطو : «الإنسان اجتماعي بالفطرة» وهذا يعني أن الإنسان وجد لمجتمعه، واجتماع الناس يتطلب بالضرورة إيجاد نظام يحمي المجتمع مما قد يواجهه، وقد تطور هذا المفهوم ليعني الدولة بمفهومها الحديث، أما المجتمع فيتألف من عناصر ومكونات تختلف باختلاف المرحلة الزمنية التي يوجد فيها المجتمع (أندية، أحزاب، جمعيات، نقابات، أسرة، عشائر، . . . إلخ) ونتيجة التفاعل بين عناصر المجتمع أصبحت الدولة ضرورة لكل مجتمع، فإذا كانت عناصر المجتمع متعايشة فإنها تعزز سلطة الدولة وتمنحها مشروعيتها - وهذا ما شاهدناه في دولة الإسلام الأولى في المدينة المنورة -، أما إذا حدث تعارض بين عناصر المجتمع وسلطة الدولة وهو ما ألفه الأوروبيون في تاريخهم من تعارض بين سلطة الكنيسة والإقطاع والنظام الملكي وبين مجتمعاتهم وهذا ما جعل مفهوم المجتمع المدني لدى المفكرين الأوروبيين يتأخر في الظهور ويتعثر قبل أن يتبلور في ذهن الباحث الاجتماعي (دي توكوفيل) والذي استنبطه من دراسته للمجتمع الأمريكي في الثلث الأول من القرن التاسع عشر.

علاقة المجتمع بالدولة

وقد عرف ابن خلدون هذه العلاقة بين المجتمع والدولة قبل المفكرين الأوروبيين بقرون عديدة، وذلك من خلال دراسته لتاريخ الأمم التي سبقته أو عاصرته.

ففي مقدمته يرى ابن خلدون أن السلطة (الدولة) إما أن تكون تعايشًا بين الدولة والمجتمع، بحيث لا يطغى أحد منهما على الآخر، وأن كلا منهما يستمد مشروعيته وسلطته من الآخر، وهو ما يترجم بلغة العصر الحديث «ذروة المجتمع المدني»، وإما أن تتجاوز السلطة حدودها فيختل التوازن القائم، وتلجأ السلطة إلى التغلب والقهر، وهذا ما يُعرف بلغة المفكرين الأوروبيين بـ « نظام غلبة سلطة الدولة » وهو النظام الذي تطغى فيه أجهزة الدولة ووسائلها ومؤسساتها على حساب الحد من المجتمع المدني وتحجيمه.

دولة الإسلام

ولقد عرف العرب قديما مفهوم السلطة (الدولة) وكذلك ما يسمى حديثًا بالمجتمع المدني وذلك في ظل دولة الإسلام التي أسسها رسول الله ﷺ في المدينة المنورة، ذلك أن الإسلام دين مدني تميزت حضارته باعتمادها على تشريع إسلامي مفصل لمختلف مناحي الحياة، ودستور سارت عليه حركة المجتمع ؛ فقد كان للإسلام دوره في السيطرة على التمايز الطبقي والتمايز الثقافي مما ساعد على رص صفوف الجماعات المكونة له على اختلاف مشاربها، كما عمل الرسول ﷺ على تهيئة المجتمع الإسلامي الجديد لحياة حضارية تتفق مع اهتمامه بالكيان المادي والإداري للدولة الناشئة، فقد عمل على بناء المسجد الذي أسهم في تماسك المجتمع والتزامه نظام الإسلام عقيدة وآدابًا، كما عمل على إذابة العلاقات القبلية واستبدل بها مفهوم الأخوة الإسلامية، كما آخى بين المسلمين من مهاجرين وأنصار، وأكد على ضرورة صلة الأرحام، وعمل على استبدال مفهوم الانتماء للدين والأرض بالعصبية القبلية مما أدى إلى تغيير مسميات القبائل بمسميات أخرى كأهل المدينة وأهل مكة وأهل الطائف . . . إلخ . ولهذه المسميات دلالة مدنية مهمة ذلك أن كل جماعة لا تؤلف بينها آصرة المودة والتآخي الحقيقية لا يمكن أن تتحد حول مبدأ ما، وما لم يكن الاتحاد حقيقة قائمة في الأمة والجماعة فإن صفة السلطة الشرعية للدولة لا يمكن اكتسابها.

كما تمت كتابة وثيقة (دستور) تحدد نظام حياة المسلمين فيما بينهم وتوضح علاقتهم مع غيرهم ولا سيما مع اليهود، كما أقر الرسول ﷺ مبدأ الاستخلاف على المدن والأقاليم وذلك لضبط أمورها في غيابه.

○ عَرَفَ العرب مدنيات متحضرة بينما كان الإقطاع يتسلط في أوربا

وهكذا أصبحت المدينة المنورة في عهد الرسول محمد ﷺ أول مركز سياسي وإداري ذي مجتمع مدني متحضر، وقد استمرت في مكانتها هذه خلال فترة الخلافة الراشدة فقد أعلن أبو بكر الصديق رضي الله عنه منذ توليته الخلافة أنه ليس بحاكم مستبد يحكم بالتسلط والقهر ويفرض رأيه ويرفض مبدأ النقاش والحوار، بل أكد للجميع أنه واحد منهم إذ قال: «أما بعد أيها الناس فإني قد وليت عليكم ولست بخيركم فإن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني . . أطيعوني ما أطعت الله ورسوله فإن عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم».

وتلاه الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي سار على هدي الرسول الأعظم ﷺ وخليفته الصدّيق فعلم المسلمين كيف يستخدمون الدنيا لصالح الأمة فمصَّر الأمصار، وبنى المدن، ودوَّن الدواوين، وقوّى الجيش، ورفع مستوى معيشة الأفراد والمواطنين . . . إلخ.

وفي إطار هذه الدولة الحديثة العهد شكلت المؤسسات السياسية في المدينة والمدن الأخرى وتميزت بوجود مستويين لها: المستوى العام للدولة التي تشكل المدينة عاصمتها، والمستوى الخاص بالمدينة كتكوين مدني فرعي في الدولة ممثلا في المؤسسات الخاصة بهذه المدينة أو تلك، كوالي المدينة والقاضي وما يعاونهما من أجهزة إدارية تولت إدارة شؤون المدن وتنظيم الحياة فيها، وقد اتصلت سلطات المدن اتصالاً مباشرًا بالدولة التي هي مصدر هذه الولايات.

وإذا كانت الظروف السياسية التي تولى فيها الأمويون الخلافة قد أدت إلى تحول أسلوب الحكم من حكم يقوم على الشورى كمبدأ أساسي ويغلب عليه طابع المجتمع المدني والمدينة الفاضلة التي سعى إليها مفكرو أوروبا في (عصر التنوير) إلى حكم ملكي عضود تم دعمه وتثبيت أركانه بمختلف الأساليب مما أدى إلى إضعاف المجتمع المدني وتراجعه، إلاّ أن الخط البياني للعلاقة بين الدولة (السلطة) ومجتمعها قد تأرجح بين الهبوط والارتفاع، وذلك بحسب الظروف التاريخية والعوامل الداخلية والخارجيةوبحسب ابتعاد الحكام أو اقترابهم من الأسس التي بنيت عليها دولة صدر الإسلام الأولى، إذ يلاحظ أن الخط البياني للحضارة الإسلامية كان يتجه صعودًا ويزداد ازدهارًا عندما يعبر حاكموها عن مشروعية حكمهم ويعبر مجتمعهم عن مشروعية حاكمه وذلك من خلال القضاء على الانقسام والتجزؤ والاعتصام بوحدة إسلامية راسخة مبنية على الشورى، ومبتعدة عن الأهواء وزخارف الحياة وبهرجها، وقد وجدنا ذلك في دولة الخليفة الخامس عمر بن عبد العزيز وفي دولة عبد الرحمن الداخل في الأندلس وفي دولة صلاح الدين الأيوبي وأخيرا في عهد الخليفة الإسلامي العظيم محمد الفاتح حيث جنت الأمة الإسلامية ثمار ذلك الازدهار علمًا وقوة ووحدة وثراء.

لقد عرف العرب والمسلمون دولاً ومدنيات متطورة حضاريًّا في الوقت الذي كانت فيه أوروبا لا تزال منطقة جغرافية ريفية متخلفة ومحكومة بأنظمة ثيوقراطية وإقطاعية وملكية متخلفة حضاريًا ومدنيًا، ومن هنا نجد أن مفهوم المجتمع المدني (أوروبيًا) مرتبط بجدلية التاريخ الأوروبي، ولا يجوز ترجمة تطور هذا المفهوم على دولة الإسلام في مختلف مراحلها ذلك أن دولة الإسلام دولة موضوعية جمعت الدين والدنيا ووازنت بينهما ووضعت نفسها في خدمة الإسلام كمجتمع وكدين ووازنت بين سلطة الدولة وسلطة المجتمع فكانت الدولة لمصلحة المجتمع المدني وهي أداة في يده وهو تابع لها.

المجتمعان المدني . . والغربي المعاصر

نظرًا لوقوع العرب في براثن الاستعمار الغربي عقب سقوط الخلافة العثمانية فقد تأثروا بالأفكار والمعتقدات والمفاهيم التي سادت أوروبا في عصر النهضة والتنوير، وهي الأفكار التي تعبر عن رفض السيطرة الكنسية والإقطاعية والملكية، ومن ثم كانت للعرب دولهم وكياناتهم وأنظمة حكمهم المتغايرة في مرحلة ما بعد الاستقلال، وقد تراوحت هذه الأنظمة بين اشتراكية شرقية وديمقراطية غربية زائفة أضفت طابع الشرعية على دولها ففرضت سيطرتها على معظم أنشطة المجتمع، ولم تترك خارج نطاق سيطرتها المباشر سوى هامش بسيط اتسع قليلاً في بعض الأقطار وضاق كثيرًا في أقطار أخرى، وعوضًا عن أن يحدد المجتمع شكل الدولة وحدودها كانت هذه الدولة هي التي تحدد المجتمع وتتحكم بمؤسساته وتنظيماته، ولذلك ظهر الصراع بين الدولة (السلطة) الممثلة للأفكار المستوردة والمجتمع المعتمد على الأصالة والتاريخ، فكانت الانتفاضات المعبرة عن الرفض المطلق لديكتاتورية السلطة المركزية وقهرها. وكان النجاح حليف بعض هذه المجتمعات إذ تمكنت من فرض بعض التنازلات على دولها وذلك من خلال توسيع قاعدة المجتمع الواقع خارج سيطرة الدولة مباشرة فظهرت التعددية السياسية الاستقلالية الاقتصادية والمؤسسات المدنية الأخرى، وهي مؤشرات تحمل في طياتها الكثير من التغيير في هذا الاتجاه مستقبلاً وهي تغيرات تفرضها الظروف الدولية المعاصرة كي يكون بإمكان العرب الوقوف في وجه تحديات القرن الواحدوالعشرين.



طه حسين وإمارة الشعر

بقلم: د. محمد رجب البيومي

ظلّ **الدكتور طه حسين** طوال حياة **شَوْقي** حريصًا على نقده، فإذا اعترفَ له في مقالٍ ما بمـزيّة فنية أتْبعها بنقـداتٍ لا تصيب مرماها غـالبًا، و إن صدقتْ أحيانا. وقد آثر عليه **حافظ إبراهيم** في مضمار الرثاء، حيث اختار من قصائد شاعر النيل مـا ارتقى به إلى مرتبة التفـوق على سواه، وشوقي لم يكنْ مقصّرا في مـراثيه، بحيـث يجوز لناقـدٍ منصفٍ أن يـرتفع بحـافظ عليه، وحـافظُ نفسـه يستشعـر سرورًا جمًّا حين يـرى من يقـرنه بشـوقي في غـرضٍ مـا من الأغـراض فيجعلُه في مرتبته دون أن يزيد، وحين بايع الشعراء شوقيًّا بإمارة الشعر تحاشى طه حسين أنْ يُعلن ارتياحه لهذه المبايعة، وعدّها خطأ يتطلّب التصحيح، **وما جُمع من مقالاتِ طـه حسين في كتاب (حـافظ وشوقي) يُجدّد مـوقفه الأدبي من الشاعـريْن الكبيريْن على وجهٍ صريح، وكلُّ هـذه المقالات قـد نُشرت في حياة شوقي، باستثناء المقال الأخير الذي جاءَ تحت عنوان (حافظ وشوقي)** إذ طلبتْ مجلة الهلال من الناقد الكبير أن يخصَّها بمقال تحليليّ عن الشاعريْن الكبيريْن، عقب رحلتهما إلى عالم الخلود، فكتب هذا البحث الضافي المستوعب، وقد كان طه حسين في مقاله السالف أقرب إلى الإنصاف إذا قِيس بما كتبه من قبل، وقد ختم الدكتور بحثه التحليليّ بقوله: (١)

فكلاَ الشـاعريْنِ غذّى قلب الشرق العـربيّ نصف قرن، أو مـا يقرب من نصف قرن بأحسن الغذاء، وكـلاَ الشاعريْنِ قد أحيا الشعـر العربيّ، وردَّ إليه نشاطَه ونضْرته ورواءَه، وكلا الشاعريْن قد مهّد أحسَن تمهيد للنهضة الشعرية المقبلة، التي لا بُدّ من أن تُقبل، هما أشهرُ أهل الشرق العربيّ منذ مات المتنبي وأبو العـلاء من غيرشك، هما ختـامُ هذه الحيـاة الأدبيّة الطويلـة الباهـرة التي بدأتْ في نجـد وانتهتْ في القاهـرة، وعاشتْ خمسـة عشر قرنًا أو أكثر، والتي تستحيل وتتطـورُ، وتستقبلُ لونًـا جديـدا من ألوان الفن، وضربًـا جديـدا من ضروب المثل العليا في الشعر، هما أشعرُ العرب في عصرهما».

لقد نقلتُ هذا الرأي لاَ لِأخـالفه ولا لأوافقـه، فلست هنا أنقدُ، ولكنّي أؤرخ فحسب، إنّما نقلتُ قول الدكتور طه عن الشاعريْن الكبيرين بأنّهما أشعرُ أهل الشرق العـربي منـذُ مـات المتنبي وأبـو العـلاء، وأنّهما أشعـر العـرب في عصرهما، لأقولَ إنّ الدكتور طه حسين قد أبدَى من الآراء ما يُخالف هذا القول فيما بعد، ولا يـؤاخَذُ الناقدُ حين يعـدلُ عن رأي قرّره ثم يبدو لـه أن يتجاوزه، ولكنّ راصد هذه الآراء يجدُ في تدوينها ما يعطي معنى الشمول في حكمٍ تختلف فيه الأنظار.

إمارة الشعر

لم يعترف **طه حسين** لشوقي بإمارة الشعر حين أُقيم حفلُ المبايعة، بل ذكرَ **الدكتور زكي مبارك** أنّ **الدكتور طه** تعمّد أن يُلقي محاضرةً عن **الأخطل** الشاعر الأموي في حفلٍ أقيم لتكريم **شوقي**، وكأنّه بهذا الإغفال المتعمّد أرادَ أن يتهكّم بالمبايعة المعلنة، **وحين انتقل شوقي إلى رحمة الله بـادَرَ الدكتـور فأعلن أنّ إمارة الشعـر قد انتقلتْ بعـد شوقي مِنْ مصر إلى بغـداد، وكان هـذا الإعلانُ مثـار ضجةٍ في العالم العربيّ؛ إذ كان غير متوقّع أبدًا؛ لأن الدكتور قدْ أعلن في حياتي شوقي وحافـظ أنّ مطران أكبرُ منهما شأنا،** وسيأتي اعترافه بذلك، وأنّه وُفّق في عالمِ الشعـر إلى ما لمْ يُوفّقا إليـه، فكيف يجوز للدكتور أن يتجـاهله حين يعترف

طه حسين عَدَّ مبايعة شوقي بإمارة الشعر خطأ يتطلّب التصحيح



د. زكي مبارك



أحمد شوقي

بأنّ زعامة الشعر قد نُقلت من مصر إلى العراق! لقد قال قوْم يهالئون الدكتور طه إنّهُ لم يذكر مطران لأنه مجددٌ لا مقلّد، وإنّ الدكتور يقصد الإمارة التقليدية لمن ينهج نهج شوقي، ولكنَّ **الزهاوي** بالعراق لم يكنْ مقلّدا، ولا يسير مع اتجاه شوقي في طريق. فكيف نقبُل هذا التعليل، ؟ **ويقول آخرون إنّ من دأب الدكتور أن يُصدِرَ من الآراء ما يُحدثُ الفرْقعة والدويّ، فهو متعمّد المخالفة تعمّدًا ليدوّي رأيه شرقا وغربًا، فيحدثُ ما يريد من الضجيج، وله في ذلك سوابق ولواحق يعرفها دارسوه دون إنكار، وما ذكره من انتقال الزعامة الشعرية إلى العراق هو من هذا المنحى، إذ لا يُعبّر عن الحقيقة قدر ما يُعبر عن سلوكٍ طُبِعَ عليه الدكتور، ورآه ذا أثر فعّال في تداول آرائه بين القراء، معارضةً وتأييدًا، مهما يكنْ من شيء فقد قامت المعارضة الصاخبة التي توقّعها الدكتور، قامت شديدة مرتفعة في بعض الصحف، ومعتدلة هادئة في بعضها الآخر، ولعلّ مجلة الرسالة هي وحدها التي مثلتْ هذا الاعتدال، فقد صادف أن يخرج العدد الأول منها في موسم هذه الضجة، وإذا لم تتحدث الرسالة عن الزعامة الشعرية في العالم العربي، ففي أي شيء تتحدث مجلة الأدب الراقي والفن الرفيع؟ وإذا كان الأستاذ** الزيات من ذوي الأسلوب الهادئ الذي يصل إلى الهمس في بعض الأحاديث، فإنه تحدث عن رأي صديقه الدكتور طه حسين في لباقة حصيفة تتجلى فيما ننقله عنه ببعض التصرف، حيث قال:

«خَلاَ ميدان الشعر فجأة من قائديه العظيمين، فحدث في صفوف الشعر اضطرابٌ وفوضى، وقام في (السقيفة) المقلّدون والمجددون، يقولون منّا أمير ومنكم أمير، وهنا أرسل الدكتور طه حسين حكمه المعروف، فزاد الخلاف شدّةً، والجدالَ حدّةً، قضى للعراق بإمارة الشعر التقليدي فغضبتْ مصر، وكان الأستاذ الهراوي أشد المصريين حنقا، وأعنفهم خصومة، فهو يقول في استنكارٍ وأنفة: إنه بايع الشاعرين مبايعة عليّ للشيخين ثم ينشدُ في ذلك أبياتًا فيها معارضة، وفيها شدّة، وفيها جمال... أما (سورية) فلا يُرضيها أن تمرّ الزعامة بأرضها إلى العراق **فهبت تَدْفعُ رأي** الدكتور في حدّة وعنف وتقول: ما للدكتور يرسل الزعامة إلى العراق في طيارة، وكان يكفيه أن يرسلها إلى صاحبها **مطران** في سيارة... والعراق، هل اغتبط بهذه الزعامة؟ أما الرّصافي فيرجو أن يكون خليفة لشوقي وحافظ ثم يسعُه ما وسعهما من حكم التاريخ وتقدير النقد، وأما **الزّهاوي** فأنا أعلم أنه يؤثر أن يكون في ساحة المجدّدين على أن يكون في طليعة المقلّدين».

هذا لبابُ ما قال الأستاذ الزيات، أما الأبيات التي وصفَها بالشدة والمعارضة والجمال فهي قول الأستاذ الهراوي في مبايعة شوقي:

إن شوقي شاعرٌ	**كلُّنا أَجَلَّهُ**
غير أنّا معشرٌ	**ليسَ يرضى ذلّهُ**
وهي جمهوريةٌ	**لا ترى محلّهُ**

ومن الطريف أن الشاعر الذي لم يعترِضْ على قول الدكتور، هو الأستاذ **خليل مطران**، وهو خُلقٌ كريم يعهده فيه أصدقاؤه ومخالطوه، وإذا كانت جماعة **الهراوي** قد أعلنت الضجيج فإن **مطران** هو القائل في رثاء شوقي:

الصاحبان الأكرمان تباعدا	**فعلامَ بعد الصاحبينِ بقائي؟**
أيُرَادُ لي من فَضْلِ ما مَجَدَا بهِ	**إرْثٌ؟ إذنْ جَهِلَ الزمان وفائي.**

وكأنّه بالبيت الأخير قد أعلن زهده في الألقاب عن سماحةٍ كان من اللائق بذوي الاعتراض أن يحتذوها، ولكنّ المشارب تختلف، بيْن طَموح وقَنوع.

إمارة العقاد

انضم**طه حسين** إلى الوفد في آذار (مارس) سنة ١٩٣٣م، ليكون كاتبًا سياسيًّا في جريدة «**كوكب الشرق**» الوفديّة، وطه يعرفُ أنه كان عدوًّا لدودًا للوفد من قبل، كما يعلم أن الأستاذ **عباس محمود العقاد** هو كاتبُ الوفد الأول الذي خاصم أعداءهُ في لددٍ وجبروت، ومنهم طه حسين نفسه حين كان صوتًا لحزب الأحرار الدستوريين، فهو في حاجة ماسة إلى استرضائه وملاينته؛ لأنه يُطيق ما يطيقُ، دون أن يقدر على منازلة العقاد! لقد أصبح الكاتبان من جهةٍ أولى مُحاربين في صف واحد، ولكنهما من جهة ثانية قد صارا موضع الموازنة والمقارنة، وللعقاد شموسه وجماحه، فهو لا يرعى حق الزمالة في الحزب إذا تعارضتْ مع منازِعهِ الأدبية، وكبريائه الذاتية، وطه يعرفُ ذلك ويخشاه، وإذن فلا بدَّ من استمالة العقاد واستعطافه، وقد أتيحت الفرصة بظهور ديوان **(وحي الأربعين)** وقد واجه عاصفةً نقدية تزعّمها الأستاذ **مصطفى صادق الرافعي** وتلاميذه، كما قابلها بالهجوم الحادّ الأستاذ **العقاد** وتلاميذه أيضا. لقد فكّر طه في أن يدلي بدلوه في الماء، ليشبع ديوان العقاد مدحًا وإطراءً، وليعلن



إرتقاءه الفكري وسموقه الفني، جوارَ مؤاخذاتٍ طفيفةٍ يعلم أنها تعويذة لا تغضب العقاد، ومن ثم فقد امتشق القلم ليكتب مقالا ضافيًا بمجلة الرسالة عن وحي الأربعين يقول فيه (٢):

«**إن الذين يقرؤون شعر العقاد ويذوقونه هم المثقفون المستنيرون، الذين تعودوا أن يقرؤوا الشعر وأن يفهموه، وأن يقرؤوا شعرًا أصعبَ من شعر العقاد، وأشدّ إمعانًا منه في الغموض،** فيستطيع العقاد أن يحسن بهم الظن، وأن يخلّي بينهم وبين شعره ليفهموه كما يريدون، وكما يستطيعون، وليس على العقاد بأس أن يُفْهَمَ شعره أحيانًا على غير ما أراد، فمن يدري؟ لعله يكون مخطئا ويكون قارئه مصيبا، ومن يدري؟ لعلّه يعود إلى شعره يقرؤه فيفهم منه غير ما كان أراد، قد يكونُ هذا عيبًا في النثر، ولكنه مزية من مزايا الشعر الرائع».

«منادات بإمارة الشعر للعقاد محاولة لاصطناع الكاتب الأول لحزب الوفد.»


عباس العقاد


مصطفى الرافعي

ثم ختم المقال الضافي بقوله:

أعترف بأني قرأت وحي الأربعين مرّتيْن، وأودّ لو أقرؤه مرّة ومرّة، وإني واثق بأني سأجد في قراءته المقبلة من اللّذة والمتاع، ما يجعلني فيها راغبًا وعليها حريصا».

هكذا ألقى طه السلم للعقاد عن طوع، ولم يعقّب العقاد على قول صاحبه، ولم يعر مدحه المسرف ونقده الطّفيف التفاتًا ما، ولكنّ طه لا ييأس من محاولة اصطناع الرجل، أو ضمان حياده على الأقل.

تكريم العقاد

أقام الوفدُ المصري حفلة تكريم للأستاذ العقاد لإحدى المناسبات السياسية، فاحتشد لها صفوةٌ من رجال الحزب وكتّابه، وكان على الدكتور طه حسين أن يُلقي كلمةً ترضي العقاد وتستميله، والدكتور طه أذكى من أن يطنب في مدح العقاد الكاتب، لأنّه سيضطر إلى أن يقول ما يظنه خفضا لشأنه هو بالقياس لكاتب الوفد الأوّل، وإذن فلا بد أن يتحدث عن العقاد الشاعر ومجال الحديث عن شاعرية العقاد لا ينفسح على أتم وجوهه إلاّ إذا كان العقاد شاعر مصر الأول، بل أمير الشعر المعاصر، وهي دعوى لم يجد الدكتور حرجًا في أن يذيعها مؤيّدةً بما يملك من البرهان، بل بما يملك من المغالاة حيث قال(٤)[ببعض التصرف]:

«**إني لا أومن في هذا العصر الحديث بشاعر كما أومن بالعقاد، أومن به وحده؛ لأني أجد عند العقاد ما لا أجد عند غيره من الشعراء،** لأني حين أسمع شعر العقاد، أو حين أخلو إلى شعر العقاد فإني أسمع نفسي أو أخلو إلى نفسي، إنّما أرى صورة قلبي وصورة قلب الجيل الذي نعيش فيه؛ لأنّ العقاد ليس مقلدا، ولا يستطيع أن يكون مقلدا، ولو حاول التقليد لفسدت شخصيته، وشخصية العقاد فوق الفساد.

كنّا أيها السادة نشفق على الشعر العربي، وكنّا نخاف أن يرحَلَ سلطانه عن مصر، وكنا نتحدث حين مات الشاعران العظيمان شوقي وحافظ عن علم الشعر المصري، أين يكون؟ ومن يرفعه للشعراء والأدباء ليستظلوا به؟

لقد انتظرتُ فلم أجد للمقلدين حركةً ونشاطا، فإذا المدرسة القديمة قد ماتتْ بموت شوقي **وحافظ، وإذا المدرسة الجديدة قد أخذتْ** تؤدي حقها، وتنهض بواجبها، وإذا الشعر الجديد يفرضُ نفسه على العرب فرضا، وإذا الشعور المصريّ والقلب المصريّ والعواطف المصرية لا ترضى أن تصور كما يصورها حافظ، إنما تريد وتأبى إلا أن تصور تصويرا جديدا، هذا التصوير الذي ترونه في العقاد، والذي حمل هؤلاء الملايين على إكبار العقاد.

ضعوا لواء الشعر في يد العقاد، وقولوا للأدباء والشعراء: أسرعوا واستظلوا بهذا اللواء فقد رفعه لكم صاحبه».

تعليق الرافعي

كان **الرافعي - يرحمه الله -** أدرى الأدباء بسريرة طه حين نادى بإمارة العقاد الشعرية، وهو في صراحته الكاشفة لا يغضي عن مؤاخذة، وقد شاء أن يعقب على خطبة طه بما عرف عنه من التهكم المرير. والحق أن كثيرا ممن ضايقهم هذا الصنيع قد آثروا السلامة؛ إمّا اتقاءً لغضب العقاد وطه معا أو رعايةً لودّ متصلة أسبابه بهما على وجهٍ لا يقبل الملاحاة، ولكنَّ **مصطفى صادق الرافعي** قضى شطرًا كبيرًا من حياته في مناوأة الأديبين الكبيرين وقد ألّف على السَّفُّود في ثلب العقاد، كما كتب أكثر فصول كتابه **(تحت راية القرآن)** في مخاصمة طه، وكلّ ما سيقوله بعد هذين الكتابيْن هيّن يسير: لقد أعلن الرافعي في تهكمه الساخر أنه حين قرأ كلام طه «لم يبحث عن سخرية طه بالعقاد وبالشعراء جميعًا في أسلوب صاغه كأسلوب المرأة العربية التي صرخت في وجوه قومها قائلة:

فإن أنتُمو لمْ تغضبُوا بعد هـذه   فكونوا نسـاء لا تغيب عن الكحل

غير أن طه في سخريّته بهؤلاء الشعراء حين أمَّر عليهم العقاد كالذي يقول: إذا لم تثبتوا أن فيكم من استطاع أن يخلف شوقي فاصغروا واصغُروا حتى يكون العقاد هو أميركم [٥]». ومضى الرافعي يتساءل عن الحكمة في أنّ طه لم يرسلْ هذه الشهادة إلا حين انضم إلى حزب الوفد؟ أفلو كان العقادُ، غير رجال هذا الحزب أكان يُعلن هذه الشهادة! ومعنى هذا التساؤل هو ما قدمناه من استرخاء طه لغريمه أو منافسه على الأقل، في وقتٍ يخشى فيه من التهاب الحريق.

مصطفى صادق الرافعي كان أدرى الأدباء بسريرة طه حسين



حافظ إبراهيم



كامل الكيلاني

إمارة جديدة

وإذا كان الأستاذ **الهراوي** وشيعته الذين يلتفون حوله، من أمثال الكاشف والقاياتي وأحمد نسيم قد برموا بإمارة شوقي، وهو أقربُ إلى اتّجاههم الفني من العقاد، فإن مبايعة العقاد بالإمارة قد دفعتْهم للردّ الهازئ في مبايعة شعريّة لنَسّاخٍ أمّي يشتغلُ في دار الكتب، فعقدوا اجتماعًا قرّروا فيه إقامة حفل أدبيّ لهذه المبايعة، ونظموا قصائد للبيْعة في ظاهرها الرحمة وفي باطنها العذاب، والأمير المسكين قد غُلب على أمره فظنّ الهزل جدا، وتصدّر الحفل ليسمع رُجوم **الهراوي والأسمر والكاشف وكامل كيلاني والقاياتي وعبد الجواد رمضان وحسين شفيق المصري**، ولي في تفصيل هذه المبايعة فصلٌ منشور [٦] فلا داعي إلى تلخيص ما جاء به، ولكنّي أكتفي بنموذجٍ قاله الأستاذ **عبد الجواد رمضان** حيث أوجزَ ولم يُطِلْ حين أنشد:

دَعتْكَ وقد توافر طالبوها   وهل يحوي العُلا إلاّ بنوها
أميرُ الشعر أنتَ وإن تغالَى   وأسرف في الدعاية مدّعوها
جياعٌ تاجروا باسم القوافي   وقد ربحوا الحياة وأخسروها
فقُلْ لأولئك الحمقى رويدا   تلُونَ الفرقدَيْن ولن تَلُوها
سأحمي عرضَها وأذود عنها   زعانف للرذيلة سخّروها
وهل خُلقت جَلالتُها لغيري   فشعري أمّها، وأنا أبوها!

تراجع واضح

لا يليق بمثل الدكتور طه أن يتراجع صراحةً فيعلن أنّ العقاد ليس - كما ذكر من قبل - حاملُ لواء الشعر العربي ومجدّد طريقته، إنما الأجدر بكياسته أن يتراجع عن طريقٍ آخر، فيعلن إعجابه بشاعر كبير يستحق أن يكون شاعر العصر دون منازع، ولن يكون غير شاعر الأقطار العربية الكبير الأستاذ خليل مطران، وهو حقًّا زعيمُ التجديد الشعري في الأدب المعاصر، وقد تحدث عنه الدكتور في مناسباتٍ عدّة بعد أن انقطعت صلته السياسية بالوفد، كما انقطعتْ هذه الصلة بالنسبة للأستاذ العقاد، فتحدث طه عن مطران في مجلّة الحديث اللبنانية، وفي جريدة الأهرام، وفي مناسبة تكريم الخليل قبيل وفاته، وكان مما قاله [٧]:

تحيةً لك أيها الصديق الكريم من صديقٍ تعرفُ إكباره لأدبك، وإعلانه في كلّ قطرٍ زاره من أقطار الأرض في الشرق والغرب أنك زعيمُ الشعر العربي المعاصر، وأستاذُ الشعراء العرب المعاصرين لا يستثني منهم أحدًا، ولا يفرقُ بينهم من المجددين والمقلدين، وإنما يسمّيهم جميعا بأسمائهم، غير متحفظ ولا متردد، فأنت قد علّمت المقلدين كيف يرتقون بتقليدهم عن إفناء النفس فيما يقلّدون، وأنت علّمت المجددين كيف ينزهون أنفسهم عن الغلو الذي يجعل تجديدهم عبثا وابتكارهم هباء، أنت علّمت أولئك وهؤلاء أن الفن حر لايعرف الرق، كريم لا يحبُّ الذلّة، أبيٌّ لا ينقاد للمحافظة إلى غير حد ولا ينقاد للتجديد في غير احتياط، أنت رسمت للمعاصرين هذه الطريق الوسطى التي تمسكُ على الأدب العربي شخصيته الخالدة، وتتيح له أن يسلك سبيله إلى الرقي والكمال، وقد حاولوا أن يتبعوك في هذه الطريق، فطار بعضهم بجناح، واستسلم بعضهم فأراح وأقمت أنت على قمة الشعر الحديث شيخا جليلا وقورا، لا تزدهيه أحداث الحياة، ولا يستخفه ازدحام الخطوب، أنت صنعت هذا كله، وأكثر جدا من هذا كله، لم تصنعه عن عمد وإنما صنعته عن فطرةٍ كريمة، وسجية نقية، ونفسٍ أبى الله لها إلا أن تكون نفس الشاعر الحق، صورة صافية جامعة للطهر والإباء والنقاء جميعا.

هذا بعض ما قال طه عن مطران، وبعضٌ يغني عن بعض، فما كنت لأزيد...

هوامش

(١) حافظ وشوقي: ص ١٩١ ط ١، ١٩٧٣م.
(٢) الرسالة: العدد الأول - ١٥/ ١/ ١٩٣٣م.
(٣) الرسالة العدد العاشر ١/ ٥/ ١٩٣٣م.
(٤) جريدة الجهاد ٢٩/ ٤/ ١٩٣٤م نقلا عن كتاب المعارك الأدبية للأستاذ أنور الجندي، ص ٥٦٦ ومابعدها..
(٥) المعارك الأدبية: للأستاذ أنور الجندي ص ٥٦٨.
(٦) حديث القلم: للدكتور محمد رجب البيومي ص ٢٨٢ وما بعدها.
(٧) حياة مطران: للأستاذ طاهر الطناحي ص ٣٧٦.

أبو شادي في مئويته الأولى



أحمد زكي أبو شادي

د. علي شلش

عاش الشاعر أحمد زكي أبو شادي (١٨٩٢ - ١٩٥٥م) نحو ٦٣ عاما، قضى منها عشرة في إنجلترا، حيث درس الطب البكتريولوجي، وعاد إلى القاهرة عام ١٩٢٢م. كما قضى الأحد عشر عاما الأخيرة من حياته في أمريكا، حيث هاجر وأقام حتى وفاته عام ١٩٥٥م. ومعنى هذا أنه عاش مغتربا نحو نصف عمره الفني. ولكن هذا الاغتراب الطويل كان يقابله اغتراب آخر في مصر قبل سفره إلى إنجلترا وهجرته إلى أمريكا. فشعره الغزير مليء بالقلق العنيف والشكوى من الزمان والناس، والحزن والألم، وكل هذه من خصائص الرومانتيكية التي سيطرت عليه وعلى كثيرين من شعراء جيله، حتى وهو يدافع عن الفلاَّح ويدعو إلى الإصلاح الاجتماعي، ويروِّج لتربية النحل والدجاج، وينشئ الجمعيات الزراعية والصناعية.

ومع ذلك كانت السنوات العشر التي أعقبت عودته من لندن أخصب سنوات حياته في مصر، بل أخصب سنوات عمره. وبعدها حاصرته عوامل الإحباط من كل جانب، في الشعر والحياة. فلما ماتت زوجته الإنجليزية عام ١٩٤٦م هاجر إلى نيويورك بغير رجعة.

في تلك السنوات العشر أصدر معظم إنتاجه الشعري، واجتذب الشعراء الشباب، وشجعهم على التجديد، ثم أسس جمعية أبوللو، وجعلها رابطة للشعراء، ووجهها نحو الارتقاء بالشعر العربي، وتخليصه من الجري وراء المناسبات والمدح الفارغ، ثم أنشأ مجلة «أبوللو» لِسانَ حالٍ للجمعية، وأتاح صفحاتها للشباب، وجعلها «ورشة» فنية للشعراء الجدد. وعلى هذه الصفحات تألق جيل كامل من شباب الشعراء العرب في المشرق والمغرب، مثل محمد مهدي الجواهري في العراق، وعلي محمود طه وإبراهيم ناجي ومحمود حسن إسماعيل في مصر، وأبو القاسم الشابي في تونس. وهؤلاء وغيرهم عرفوا باسم شعراء جماعة أبوللو، وعلى أيديهم حققت القصيدة العربية الكثير من دعوات التجديد، التي شغلت الغيورين على الشعر العربي في أواخر القرن الماضي وأوائل هذا القرن، ولكن مجلة «أبوللو» هذه لم تستمر أكثر من سنتين وشهرين، ولم تستطع موارد أبي شادي المالية الوفاء بمتطلباتها، فأوقفها مضطرا في ديسمبر عام ١٩٣٤م، بعد أن فشل في الحصول على معونة من الدولة. وأسهم في هذا الفشل سوء تفاهم نشأ بينه وبين العقاد. فبعد أن نشر العقاد مقالة بالمجلة في تحيتها عند صدورها، نشر أبو شادي نقدا لديوان «وحي الأربعين» للعقاد. وأشار في ذلك النقد إلى بعض عيوب شعر العقاد فغضب الأخير، ورد بعنف على النقد في صحيفة أخرى، ثم اندلعت بعد ذلك معركة قلمية طاحنة بين الفريقين، دخل فيها أنصار هذا وذاك، وتبودل فيها السباب والاتهام بالعمالة للسلطة، وترتب عليها إهمال العقاد وطه حسين ومريديهما لشعر أبي شادي.

ولكن شعر أبي شادي نفسه لم يكن على مستوى واحد من الإجادة والنضج، وكان تفاوته هذا راجعا في المحل الأول إلى سيولة صاحبه في النظم وإهماله تجويده. ومن هنا قدم لخصومه سلاحًا ضد شعره.

يبقى تجديده في الشعر، أو مغامراته الشعرية بمعنى أدق.



خليل مطران



عبد الرحمن شكري

ومع أنه تأثر - في مطلع حياته - بشعر خليل مطران، وحاول أن ينحو نحوه في تنويع القوافي واستخدام مجزوء البحور في القصيدة الواحدة، وكتابة القصص الشعرية، وتكرار رموز النور والماء، فقد كانت إقامته الطويلة بإنجلترا سببا مباشرا في احتكاكه الوثيق بالشعر المرسل والشعر الحر عند الإنجليز. ومع أن الشعر المرسل ظهرت له محاولات على يد الزهاوي، وعبد الرحمن شكري قبل سفره إلى إنجلترا، فقد كانت معرفته به هناك مؤثرا حاسما في تجربته. ولكن الشعر المرسل - كما نعرف - لا مغامرة فيه إلا في القوافي، حين يتحرر منها الشاعر كلية، ويجعل كل بيت قائما بذاته من حيث التقفية، دون أن يتجاهل جريان المعنى في أبيات القصيدة كلها. أما الشعر الحر عند الإنجليز فكان - وما زال - يتحرر من القافية والوزن جميعا، ويقترب من النثر، ولا يحافظ إلا على الإيقاع والصور. ومع ذلك اقتبس أبو شادي هذه الخاصية، وتصرف فيها، فجعل القصيدة في أكثر من بحر. بل زاد على ذلك فجمع بين الشعر المرسل والشعر الحر في القصيدة الواحدة.

”تفاوت مستويات أشعاره سببه سيولة نظمه وإهماله تجويده“

لنأخذ مثلا هذه الأبيات من قصيدة «الفنان» بديوانه «الشفق الباكي» الصادر عام ١٩٢٦م. وقد قدمها بهذه الكلمات:

«يعد من الشعر المرسل نسبيا ما تجرد من التزام القافية الواحدة، وإن كان ذا قافية مزدوجة أو متقابلة، ولكن الحقيقة أن الشعر المرسل BLANK VERSE لا يوجد فيه أي التزام للرويّ. وفي القصيدة التالية مثل لهذا الشعر المرسل مقترنا بنوع آخر يسمى بالشعر الحر FREE VERSE حيث لا يكتفي الشاعر بإطلاق القافية، بل يجيز أيضا مزج البحور حسب مناسبات التأثير. وهذا المزج — من البحور المتجاورة - قد حاوله الشاعر من قبل في التنظيم المقفى، وفي التواشيح، وفي الشعر الغنائي على الأخص» أما القصيدة نفسها فمنها هذه الأبيات التي يخاطب فيها الفنان:

لكن - وأنت سخيٌّ بفنك المتعالي

وأنت ترسم ما في الكون من عجب،

وما تَحجَّب خلف الشكل من ألَق.

وأنت تنتج آيات من (الفِكَرِ)

وأنت تسعف دنيا في تعثرها،

لم تستطع حُسْنَ تعبير لأذهانٍ.

هذه الأبيات أفضل ما في القصيدة من حيث الصياغة والصنعة، ولكنها - كما هو واضح - ظاهرة الركاكة والتكلف والنثرية. ولا يبقى منها سوى الجرأة التي كان لها - في الغالب - تأثير على شباب الشعراء الباحثين عن الجديد، وعلى الرغم من الغموض واضطراب الإيقاع اللذين يلفّان القصيدة كلها. ومع ذلك فهذه الجرأة والمغامرة مهدتا لظهور تطورات أخرى أنضج وأظهر، ولكن على يدي خليل شيبوب وعلي باكثير في الثلاثينيات، ثم على يد شعراء العراق في الأربعينيات. ولولا جهود أبي شادي هذه لما ظهرت تلك التطورات.

وأما شعره كله فما أحوجه - في هذه المناسبة - إلى مصفاة، أو منخل يستصفي أجوده وأنضجه، بحيث يخرج منه ديوان واحد يقدمه للناس، ويبقيه في الذاكرة في أحسن حالاته، فالشعراء مثل غيرهم من البشر، لا يسيرون في خط بياني صاعد على الدوام. وأعظمهم يتجاور عنده الغث والسمين أحيانا.

أليس كذلك؟!

رياض فيفا

شعر: أحمد عبد الفتاح الحازمي - جيزان

أسنا ثناياها بثغرٍ أفرق
أم لمع برقٍ في الدُّجى متألقُ
أم بالأماني البيض بشَّرنا السرَّى
إنّا على مهد الحضارة نلتقي
برياض «فيفا» من بساطِ مسيرةٍ
وجميل أُنْسٍ وابتهاجٍ مُشرقِ
برزَتْ بمنظر غادةٍ فتّانةٍ
يصبو إليها كلُّ قلبٍ شَيِّقُ
قد طَرَّزَت مزنُ العشي ثيابها
من سُندسٍ خُضرٍ ومن استبرقِ
والطَّلُّ ينشر في الزَّبرْجد لؤلؤًا
والزهرُ هاج بكمِّه المتَفتِّق
عن أحمر قانٍ وأبيض ناصعٍ
أو أصفرٍ أو لازوردٍ أزْرَق
وترى الغصون مع النسيم تمايلت
طربًا لشدو حمامها المتطوق
بهرتهم الحسنا فلم يأتوا بها
يجدي وقد باتوا بليلٍ مُقْلقِ
والشمسُ في إشراقها رَأْدِ الضُّحَى
من ذا يُصَدِّق أنها لم تشرقِ
بل إنها شرفت جنابًا فاعتلت
وكذاك شأْن المعتلي المتفوِّقِ
حلَّت كما حلَّ العزيزُ مكانةً
لم يدنُ منها صاحبُ الحظِّ الشقى
فكأنها جنات عدن أزلفت
فامسك حديثك عن ازال(١) وجلق(٢)
ومدائن الأمريكتين ولندنٍ
والبَلْشَفيك ومن بأقصى المشرقِ
هاتيك زخرفت الفنون جمالها
وجمال ذي طبعٍ بغير تخلُّقِ
أجمل بها بدويةً لم تعن في
نقش الخضابِ ولبسة المتأنق

(١) أزال: اسم من أسماء مدينة صنعاء. (٢) جلق: اسم من أسماء دمشق.

الشاعرية وعلم النفس

بقلم: يوسف فجر رسلان

○ يؤدي اللاشعور دورًا بارزًا في مخاض الشعر، لكنه لا ينفرد به.

○ العقل سادن الشخصية، وهو الرقيب على أقوالنا وأفعالنا في كل كبيرة وصغيرة، ما دمنا على فطرة سليمة.

عندما تمخضت حركة الحداثة الشعرية المعاصرة عن أقلام وقرائح غير ناضجة أو مطبوعة، تحتم أن يولد معها، ومن مخاضها الضعيف، حركة نقدية موازية بالحجم والمستوى. ولما كان مفهوم الحداثة ـ لذاته ـ جذابا ومطلوبا، فقد فتحت المؤسسات الثقافية والأدبية أبوابها على مصاريعها في بعض الأقطار العربية أمام هؤلاء، علهم ينجزون شعرا ونقدا حديثين حقا، فما كان الحصاد غير ركام من الكتابات الهابطة الفاقدة لحيوية الشعر والنثر معا.

هذا، ومع اعترافنا بوجود حبة قمح أحيانا في كومة من القَشِّ والقُصارة فإن حبـةً في مثل هـذا الموقع لا تشكل بيـدرا، كما أن الـوردة في حقل من الهشيم والشوك لا تُشكل ربيعا، وإن بدت أجمل وأحلى ما في الحقل.

ولـم يقتصر الـذين ولدوا في ذلك المخاض على تقـديم نتاج كاسـد هابط مارق من الأصالة، بل وقـاطع لكل الأسناخ التي تربطه وتربط كُتَّابه بالعباقرة من شعراء أمتنا وكتابها، وإنما تجرؤوا على التنظير في الشعر والشاعرية.

ـ فمن ذلك المخاض تـراكم الغلط واللغط والتجني على الثوابت العلميـة بحجة اللغة الأدبية، وكأنَّ لهذه اللغة قاموسا ومسارا يشذان بها وبأصحابها عن فطرة البشر.

هذه الفطرة التي يسر الله، سبحانـه وتعالى، للعلماء من عباده أن يكتشفوا آليتهاوعلاقاتها وقوانينها ضمن وحدة الكل النفسي المنظم المتكامل في تفاعله مع البدن والعـالم. فعلى حجة اللغة الأدبية تجاوزوا لغـة العلم، فكانت الآراءُ غير المسؤولـة، لافتقار أصحـابها إلى الثقـافـة العلميـة الكافيـة، ولاستمـرارهم في المكابرة، من حيث إن الناس أعداء ما جهلوا.

ـ لقـد كـان علينـا أن نعـري ـ بمنظـور علـم النفس ـ واحـدةً من تلك الأغـاليط، بعـد أن توسعت دائرتها، وبـاتـت تطـرح في المنتـديات والأمسيـات الأدبية، وفي الصحف والمجـلات بل وبعد أن أُلِّفتْ فيها كتب تكرسهـا وتنظِّر لها، فكم من كتاب ينظِّر للشعر والشاعرية لـم يطالع مؤلفه مقالة يتيمة في علم النفس.

ـ قـد يسأل القـارئ: ولماذا علم النفس والحديث عن الشعـر؟ وعنـدئذ نذكره بـأن التنظير في الشعر والشاعرية يقتضي أن يتنـاول المنظِّر أعماق النفس، وأن يسبر خلجاتها وشحناتها وتوترها حيال المثير، أو أن يدرك على الأقل، أبسط المفـاهيم النفسية في الفيض والأحـاسيس والمشاعـر والوظـائف النفسية العليـا والدنيا والفعالية التكامليـة في هذا الخلق الإلهي العجيب (لجهة الخالق سبحانه وتعالى في ما خلق) وإلا كان تنظيره جهلا ورجما وتعديا على أهليات ليست لـه، فضلا عما سيكرسه من خطأ في معلومات قرائه من الناشئة على الخصوص.

نحن لا نطالب الشاعـر بأن يكون عالم نفس، كما لا نطالب النـاقد بذلك أيضا، لكننا نطالب كلاً منهما بأن يكـون ملما ببعض قضايا النفس الإنسانية، وإلا تـوجب عليـه، من بـاب الأمـانـة العلميـة، أن يكف عن التنظير في أمـر يجهله، خاصة إذا كان ناقدا.

أما الأغلوطة، التي هي موضوع مقالتي، فهي ما يروجه أولئك النقاد من أن الشعر ناتج الحالـة اللاشعورية وحسب، ويعرف المنشغلـون بشؤون الشعر أن

هذه الأغلوطة تتنامى يوما بعد يوم، وأنها تدرجت من ترجيح الحالة اللاشعورية في الفيض الشعري إلى نكران الحالة الشعورية تماما.

ففي كتاب ينظِّر للشعر والشاعرية نقرأ النص التالي منقولا كما هو :

« . . يبدأ الشاعر الخلق بدافع غامض بشيء ما غير واضح يريد أن يقوله وحين ينتهي ما انتهى إليه قصيده يجد أن لا صلة بين ما أراد أن يقوله وبين ما قاله في القصيدة إذا كان شاعرًا أصيلا» (١).

(تلاحظون ـ ابتداء ـ إهمال علامات الترقيم استهانةً بها، لكأن هذا التنازل جزء من الحداثة] فالنص يعني أن الشاعر ــ بل الشاعر الأصيل حصرا ـ إنما يتعامل مع حالة لا شعورية محضة. هكذا، وبطريقة مجانية تقريرية، قذف الناقد لفظة (الدافع) دون أن يدري مدلولها النفسي، كما فعل الشيء ذاته مع لفظة (الإرادة).

وتوضيحا نقول : إن الدوافع كلها لا شعورية الأصل والمنشأ، وإن الدوافع تنتمي إلى زمرة الأفعال التلقائية غير الواعية. ولا يصبح الدافع شعوريا إلا إذا وقف أمامه عائق، وعندئذ يصبح دافعا مشعورا به. أي مع الحفاظ على لفظة الدافع دلالة على أصله اللاشعوري. أما الإرادة فتنتمي إلى الطبيعة العاقلة مع وجود هامش من جاذبية العواطف النبيلة أحيانا، كما في الأفعال الأخلاقية.

ولقد أطلقنا على رأيهم الناشز وصف الأغلوطة، وهذه إما أن تكون ممن ارتكبها عامدا، وإما ممن وقع في وهمها، ولربما كانت، في الحالين، راجعة للأسباب التالية :

١ ـ القرابة اللفظية بين كلمتي الشعور واللاشعور، وما كانوا ليخسروا لو أنهم أضافوا لفظة الشعور كممثل لدور الطبيعة العاقلة في مخاض الشعر، خاصة وأنها من الجنس اللفظي والنفسي ذاته لكلمة اللاشعور.

٢ ـ إيهامهم الناشئة بأن في وضع الشاعر معزولا عن بني جنسه رِفعةً له وإكبارا، أو أن تصويره على خلفية نفسية خاصة، تختلف عن الخلفية النفسية العامة لبني البشر، يجعل منه إنسانا فوق العادة.

٣ ـ أو أنهم ما زالوا متأثرين، على نحو ما، بالخرافة الجاهلية التي تصور الشاعر مسكونا بشيطان، يقرض عنه الشعر، ويمده بالفيض والإلهام والإشراق، وعندئذ لا يكون هذا الشيطان أو هذه الجنية غيرَ اللاشعور ذاته معزولا عن الملكات الشعورية.

ـ هذا، ومن المفيد أن أعرض بعض المقولات المبسطة من علم النفس، علها توضح آلية التكامل بين خصائص الشخصية :

أ ـ ففي علم النفس أن الشخصية «هي الصورة المنظمة المتكاملة لجميع خصائص الشخصية العقلية والانفعالية والجسمانية» (٢) وأن «تكامل هذه الخصائص وتآزرها إنما يتم في وحدة الشخصية وتوازنها على قاعدة خضوع الأدنى منها للأعلى» (٣) ويوضح علم النفس أن لفظ الشخصية لا يطلق إلا على الإنسان، باعتبار الطبيعة العاقلة خاصيته الأساسية المميزة له من الحيوان، أما إذا نظرنا إلى الجوانب التكوينية الأخرى فيه بمعزل عن طبيعته العاقلة كنا أمام (فردية) لا أمام (شخصية) (٤).

ب ـ قسم فرويد النفس ــ لتسهيل الدراسة التحليلية والتحديد الفاعل والمنفعل فيها ـ إلى منطقتين : (٥)

١ ـ منطقة شعورية عليا، وتشمل جميع ملكات الطبيعة العاقلة والطبيعة الأخلاقية، من شعور وإدراك وانتباه وذكاء وذاكرة . . وضمير، أي الأنا الأعلى بعامة (SUPER-Ego) (٦)

٢ ـ منطقة لا شعورية، وقوامها طبقتان هما الـ (هو) أو الـ (Id) وطبقة الكبت (٧). وفي هذه المنطقة اللاشعورية تُختزَن جميع الرغبات والغرائز والميول والدوافع. أما الوظائف النفسية الدنيا القائمة على خلفية مادية بيولوجية (الوظيفة الحيوية للغدد الصم) وفيزيولوجية (وظائف الأجهزة والأنسجة والأعضاء).

ويضاف إلى مخزونات الوظائف النفسية الدنيا الكامنة في هذه المنطقة جميع الخبرات والتجارب التي تحصِّلها الشخصية خلال مسيرة الحياة.

ومن المعلوم أن أرقى الدرجات التي يتم فيها ورود هذه الخبرات والتجارب

○ عندما يكتب الشاعر قصيدته لا بد من أن يكون في أفضل حالات الجاهزية النفسية.

○ ليس رَفْعًا لمكانة الشاعر تصويره كاتبًا باللاشعور.

هو ما يقدمه الوعي الحر، أي ما يرد منها بوعي وحرية، من هنا فإن تجارب الشاعر وخبراته وحساسيةَ أعماقه لا تقدِّم أرقى ثمارها وقطافها الشعري إلا بإشراف الوعي، وبالتالي فإن ادّعاء ولادة الشعر بالحالة اللاشعورية المحضة باطلٌ علميا، لأنه يخالف الحال الطبيعية لبني البشر.

ج ـ لما كان من خصائص الشخصية أن تمارس الذات العليا دور الرقيب والمنظِّم على الذات الدنيا (Id) فإن الذات العليا، أو الأنا الأعلى، لا يسمح لأية رغبة أو غريزة أو أيِّ دافع أو ميل بالإشباع والإفصاح والتحقق ما لم يكن ممكنا ومشروعا لجهة ما : شرعية، دينية، أخلاقية، قانونية، اجتماعية . . الخ.

الشاعرية وعلم النفس

أما الحالات التي تستطيع فيها الوظائف النفسية الدنيا أن تمر من اللاشعور إلى حيز الإفصاح في غفلة من الرقابة (الأنا الأعلى) فمحدودة ومعدودة، تنحصر على الغالب في زلات اللسان والقلم، وفي الأحلام، وفي الانفعالات الشديدة خاصة، حيث تضيق ساحة الشعور، وتغلب موجات (دلتا) في النشاط الكهربائي للدماغ على موجات (ألفا)، وفي حالات التداعي عند الوهن النفسي والجسدي [٨]، وهي الحالات التي تقترب فيها الشخصية من طور الفردية (INDIVIDUALITY).

فمن الطبيعي إذن، ألا تكون الأفعال الناتجة عن الحالة اللاشعورية عند تراخي المنع والمراقبة والتوجيه مسندة إلى شخصية متوازنة [٩]، فما بالكم إذا كانت لاشعورية خالصة؟ إذن، كيف يتسنى للشاعر، بل وللشاعر الأصيل حصرا كما يقولون، أن يتعامل مع الحالة اللاشعورية وهو يكتب القصيدة؟

ولقد تمادى النقاد الذين يتبنون هذا الرأي، وباتوا يطرحونه بلا مجاز أو تورية، ويقررون اعتسافا نفيهم للإرادة من الحالة الشعرية، جاهلين أنها ملكة واعية من ملكات الأنا الأعلى الرقيب الأمين على أقوالنا وأفعالنا. والشعر واحد منها، واحد من أفعالنا وأقوالنا الراقية، وما أظنهم يفعلون ذلك إلا بحكم عادتهم في تقديم كلٍّ ما هو فاقع في شذوذه على أنه تحديث ومعاصرة.

في ضوء ما تقدم يكون الرأي القائل بأن الشعر ناتج الحالة اللاشعورية المحضة، سواء بالحالة المحضة أم بالمحصلة الكلية، مخالفا لمعطيات العلم.

ونحن لا نظن أن أحدًا يقتنع بأن الشعراء يصدرون من حالة فوقية، أو من عوالم مخفية، أو أن أحدا ما ــ كشيطان الشعر مثلا ــ يسكن الشاعر، فيملي عليه، أو يكتب عنه. وإذا كان الشاعر (مسكونا) فهو مسكون بلا شعوره وحسب، وهو مع ذلك ساكن مراقَبٌ محاصرٌ في الشخصية الطبيعية، أي في وضعها المتوازن السليم، حتى لا يُترك الشاعر كاتبا على هواه.

وإذا كان ثمة من إقرار بتجاوز لغة العلم بدعوى اللغة الأدبية فإنَّا لواجدون تصوير الشاعر على هذا النحو منسحبا على ذلك النمط من الشعراء والنقاد الخارجين على المحور التوليدي النفسي لبني البشر، من هنا فهم «يكتبون ما لا يريدون ويريدون ما لا يكتبون» وبالتالي فإن ما يريدونه أو ما يكتبونه غريب على طبع البشر. فيما قدمه علم النفس إلى الآن أن الإنسان لا يمكن أن يكتب غير ما يكون عقله منشغلا به تحديدا زمن كتابته، وعليه فإن الإنسان الذي يكتب في غيبة الوعي ـ إن وجد مثله أصلا ـ يكون:

ـ إما في حال من التمزق الداخلي حسب اللغة الأدبية ذاتها.

ـ وإما في حال من الانفصام حسب لغة علم النفس.

ـ وإما في حال من عدم التمييز حسب لغة الأخلاق والقانون.

وهي جميعا أحوال من الانحراف عن الفطرة الآدمية السليمة.

واستنادا إلى مقولة علم النفس بأن الفعل الإنساني يصدر عن (الكل المنظم المتكامل) أقول: إن الكتابة التي تطغى فيها الحالة اللاشعورية تجيء غيرَ مترابطة أو منسجمة بعضها مع بعض، ولا تُلقي شِبَاكَها حول موضوع محدد، وهو ما نجده في تلك الزفرات التوجُّعية الحسيرة العاجزة الممزقة الكليلة التي يطرحونها على أنها حداثة شعرية أو (حداثية شعرية ــ تأملوا بهذا الاشتقاق) وهي لا تتفجر ـ إن تفجرت ـ إلا في داخل صاحبها.

مرة أخرى نؤكد أن تلك الكتابة دليل على تصدع في الكل النفسي عند كتابتها، ما لم تكن متعمَّدة، وهي إن كانت كذلك دلت على سوء نية أيضا، وكثيرا ما تنسحب معايير الأخلاق على المعايير الأدبية.

ـ إن الكتابة بالحالة اللاشعورية لا تختلف عن الحالات التي تمرق فيها الأفعال والأقوال من رقابة الطبيعة العاقلة، كحالات التداعي، والأحلام الفوضوية، وزلات اللسان المعبرة عن رغبات ممنوعة مكبوتة مشوشة.

من هنا كان على الناشئة ألا يصدقوا أن شعراءنا العباقرة، الذين عذبهم العشق، قد كتبوا شعرهم العذب الخالد وهم هائمون على وجوههم في الصحاري المحرقة، والفلوات الموحشة، يتلمسون خيال الحبيبات، ويقرؤون جماهن في مخلفات الخيام وأطلال المنازل وحجارة المواقد، وقد أطلقوا الحاهم زهدا ويأسا، وفقدوا العزم والعقل، حتى سَرَحَتْ الأشعار الصافية الرقيقة من شفاههم المتهالكة، التي ما تكاد تقوى على النطق.

ـ إنها دعوة إلى تصحيح مسار النقد والفهم والمعلومات، أعتمد فيها على قوانين علم النفس ومعطياته، فكم أتمنى على النقاد والقراء ألا يصدقوا أن شعراء نا العباقرة كانوا على تلك الصورة الممزقة في شخصياتهم، وهي صورة مهزوزة شاذة، لم ينفرد في تكريسها كُتَّاب المخاض اللاشعوري ونقَّادُهم، بل أسهمت فيها أقلام ومسلسلات سينمائية وتلفازية كثيرة؛ لأن هؤلاء وهؤلاء ـ في الوقت الذي أرادوا فيه تقديمَ الشعر في أفضل حالاته النفسية، كي يكتب أرق الشعر وأجمله ـ إنما قدموه في حالٍ من التشتت والضياع والتشويش في كله النفسي، وهي أحوال يستحيل معها كتابة جملة مفيدة.

وما نراه بمنظور علم النفس أن الشاعر الأصيل حقا هو من هذه الأرض وعليها، وتنطبق عليه القوانين النفسية كما تنطبق على غيره من بني البشر، وأنه لا يمكن أن يكتب الشعر إلا وهو في أفضل حالات الجاهزية النفسية، وفي أتم صورةٍ لكلِّه المنظم المتكامل.

تصدمه المحرضات، فيتوتر نفسيا، ثم يكتب. وهو إذا يكتب تتيقظ فيه كل مخزوناته النفسية: العقلية والوجدانية وتُسْتَنْفَر كل خبراته الثقافية واللغوية والاجتماعية والجمالية، ويكون الوعي أو العقل، الذي هو سادن الشخصية، مشرفًا على كل حرف يسكبه.

فكيف ـ والحال كذلك ـ تكون القصيدة في وادٍ والكاتب في جبل؟

ويخطئ مرة أخرى أصحاب أغلوطة اللاشعور في فهمهم آلية الفيض

الشعري، وفي فهم المصطلحات النفسية المسحوبة على الشعر، عندما يقولون إن الشاعر يكتب بتلقائية وعفوية. وهم بذلك يحومون حول العقل والشعور، يريدون إقصاء الوعي من الحالة الشعرية، علما أن التلقائية ليست سوى النمط الأدنى من الحال اللاشعورية [١٠]. إنها لا تختلف بشيء عن الفعل المنعكس، ولا أريد الدخول في قوانينه حذر الإطالة، فضلا عن كونه مزريا إذا سحب على الشعر والشاعرية.

هذا وبالتجربة الشخصية يستطيع المرء أن يتأكد من أن الكتابة بالطريقة العفوية التلقائية لا تفيض شعرا، ولا تولد نثرا؛ لأنها لن تكون أفضل حالا من الكتابة مع الـحُمَّى. ونحن نكتشف حتى في الشرود المؤقت حالة اللاحضور الذهني، وندرك أننا على عتبة التشويش. فنقف عن الكتابة والحديث بانتظار الحالة التكاملية السوية.

من هنا وجدنا أن الحالة التي ينسحب عليها هذا النمط من الكتابة هي حالة المخاض الشعري الضعيف المهزوم أمام ذوق الجماهير الذي وُلِدت معه حركة نقدية قاصرة مشوشة تنظِّر له، فتباركه وتثني عليه. بل إن النقاد من هذا المخاض يحسبون التعدد في أوجه الفهم والشرح لقصائد أصحابهم غنى وثراء.

فمرة أخرى أقول: إن هذا التعـدُّدَ شكلٌ من أشكال التشويش في الذهنية والشاعرية معا، ما لم يكن متعمدا، لأن تشتت المعاني والصور والأفكار يدل على تشتت في مسار الكلّ المنظَّم المتكامل.

على أن القارئ يميز بين ما يراه من تشويش في كتابات هؤلاء، وما يراه من تنويع في الصور البلاغية عند شعراء الأصالة المطبوعين، تلك التي تَرجع إلى غرض القصيدة وموضوعها مهما ابتعدت في ضروب الرَّمز والإيحاء والتورية.

إن النظر إلى الشعر على أنه هبة المنطقة اللاشعورية وحسب «بحيث يكتب الشاعر ما لا يريد، ويريد ما لا يكتب» هو خَفْضٌ للشعر والشاعر إلى زمرةِ الفعل والفاعل الغريزيين، أو إلى زمرة الوظائف النفسية الدنيا بعامة. ولسنا ندري إذا كان تقديس اللاشعور عند هؤلاء — وهو آخر الأمر غيبوبة — قد جاء ارتكاسًا لعصرٍ مشحون بالتشويش، لكنَّ الذي نعرفه جميعا أن لكل عصر مصاعبَه ومتاعبَه وأوجاعَه، ومع ذلك فإنَّ أيًّا من شعرائنا العِظام لم يكن مخبولا.

في ضوء ما تقدم أقول: إن القصيدة، التي هي شعرٌ، مولودٌ شرعي للوعي، صحيح أن الشاعرية تستمد الدافعية من المنطقة اللاشعورية، لكن مشروعية الفيض لا تتم إلا بإشرافِ مراقِبٍ حاضر جاهز هو العقل. بقي أن نؤكد أن قوانين علم النفس كلية، وإلا لما كان علما، وأنه استقى قوانينه من الدراسات الاستقرائية والاستنتاجية لفطرة البشر وفقا لطرائقه ومناهجه، فلا تشذ عنها شخصية سوية، ويقول علم النفس: إن البشر يشتركون في «محور توليدي نفسي عام» لا يشذ عنه إنسان طبيعي، وأنه إذا اختلف الناس في هذا المحور فإنما يختلفون بالدرجة لا بالطبيعة، من هنا نستنتج فنقول: صحيح أن الشاعر المطبوع يمتاز بحِدَّةٍ في حساسية الأعماق، لكن هذا لا يجعله مارقا من جنس البشر، أي إنه إذا كان خارقا - في الحساسية - فلن يكون مارقا، لأن الله، سبحانه وتعالى، فطر الخلق على هذا المحور، وجعله درجات.

وأخيرا إن سحب قوانين علم النفس على الشعر لا يعني نفي الحداثة أو محاربتها، بل يعني وضع الشعر في المعيار النقدي الصحيح للتمييز بين حداثة إبداعية وحداثة مزيفة، وقد بات الوصف الأخير جماهيريا. نحن اليوم مطالبون بأن نعيد ثقة الجماهير بالشعر العربي، مؤكدين لها أن ما عزفت عن قراءته، فكان مهزوما أمامها، لا يمثل الشعر العربي، بل يمثل ما وُلِد من مخاض نفسي ضعيف، فكان:

- إما مقلِّدًا تابعًا لصرعات الغرب في جميع أنماط أدب (اللامعقول).

— وإما مغشوشا بالقصد والنهج كجهةٍ من جهات التآمر على تراثنا بجملته.

○ صحيح أن الشاعر يختلف عن الآخرين بِحِدَّةٍ في حساسية الأعماق، لكنه اختلاف بالدرجة لا بالطبيعة.

○ إن تجاوز العلم باسم اللغة الأدبية خطأ لا تبرره الفطرة السليمة.

- وإما مبتورا من غيبوبة الحالة اللاشعورية في غياب أو تغييب الكلِّ النفسي المنظم المتكامل.

المراجع

(١) من كتاب بعنوان «الحداثة في الشعر. درسته جريدة (العروبة) السورية في العدد ٥٧٧٨.

(٢) د. كمال بلان (علم النفس التربوي) طبعة ١٩٨٥ م ص ٥٣ ود. يوسف مراد (شفاء النفس) ص ١٢٤.

(٣) د. كمال بلان، مصدر سابق ص ٦٣.

(٤) د. يوسف مراد. مصدر سابق ص ١٩ ود. كمال بلان، مصدر سابق ص ٥٠.

(٥) محمد كامل النحاس (سيكولوجيا الضمير). إصدار دار الفكر - القاهرة ص ١٨.

(٦) سيكولوجيا الضمير ص ١٥.

(٧) المصدر السابق ص ١٨.

(٨) شفاء النفس ص ١١٩.

(٩) سيكولوجيا الضمير ص ١٢.

(١٠) سيكولوجيا الضمير ص ١٥.

تطوّر مفهوم الانتماء

بقلم: د. زكريا سليمان بيومي

تلتقي أغلب خصائص مفهوم القومية ـ لدى الكثير من المفكرين ـ عند كونها مدلولا للسلالة والجنس إلى جانب عوامل أخرى كاللغة والدين والأرض وغير ذلك. ولا يُؤخذ معنى الكلمة ومدلولها السابق على إطلاقه عند المسلمين، فالسلالة والأرض واللغة عندهم كلها أمور ثانوية، ولا اعتبار في الانتماء إلا لوحدة العقيدة والمبادئ المستمدة من الإيمان بالله سبحانه وتعالى وبرسوله ﷺ.

وقد وردت كلمة «قوم» في أماكن متفرقة من القرآن الكريم، وبدت في إطار عَقَدي، كالحديث عن قوم عاد وقوم ثمود وقوم تُبَّع وقوم موسى وغيرهم، وتعني القوم الذين آمنوا أو كفروا بنبي عاد أو بنبي ثمود أو بنبي تبع أو برسالة موسى عليه السلام. على أن ذلك يوضح اقتصار دعوة هؤلاء الأنبياء على قومهم، وأن رسالاتهم لم تكن رسالات عامة أو شاملة للناس كافة ومن ثم لم يستخدم هذا اللفظ لوصف رسالة محمد عليه الصلاة والسلام أو وصف الذين آمنوا به، بل وصفوا بمصطلح آخر أكثر عمومية وهو مصطلح «أمة».

ومفهوم الأمة كما ورد في القرآن الكريم مفهوم عقدي، وليس مفهوما جنسيا قوميا أو وطنيا قاصرا على أرض بعينها، ويتضح ذلك في وصف القرآن الكريم لإبراهيم عليه السلام، بعد أن هجر وطنه وبني جنسه بأنه «أمة» **﴿إن إبراهيم كان أمةً قانتًا لله حنيفا ولم يكُ من المشركين﴾** النحل ١٢٠.

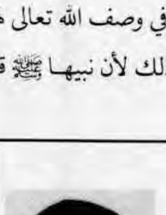
وإذا كان قد أشير إلى الديانات السابقة للإسلام بهذا المفهوم **﴿إنّا أرسلناك بالحق بشيرًا ونذيرًا وإنْ من أمَّةٍ إلا خلا فيها نذيرٌ﴾** فاطر ٢٤، إلا أن تخصيص الأمة المحمدية بالدعوة العامة والشاملة قد بدا واضحا في وصف الله تعالى لها بأنها كانت **﴿خَيْرَ أمةٍ أُخرجَتْ للناس﴾** آل عمران ١١٠، ذلك لأن نبيها ﷺ قد أرسل إلى الناس كافة، بشيرا ونذيرا، وليس نذيرا لقوم بأعيانهم أو لأمة بعينها، وأن استمرار وصف الأمة المحمدية بهذه الصفة مرهون باستمرارها في دورها في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر القائم على الإيمان بالله.

ولن نتطرق هنا إلى شمول مفهوم الأمة للإطار السياسي في الدولة الإسلامية. لكننا ينبغي أن نربط مفهوم الأمة في إطاره العقدي بين إبراهيم عليه السلام أولَ داع للإسلام ومحمد عليه الصلاة والسلام النبي الخاتم في الدعوة إلى الإسلام، وهو أمر نجده واضحا جليا في التشهد الذي يردده المسلمون في كل صلاة.

وتبدو قضية الصراع بين الانتماء العرقي «القومي»، أي الانتماء لمجموعة تجمعها وحدة الجنس، والانتماء العقدي، أي الانتماء لمجموعة تجمعها وحدة الاعتقاد، واضحة جلية في القرآن الكريم، لا في سيرة النبي ﷺ فقط، بل وفي سيرة الأنبياء جميعا. فليس من قبيل المصادفة أن يختبر الله سبحانه وتعالى نبيه نوحا عليه السلام في أهله وابنه، فبعد أن حاول نوح عليه السلام أن يضم ابنه إلى المجموعة العقدية التي يدعو لها وينتمي إليها **﴿يا بُنَيَّ اركَب مَّعَنَا ولا تَكُن مَّعَ الكَافِرِين﴾** وبعد أن رفض ابنه ذلك سأل نوح عليه السلام ربَّه **﴿فقال رَبِّ إنَّ ابني منْ أهلي وإنَّ وعدَكَ الحَقُّ﴾** فصحح له المولى سبحانه وتعالى ثانيا مفهوم الأهلية وحقيقة الانتماء فقال تعالى: **﴿إنّه ليسَ مِنْ أَهْلِكَ إنَّهُ عَمَلٌ غير صالح﴾**. هود ٤٢ـ٤٦.

كما لم يكن من قبيل المصادفة أن يختار الله إبراهيم عليه السلام ابنا لصانع الأصنام، بل لا بد أن يختبره الله سبحانه وتعالى ليوضح له وللناس من خلاله لأيّ إطار ينتمي إبراهيم؟ ألأبيه وقومه أم لوطنه أم للمبادئ والقيم التي اختاره الله ليدعو لها؟ ويؤكد إبراهيم عليه السلام أن الانتماء للمبادئ والقيم، أي الانتماء العقدي، يعلو كُلَّ انتماء، فيعارض أباه وقومه ويحاول أن يغير انتماءهم، لكنه لا ينجح في ذلك فيضطر ــ بأمر ربه ـ أن يهاجر إلى مكان آخر؛ ليستطيع فيه أن يكوّن مجموعة ينتمي معها لهذه القيم والمبادئ التي أمره الله بتبليغها. ويصفه الله بعد هذه الهجرة بقوله: **﴿إن إبراهيم كان أمة﴾**، ويحدد الله أبعاد الأممية بوصفه لإبراهيم أنه كان **﴿قانتا لله﴾**.

مِن كُتّاب العدد



● د. زكريا سليمان بيومي

ـ من مواليد الباجور ـ المنوفية ١٩٤٥م.

ـ أستاذ بجامعة المنصورة بمصر ومعار لكلية التربية للبنات بجدة.

ـ دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر ١٩٧٨م كلية الآداب جامعة عين شمس.

من مؤلفاته:

ـ الإخوان المسلمون والجماعات الإسلامية في الحياة السياسية المصرية، الحزب الوطني ودوره في السياسة المصرية، مصر الحديثة بين الانتماء العقيدي والقومي، الاتجاه الإسلامي في ثورة مصر سنة ١٩١٩م، موقف مصر من ضم ابن سعود للحجاز، موقف مصر من المتغيرات في تركيا بين الحربين العالميتين ــ القاهرة ١٩٨٩م.

وكذلك السيد المسيح عليه السلام، يأبه لخاصته الذين لم يقبلوا دعوته **«جئت لخاصتي وخاصتي لم تقبلني»**، وجاهد حتى كوّن خاصة أو أهلية أخرى تؤمن به من الحواريين.

وأيضا لم يكن من قبيل المصادفة أن يكون عم النبي ﷺ أبو لهب وأبوجهل، من رؤوس أعداء دعوته، وكان من أول أوامر الله له **﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأقربين﴾** الشعراء ٢١٤. وحين اختبر بموقف عمه أبي طالب حين حاول إثناءه عن إصراره على تحدي قومه من قريش، وقف من عمه موقفا متطرفا ــ وهو المعروف بالتسامح ــ، وعصى عمه الذي رباه ــ وهو الذي دعا الناس لطاعة المربي ـ، فالقضية تحديد انتماء: هل ينتمي لقومه من قريش؟ أم لأرضه مكة؟ أم للقيم والمبادئ التي يدعو لها. أي المكوّنة للإطار العقدي؟ وحدّد ﷺ ـ بوضوح وحسم ـ انتصاره للإطار العقدي ورد على عمه قائلا: **«والله يا عم لو وَضَعُوا الشمسَ في يميني والقمرَ في يساري على أنْ أتركَ هذا الأمرَ ما تركته حتى يُظْهِرَهُ اللهُ أو أَهلِكَ دونه»**[١].

ولكن هل يعني إعلاءُ الإسلام لإطار الانتماء العقدي رفض بقية الأطر قومية كانت أم وطنية؟ فالقومية بمعنى تفضيل السلالة أو الجنس أو العصبية؛ إطار لا يقبله الإسلام، فقد أمر الرسول ﷺ أتباعه بالبعد عن العصبية لأنها منتنة. أما إن كانت في إطار ديني كالأقوام التي ظلت على هويتها الدينية فهذا يدخل في إطار تعامل الإسلام مع أهل الذمة، وتكون في علاقتها بالإطار العقدي الإسلامي علاقة جزء بكل.

أما عن الوطنية فهي لا تتعارض مع الإطار العقدي الإسلامي، فقد امتلأت تعاليم الإسلام بالحض على حب الوطن، واعتبر الإسلام من يموت دون وطنه شهيدا، كما اعتبر أن كل مسلم في موقعه في وطنه على ثغرة من ثغور الإسلام ينبغي الدفاع عنها، وقد أكد النبي ﷺ ذلك فيما قاله عن وطنه مكة عند الهجرة منها إلى المدينة المنورة، كما روى ذلك ابن إسحاق في السيرة «والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله ولولا أني أخرجت منكِ لما خرجت». وهناك روايات أخرى بهذا المعنى مع اختلاف يسير في اللفظ.

ولكن إذا ضُيّق على المسلم تحديد انتمائه العقدي، أو بمعنى آخر عدم تمكنه من مزاولة حرية العبادة في وطنه، فإن الإسلام يأمره بالهجرة إلى وطن آخر يمكنه فيه أن يجدد انتماءه، وهو ما تؤكده الآية الكريمة **﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرضُ اللهِ واسعةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾** النساء ٩٧. ويؤكد هذا أن إطار الانتماء الوطني هو جزء من إطار الانتماء الكلي والأعلى وهو الانتماء العقدي.

ومن هنا يمكن التأكيد على أن إطار الانتماء العقدي يعلو ويشمل بقية أطر الانتماء قومية كانت أو وطنية، ولا يخضع لأي من هذه الأطر مهما تغيرت الظروف والأحوال.

ويبدو واضحا كيف ارتقى الإسلام من خلال هذا الإطار بمفهوم الأهلية، فبدلا من أن تكون أهلية تقوم على التعصب للجنس بحق وبغير حق. جعلها أهلية في الحق ومن أجل نصرته، تلك الأهلية أو هذا الإطار الذي جمع بين بلال الحبشي وسلمان الفارسي وصهيب الرومي وأبي بكر القرشيّ. وتبدو في قول النبي ﷺ: **«انصر أخاك ظالما أو مظلومًا، فقال رجل: يا رسول الله أنصره إذا كان مظلومًا، أفرأيت إذا كان ظالماً كيف أنصره؟ قال: تحجزه أو تمنعه من الظلم، فإن ذلك نصره»**[٢].

ويبدو كذلك كيف ارتقى الإسلام من خلال الإطار العقدي بمفهوم الوطنية وحب الوطن، ولكنه الوطن الذي تسوده القيم وتسود فيه العقيدة، فيصبح الدفاع عنه فريضة والموت في سبيله شهادة.

من هنا ينبغي أن نوضح أن الدعوة للإطار القومي بكل ما يحيطه من عوامل ودراسات كان بالنسبة للشعوب الإسلامية إطارا مفروضا عليهم، ولم يكن نابعا من إرادتهم أو معبرا عن رأي أو رغبة القاعدة العامة منهم، ومن ثمَّ فإن الأصوات التي نادت به في النصف الأول من القرن التاسع عشر في بلاد الشام ومصر كانت في أغلبها غير إسلامية، من أمثال اليازجي والبستاني وفارس نمر وغيرهم، وكانت تعبر عن اتجاه المحافل الماسونية والإرساليات التبشيرية (نشر النصرانية) والأطماع الاستعمارية التي التقت مصالحها في هذه الفترة حول ضرورة تفتيت الإطار الإسلامي الموحد، وتولى تنفيذ هذه الأغراض حكام فرضتهم هذه الجهات فرضا على شعوب المنطقة من أمثال محمد علي باشا حاكم مصر. ولهذا فإن ظهور الإطار القومي منذ بدايته يعد عامل ضعف وليس عامل قوة بين الشعوب الإسلامية، وهو أمر يوضحه مساندة الحكام له دون المحكومين حتى تاريخنا المعاصر.

وقد يجد البعض في رواج هذا الإطار دليل قوة تتمثل في أثره في إحياء الشعور القومي إبان فترة مقاومة الاستعمار، وحتى مرحلة الاستقلال في أعقاب الحرب العالمية الثانية. إن هذا الرأي يتسم في أغلبه بقصر النظر، ذلك أن الاستعمار لم يتمكن من التسرب إلى هذه الأمة واحتلال أجزائها إلا بعد أن روّج لهذا الإطار، فشغل كل جزء في العالم الإسلامي بقضاياه المحلية بدلا من المقاومة الموحدة، التي لم يكن الاستعمار ليستطيع الصمود أمامها مهما كان الفارق الحضاري كبيرا، وهو أمر يجسده اهتزاز الغرب لفكرة الجامعة الإسلامية وتجنيد كل قواه لمقاومتها، مشتركا في ذلك مع اليهود، ثم السير بعد ذلك في طريق تشويهها حتى لا تصبح نموذجا يحتذى في مسيرة الشعوب الإسلامية.

ومن هنا يخطئ كثيرا من يحاول أن يسخر إطار الانتماء العقدي لغيره من الأطر الوطنية أو القومية في الشعوب الإسلامية، ولا يجني هؤلاء ـ مفكرين كانوا أو حكامًا ـ من وراء محاولاتهم سوى سخرية هذه الشعوب، وعليهم أن يدركوا الفارق بين تصفيق الشعوب المقهورة وتأييدها واحترامها، وبخاصة إذا كان هؤلاء المفكرون من أصحاب منظور مخالف أو معادٍ للمنظور الإسلامي، وإذا كان هؤلاء الحكام ممن ساقتهم الأقدار للسطو على كرسيّ الحكم والتحكم.

الهامش

(١) أخرجه ابن إسحاق، ١/ ١٧٠، ومن طريقة ابن جرير ٢/ ٦٧. وقد أخرج هذه القصة مختصرًا الطبراني في الأوسط والكبير من حديث عقيل بن أبي طالب، قال الهيثمي في المجمع ٦/ ١٥: رواه أبو يعلى باختصار يسير من أوله ورجال أبي يعلى رجال الصحيح.

(٢) صحيح البخاري، ج٨، ص ٩٥، المكتبة الإسلامية ا إستنبول، تركيا.

صداع العقول

هل الممدوح مشكور؟



أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري

استفتح الزمخشري تفسيره فقال : « الحمد لله الذي أنزل القرآن كلاما مؤلفاً منظماً ، ونزلـه بحسب المصالح منجماً ، وجعله بالتحميد مفتتحاً ، وبالاستعاذة مختتماً . وأوحـاه على قسمين متشابهاً ومحكما . وفصله سوراً، وسوره آيات ، وميز بينهن بفصول وغايات . . إلخ »

قال أبو عبد الرحمن : وبيَّن السيد الشريف علي بن محمد الجرجاني في حاشيته على الكشاف وجه الحمد على الأمور المذكورة في استفتاح الزمخشري ، فقال : « دل بلامي الجنس والملك - يعني اللامين في قوله : الحمد لله - على اختصاص الحمد به تعالى ، ثم وصفه بإنزال القرآن وتنزيله وما أردفهما به رعاية لبراعة الاستهلال ، وتنبيها على أنه نعمة جزيلة تستحق أن يحمد عليها .

وذكر للقرآن أوصافاً كمالية تناسب إعجازه الذي سيصرح به ، ويشد من إعضاد كونه نعمة محموداً عليها » .

قال أبو عبد الرحمن : وتعقبه ابن الخطيب في حاشيته على حاشية الجرجاني ، ولم تطبع بعد ، ومنها نسخة بمكتبة عارف حكمت بطيبة الطيبة برقم ٢٠٦ .

قال ابن الخطيب في تعقبه : « إن قلت : ذِكْرُ تلك الأوصاف لا يدل على كونها نعمة . . فضلاً عن كونها نعمة جزيلة ، إذ مجرد الذكر لا يقتضي إلا كونها محموداً بها ، وهو لا يدل على كونها نعمة ، ، إذ المحمود به ربما يكون من الفضائل دون الفواضل .

ولو سلم دلالته على كونها نعمة جزيلة فلا نسلم دلالته على استحقاق أن يحمد عليها ، لأن كون الوصف محموداً به لا يقتضي كونه محموداً عليه ، فإنه ربما يحمد بأوصاف غير اختيارية مع أنها لا يستحق بأن يحمد عليها .

فلا تنبيه بذكر الأوصاف المذكورة على ذلك الاستحقاق .

وإن فرض دلالته على كونها نعمة جزيلة قلنا : هذا مبني على المتبادر من تعليق الحمد بالوصف المجرىٰ على الله تعالى في مقام الشك على نعمه الجسام ، فإن الظاهر هناك أن يكون ذلك الوصف نعمة جزيلة يشكر عليها بالحمد عليها وإن كان ذلك الوصف محموداً به . . اللهم إلا أن يمنع مانع ككون الوصف غير إنعام مثلاً » ١هـ .

قال أبو عبد الرحمن : الحواشي ، وحواشي الحواشي تحرص على حل العبارات ، والدفاع عنها ، أو الإيراد عليها .

وقد ذكرت في مناسبات عديدة أهمية كتب الحواشي ، وأنها تحفل بنوادرعلمية في غير الفن الذي ألف فيه المتن الذي كتبت عليه الحواشي .

ونفـائس الحـواشي العلمية تأتـي على منهج فكري يميـز الفـروق الدقيقة ، ويلغي الفروق غير المؤثرة .

وأحياناً يفرقون بالعبارة ، وأحيانا يفرقون بالفكرة .

والمحشي ابن الخطيب ها هنـا فرق بالعبـارة بين معنيي الحمد ، وهما المدح والشكر .

فعبـر عن صفات المـدح بالفضـائل ، وعبـر عن صفات الشكـر بالفواضل .

قال أبو عبد الـرحمن : ولم يوفق في التفريق ، لأن العبارتين جمع لفاضلة وفضيلة ، وهما بمعنى واحد يعني صفات المدح .

والتفـريق التعبيـري الصحيح يكـــون بصفـات الفضيلـة وصفـات الإفضال .

فالفضيلة ممدوحة ، والإفضال مشكور .

قال أبو عبد الرحمن : ومقدمـة كتابي « الحباء من العيبة » ـ وهي خطبتا جمعة ـ تفريق بين المدح والشكر لغة وشرعا .

والحمد لغة يدل على معنيين معا هما المدح والشكر .

وابن الخطيب هـا هنـا غلط على السيـد الشـريف الجـرجـاني - فالجرجاني لم يدع أن أوصاف القرآن نعمة ، ولم يقل إنها نعمة . وإنما ذكر أن القرآن نعمة .

وقال : « . . إنه نعمة » - بضميـر المفرد - . ولا يشك أحد في أن دين الله نعمة ، ورسله نعمة ، وكتبه نعمة .

ونحن نحمد الله على نعمة الاسلام .

قال أبو عبد الرحمن : ولو قيل عن أوصاف القرآن بأنها نعمة لم يرد ما أورده ابن الخطيب ، لأن القرآن إذا كان نعمة فتسهيله ، وحسنه نعمة أيضا

وشيء أقولـه هـا هنـا عن صفـــات الخـالق سبحـانـه وصفـات المخلوق .

فصفات المدح في المخلوق تكـون ادعاء ، ويكون المخلوق فيها غير أوحد .

وإذا وردت في مثل صيغة « فعيل » سميت صيغة مبالغة .

وصفـات الله سبحـانه لا تكـون إلا على الحقيقـة ، ويكون ربنـا ببلـوغهـا متفرداً . ولهـذا دعـوت في كثيـر من المناسبـات إلى تسميـة صفـات صيغ المبـالغة بصيغ بلـــوغ الغـايـة إذا تعلقت الصفة بـالـرب سبحانه .

والعبد المخلوق قد يمدح بالصفة الحسنة ولا يشكر عليها .

أما ربنا سبحانه فكل صفة يمـدح بها فهو مشكور عليها ، لأن الله سبحانه رب ، والكون كله مقتضى ربوبيته . . فكأن الربَّ وحده لأن له الكمال المطلق .

فالـرب مشكور على خلقه ، لأنـه ممدوح بأنه الخـالق ، فهو إذن مشكور بأنه الخالق .

وفي كتابي « لن تلحد » برهنت على صحة البرهان الأونطولوجي ، ولحمة ذلك البـرهان دلالة العظمـة على الأعظم ، ودلالة لطف الخلق على اللطيف .

فالعرش العظيم المخلوق دليل على الخالق الأعظم سبحانه .

والنملـة اللطيفـة دلالـة على الخالـق اللطيف . ولا نقـول «الألطف» إلا بمعنى كثير اللطـف دقيقــه ، وذلـك لطـرد التـــلازم بين أسماء الله وصفاته كطرد التـلازم بين عظيم ولطيف طرداً يليق بحق الله في الكمال والتنزيه .

فكل خلق الله مقتضى صفات اللـه ، وكل خلقه رحمة وحكمة ، فهو ممدوح بصفاته مشكور عليها في آن واحد .

نمدحه ونشكـره مثلا على صفة السمع والبصر لأنَّ الـذرة التافهة في كونها الرحيب لا تغيب عن سمع الله وبصره .

قـال أبو عبـد الرحمن : وبهذا يبين بطلان الإطـلاق في قـول ابـن الخطيب : « لأن كـون الوصف محمـــوداً به لا يقتضي كـونه محمـوداً عليه » .

قال أبو عبد الرحمن : إن لصفات المدح الحسنى المتعلقة بالله سبحانه خصوص مزية ، فهو يشكر عليها كما يمدح بها .

همسات في آذان الوطن

شعر: أبي أحمد الناصري

أَيَا مَنْ ذِكْركمْ أَلَقُ اشتياقي ... ويا من هَمْسُكُمْ حادِي نياقِي
تلاحقُني محبتكُمْ بِدربي ... فأَهربُ خلف أوهام الفراقِ
وأغفو والعتابُ على شفاهي ... وأَصْحوْ والتشكّيْ في رياقِي
ألومُ النفسَ كي تنسىٰ هواكمْ ... وأخفي بينَ ضلعيَّ اشتياقِي
فتزعمُ مقلتي أَلَّا تراكمْ ... وتفضحُ دمعتي كذب المآقِي
وكمْ من مرةٍ يغزو جراحي ... سكونٌ . . خلْتُهَا تبغيْ وفاقِي
ولمْ أعلمْ سكينتها هيامًا ... ونجواهَا تسيلُ بما أُلاقِي
سيعلمُ معشرُ الأَحبابِ يومًا ... بأَنَّا بسمَةٌ بفمِ التلاقِي
ويعلمُ ليلهمْ أنَّا شموعٌ ... نذيبُ الروحَ في جسدٍ يشاقِي
وأنَّا صرخةُ العشاق حيرىٰ ... وأنا رعْشةُ الدمع المراقِ
ألا يا أيها الأَحْبابُ عشتم ... وعاشتْ مَنْ تتوقُ إلى فراقِي
تعلّلنا محبتُكم فَنَشْقَى ... ونرحلُ عنكُمُ والحبُّ باقِي
فكم ذكرى تؤرقني ليالي ... وكمْ طيفٍ يسارعُ في لحاقِي
فما ذكراكمُ إلاَّ طعامي ... وما أطيافكُمْ إلاَّ مذاقِي
عراقٌ لا هوى غَيرَ العراقِ ... وليلي فيه يزهو باشتياقِي
وحُزني فيه أغصانٌ تَدَلتْ ... تزق الحبَّ في شفةِ السواقِي
فيا عِشقَ العراقِ وقدْ سَقَتْني ... كؤوسُ الغرِّ في عشقِ العراقِ
لي الشطآنُ والأنسام حرزٌ (١) ... ودجلةُ عذبُها يُطفي احتراقِي
وروحي أنْ أُسيلتْ في زمانٍ ... فراتٌ هواها إذْ تشاقي
تعاتبني ذوائبه بخفقٍ ... فيمتزجُ اعتذاري باختناقي
تسائلني وقد سَلبتْ كياني ... أهجرٌ في عيونكَ أمْ تلاقِي
لعمري قلتُ ما أخفيتُ وصْليْ ... وحسبيْ حبكمْ دمعي وماقي (٢)
وَليْ شمسُ الأصيلِ إذا تغافتْ ... أُلَمْلِمُ من ظفائرها ائتلاقِي
ولي صحبٌ يبارون المنايا ... وهمْ لهوى المحبةِ خيرُ ساقِ
فعاشقهم تَبَاهَى العشقُ فيه ... وآخرهمْ تفاخرَ باللحَاقِ
وأصغرهمْ تغازلَ والمعالي ... مغازلةً على قدم وساقِ
وشيخهم لصرختهِ استفاقت ... عيونُ الموتِ تقطرُ بالذعاقِ
هُمُ الفجرُ المرجّى إنْ غزتني ... شجونُ الليلِ تأخذ في خناقي

---

(١) حرز ـ تعويذة.
(٢) ماق ـ الفتحة التي يخرج منها الدمع.

الصور الذاكرية

كيف ولماذا تتشوه ؟

د. عناية مصطفى نجم



الذاكرة تملأ ثغراتها من وحي الخيال

تعد الذاكرة من أهم الخصائص البشرية ، إذ لولاها لا نستطيع الإتيان بجل مناشط الحياة وفعاليتهـا . من عطائها يسير الإنسـان مصلحًا من شأنه وشأن محيطـه على المستويين المادي والإنساني . ويرتبط بالـذاكرة عضويًا عملية التذكـر التي تعني العمل الإداري الذي يقوم به الإنسان لاستعـادة الصور والحقـائق الماضية التي حصل عليهـا بالتعلم واستمـرارية الحفظ لطـارىء حياتي يتخـذ صفـة الموقف ، وذلك بتيسير السبل وتـذليل الصعـاب وتوظيف مـا تعلمناه وتدربنا عليه .

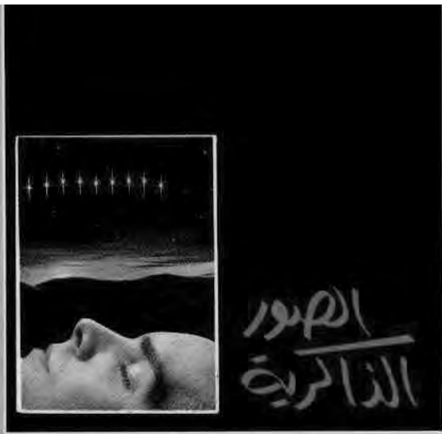
فما تحويه الـذاكرة هـو محصلة مـا قمنا بـه من تعلم طوال حياتنا واختزناه من تجارب على مر الأيام والسنين . ولو تصورنا أننـا نفتقر نحن بني الإنسان لهذه الميزة لما وجد ثمة مبرر للتعليم أو جدوى منه . فقيمة ما نتعلمـه مرهون بقوة ذاكرتنـا وما تستطيعه طاقتنا من الاحتفاظ بـه واستخدامه عند الضرورة ، وما أكثر ضرورات الإنسان .

ذاكـرتنا هي الـوعـاء لكل خبراتنا ، وبفضلهـا يبقى الإنسان على إنسانيته وتعفيه من مكابدة تعلم مـا استحصل عليــه بـالأمس أو أن يعيــد مسـاء المهارات التي تعلَّمها صباحًا . فالنسيان هو رديف التخبط والفوضى . لكن الوقوف على ماهية الذاكرة وما تنطـوي عليه من مـدلولات تعتبر مقدمـة لابد منهـا لفهم التعلم والتعليـم واكتسـاب التجـارب وكيفية التعامل مع الموضوعات التي تختزنها ذاكرتنا والمحافظة عليها وتنمية قـدراتنا على استعادتها نقية صافيـة وتلافي سقـوطه في لجة النسيـان أو تشويـه معـالمه ومحدداته الموضـوعيـة . ذلك أن ما نشيـده ونعمره من أتفه الأشياء إلى أعظمها تمتح جذوره مما نستحضره بالذاكرة والتذكر .

طـرق التذكـر

وثمة وسائل متعددة للحصول على المعلومات والتجارب ، أما ما يسمى **بالتعليم وطرق استحضار ما تعلمناه بواسطـة آلية التذكر** ، ومن أهم الطـرق التّذكرية :

(أ) الاسترجاع الذهني للصور : وهذه العملية التّذكريـة يرجع إليها كل الناس وخصـوصًا صغار السن وطلبة المدارس . وأكثر ما يستعين بها الطلاب



لتأدية الاختبارات المدرسية. وفي إحدى المرات وقّع الأستاذ على ورقة اختبار لأحد الطلبة وقد كتب حرفيًا نصوصًا طويلة من مادة الكتاب، فأيقن الأستاذ أن الطالب لابد أنه قد استعان بالكتاب أثناء الاختبار، لكن الأستاذ فوجىء عند مراجعة هذا الطالب أنه يحفظ صفحات كثيرة عن ظهر قلب بواسطة ما اختزنه في ذاكرته من صور ذهنية لمادة الكتاب. وكثير من الناس قادرون بواسطة الاستعانة بالصور الذهنية على تذكر حوادث وأشياء مرت في حياتهم، وهذا ما يستعين به رجال الشرطة والقضاء عن طريق استدعاء الشهود في الأعمال الجنائية، وهو ما تناولته الدراسات النفسية فيما يعرف بسيكولوجية الشهود التي قام بدراستها بيينيه ودي **باستيل** وعلماء نفس الشكل **كوفكاوولف**.

على أن هذه المقدرة الاسترجاعية للصور الذهنية تكثر بين الصغار وتقل كلما تقدم السن بالإنسان. ففي حادث سيارة مثلاً تبين من خلال الدراسات العلمية على هذا النوع من التذكر والتي بدأت في **ألمانيا**عام ١٩١٠م أن الأطفال يستطيعون سرد كل الصور التي تخللت هذه الحادثة وبدقة متناهية، ولا يقتصر الأمر على حادث مر منذ أيام، ولكن الأطفال يحتفظون بصور لحوادث موغلة في البعد الزمني ويستحضرون وقائعها كما لو مرت عليهم منذ ساعات. لكن هذه الميزة التي يتمتع بها الطفل يفتقر لها من تعدوا سن البلوغ ودخلوا طور الرجولة، فتتناقص قيمة هذا النوع من التذكر عندهم، ويصبحون عاجزين عن ملاحقة جزئياتها ودقائقها.

(ب) التذكر بالاقتران: وهنالك طريقة أخرى نستطيع من خلالها استرجاع ما اختزناه بواسطة التذكر **بتكوين الارتباطات**. فالأشياء التي تربطها سمات أو وحدات مشتركة تتألف فيما بينها على شكل سلاسل أو مجموعات متقاربة. وعندما نحاول استحضار شيء ما من ذاكرتنا أو نتعلمها من واقع الحياة ورغبتنا للاحتفاظ بها لداع ما، فإننا نقوم باستحضار ما يشبهها في ذاكرتنا أو يتلاقى معها في سمات معينة تمهيدًا لربطها معها والتآلف فيما بينها.

وهنالك العديد من الأشياء التي يشابه بعضها بعضًا في واقع حياة الإنسان، فلفظ المدرسة يستدعي عادة عند التلفظ به الكتاب والقلم والسبورة والطباشير والأستاذ، وتذكر أيضًا الأصحاب والأقران ممن تعلموا معنا أو كانوا أكبر أو أصغر منا سنًّا، كل ما ذكرناه يترابط على شكل مجموعات في الذاكرة، التلفظ أو حتى التفكير بإحداها يستدعي توارد الكثير من عناصر هذه المجموعة التذكرية. وهناك أمثلة يوردها علماء النفس للتدليل على قوة هذا النوع من التذكر وأهميته في حياة الإنسان وآلية عمله وتناسقه في الذاكرة.

فمن البساطة بمكان أن يتذكر طلاب إحدى المدارس اسم مديرهم وما يرتبط بهذا الاسم من عشرات الصور الأخرى المخزونة في ذاكرتهم، وهذا ما لا يمكن تذكره مثلاً مع مدير المدرسة المجاورة، فمجموع الاقترانات الصورية الذهنية لمدير المدرسة الأولى أكثر اتساعًا وأشد رسوخًا في الذاكرة من الاقترانات التي يمكن أن توجد عند ذكر مدير المدرسة المجاورة، علاوة على قوة صور الاقترانات الأولى ووضوح معالمها واضطراب الصور الأخيرة وتشوشها، بل وقلة عددها بفعل عامل الزمن وإقصاء الذاكرة للصور التي لا تعنيها أو تفيدها. وثمة طرق لتقوية هذا الجانب من أنواع التذكر وترسيخ قوة اقترانه بالحفظ المتأني وتكرار المعاودة لاختبار مدى سلامة هذه الاقترانات وزيادة عددها، عن طريق التعلُّم والابتعاد عن مصادر الفساد والتشويه، رغم الجهود التي قد يبذلها الإنسان في سبيل جعل اقترانات ذاكرته في أوضح صورة وأصفاها، فالنتيجة سهولة استردادها فيما بعد وتوظيفها في الوقت المناسب.

مشكلات الذاكرة

تواجه ذاكرة الإنسان عدة مشكلات من شأنها طمس بعض صورها أو تشويه بعضها الآخر وفقد نقاء الصور وتحريفها. ومن هذه المشكلات.

١ ـ الحوادث: من المسلم به أن ذكرياتنا تفتقر مع مرور الوقت حتى تبدو لنا في النهاية ظلاً شاحبًا لما ألفنا صورته سابقًا. وهناك من وصل به التشاؤم إلى حد التشكيك بمصداقية ذاكرتنا وجدواها في حياة الإنسان العملية من علماء النفس والفلاسفة، ووصفها بالخداع كوننا لا نذكر الأشياء التي مررنا بها منذ أيام، وبعضها قد يكون منذ ساعات بكل تفصيلاتها ودقائقها. ولا يقتصر الأمر على ذلك، وهذا ما زاد من حدة هذه النغمة التشاؤمية، ولكننا ننسى بعض أسعد ساعات



حياتنا وأكثرها قربًا إلى نفوسنا، ولعلنا نعذر هؤلاء لأن واقع حياة الإنسان لا ينفي هذه الحقيقة، ولا بد أن الكثيرين دُهشوا للفارق بين الصورة التي كان يحتفظ بها في نفسه عن مكان ألفه لفترة من الوقت وبعد رؤيته له ثانية، فما كان حقيقة بالأمس يثير فينا ذكريات بيت الطفولة بجدرانه وأبوابه ومخابئه وحديقته يتلاشى بعد وقوفنا أمامه عن كثب.

كم تشوه ذاكرتنا من صور حياتنا التي اكتسبناها على مر السنين وتحيلها إلى خيال يصدّق حقيقته كل الناس بل ويعايشونه بحلوه ومره.

٢ ـ تحريف ما اكتسبناه: يأتي هذا التحريف الذي تتعرض له الذاكرة من فشل الإنسان من التدقيق بحوادث الحياة والوقوف على كل كبيرة

وصغيرة تمس مثل هـذه الحوادث، مما يترتب عليـه اضطـراب في الـذكريـات وعـدم تثبت من دقتهـا الـواقعية، وهنـاك تحريف ينشأ من طـريقة تنـاول حـوادث الحيـاة بغيـة الاحتفـاظ بها في الـذاكـرة واستحضارها.

فكلنا يعرف أن عامل الوقت له تأثير كبير على ذاكرتنا وما تنطوي عليه من إمحاء وتشويه، فالعلاقة عكسية بين عـامل الزمن من جهة والذكـريات من جهة أخـرى، فطول عهدنـا بحادث مـا ينتج عنه نقص في عدد الصور التي حصلنـا عليها بمعايشة هـذا الحادث، على أن المتبقي من الصـور لا يسلم هو الآخر من الاضطراب والتشويه.

وفي مثل هـذه الحالة يتدخـل الإنسان بجـانبه الفكـري ليساعـد على استحضـار الصـور كاملـة وبنقاء معين عن طـريق ملء الفراغ وسـد الثغرات بما يتناسـب وطبيعة الحادثة أو سيـاقها، ومـن هنا تبرز السقطات والأغلاط بتدخلنـا الفكري وإعادة التشكيل للناقص والمشوه.

فـاستحضار الـذكريـات التي بعد العهـد بها مرهـون إتمامه بتشكيل جديـد، فقسمه الأكبر يأتي من تـدخلنـا الـواعي والمقصـود لإخـراجـه كـامل التنسيق والتكامل المنطقي، وفي هـذا يقول **بروست** بصـدد بحثه لمشكلـة إدلاء الشهـود لأقوالهم أمـام القضـاء والمحققين فيقـول: **«في الذاكـرة ثغرات يردمها الشاهد عن طريق الاختراع»** [1].

٣ ـ الانفعالات: درس **فرويد** دور الانفعالات في حياة الإنسان وتأثيرها على الذاكرة بوجه خاص، وتأكد له أن **تذكّرنا لـلأشياء يسير في الطريق التي تسير فيهـا مصـالحنا ورغبـاتنـا الشخصيـة**، وأن الإنسان يميل بشكل فطري إلى تناسي ما اختزنه من حوادث، تـذكره لها يـؤذيه ويسبب لـه الآلام مبقيًا على المسار والمحبب من الذكريات إلى نفسه، والتي تلتقي أخيرًا مع ميوله الشخصيـة. وكم هنالك من أناس لكثرة ترديدهم لأشياء محببة إلى نفوسهم تبدو حقيقة ثـابتة يؤمنـون بوجودهـا على أرض الواقع، رغم أنها لا تمت إليـه بأية صلـة كالمزوقين ومـروجي الإشاعات التي يكونون هـم أول ضحايا تصديقها والإيمان بها، لأن عمليات الإيحاء التي يمارسها هذا الصنف من النـاس على الآخـرين تـرتـد لتصيبهم فيختلط لديهم الواقع بالخيال والصحيح بالمعتل.

إيجابيات الذاكرة وسلبياتها

هل نستطيع الاعتماد على ما تقـدمه لنا ذاكـرتنا بعد ما رأينا كل هذه التشويهات التي تصيب القسم الأكبر مما تحويه من ذكـريات وتخفي القسم المتبقي بشكل يدفع الإنسان أحيانًا إلى أن يتشكك بجدوى هذه الملكة التي يحملها في رأسه؟

الحقيقـة أن هـذا النسيـان أو الاضطرابـات الـذاكريـة يمكن لنـا تعميمه على كل النـاس دون تردد. **فـذاكرتنـا ليست سلبية، هـذا قول أكيـد ومحقق، لكنهـا في الـوقت نفسـه ليست أمينـة كل الأمانة**. ففي الـوقت الذي تخوننـا فيه ذاكـرتنا وقـد

○ تذكرنا للأشياء يسير في الطريق التي تسير فيها مصالحنا ورغباتنا

يكـون في أحـرج الأوقـات فإنها لابـد مسعفتنـا في أوقـات أخـرى ربما تكـون أكثـر حـرجـا، فتغطي إيجابيـاتها بخـدمـاتها على سلبيـاتها بـالنسيـان والتشويه. ولن نتردد في رفـض مقولة **بول لوفيتر** أو على الأقل التعامل معها بكثير من التحفظ والحذر عندما قال: **«إننا نتصور أننا مطلعون على ما كانت عليه وجهات نظرنا ومشاعرنا وأعمالنا ولكن الحقيقة هي أننا نخترع بـدون أدنى شك»** [2]. **فبورست** أكد وجـود ثغرات يعمل الإنسـان على طمسها بـالحيل الفكرية والعقلية كافة عن طريق عملية إعادة البناء والترميم، لكن بـول لوفيتر يبـدو أنه قـد استبد بـه التشاؤم إلى حد نفيه لأي تذكّر كان، وما نسخه من ذكـريـات إن هي إلا مجرد اختراع فـالتنـاقض بـاد بجـلاء، ويبـدو أنها كلمة نـزقـة خـرجت من قلم صاحبها في ساعة حرجة خدعته فيها الذاكرة بشيء عزيز إلى قلبه.

ونعود للإجابة عن سؤالنا بشكل أكثر مباشرة. فما نختزنـه في ذاكرتنا يصبح أقل وضوحـا مع مرور الزمن، فالدراسات التي قام بها علماء النفس الألمان على الذاكرة والأنواع المختلفة مـن الصور التذكرية تبيّن لـديهم وبشكل لا يقبـل الفحص أن **أغلب الناس يخفقون في إعطـاء وصف موضوعي دقيق لما سبق لهم أن شـاهـدوه أو حتـى عـايشـوه لفترة من الـوقت. والمفـارقـة في الأمـر أن مثل هـؤلاء النـاس يكـونـون متأكـديـن من صحـة معلـومـاتهم وغير مستعـدين للتشكيك في صحتهـا أو إعـادة النظـر فيها، كـون اعتقادهم بما تـذكروه يصـل لديهم إلى درجة اليقين**، وهل يشـك في اليقين؟ فمن هنـا استهجانهم بـل وعدم ترددهم في رفـض أي عرض للتفكير ثانية بصحة ذكرياتهم.

وفي الأبحاث اللاحقة التي قـام بها العديد من العلماء ومن بلدان متعددة تـوصلوا في دراساتهم إلى النتـائج نفسهـا التي تـوصل إليهـا علماء النفس الألمان، وقد اجتهد عـدد من العلماء لتقديم تفسير مُقنع لهذا التشـويـه الـذي تصاب بـه الصـور الذاكـرية، والتقى العـديد من الآراء على أن سبب **هذه التشويهات يعـود إلى تغيرات تحدث في الدماغ في الوقت الفاصل بين المشاهدة والوصف**. لكنهم أخفقوا في تفسير طبيعة هـذه التغيّرات وآلية عملها ولماذا تعطـب **البعض وتشـوهـه بينما تترك البعض الآخر سليمًا نقيًا**.

وإن اتفق العلماء على حدوث تغيّرات ما فإنهم اختلفوا حـول وقت هذه التغيرات، فهنـالك وجهة النظر التي قدمنا، ووجهة نظر أخرى تؤكد أن هذه التغيرات تتـزامن إمـا مع وقـت المشـاهـدة أو عنـد الوصف لا في أي وقـت آخر، على أن العلماء لـن يستفيـدوا من تعيين وقت حـدوث التغيّرات الـدمـاغية إذا كـانـوا يجهلـون أصلا طبيعـة هـذه التبدلات وكنهها. لكن العلم من أهم مميّزاته عدم وقوفـه طويلاً عند إخفـاقاته، بل يسير قـدمًا لعل اللاحق يفسر السابق ويوضحه.

الهوامش

(١) الذاكرة: جان كلود فيو ترجمة جورج يونس، ص ٦٧.

(٢) المصدر نفسه ص ٦٥.



صانع المجوهرات يطلق العنان لمواهبه ليقدم أجمل الحلي وأرقاها من هذا الذهب

الذهب

إلهام الصالحي

لقد عرف الإنسان الذهب منذ قديم الزمان، واكتسب عند الأفراد والمجتمعات أهمية خاصة بسبب جمال بريقه، ونعومة ملمسه، إضافة إلى ندرته وتحمل المشاق لطلبه واستخراجه. ويتميز الذهب على بقية أنواع المعادن، لأنه يحمل أوصافًا مثيرة، فهو يتصف بمقاومته للصدأ والتلف ويحتفظ ببريقه حتى لو وضع في ماء البحر مئات السنين. وأكثر من هذا، فإنه يقاوم درجات الحرارة العالية، وفي الوقت نفسه يتصف بالمطاوعة للتمدد، وبصورة لا يتصورها العقل. فنحن نستطيع أن نسحب غرامًا واحدًا منه لمسافة طويلة حتى يصبح خيطًا رفيعًا طوله ثلاثة كيلو مترات، أو ورقة رقيقة مساحتها مترٌ مربعٌ.

وقد ذكر الذهب في سبع آيات من آيات الكتاب العزيز، التي أكد بعضها أن الذهب هو من حلي أصحاب الجنة كثواب للذين آمنوا وعملوا الصالحات، كقوله تعالى: ﴿أولئك لهم جنات عدن تجري من تحتها الأنهار، يحلون فيها من أساور من ذهب . . .﴾ (آية ٣١، سورة الكهف). إلا أن الخالق عزّ وجلّ قد حذرنا في الوقت نفسه من عواقب الاندفاع في جمعه واللهاث وراء حب القناطير المقنطرة من الذهب: ﴿والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم﴾ (آية ٣٤، سورة التوبة).

ولعل تعدد الخواص الطبيعية للذهب جعلت منه المادة المناسبة لأي صائغ مجوهرات حتى يستطيع أن يطلق مواهبه ليقدم لزبائنه أجمل الحلي وأرقها. كما أن جاذبية هذا المعدن البراق وندرته جعلت منه سلعة موثوقة من قبل الجميع وفي كل العصور والبلدان.

استخدامات متعددة

الذهب قبل كل شيء هو من مظاهر الزينة والجمال، وظاهرة استخدامه في صنع المشغولات ظاهرة قديمة عرفتها كل الحضارات في الماضي والحاضر، وقد لبس الإنسان الحلي الذهبية منذ عصور بعيدة، واستخدمه في مجالات عديدة من مجالات التزيين. كما شاع استخدامه فيما بعد في التعامل التجاري ثم التعامل النقدي.

وقد عرف المسلمون الذهب منذ زمن بعيد واكتشفوا مزاياه وخواصه، واستخدموه في أغراض متعددة شملت حتى الصناعات الصيدلية والطبية. ، وسخروه لعملتهم وبناء حضارتهم المزدهرة.

وفضلاً عن وظيفته الأساسية كمادة للتزيين، ازدادت الاستخدامات الصناعية للذهب في عصرنا الحاضر، وصار يظهر في مجالات شتى، وسمحت

خواصه المتميزة بأن يستخدم بشكل واسع كمادة أولية صناعية. ومن بين حوالي (١٢٠٠) طن من هذا المعدن النفيس يوضع سنويًا للتداول من قبل البلدان المنتجة، يتحول فقط ٣٥٠ طنًا إلى سبائك ومسكوكات وطنية وميداليات وما شابه ذلك؛ بينما يستهلك أصحاب المشاغل الذهبية في العالم نصف الكمية المنتجة، أي (٦٠٠) طن. أما الباقي البالغ نحو (٢٥٠) طنًا، فإنه يستخدم لأغراض مختلفة أخرى.



تشكيل هندسي رائع أبدعته يد عربية

○ جاذبية الذهب وندرته جعلت منه سلعة موثوقة من قِبَل الجميع

فعلى سبيل المثال، يستخدم الذهب في صناعة الصيدلة، حيث يخلط، على شكل كميات صغيرة جدًا، مع بعض الأدوية المخصصة لعلاج التهاب المفاصل الروماتزمي أو الأورام الخبيثة. ويستهلك طب الأسنان من جانبه كميات أكثر أهمية: حيث تبلغ أكثر من ٥٠ طنًا.

ويتصاعد سنويًا استهلاك الذهب في مجال الصناعات الدقيقة المتطورة، كالحاسبات الألكترونية، والصناعات الفضائية، خاصة وأنه لم يتوفر إلى الآن أي بديل لهذا المعدن له نفس الخواص النوعية للذهب، كالمقاومة العالية للصدأ، والمرونة، والمزايا الحرارية والكهربائية المفضلة في مثل هذه الصناعات. وهذا ما يفسر لنا استهلاك اليابان لنحو (١٢٠) طنًا سنويًا من مجموع (٢٠٠) طن تستوردها تلك البلاد كل سنة من هذا المعدن.

أصناف الذهب

الذهب بحالته النقية له طراوة واضحة ويتلوى بسهولة، فهو رخو جدًا «بحيث يتعذر استعماله إلا بعد سبكه مع معادن أخرى ليصبح متينًا».

ويعبر عن نقائه بعدد القراريط، فعيار الذهب النقي ٢٤ قيراطًا، ولكن أعلى درجة يمكن معها استعماله ٢٢ قيراطًا فقط، بمعنى أن خاتمًا عياره (١٨) قيراطًا يحتوي على (١٨) قيراطًا أو (٧٥٠) جزءًا في الألف) من الذهب النقي مع أربعة قراريط (أو ٢٥٠ في الألف من معدن آخر كالفضة والنحاس. فالقراريط هنا معيار للنوع وليس للكمية.

ولكن انتبه! إن الأنظمة ليست كلها متشابهة، بل إنها تختلف من بلد لآخر. ففي بعض الدول الصناعية، كفرنسا مثلاً، تتشدد الأنظمة في هذا المجال، ولابد لصائغي المجوهرات أن يستخدموا معيارًا لا يقل عن (١٨) قيراطًا. بينما أغلب الدول الصناعية الأخرى أقل تشددًا: إن أقل معيار هو (١٤) قيراطًا في سويسرا والدانمارك والنرويج، و (٩) في إنجلترا، و (٨) في كل من ألمانيا وإيطاليا. ولذلك، فإنه ليس من المصادفة أن يكون بعض الذهب المشغول أرخص من غيره.

وفي أغلب البلدان العربية نجد أن الأنظمة متشددة، فمثلاً حددت الأنظمة المتعلقة بالمعادن الثمينة والأحجار الكريمة في المملكة العربية السعودية الحد الأدنى للعيارات النظامية للمشغولات الذهبية بـ (١٨) قيراطًا، أو (٧٥٠) جزءًا في الألف من الذهب النقي.

وإذا أردت أن تعرف ماذا وراء هذا التنوع من ألوان مشغولات الذهب التي بحوزتك أو التي تشاهدها، فيكفي أن تعرف إن تغير اللون هذا يعود لتنوع كمية ونوع المعادن المستخدمة في سبكها مع الذهب النقي.

فإذا كانت المشغولات تميل إلى اللون الوردي، فهذا يعني أن السبيكة المستخدمة في صنعها تحتوي على: (٧٥٠) جزءًا ذهب نقي، (٦٠) جزءًا فضة نقية، (١٩٠) جزءًا نحاس.

وإذا كانت تميل إلى اللون الأصفر فهذا يعني: (٧٥٠) ذهب نقي، (١٢٥) فضة نقية، (١٢٥) نحاس.

وبالنسبة للذهب الأحمر: (٧٥٠) ذهب نقي، (٤٥) فضة نقية، (٢٠٥) نحاس.

وفيما يخص الذهب الرمادي: (٧٥٠) ذهب نقي، (١٢٥) نيكل، (١٠٠) نحاس، (٢٥) زنك.

والذهب الأخضر: (٧٥٠) ذهب نقي، (١٨٠) فضة نقية، (٧٠) نحاس.

دمغة المعيار وعلامة الصانع

تفرض الدول عادة رقابة متشددة على العيار المحلي للذهب، ونجد على كل قطعة مصوغات ذهبية إشارة متميزة نسميها «الدمغة» تختم من قبل سلطة رسمية في الدولة التي صنعت في أقاليمها تلك القطعة ليكون ذلك ضمانًا رسميًا للبائع والمشتري، ولأجل تفادي الغش. كما توجد عادة شارة ثانية هي دمغة الصانع الذي يلتزم أن يضع على كل قطعة من المشغولات التي يصنعها شارة



الذهب

الرمـز الخاصة بـه وهي «دمغة المصنعيـة» أو «دمغة المسـؤوليـة» يختمهـا الصـانـع بـالتأشير على حليه بالأحرف الأولى من اسمه التجاري، وهذا ما يسهل مهمة خبراء وبائعي الذهب.

وتنص الأنظمة واللوائح المطبقة في المملكة على أنـه يجب أن تكـون كل مشغولات المعـادن الثمينـة مـدمـوغـة بعيـارهـا الفعلي وفقًـا لأحـد العيـارات النظـاميـة، وأن تظهـر عليهـا عـلامـة الصـائغ أو المستورد المسجلة بصورة رسمية.

وتشترط أنظمـة بعض الـدول، كفـرنسـا، أن تُثبت على جميع السلاسل الذهبية شارة أخرى تختم من قبل الإدارة أو الجهـات المختصـة، وتثبت عنـد كل مسـافـة تبلغ عشرة سنتيمترات. وحينما يلجأ الصائغ إلى تغيير طول السلسلة المدمـوغة فعليه أن يتوجه إلى تلك الجهات لتـزيل دمغتها وتضع دمغة رسمية جـديدة لان وزن السلسلـة من الذهـب قد تغير.

تقلبات الأسعار

يتحدد سعر أيـة قطعة من المصوغـات الذهبية أساسًا بوزنها كمعدن. ويتـوقف سعر المعدن عادة على أسعار سبيكـة الذهب في السـوق، التي طالمـا تخضع للتـذبذب، وتتأثر أسعـار الذهـب بعـوامل عديدة؛ كـالكمية التي تطرحهـا في الأسواق الدول المنتجة لـه أو الدول التي تحتفظ بالذهب كاحتياطي لعملتها، وهي عادة الدول الكبرى، وهو ما يسمى بالغطاء الذهبي للعملة. كما أن أسعار هذا المعدن البراق تتأثـر بأسعـار العمـلات الأجنبية العـالميـة، وخصـوصًـا الـدولار. وكلما ارتفع سعـر الـدولار انخفض عـادة سعـر الـذهب. ولهذا كلـه ارتبـاط بالأوضاع العالمية، وغالبًا ما يرتفع سعر الذهـب مع تصاعد التوتر والأزمات في العالم.

وفضلا عن وزن الذهب الـذي يرتبط بتذبذب أسعـاره، يكـون للعمـولـة أو سعـر التصنيع (المصنعيـة) دور مـؤثـر على قيمـة المجـوهـرات في الســوق. فـإن بعض المشغـولات لا تـدخـل اليـد العاملة في صنعها إلا قليـلاً، كالسلاسل والأساور التي يمكن تصنيعهـا آليًـا. ولـذلك فـإنها تتميـز بانخفـاض تكاليف التصنيع، وبالتالي بـانخفاض السعـر. وبالعكس، فإن الـذهب المشغـول باليـد تكـون قيمته أغلى في السـوق، حيث يمر تصنيعـه بعـــدة مـــراحـل، ويتطلب مهـــارة في التصميم والنقش، وبـه يمكن تنفيـذ أي تصميم بـالحفـر وبشكل بـديع يتعـذر على الآلــة أن تـواكبـه، كما يمكن عنـد الحاجـة أن نجري عليـه أي تعـديل أو إصلاح بسهولـة.

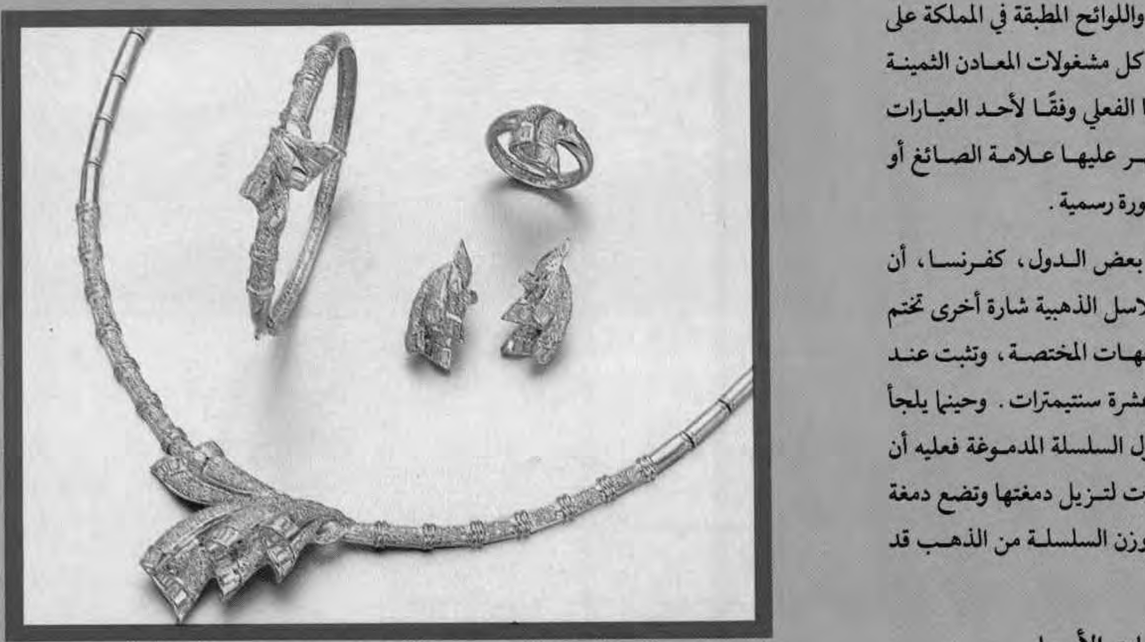
ويمكن أيضًـا لنـوع السبيكـة المستخـدمـة في المشغولات الذهبية أن يؤثـر على الأسعار. خذ مثلاً الذهب الذي يميل إلى اللون الـرمادي فإنه أصعب في التصنيع من الذهـب الوردي أو الأصفر. وبالتالي فإن قطعة من المجـوهرات يميل لـونها للرمـادي قد تكـون أغلى بقليل من قطع أخـرى لها نفس الـوزن (فرق في السعر من ٥ إلى ١٠ بالمائة).

وغالبًـا ما يكون نوع الشغل، أو لـون الذهـب منقذًا للتاجر في الحد من الخسـارة التي يتوقعها من تـذبـذب الأسعـار. ذلـك أن التـاجـر يحدد سعـر التصنيع والـربح المناسـب وفقًا لمصلحتـه وحسب العرض والطلب، بعد حسـاب التكلفة الحقيقية. كما اعتاد التجار عنـد شرائهم الذهب المشغول من الـزبـائن تخفيض سعر التصنيع، أو حتى تنـزيلـه تمامًا، ليعودوا فيضيفوا هذا السعر عند البيع.

دوافع الادخار

إذا كانت المرأة تبحث عن الجمال والأنـاقة عند اقتنـائهـا للـذهـب، فإنها تترك للـرجل التفكير في القيمـة المادية للمعـدن النفيس الذي تحوز عليـه. فالـذهب عند البعض «زينة وخـزينة»، ومع ذلك فإن ميل الأفـراد إلى الذهب كوسيلـة للادخـار لا يعني دائمًا استجابتهم إلى حسابات اقتصادية ومالية دقيقة. فهذا النوع من التفكير يحتاج إلى الكثير من الخبرة والدراية.

والواقع أن الادخار، الذي يبدو لنا بأنه تصرف بسيط جدًا، قـد خضع لدراسات عـديدة، وثبت بأن له دوافع مختلفة، وأهمها تلك التي يغلب عليها الطابع النفسي (السيكولوجي). فـالذهـب باعتباره سلعة موثـوقة من قبل الجميع، لـه مـؤثرات نفسية تـزداد عمقًـا كلما شعـر الفـرد بحـاجـة لـلأمـان والاطمئنان، حيث يمكن لحائزه أن يستخدمه وقت الضيق والحاجة، ولـه أن يحول ثمنه إلى نقود في أي وقت.



منذ أقدم العصور ولعت المرأة باستخدام الذهب للتزيين

الذهب بالنسبة لبعض الناس في بلادنا العربية أفضل ضمانًا من أدوات وصناديق الاستثمار الحديثة . وهذا ناتج عن دافع تقليدي يتمثل في عادات مألوفة منذ زمن بعيد، إضافة إلى سهولة التعامل بالذهب، لأن هؤلاء لا يحبون «وجع الرأس» بالمتابعة والتحليل في المجالات الاستثمارية الأخرى الأكثر تعقيدًا .

احذر هذا البريق

من الخطأ أن يتوقع المستثمر في الذهب الحصول على عائد سريع ؛ لأن أسعار هذا المعدن الأصفر عرضة للتذبذبات السريعة . والذهب ليس له عائد منتظم، وذلك بعكس العقارات أو الأسهم والعملات . وحتى العملات يمكن إيداعها في حسابات مشاركة وتعطي صاحبها عائدًا متوقعًا . أما الذهب فإن المستثمر يحفظه بدون عائد، بل وأحيانًا يتحمل تكاليف مقابل حراسته وحفظه . غير أن الذهب مرغوب ومطلوب لأنه من أدوات التزيين، وأكثر من هذا لأنه أقل وزنًا وأسهل نقلاً من العقار . كما أنه أكثر حيادية من العملات كالدولار والمارك والاسترليني وغيرها ؛ لأنه مهما يكن فإن العملات تظل خاضعة لقرارات وظروف الدول التي أصدرتها، أو البنوك المركزية التي تحتفظ بها، وأسعارها متقلبة ومخاطرها مرتفعة .

الأحجار الكريمة هي أفضل من الذهب كسلعة لحفظ قيمة ما لدى الفرد من أموال فائضة . هذه حقيقة لا شك فيها، غير أن المدخر الذي يرغب في الحفاظ على قوة شرائية لهذا الجزء من أمواله وتنقصه الخبرة، لا يحبذ الأحجار الثمينة، لاحتمال التعرض للخطأ والغش، سواء في النوعية أو السعر. ثم إن الأحجار لا يمكن تحويلها إلى سيولة نقدية بسرعة، إضافة إلى أن قيمتها غالبًا ما تختلف من مكان إلى آخر في العالم .

والسبائك أفضل من المشغولات . . إذا أردنا أن نبحث عن العائد الاقتصادي، لأنها تحقق ربحًا جيدًا إذا اشتريت خلال فترة انخفاض السعر وبيعت عند ارتفاعه . وتتعامل الحكومات والمؤسسات المالية على أساس سبيكة وزنها ١٢,٥ كيلو غرام بنقاوة ٩٩,٥ بالمائة . بينما يتعامل الأفراد على أساس سبائك وزنها بسيط، ولعل أفضلها تلك التي تزن ٦٦,٦ غرام، وهي المتداولة عادة في أسواق المشرق العربي . وتشكل المسكوكات الوطنية من الذهب (coins)، كالجنيه، والدولار، والروبل، ونابليون، والليرة العثماني، وهيروهيتو. والمابل الكندي، كميات لا يستهان بها في الطلب العالمي . وهنا أيضًا نحتاج إلى خبرة . . خذ مثلاً، الجنيه الذهب . . فهو أنواع، وقد يصعب علينا أن نميزها . . لأن جودتها ترتبط بمدى قدم سك الجنيه .

الاستثمار بالذهب إذن ليس بالسهولة التي قد نتصورها وينصح الخبراء بأنه لا بأس على الأفراد من



المنجم السعودي مهد الذهب

وضع جزء من الفائض من مدخولاتهم في الذهب كسلعة حافظة لقيمة هذا الجزء من الأموال وحمايته من التآكل بشرط أن يتم الشراء في ظروف طبيعية لا يكون هذا المعدن النفيس مرتفعًا، وأن لا ندخل في متاهات وخطورة المتاجرة ، وأن لا نندفع أو نتوقع عائدًا سريعًا .

كثيرًا ما يكون بريق الذهب الأخاذ خادعًا كالسراب، فإن الاندفاع وراء هذا البريق فساد للعباد والبلاد . وقد أجمعت النظريات الاقتصادية



الذهب الخام يوجد على شكل عروق في أعماق الأرض

○ لأنهم لا يحبون "وجع الرأس" فالذهب أفضل ضمانًا لهم من صناديق الاستثمار

التقليدية والحديثة والدراسات العلمية التي بنيت على شواهد هذا العصر، بأن اكتناز الذهب يعطل جزءًا غير يسير من ثروة البلاد، ويحول دون انفاقها على مصالح المجتمع . ومن هنا تبرز أهمية المعاني العظيمة والحكيمة التي جاء بها قوله تعالى : ﴿والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم﴾ .

الذهب عند العرب

للذهب أسماء كثيرة عند العرب، منها «النضاء» و «العسجد» وهذا اسم يبدو أنه كان



الذهب

عامـا يطلق على الذهـب والجواهر، و «السحـالة» وهي تراب الذهب، و «الإبريز» من برز يبرز وكأنه أبـروز من التراب المخلوط فيـه، و «العقيان» وهـو الذهب الخالص.

وكان العـرب قد أعلوا من شأن الذهب منـزلة على «التبر» على اعتبــار أن التبر هــو الـــذهب المستخرج من الأرض والذي مـا زال مختلطًا بالتراب والمعادن الأخرى.

أمـا عن كلمـة الـذهب وممَ أتت، فبعضهم يقــول: إن الـذهب سمي كـذلك لأنــه سريع الذهاب بطيئ الإياب إلى أصحابه، وقيل لأن من رآه بهت ويكـاد عقلـه يـذهب، والقـول الثـاني هـو السائد.

○ سعى العرب منذ القِدَم إلى كشف أسرار هذا المعدن الأصفر البرّاق

ولـم يكن لـدى العـرب قبل الإسـلام عملـة خاصة بهم، وكان التعامل يتم بنوعين شائعين من النقد في ذلك الوقت: الدراهم الفضية الساسانية، والدنـانير الذهبية البيـزنطية. واستمر هـذا الوضع حتى خلافـة عمر ـ رضي الله عنه ــ حيث ظهرت، بعـد فتح المسلمين لأقـاليم الـدولتين البيـزنطيـة والسـاسـانيـة، بعض المحـاولات لتعريب النقـود وإضـافـة العبارات التـي تدل على وحـدانيـة الله. واستمرت محاولات التعريـب في عهد عثمان ـ رضي الله عنه ـ.

إلا أن التعريب الكـامل تم على يد عبـد الملك ابن مـروان، الـذي قـام بضرب أول نقـود عـربيـة إسلامية كضرورة مـن ضرورات الاستقرار السياسي والاقتصادي ونشر الدعوة الإسلامية. وتم التعريب الكـامل في سنة ٧٧ هــ حين احتلت الكتـابـات العربيـة وجهي الدنانير الذهبيـة، واختفت الصور التي استبدلت بها آيات من القرآن الكريم وعبارات توحيد.

وأثبتت التحليـلات العلميـة الحديثـة معـرفـة المسلمين للميزان المضبـوط سيما في صنع عملاتهم الذهبية.



تحتفظ الدول بالذهب كاحتياطي لعملاتها




عملات ذهبية تم سكها في فترات مختلفة

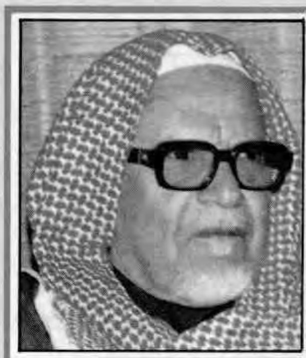
لقد سعى العرب منـذ القديم إلى كشف أسرار المعـدن الأصفر البراق ــ وقـد اهتمـوا بالتمييـز بين الأنواع المغشـوشة واستعمالـه لأغراض متعـددة بعد سبكه مع معادن أخرى.

ويعتبر الصبـاح الكنـدي ـــ جـد الفيلسـوف المشهور يعقوب الكندي ـ من أقدم خبراء العرب في هذا المجـال. وإلى جانبه برزت أسماء لامعـة أخرى كمعــون العبــادي، وأيــوب البصري، وابن الجصـاص. كما ظهـرت فيما بعـد أسماء كثيرة من نوابـغ المسلمين في علم المعادن والذهـب والأحجار الكريمة، نذكـر منهم الكندي الذي من المحتمل أن يكـون أول كيمياوي في العـرب والإسـلام رفض فكرة استحالة المعادن البخسـة إلى ثمينة. كما نذكر أسماء أخرى معروفة مثل الرازي، وجابر بن حيان، والمسعـودي، وابن سينا، والبيروني، وابن العـوام، والتيفشاني.

مخطوطات جديرة بالدراسة والنشر:

الحلقة الأولى

أنساب الأشراف للبلاذري



يكتبها:
حمد الجاسر

من سعادة المرء أن يُرْزَقَ بأبناءٍ بررة يسعون لتخليد ذكراه بعد انتقاله إلى الآخرة، وتخليد ذكرى المرء التي هي عمره الثاني كما قال أبو الطيب :

ذِكْرُ الفَتَى عُمْرُهُ الثاني، وحاجَتُهُ ... ماقَاتَه، وفضول العيش إِشْغَال

أو كما قال ابن دُرَيْد :

وإنما المرءُ حديثٌ بَعْدَهُ ... فكُن حديثًا حسنًا لمن رَوَى

وهكذا قيض الله للملك الشهيد فيصل بن عبد العزيز ـ أسكنه الله فسيح جنانه ـ من الأبناء ما أدركوا هذا الهدف السامي النبيل، فسعوا ما استطاعوا لتخليد ذكراه بالأعمال النافعة الباقية، ففي الأثر : «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث، ولد صالح يدعو له، أو صدقة جارية أو علم ينتفع به» ولعل الله سبحانه وتعالى علم من نِيَّةِ ذلك الوالد الصالح فهيأ له هذه الأمور.

فمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، أصبح الآن من القواعد الثابتة التي ترتكز عليها مقومات الثقافة في بلادنا، بحيث أصبح منهلا للعلم ومرادًا ومقصدًا لطلابه، بما يهيىء لهم مما يحتاجون إليه في تصدِّيهم للدراسات الثقافية على اختلافها من تاريخية وأدبية وغيرها، لكونه أصبح صلة وصلٍ بينهم وبين مختلف الأقطار في جميع أنحاء العالم، ليقرب لهم ما لا يقدرون على الحصول عليه من المراجع، مما تحويه خزائن العلم، أو دور النشر في تلك الأقطار، ولا سيما ما كان منها فريدا نادرا من مخطوطات أو مطبوعات قديمة أو غيرها.

ولهذا فلعل مما ينبغي أن يُعْنى به هذا المركز لفت أنظار المعنيين بالدراسات، والمهتمين بالتراث إلى ما قد يحويه من المؤلفات النادرة، مما يعينهم ويهيئُ لهم الانتفاع والاستفادة، من أيسر الطرق وأسهلها، وأقربها، وخاصة أبناء هذه البلاد، من المهتمين بدراسة تاريخ أمتهم، ومختلف أحوال بلادهم ممن قد لا تمكنهم ظروفهم من الاتصال بالمراكز العلمية خارج البلاد، للاطلاع على ما تحويه مما يطمحون إلى الاطلاع عليه من مختلف المراجع.

ولعل من أقرب الوسائل في ذلك تقديم لمحات للقراء عما يحويه هذا المركز من كتب جديرة بالدراسة والنشر، ولا تزال أنظار الدارسين منصرفة عنها، إما لجهلهم بمحتوياتها أو لتنوع اتجاهاتهم في دراساتهم إلى فروع أخرى من فروع العلم، اتجاهات صرفتهم عما عداها.

من هنا رأيت عرض بعض ما خطر في ذهني عن نوادر المخطوطات في مختلف العلوم والفنون، مما كان لهذا المركز ـ بعد الله سبحانه ـ فضل إمدادي به، وتسهيل اطلاعي عليه، أو تسنى لي الاطلاع عليه أثناء رحلاتي خارج هذه البلاد في كبريات دور الكتب في تركية ومصر، وأوربة، مما تحدثت عن بعضه في رحلة خصصتها لهذه الغاية، نشرت قبل بضعة عشر عامًا، بعد أن أَبْدى لي أخي الأستاذ الدكتور زيد بن عبد المحسن آل حسين، الأمين العام للمركز، اهتمامه بهذا الجانب، وبأن هذه المجلة الكريمة ستفسح له المجال بين صفحاتها مما يرجى منه أن يكون ذا فائدة في هذا الشأن والله الموفق.

لعل المستشرقين هم أول من عُني بدراسة مؤلَّفَي البلاذري، ثم في البدء بنشرهما فنشر كتاب« فتوح البلدان » [١]، ونشر جزء من كتاب «أنساب الأشراف» قبل مئة عام[٢]؛ لأن كثيرًا منهم حينما يتصدون لدراسة موضوع مًّا يحاولون ما استطاعوا الرجوع إلى أقدم المصادر عنه.

والبلاذري: أحمد بن جابر بن يحيى البغدادي المتوفى سنة ٢٩١، يُعَدُّ من قدماء مؤرخي المسلمين، حيث عاش في القرن الثالث الهجري الذي حفل بنخبة من العلماء وكبار المؤرخين، ممن تلقى العلم عن مشاهيرهم في العراق والشام ومصر بحيث تجاوز عدد شيوخه المئة عالم [٣]، واستفاد من مؤلفات بعضهم، ومن تلك المؤلفات ما لم يُعرف حتى الآن مما وردت بعض نصوصه في مؤلفات البلاذري. ويعدُّ كتاب «فتوح البلدان» له من أوثق المصادر وأوفاها في موضوعه، حيث قال عنه المسعودي في مقدمة كتابه «مروج الذهب» بعد أن سرد أسماء كثير من المؤلفات التاريخية قال: وكتاب النسب لأحمد بن علي البلاذري، وكتابه أيضا في البلدان وفتوحها صُلْحًا وعَنْوةً من هجرة النبي ﷺ وما فتح في أيامه وعلى يد الخلفاء بعده وما كان من الأخبار في ذلك، ووصف البلدان في الشرق والغرب والجنوب، ولا نعلم في «فتوح البلدان» أحسن منه. انتهى. وهو من مصادر ياقوت التي عَوّل عليها كثيرًا في كتابه «معجم البلدان»، ولعل دراسة هذا الكتاب عند بعض المستشرقين هيأت لهم معرفة سعة علم البلاذري ومعرفته بالتاريخ الإسلامي ومواقع البلدان في مختلف الأقطار، ولا غرو فالبلاذري ممن أَلَّف عن البلدان كتابين أحدهما كبير والآخر صغير، ولكنهما لا يزالان مجهولين.

ومن مؤلفات البلاذري كتابه «جمل أنساب الأشراف» الذي قال عنه الصفدي: [٤] وهو كتابه المعروف المشهور به، وقد عرف هذا الكتاب باسم «أنساب الأشراف».

ويبدو أن المؤلف وقد مات قبل إكمال الكتاب لم يضع له اسمًا ولا مقدمةً، ومن هنا اختلف المتقدمون في تسميته، ففي أقدم ترجمة للبلاذري فيما بين يدي الباحث من المصادر وهو كتاب «الفهرست» [٥] لابن النديم سمي «الأخبار والأنساب» وعند ياقوت والصفدي[٦] «جمل نسب الأشراف» وفي « تاريخ دمشق [٧] » لابن عساكر «جمل أنساب الأشراف» وسماه ابن خلكان [٨] «أنساب الأشراف و أخبارهم» و «أنساب الأشراف» وعند صاحب «تاج العروس» كتاب «المعاليم» في المقدمة، وفي موضع آخر «مفاهيم الأشراف » وأغرب أستاذنا الزركلي فسماه «القرابة وتاريخ الأشراف [٩] ».

وتحسن الإشارة إلى أن المقصود بالأشراف معناها اللغوي العام، فكل إنسان شَرُفَ بفعل من الأفعال الكريمة أو اتصف بخصلة من الخصال المحمودة يُعَدُّ شَرِيفًا بصرف النظر عن نسبه.

ولهذا نجد ابن أبي الدنيا: عبد الله بن محمد البغدادي (٢٠٨/ ٢٨١) وهو من معاصري البلاذري يؤلف كتاب «الأشراف» موضحًا الخلال التي يشرف بها المرء [١٠]، ولم يتعرض لذكر الأنساب.

وللبلاذري مؤلفات أخرى لا تزال مفقودة [١١].

وقد يكون من أسباب انصراف الباحثين وذوي الدراسات التاريخية عن الاهتمام بكتاب «الأنساب» للبلاذري ما عُرِف عن كتب النسب بصفة عامة من الاتجاه إلى سرد الآباء دون ذكر أَيَّةِ مِيزة يتصف بها أحدهم، وما كانت هذه هي الطريقة المقصودة عند العرب من علم النسب، بل كانوا يريدون به إبراز مآثرهم ومفاخرهم، وهو يُعَدُّ أُولَى مراحل الاهتمام بالتاريخ في ثقافتنا العربية، وسار على ذلك بعض متقدمي النسابين الذين ألفوا في هذا الجانب، وهم لا يذكرون في الغالب إلاَّ ذوي الشرف والصفات المتميزة.

ومن هؤلاء البلاذري الذي عني بكتابه هذا بذكر مميزات من يتحدث عنهم، وإبرازها، ولهذا لم يسر على طريقة سرد أسماء الأبناء والأحفاد عمن تقدمهم لمجرد السرد، بل كانت الغاية لديه الوقوف عند من اتصف بمنقبة، أو اشتهر بخصلة من خصال الشرف أو الرئاسة أو البروز في جانب من جوانب الحياة في عصره بين أمته. ولهذا فليس غريبًا أن نراه يفرد كثيرًا من أولئك الذين تحدث عنهم بالصفحات الكثيرة التي تتجاوز المئات كما فعل في السيرة النبوية، وفي أخبار الخلفاء الراشدين، وفي رجال الدولة الأموية ثم الدولة العباسية ثم من هم دون أولئك كل بحسبه.

وبالإجمال فالبلاذري كما وصفه الدكتور عبد العزيز الدوري: مُولِّفٌ فَذٌّ في أسلوبه، ونظرته للتاريخ العربي، وكتابه «أنساب الأشراف» من أهمِّ مصادرنا التاريخية، للفترات بين ظهور الإسلام وعصر الرشيد [١٢]. انتهى.

○ «أنساب الأشراف» من أهم مصادرنا التاريخية للفترات بين ظهور الإسلام وعصر الرشيد.



صورة زنكوغرافية للصفحتين الأولى والثانية من الجزء الرابع للمخطوطة

ولهذا أصبح مصدرًا لكثير من مشاهير متقدمي المؤرخين، ومن أبرزهم ابن الأثير الذي نقل كثيرًا من الحوادث في العهد الأموي وغيره في كتابه «الكامل في التاريخ» نقلها عن كتاب البلاذري بنصها أو بعد اختصارها وتحويرها، والغريب أنه مع ذلك لا يشير إلى نقله هذا، ولقد قابلت نصوصًا كثيرة أوردها في «الكامل» عن نجدة بن عامر الحنفي وغيره، ولخصها عن ابن الأثير ابن خلدون في تاريخه دون عَزْوٍ إلى مصدر.

البلاذري لم يكمل كتابه هذا

لقد ذكر الأشعري أحمد بن محمد بن إبراهيم من أهل القرن السادس الهجري في كتابه «الباب إلى معرفة الأنساب» [١٣] أن البلاذري صَنَّفَ كتابًا استقصى فيه علم الأنساب وهو زهاء أربعين مجلدًا، مات وما أَتَمَّه.

وقال صاحب «كشف الظنون» [١٤]: أنساب الأشراف «لأبي الحسن أحمد



صورة للصفحة الأولى من المخطوطة

ابن يحيى البلاذري، وهو كتاب كبير، كثير الفائدة، كتب منه عشرين مجلدًا ولم يكمله، وقال في موضع آخر : «الاستقصاء في الأنساب والأخبار» للشيخ أبي العباس أحمد بن جابر البلاذري، سوده في أربعين مجلدًا فمات ولم يكمله. وما أراه أراد إلاَّ كتابًا واحدًا.

أما الزُّبيدي في «تاج العروس» الذي سمى الكتاب «معاليم الأشراف» فقد ذكر أنه في ثلاثين جزءًا.

وفيما وصل إلينا من مخطوطات الكتاب ما يشير إلى أنه كان يقع في ثلاثة وأربعين(15) جزءًا.

ونجد إشارة لهذه التجزئة فيما ورد في الورقة الـ (١٢٨) من الجزء الثالث عشر الذي سيأتي وصفه : ففي الكلام على عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي ما نصه : (وقال عبد الرحمن لولده : إني كنت أنَالُ من عليٍّ تَقَرُّبًا إلى الله، فمن فعل ذلك اتباعًا لي فلا يفعله، ومن كان يفعله تدينًا فليفعله، تم الجزء الثالث والعشرون والحمد لله رب العالمين وصلى الله على خير خلقه محمد وآله وسلم تسليمًا ويتلوه الجزء الرابع والعشرون : أخبار عمر بن أبي ربيعة). وفي الورقة الـ (١٢٩) ما نصه : (بسم الله الرحمن الرحيم : استعنت بالله، أخبار عمر بن أبي ربيعة المخزومي، وأما عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة بن المغيرة فكان) . . . إلخ.

ومعروف أن تجزئة الكتاب عند المتقدمين تختلف، وليس فيما عُرف من الأجزاء المخطوطة منه ما يحدد التجزئة القديمة من حيث المبتدأ والمنتهى، والغالب أن المراد بالجزء ما سار عليه بعض المتقدمين من تحديده بعشر ورقات.

الهوامش

(١) انظر مقدمة «فتوح البلدان» - ص ٢٢ - للدكتور صلاح الدين المنجد.

(٢) نشر المستشرق الألماني وليم أهلورد سنة ١٨٨٣م الجزء الحادي عشر.

(٣) ص ١٤ - مقدمة الجزء الأول من «أنساب الأشراف».

(٤) «الوافي بالوفيات» - ج ٧ ص ٢٤١.

(٥) - ص ١٢٦ - طبعة طهران.

(٦) «معجم الأدباء» - ٥/ ٩٩ - و «الوافي بالوفيات» - ٧/ ٢٤١.

(٧) في ترجمة زيد بن صوحان.

(٨) - ج ٧ ص ١٠٣ - وج ٦ ص ٣٧٢.

(٩) «الأعلام» - ١/ ٢٦٧ - طبعة دار العلم للملايين.

(١٠) نشرت مكتبة الرشد كتابه سنة ١٤١١ هـ (١٩٩٠م) بتحقيق الدكتور نجم عبد الرحمن خلف، وانظر عن هذه النشرة مجلة «العرب» - س ٢٦ ص ١٢٥.

(١١) انظر عن البلاذري ترجمته المفصلة التي قدم بها الدكتور صلاح الدين المنجد طبعته لكتابه «فتوح البلدان».

(١٢) مقدمة القسم الثالث من «أنساب الأشراف».

(١٣) لا يزال الكتاب مخطوطًا - انظر «العرب» - س ٢٦ ص ٢٦٢.

(١٤) - ص ١٧٩، ٧٩ - طبعة إسطنبول.

(١٥) آخر المخطوطة الدمشقية ونقل هذا في المخطوطة المغربية.

الاقتصاد الإسلامي

بين النظرية والتطبيق

عبد الرزاق عبدالله البابطين

مسيرة الاقتصاد الإسلامي هي مسيرة واحدة، كانت بدايتها منذ أربعة عشر قرنًا، أي منذ ظهور الإسلام على وجه الأرض، وقد تخلل هذه المسيرة فترات ضعف، وذلك يرجع إلى ضعف المسلمين سياسيًّا حين ابتعدوا عن تطبيق شرع الله كاملاً.

والاقتصاد الإسلامي ثابت بثبوت الشريعة الإسلامية السمحة، ولكن تطبيقاته ظلت مفقودة في مسيرة الفكر الاقتصادي العالمي [١].

والاقتصاد الإسلامي يختلف عن بقية الأنظمة الاقتصادية الوضعية، في أنه يستند على الركيزة الأخلاقية المستمدة من الدين الإسلامي، وفي ذلك حكمة إلاهية بالغة لضبط المعاملات بين البشر على أساس أخلاقي وإنساني قبل أن يكون ماديًّا، كما في الأنظمة الوضعية الأخرى مثل الرأسمالية والشيوعية.

ولذلك يطلق على النظام الاقتصادي الإسلامي:

الاقتصاد الديني	RELIGIOUS ECONOMICS
الاقتصاد الأخلاقي	ETHICAL ECONOMICS
الاقتصاد الإنساني	HUMANOMICS [٢]

ومما سبق ندرك أن تميز الاقتصاد الإسلامي يعود إلى عدة عوامل:

١ ـ إن الاقتصاد الإسلامي جزء من نظام الإسلام الشامل وتفسير ذلك أن الدين الإسلامي يقوم على أربعة عناصر هي:

١ ـ العقائد ٢ ـ الأخلاق ٣ ـ العبادات ٤ ـ المعاملات

وبناء على ذلك لا ينبغي لنا أن ندرس الاقتصاد الإسلامي بمعزل عن هذه العناصر الأربعة.

٢ ـ الاقتصاد الإسلامي يحقق التوازن:

وأعني هنا بمصطلح التوازن بين مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة، وبين الروح والمادة وبذلك يحقق الاقتصاد الإسلامي التوازن بين هذه العناصر في تناسق واقعي دقيق، غايته في ذلك تحقيق مبدأ «تمام الكفاية» لكل فرد في العالم الإسلامي.

٣ ـ للنشاط الاقتصادي في الإسلام طابع تعبدي [٣]:

وهذه النتيجة في واقع الأمر تطبيق لقاعدة، أهم مؤداها أن أي عمل يقوم به المسلم ـ اقتصاديًّا أو غير اقتصادي يمكن أن يتحول من عمل مادي إلى عبادة يثاب عليها إذا قصد المسلم بعمله هذا وجه الله سبحانه، وابتغى مرضاته، وانصرفت نيته إلى ذلك.

العقبات التي تواجه مسيرة الاقتصاد الإسلامي

١ ـ الدفاع عن الاقتصاد الإسلامي موقف انهزامي، فنحن عندما نتحدث عن الاقتصاد الإسلامي نكون عادة في موقف دفاعي، ونحاول أن نثبت أنه يماثل أو يتماشى مع أحد الأنظمة الوضعية المعاصرة، وهذا خطأ فادح وكأن هذه الأنظمة هي الأصل والإسلام هو الفرع، وهذا في الواقع افتراء فادح على الإسلام من قبل أبنائه وإحساس فاضح بالتخلف والعجز [٤].

٢ ـ معظم الحكومات الإسلامية لا تشجع تطبيق الاقتصاد الإسلامي في بلدانها، وهذا الموقف الخطير من قبل الحكومات الإسلامية ـ في نظري ـ يعود إلى عاملين:

أ ـ التشكيك في قدرات النظام الاقتصادي الإسلامي على ضبط وموازنة المعاملات الاقتصادية في البنوك والمؤسسات المالية في بلدانها.

ب ـ ارتباط كثير من البنوك والمؤسسات المالية العربية إداريًّا وماليًّا بالبنوك والمؤسسات المالية الغربية، ومن ثمّ فهناك سيطرة على رؤوس هذه الأموال من قبل البنوك الغربية.

٣ ـ عدم تدريس الاقتصاد الإسلامي في الجامعات الإسلامية وتخريج متخصصين في الاقتصاد الإسلامي يحملون مؤهلات عليا، وعلى العكس من ذلك يدرس الاقتصاد الغربي الرأسمالي القائم على الفوائد الربوية والمعاملات غير الشرعية.

سبل دعم الاقتصاد الإسلامي

١ ـ دعوة الحكومات الإسلامية إلى دعم البنوك الإسلامية القائمة في الوقت الحاضر والعمل على نشر فكرتها وتوسيع نطاقها.

٢ ـ ضرورة تدريس الاقتصاد الإسلامي بكليات التجارة والاقتصاد والإدارة في جامعات البلاد الإسلامية.

٣ ـ عمل مسح شامل للخبرات في مجال الاقتصاد الإسلامي وتشجيعها على الإسهام في البحث العلمي بالدول الإسلامية.

٤ ـ التعاون الاقتصادي بين الدول الإسلامية مما يؤدي إلى اتخاذ سياسة مالية موحدة بحيث تكون جميع المعاملات المالية من مرابحة وقروض وتأمين وتجارة واستثمار مصرفي ضمن إطار من الصيغة الشرعية حتى تتحقق التنمية الاقتصادية ضمن الإطار الشرعي لمفهوم الاقتصاد الإسلامي إن شاء الله.

الهوامش

١ ـ فيغو، عبد السلام أحمد «المنهج الاقتصادي في الإسلام» المنهل، العدد ٤٨٥، المجلد ٥٢ جمادى الآخرة ١٤١١هـ، ص ١١٤.

٢ ـ الغزالي، عبد الحميد حول المنهج الإسلامي في التنمية الاقتصادية. دار الوفاء للطباعة والنشر، ١٩٨٩م ص ١٠.

٣ ـ العسال، أحمد، النظام الاقتصادي في الإسلام. مبادئه وأهدافه، القاهرة: مكتبة وهبة، ١٩٨٩م ص ٢٠.

٤ ـ الغزالي، عبد الحميد ص ١١.

الصراع الحضاري بين الأنا والآخر في الرواية العربية

بقلم: د. عبد الفتاح عثمان

حفل الفن الروائي العربي بالعديد من الروايات التي تعالج إشكالية الصراع الحضاري بين أوربا والعالم العربي، وهو صراع طويل كانت له انعكاساته الفكرية والاجتماعية والعاطفية، وقد اتخذ أشكالا عديدة تتراوح أحداثها بين التوفيق والمصالحة والعنف والإدانة، كما يتفاوت أبطالها بين تماسك البطل وانتمائه وانهياره واستلابه.

ويمكن القول إن البداية التاريخية لهذا النوع من الروايات كانت في نهاية القرن التاسع عشر، حيث وجدت إرهاصات واعدة تقترب من هذه الإشكالية تمثلت في كتابين هما:

«تخليص الإبريز» لرفاعة رافع الطهطاوي، و«علم الدين» لعلي مبارك. غير أن قيمتهما كانت متواضعة من الناحية الفنية. وفي العقد الثالث من هذا القرن ظهرت أول رواية عربية تعالج الصراع بين الأنا والآخر وهي «أديب» لطه حسين ١٩٣٥م، تبعتها رواية «عصفور من الشرق» لتوفيق الحكيم ١٩٣٨م، و«قنديل أم هاشم» ليحيى حقي ١٩٤٤م، ثم انتشرت هذه الروايات بكثرة في العالم العربي فظهرت «**الحي اللاتيني**» لسهيل إدريس في لبنان، و«**موسم الهجرة إلى الشمال**» للطيب صالح في السودان، و «**الربيع والخريف**» لحنا مينه في سوريا و «**بدوي في أوربا**»، في الأردن «**والمرفوضون...**» و«**ما لا تذروه الرياح**» في الجزائر، و«**المرأة والوردة**»، و«**في الطفولة**» و«**الغربة واليتيم**» في المغرب، ويستطيع الدارس للنصوص الروائية لهذا النوع من الروايات أن يلاحظ السمات التالية:

الصراع نفسي عاطفي

فليس هناك صراع سياسي بحيث نجد البطل يقوم بدور سياسي في خدمة وطنه في تلك المرحلة التاريخية، التي كانت فيها أوربا محتلة البلاد العربية، فلم تسجل رواية عربية واحدة الكفاح السياسي لأبناء الأمة العربية، كذلك لم يكن هناك صراع علمي أو اقتصادي، فهذه الثورة العلمية الضخمة بفروعها التقنية (التكنولوجية) والإلكترونية التي غيرت حياة البشر لا نجد لها صدى في الرواية العربية، ثم الازدهار الاقتصادي الذي عم أوربا في هذه الفترة، بما يعنيه من مصانع ومؤسسات ومصارف لا نجد له وجودا، فالبطل الروائي لا يعرف من أوربا سوى وجهها الخليع.

وقد ترتب على تحديد طبيعة الصراع في الجانب العاطفي النفسي وحده تحديده - أيضا - في طبقة تكاد تكون واحدة وهي الطبقة الدنيا في المجتمع الأوربي.

الرجل والمرأة

اتخذ الروائيون العرب الذين عالجوا إشكالية الصراع الحضاري من المرأة الأوربية مركزا يستقطب الأحداث ومجالا للمواجهة بين حضارة الأنا والآخر.

وتتفق الروايات العربية في أن تجعل الذكورة دائما للعربي والأنوثة دائما للأوربية، بحيث يغدو الصراع بين الذكورة العربية والأنوثة الأوربية في إطار الرمز الكبير وهو صراع الحضارات.

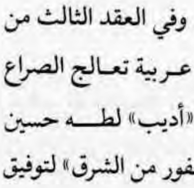
ومن المثير لدهشة الباحث أن المرأة الأوربية تستقطب الأحداث كلها، حتى إن هناك روايات كاملة لا نجد ضمن شخصياتها رجلا أوربيا واحدا.

فرواية «**قنديل أم هاشم**» لا توجد فيها شخصية واحدة تمثل الرجل الإنجليزي. ولنتأمل «**الحي اللاتيني**» لا توجد فيها شخصية واحدة لرجل فرنسي، وقبلها رواية «**أديب**» **حيث** تجاهلت الرجل الفرنسي أيضا.

وحتى لو وجدت شخصيات من الرجال في بعض الروايات فإن دورها يكون ثانويا وهامشيا.

ولو اهتمت الرواية العربية بالرجل اهتمامها بالمرأة فأعطته دورا رئيسا لأدى ذلك إلى ثراء التجربة الروائية، من حيث تفاعل الأفكار واتساع مجال الصراع الدرامي، ومن ثمّ تعميق الصراع

من كتاب العدد



● د. عبد الفتاح محمد عثمان

- أستاذ في قسم البلاغة والنقد الأدبي، ووكيل كلية دار العلوم للدراسات العليا، والمستشار الثقافي لجامعة القاهرة.

- من مؤلفاته: نظرية الشعر في النقد العربي القديم، التشبيه بين التنظير البلاغي والتوظيف الفني، الأسلوب القصصي عند يحيى حقي، الصراع الحضاري في الرواية العربية، بناء الرواية، الرواية العربية الجزائرية ورؤية الواقع.

وله مقالات وبحوث منشورة في عدة دوريات أدبية.



رفاعة الطهطاوي



توفيق الحكيم



يحيى حقي



سهيل ادريس



الطيب صالح



فتحي غانم



محمد زفزاف

الحضـاري وتنـويع اتجـاهــه، بحيث لا يكـون مقصـورا على مجـال العــاطفـة، بل يتعـداه إلى مجالات أخرى من علم وأدب وفن وسياسة.

النهاية المأساوية

تتفق الـروايات العـربيـة التي عالجت قضيـة الصراع الحضـاري في نهايتهـا المأساويـة؛ فهي تنتهي إمـا بـالضيـاع والغـربـة والمـوت: «أديب» و«المرفـوضون» أو «المجهول والمـوت»، «موسم الهجرة إلى الشمال»، أو الفراق والنفي: «الربيع والخريف»، أو الفــراق الــذي لا لقــاء بعــده:

«عصفــور من الشــرق»، «قنــديل أم هــاشم»، «الســـاخن والبـــارد» لفتحي غـــانـم، و«الحي اللاتيني»، و«مـا لا تذروه الـرياح» لعرعـار محمد العالي، و«المرأة والوردة» للكاتب المغربي محمد زفزاف.

وتـلاحظ أن المفارقـة في النهـايات كلهـا تتم دون زواج ومن ثمّ دون إنجاب، وهـو رمز التفاعل والخصوبة والاستمراريـة، وفي هذا دلالة على أن الصلــة الحضـاريــة لا يمكن أن تستمــر، وإذا استمـرت لن تتفـاعل وتنتج، فهي صلـة محكـوم عليها بـالانفصال والعقم، ومعنـى هذا أن الـرواية العـربية تتبـع المقولـة القـائلـة: إن الشرق شـرق والغرب غرب ولن يلتقيا أبدا.

لكن هناك مـلاحظة جديـرة بالتأمل، وهي أن بعض الـذين كتبوا هـذه النهايـات المأساويـة قد طبقـوا في حيـاتهم العمليـة الارتبـاط بـالحضـارة الأوربية ثقافة وزواجا وإنجابا.

فطـه حسين الذي جعـل بطل روايته تصعقـه المـواجهـة الحضـاريـة، فتنتهي حيـاتـه بالغـربـة

> لـم تسجـل روايـة عربيـة واحـدة الكفـاح السـيـاسي العـربي

والجنون والمـوت، هو نفسه طـه حسين صاحب كتاب «مستقبل الثقـافة في مصـر»، والذي يـدعو فيه إلى ارتباط مصـر بالثقافة الأوربيـة، وهو نفسه طه حسين الذي تزوج من زميلته الفرنسية، وأنجب منها واعترف بفضلها عليه في كتابه «الأيام».

ولنقل مثـل هـــذا عـن يحيى حقـي والطيب صالح.

ألا تدعـونا هذه المفـارقة إلى رصـد التناقض بين الإبـداع الروائي، والسلـوك العملي، والفكـر النظري؟

المفارقة التصويرية

بجـانـب اتفــاق الـروايــات في القضــايــا المـوضـوعيـة، نجـد اتفـاقـا في قضـايـا تتصل بالأسلـوب الفني، فأسلوب المفـارقة التصويـرية الـذي يعتمد إبـراز المفـارقـات بين الأشياء يكـاد يكـون لازمة أسلـوبية، نجـدهـا تتردد عنـد حقي والحكيم وسهيل إدريس وعـرعـار محمد العـالي وعبد المجيد بن جلون ومحمد زفزاف.

وتتكون المفارقة من مشاهد حسية بصرية، أو رؤى فكـريـة، أو سلـوك يـوحي بأشيـاء يمكن أن تتنـاقض في دلالتها، ويـرمـز به الكـاتب لتحقيق غايـة معينة هي إبراز وجـوه المفارقة بين حضـارتنا والحضـارة الغـربيـة في النظـرة إلى طبيعـة هـذه الدلالات.

ويتميز هذا الأسلوب بقدرته على إثارة الانتباه والتركيز على الدلالة المقصودة.

وقـد تـرتب على استخدام هــذا الأسلـوب الازدواجية التي تتمثل في وجـود طرفين متقابلين، لكل منهما تفكيره واتجاهه.

وبالإضافـة إلى استخدام المفـارقة التصـويرية نجد اعتماد الكتاب على ظاهـرة التداعي والتذكّر والارتــداد «الفــلاش بــاك»، حيـث ينتقل وعي شخصيات الـرواية عبر المكـان والزمـان، لتجلية وجوه المقارنة، وإثراء الحـاضر، والربط بينه وبين الماضي في بؤرة شعورية واحدة.

قضايا الاختلاف

أمـا القضـايـا التي اختلفت حـولهـا روايـات الصـراع الحضاري فهي مـرتبطـة بـدرجة الصـراع ونـوعيتـه، فبعض الروايـات يغلب عليهـا جـانب المصالحة، كالروايات المصرية التي غلب عليها الطابـع الفكري، كالصـراع بين الضيـاع والانتماء «أديب»، وبين العلم والإيمان «قنديل أم هاشم»، وبين الخيال والواقع «عصفـور من الشرق». فكان الصراع متسما بالرصانـة وإبراز الفوارق الحضارية دون حقد أو عنف.

وبعض الـروايات يغلب عليهـا طـابع العنف والحقـد والانتقام، سـواء كنا الفـاعلين لـه كروايـة

الصراع الحضاري
بين الأنا والآخر في الرواية العربية

«موسم الهجرة إلى الشمال» أو كنّا ضحاياه كرواية «المرفوضون».

أما روايات الصراع الحضاري في بلاد الشام فيغلب عليها طابع المصالحة بل الانتماء، فلا نجد إدانة أو رفضا للحضارة الأوربية، ويرجع هذا إلى الصلات التاريخية والثقافية بين فرنسا وبلاد الشام.

وفي الرواية الجزائرية يتضح مدى التعصب والعنصرية الذي مارسته فرنسا ضد أبناء الجزائر في المهجر، وهي قضية ذات طابع محلي يستشعرها الجزائريون الذين يعيشون في الغربة ويتحملون عذابها.

بينما تميزت الرواية المغربية بطابعها النقدي العنيف للواقع المغربي المتخلف في رواية «في الطفولة»، الذي ينعدم فيه الإحساس بالعدل وتكافؤ الفرص وإشباع الحاجات الروحية والمادية كما في رواية «المرأة والوردة».

وهكذا تتفق روايات الصراع الحضاري في العالم العربي حول بعض القضايا المتصلة بجوهر الصراع، كما تختلف في معالجتها لطبيعته ونوعيته، تبعا للظروف التاريخية والثقافية والواقعية لكل بلد منها. ومن الطريف أن الصراع الحضاري بين الأنا والآخر لم يشغل بال الروائيين العرب وحدهم، بل شغل الروائيين الأوربيين أيضا، فتناولوه في بعض أعمالهم الروائية، وكانت لهم رؤيتهم الخاصة وتقييمهم الذاتي وتصورهم لأبعاده على المستوى الشخصي والإنساني، وحين نقارن بين رؤيتهم ورؤية الروائيين العرب نجد تشابها كبيرا يصل في بعض الروايات إلى درجة التطابق وهو ما سنكشف عنه في المقالة القادمة.

صرخة

على لسان مسلم يصارع الموت جوعًا على أرض الصومال الشقيق

شعر: رفعت عبد الوهاب محمد المرصفي

يا مسلمونَ تعالَوا واستروا بَدَني
غدا سأُرْمَى رُفاتًا دُونها كَفَنِ
أخشى المنيةَ أنْ تأتي على عَجَلٍ
فمن عليَّ يُصلّي ؟ من يُكَفّنني ؟
فما لدينا بقايا من ملابسنا
فأيّ شيء إذا متُّ يَسْتُرني ؟
وما لدينا رجال دونها رَمَقٍ
فأيُّ جمع إذا متُّ يقْبُرُني ؟
صِرْنا عِظامًا كما الأشباح ملمحنا
كأنّنا خارج الأحياءِ والزّمن

○ ○ ○

يا مسلمونَ تعالَوا ـ أنقذُوا وطني
فقد أحاطَ بِهِ حِقدٌ على فِتَنِ
من ذا سِواكم ـ وبعد الله يُسعفني
لا تتركوني لِمكْر الحِقد والوَثَنِ ؟
هنا أيادٍ وحُلْوُ القُوتِ في يدها
تمتدُّ في خُبثها حتى تُنَصّرَني
لكنَّ قلبيَ باقٍ في عقيدته
والفَجرُ آتٍ وعين الله تنْظُرني
يا إخوةَ الدين في بِيدٍ وفي حَضَرٍ
أينَ الزكاةُ ؟ فحق الله يلْزَمُني

أنس داود
ذلك الينبوع الثر

حوار معه من خلال أعماله

إعداد: حسن الجوخ

بعد معاناة أليمة ومرض السرطان رحل عن عالمنا الباحث الجاد والشاعر المصري العربي الأصيل الدكتور أنس داود، وهو ما زال في قمة عطائه العلمي ومجده الشعري، فترك مكانًا شاغرًا بين فرسان الكلمة ورفاق المسيرة.

وُلد أنس داود في ٣/ ١٢/ ١٩٣٤م في قرية من قرى محافظة كفر الشيخ، وتوفي في ١٩/ ٤/ ١٩٩٣م بالقاهرة، وبين مولده ووفاته؛ عاش حياةً خصبةً حافلةً؛ فقد تنقل من وظيفة إلى وظيفة ومن بلد إلى بلد حتى استقر أخيرًا ببلده المعشوق أستاذًا للدراسات الأدبية بكلية رياض الأطفال بالأسكندرية.

وقد حصل أنس داود على ليسانس دار العلوم سنة ١٩٦٢م، ثم نال درجة الماجستير في النقد الأدبي الحديث سنة ١٩٦٧م عن رسالته «التجديد في شعر المهجر» ثم الدكتوراه عام ١٩٧٠م عن أطروحته «الأسطورة في الشعر العربي الحديث».

يعد أنس داود أحد رواد التجديد في القصيدة العربية، وقد صدر له في هذا المجال «حبيبتي.. والمدينة الحزينة» و«بقايا عبير» و«قصائد»، وقيد الطبع ثلاثة دواوين أخرى «عندما يورق الشجر» و«وجوه الغربة» و«أعرف أنّي بدء العالم».



أنس داود

هذا فضلا عن مشاركته الفاعلة في الحركة الأدبية المعاصرة؛ فقد «شارك في ندوات القاهرة الأدبية، ومهرجانات الشعر، ومؤتمر الأدباء العرب في حلب ودمشق والأسكندرية، ومؤتمر الأدباء الأفريقي الآسيوي خلال الفترة (١٩٥٩ - ١٩٦٣م)، وقد كرّمته الأوساط الثقافية نظرًا لإسهاماته الإبداعية فحصل على الجائزة الأولى من المجلس الأعلى للآداب والفنون عام ١٩٦٢م، والجائزة الأولى للشعر القومي من رابطة الأدب الحديث بالقاهرة في العام نفسه» (١).

ولم يقف جهد أنس داود على هذا النتاج الشعري الرائد، والإسهام الفاعل، وإنما امتد هذا الجهد إلى نشاط إبداعي متميز في مجال الشعر المسرحي؛ فقد أصدر في مجلد ضخم «مسرح أنس داود» وهو يضم بين دفتيه عشر مسرحيات؛ «بنت السلطان» «محاكمة المتنبي» «الملكة والمجنون» «بهلول المخبول» «الثورة» «الأميرة التي عشقت الشاعر» «الزمّار» «الشاعر» «الصياد» و«البحر».

وهناك سبع مسرحيات شعرية للأطفال والناشئين قدّم لها بدراسة مهمة عن «مسرح الطفل»، فضلاً عن أربع مسرحيات تحت الطبع: «مقتل شيء» «وداعًا بابا» «الطاووس» و«منتهى التوافق».

أنس داود
ذلك الينبوع الثر
حوار معه من خلال أعماله

«مسرح أنس داود قد استمدَّ أصوله من التراث العربي والواقع المعاصر، وعالج موضوعات فكرية واجتماعية وسياسية بأسلوب فني راقٍ يقوم على الإسقاط ورصد هموم الواقع، والتعبير عن هموم الإنسان المصري وأشواقه المقدسة نحو عالم أفضل يسوده السلام والحب والعدل والحرية».

كما امتد ذلك الجهد الخلاق والثر إلى ميدان الدراسات الأدبية فأصدر عددًا من الكتب الجادة: «الطبيعة في شعر المهجر» «عبد الرحمن شكري.. نظرات في شعره» «دراسات نقدية في التراث العربي والأدب الحديث» «روّاد التجديد في الشعر العربي الحديث» «الرؤية الداخلية للنص الشعري، محاولة في تأصيل منهج» «شعر محمود حسن إسماعيل؛ محاولات في التذوق الفني» «في الأدب الحديث، دراسات ومتابعات» «حوار مع الإبداع الشعري المعاصر» و«في التراث العربي نقدًا وإبداعًا»، فضلا عن أطروحته للماجستير «التجديد في شعر المهجر» وأطروحة الدكتوراه «الأسطورة في الشعر العربي الحديث».

و «كانت دراساته تتميز بالجدية والأصالة والابتكار وحضور شخصيته العلمية في التحليل والاستنتاج والصياغة اللغوية الرصينة والدقيقة لموضوعات أبحاثه، وقد كان من القلائل الذين استطاعوا أن يحققوا التوازن الصعب بين فكر العالم ووجدان الشاعر».

إن من حق أنس داود علينا، وقد أهملناه في حياته، أن نَفِيَه حقه بعد مماته (كعادتنا دائمًا في تكريم النابغين بعد رحيلهم!) (٢) فنقوم بإجراء هذا الحوار معه - من خلال أعماله - حتى نتعرف على فكر هذا الرجل ونسبر - معا - أعماق ذاته وتجليات إبداعه.

- دكتور أنس، مَنْ أنت؟

○○ «أنا
عطشان عُريان
على صحو المدى سفري
أسيرُ
كسائح جوّالٍ
لا أملك
غير الحب والوترِ
بلادي.. كلمتي
إنسانُها رئتي
وتاج الشوك لي.. قدري» (٣).

- كيف كانت بداية العلاقة مع الشعر؟

○○ «لقد كان مدخلي إلى «الشعر» هو العشق


إيليا أبو ماضي


أبو القاسم الشابي

○ تأثرت بمدارس الشعر المختلفة ولم تنقطع صلتي بالتراث

لهذا الفن الرفيع، منذ أن تفتَّحتْ عيناي على قراءة أسماء دواوينه الشامخة في مكتبة والدي - يرحمه الله - إلى أن حفَّظني، وأنا في السادسة من عمري، بعض مقطوعاته التي تسمو بالروح وتغمر الوجدان، ثم كان أن اطَّلَعْتُ في أخريات الصِّبَا على مجموعة مختارة من شعر شوقي وحافظ فوجدتني في جانب الخيال والعاطفة في شعر شوقي، وبعيدًا عن رصف الألفاظ في شعر حافظ، ثم كان من الطبيعي أن أصعد بعد ذلك إلى سُلّم الوجدانيين من مدرسة «أبولو» و«المهجر»، وأختص برفقتي ومحبتي على محمود طه ومحمود حسن إسماعيل والشابّي وإيليّا أبو ماضي وفدوى طوقان، مع اتصالي الدائم بالتراث الشعري عبر المعلقات السبع وشعر الجاهليين، الذي يفيض بعفوية الإحساس ودفء المشاعر وصدق الفطرة، ثم شعر الغزليين في العصر الأموي، وشعر الأفذاذ في العصر العباسي، وبخاصة المتنبي، ثم أمشاج من المختارات الشعرية في كل العصور» (٤).

- في ضوء المقولة الشهيرة «إنَّ الشعر رسم بالكلمات»، هل لك أن توضح لنا أهمية الصورة في الإبداع الشعري؟، ومتى تُزَيف؟

○○ «الصورة وسيلة الشاعر الأولى لاكتناه أسرار الوجود، وتمثيل مشاعر النفس، وخواطر الفكر، في معادل تعبيري يكشف أبعاد رؤيته للواقع الخارجي، ومدى استبطانه للظواهر، ومدى عمق الإحساس بالذات وبالمجتمع وعلاقة المحدود باللامحدود، وكلما اقترب هذا المعادل التعبيري من مناطق الدمج والحلول شفَّ عن رحابة نفس الشاعر، ونفاذ شاعريته، وكلما اقترب من تجزيء الظواهر، والتماس وجوه المشابهة ابتعد عن كلية الرؤية وعمق التصوير.

أي إن الاستعارة لم تزل - كما قرر أرسطو - محك الشاعرية، ودليل عبقرية الشاعر، أمَّا التشبيه فإنه يكرس الانفصال بين المشبَّه والمشبَّه به في العالم الخارجي، ومن ثم فهو على أحسن الفروض وعلى أرقى وظائفه، إنما ابتدع على حد قول العقاد، لنقل الشعور بالأشكال والألوان من نفس إلى نفس، وبقوة الشعور وتيقظه وعمقه واتساع مداه ونفاذه إلى صميم الأشياء يمتاز الشاعر على سواه، غير أنه كلما كان النفاذ إلى صميم الأشياء أكثر عمقًا فإن الشاعر سوف يجد أسباب الدمج أكثر من أسباب الفصل والتجزيء وتكريس الكون المبعثر أمام حواس الشاعر؛ ومن ثم فإنه سوف ينتقل إلى وسيلة أعمق من التشبيه، وكلما كانت الصورة أكثر انفعالاً في «الاستعارة» كانت فاعلية الشاعرية أكثر اقتدارًا على التحليق والإضافة إلى المخلوقات الخارجية بمخلوقها الفني المتميز» (٥).

ـ ومتى تكون هذه الصورة زائفة ؟

○○ «إيغال الشاعر في وسائل تصويره في عالم التخليق بوسائل استعارية أمر يتصل بفطرته، ومكوناته النفسية، يتوجه إليها توجهًا عفويًا منعكسًا من ذاته على فنه الشعري، ولا سبيل إلى اصطناعه إلا عند مَنْ يزيفون المشاعر والأحاسيس ولا يلتمسون من الفن غير ما يلتمسه المعدمون من بريق الجواهر المزيفة»[٦].

ـ دكتور أنس . . بعد أن أطللنا على الشعر من منظور الصورة نريد أن نتعرّف مفهومَ الصدق الفني في الشعر ؟

○○ «مقياس الصدق الفني العميق أن ينبع العمل من نفس شاعره، وأن يكون صادرًا عن معاناة شعورية حقيقية، وأن يكون مصورًا لتجربة مرَّ بها الشاعر؛ سواء أكانت هذه التجربة ذاتية كتجارب الحب للجمال والمرأة، أو كانت تجربة مرصودة في الخارج كتجارب الآخرين، أو كتجربة النضال من أجل الوطن أو الحق أو العدالة . . . »[٧].

ـ وهل ينطبق هذا الكلام على الشعر المسرحي أيضًا ؟

○○ «حتى الشعر المسرحي يطالب الشاعر المبدع بأن يصدر الشعر في العمل المسرحي من داخل الشخصية، وأن يتفق أو يتسق مع آفاقها الشعورية والفكرية، ونمط حياتها، ورصيد تجاربها، ومستوى انفعالها بالأحداث؛ ولن يصدر بهذا الصدق إلا إذا أحلّ الشاعر نفسه محل الشخصية المسرحية، وعانى ما تعانيه في مثل هذا الموقف، وعبَّر من داخله؛ صادرًا من معاناته للتجربة معاناة عميقة . . وهذه المعاناة هي ـ في الحقيقة ـ التي تبدع الصور المتفردة، وترسم الآفاق النفسية الرحيبة أو المحدودة، وتشفُّ عن قدرات المبدع الحقيقية في استخدام المفردة اللغوية، وتوظيف العناصر الموسيقية واللجوء إلى عالم الرمز والأسطورة. وهذه المعاناة ـ أيضا ـ هي التي تشير إلى مخزون نفسه من تراث أمته، وتراث الإنسانية من حكايات وأساطير، ومعرفة الأديان، وفلسفة التاريخ، أو عِبرة الحياة الإنسانية بصورة عامة، وتطوّرها في مختلف جوانبها، ثم تشير أيضا إلى المخزون الثقافي للشاعر»[٨].

ـ وما موقف تجربة الشاعر في هذا السياق ؟

○○ «التجربة ـ إذن ـ سوف تطرح علينا الصادق الأصيل من شاعرية الشاعر، وسنلمح


علي محمود طه


محمود حسن إسماعيل

○ الصورة وسيلة الشاعر الأولى لاكتناه أسرار الوجود.

على شاطئها الأعشاب والأخلاط التي صاحبت هذه العناصر الأصيلة في إنتاج الشاعر، من استخدام لمهاراته اللفظية والموسيقية حينًا، أو انحراف مع المشاعر العامة، والهتاف في مواكب الجماهير حينًا، أو تملّق الحكام، أو مجاراة الأوضاع العامة حينًا آخر . . . »[٩].

ـ دكتور أنس . . نود أن تحددَ لنا خصائص المفردة الشعرية، وهل هناك مفردات شعرية وأخرى غير شعرية ؟ وهل لكل شاعر قاموس لغوي خاص ؟.

○○ « لم يعد ينظر في النقد الحديث إلى المفردة في حد ذاتها : هل هي شعرية أم غير شعرية؛ فكل مفردة في سياق شعري هي مفردة شعرية بالضرورة؛ وكأن القدماء قد اقتنعوا بأن هناك معجمًا شعريًا، وأن هنا ألفاظًا غير شعرية لا ينبغي لها أن تدخل عالم الشعر، فما من بيت وردتْ فيه كلمة أيضًا أو فقط إلا وتصايحوا : هذا لفظ غير شعري، وكانت لأحد الشعراء حبيبة اسمها (بوزع) ولا حيلة لها في هذا الاسم، فحكموا بأن اسمها يفسد الشعر.

تخلَّى النقاد في العصر الحديث عن هذه القضية الخاسرة، وتسلح الشعراء بمزيد من الشجاعة في استخدام مفردات الحياة، وأصبحت الكلمة داخل السياق الشعري مثل المولود داخل بيئة صالحة للحياة والتنفس، فإذا لم يكن السياق صالحًا لإيراد «المفردة» اللغوية، أصبحت مولودًا ميتًا لأنه وُجد في بيئة لا تستطيع أن تهبه الحياة، وأصبحت المفردة ـ من ثم ـ غير شعرية»[١٠].

ـ لكنك لم تتحدث عن مسألة القاموس الشعري الخاص ؟

○○ «لقد اتصل ببحث «المفردة» دراسة القاموس الخاص للشاعر، فوُجد أن لكل شاعر عظيم خصائص أسلوبية في استعمال عدد من المفردات ذات الدلالات التراثية والثقافية والنفسية الخاصة، وأن أسلوب استخدام هذه المفردات قد يغير من معانيها ومن دلالاتها ويطوّر فن الشاعر أو يكون نتيجةً لهذا التطوّر، وأننا نستطيع أن نرصد حياة الشاعر برصد هذا المعجم وملاحظة التغيرات التي تلحق به، والبيئة اللغوية المصاحبة لكل مفردة، ومدى الإضافة إلى هذا المعجم في فترات حياة الشاعر المختلفة، أو مدى الانتقاص منه، ومدى الاعتماد على طائفة خاصة من هذا المعجم، وإطراح مجموعة معينة منه، ولكل هذا دلالات في رصد تجربة الشاعر، ورصد تطوّره النفسي والثقافي، وموقفه من همومه الذاتية، ومشكلات مجتمعه وعصره»[١١].

أنس داود

ذلك الينبوع الثر

حوار معه من خلال أعماله

ـ ليتك تتكرّم بذكر مثال يوضح ويضيء .

○○ «لقد تتبعت على سبيل المثال في كتابي «الرؤية الداخلية للنص الشعري . . محاولة في تأصيل منهج» تطور استعمال الشابّي لكلمة «الحزن» في شعره، فوجدتها ـ مع قصر حياة هذا الشاعر النابغة ـ تعبر عن ثلاثة معانٍ مختلفة، أو تصدر عن ثلاثة بواعث مختلفة وفقًا لتطوّر الشاعر الذي كان سريعا وكأنه يختصر في لمحات ما يمرُّ به غيره من مراحل حياتية كاملة :

أولاً : يعبر «الحزن» في الفترة الأولى من حياة الشاعر عن أسى ذاتي لفقد حبيبة الصِّبَا .

ثانيًا : يعبر «الحزن» في فترة لاحقة عن أسى اجتماعي بعد أن صدمته الطبيعة البشرية بالتوائها، ونزعات الشر والغرور في الإنسان؛ ثم حرمان هذا المجتمع ــ تحت وطأة الاستعمار والقوى المستنزفة والمستفيدة ـ من الحرية والعدالة الاجتماعية .

ثالثًا : يعبر «الحزن» في مرحلته الأخيرة في إنتاج الشاعر وفي حياته عن حزن كوني يصدر عن تأمل عبثية الوجود، وضياع المصير الإنساني في هذه اللعبة التي لا تنتهي . . . »(١٢).

ــ الدكتور أنس داود يعتبر أحد رواد القصيدة المعاصرة، ترى ما أهم منجزات القصيدة المعاصرة من وجهة نظره ؟

○○ «ثلاثة منجزات أحرزتها «القصيدة المعاصرة» بعد عناء طويل، هي : التكثيف، والتعبير بالصورة، والبناء . . . »(١٣).

ــ دكتور أنس، ونحن نتحاور حول الشعر نحبُّ أن نعرف رأيك الصريح في الحركة الشعرية حاليًا .

○○ «الحركة الشعرية جزء من حركة المجتمع العربي الذي يواجه منذ سنوات تمزقًا عنيدًا، تراجعًا عما كان يُحسَبُ منذ سنوات في حساب إيجابياته ومكاسبه .

والأمة العربية تواجه مستقبلاً متلفعًا بالضباب يحجب الرؤى الصادقة، ويبعثر الجهود المخلصة، وينعكس التَّراجع والتمزُّق والضبابية على الحركة الشعرية، فيجتَرّ الشعراء الصاعدون الآن الصور والأبنية الشعرية والمعجم الذي أبدعه الشعراء في الخمسينيات والستينيات، ويلحق بشعرهم ما يلحق بشعر المقلّدين من فتور وطرائق مسدودة. بل أوغل الكثيرون في العودة إلى تقليد الشعراء الكلاسيكيين والشعراء الرومانسيين، ومن ثم فإن واقع الشعر الآن هو اجترار الماضي في انتظار أجيال من المبدعين تجدد رؤيتها للحياة، ويتجدد في أعماقها النبض الشعري، كما تكتشف لغتها الجديدة، وآفاقها الشعرية الخاصة التي تفجر الحياة في كيان أمتنا، وتبتعث في هذه المرحلة الهامدة الخامدة براكين التغيير»(١٤).

ـ وأين أنت من هذا البعث المنشود ؟ .

○○ «قد حاولت أن أسهم ــ أخيرًا ـ في هذا البعث الشعري المنتظر بدخولي عالم الدراما الشعرية، وإبداعي لِستٍّ مسرحيات شعرية نشرت للأسف خارج مصر . . »(١٥).

ــ ولماذا كانت الدراما الشعرية بالذات ؟

○○ «إن النقاد الذين كتبوا وتحدثوا عبر الندوات الأدبية في القاهرة والإسكندرية قد أدركوا المغزى الحقيقي لصدور هذه الدرامات الشعرية في الوقت الذي تواجه فيه الحركة الشعرية نضوبًا وتراجعًا وطريقًا مسدودًا؛ إنها محاولة للخروج من مأزق «القصيدة العربية المعاصرة» إلى رحابة الدراما، وما تعطيه للشعر من آفاق وإمكانات، سواء في توظيف التراث الثقافي، أو طاقات التعبير عن هموم الإنسان المعاصر»(١٦).

ـ دكتور أنس ندع الشعر الآن، ونتساءل ما النقد الأدبي ؟

○○ «إذا كان الأدب فن دراسة الحياة، والتعبير عنها باللغة، فإن النقد الأدبي فن دراسة هذا الأدب، والكشف عن خصائصه وأسراره، والتمييز بين جيده ورديئه، ولذلك فهو في حاجة إلى دراسة واسعة يستعين بها الناقد على استيعاب الأعمال الأدبية، والقدرة على تذوقها، والبصر بأبعادها الفكرية والاجتماعية والجمالية . . »(١٧).

ـ مهمة الناقد ـ إذن ـ ليست يسيرة أو عابرة ؟

○○ «مهمة خطيرة تحتاج إلى وعي كبير، وإلى معرفة واسعة، ولكنها مع كل هذه الأهمية والخطورة تظل تابعة للإبداع الأدبي. فالنقد ـ على حد تعبير أحد علمائه ــ علم من علوم الظلال؛ أي تابع لظاهرة أخرى يتألق ويزدهر بوجودها وتألقها وازدهارها، ويضمحل ويكاد يختفي من الوجود بتهافت الإبداع الأدبي أو انحطاطه . . »(١٨).

ـ وهل الإبداع المزدهر ـ وحده ـ قادر على ازدهار النقد الأدبي ؟

○○ «يحتاج النقد الأدبي إلى شيء آخر بالإضافة إلى ازدهار الإبداع الأدبي؛ ذلك هو ازدهار البيئة العلمية، وتقدُّم طائفة من العلوم الإنسانية، أي إنه ظاهرة فكرية حضارية. فوجود الإبداع الأدبي في حد ذاته ليس بالحافز الوحيد إلى وجود النقد الأدبي»(١٩).

ـ لا تزال المسألة في حاجة إلى إيضاح، أليس كذلك ؟

○○ «كان لدينا في الجاهلية والعصر الأموي ازدهار أدبي على نحو ما، بل إن المعلقات، وهي من أرفع النماذج الشعرية في الأدب العربي قد وُجِدتْ في العصر الجاهلي، ومع ذلك لم يوجد النقد الأدبي لدى العرب إلا بعد أن ازدهرت في العصر العباسي مجموعة من العلوم العقلية والنقلية، ونشطت الترجمات، واستوعبت العقول كثيرًا من

أسرار المعرفة، وبعد ذلك بدأت تتفتح أولى ثمرات الوعي العميق بأسرار «الظاهرة الأدبية».

إذن النقد الأدبي فيما نرى لا ينضج ولا يزدهر ولا يتكامل إلا في ظلال وجود متكامل من :

أ - الإبداع الأدبي.

ب - البيئة العلمية، التي تنضجُ العقول وتزدهر فيها مجموعة من المعارف الإنسانية.

حدث هذا لدى اليونان قديماً، ولدى الأوربيين حديثًا، كما حدث هذا لدى الأمة العربية في قديم تاريخها، وتراثها الإبداعي والفكري، وفي عصرها الحديث»[20].

- دكتور أنس.. باعتبارك الآن أحد أعلام النقد المعاصر لأدبنا العربي، مَنْ كان صاحب الفضل في توجيه ثقافتك النقدية؟

○○ «إذا كان لي أن أتحدث عن أربعة من النقاد كان لهم أكبر الأثر في توجيه ثقافتي النقدية، فينبغي أن أتحدث عن طه حسين والعقاد ومحمد مندور ومحمد غنيمي هلال، معتقدًا أنني نفذت من خلال هؤلاء النقاد إلى الفكر النقدي العالمي، وإلى التراث النقدي العربي، وأخذتُ عنهم كثيراً من البصر بطبيعة النص الأدبي وأوجه دراسته.. وأن ما عكفت عليه بعد ذلك من قراءات في تراث الأقدمين، وبخاصة عبد القادر الجرجاني، وأرسطو، والغربيين المحدثين وبخاصة كولردج وإليوت كان ثمرة توجيههم المباشر.

على أن تتبُّعي لجهود الأجيال التي عاصرت هؤلاء المفكرين والأجيال التي لحقت بهم قد أكدت في نفسي مجموعة من المبادئ والأفكار النقدية، كما قد أوهَنتْ في نفسي نقائض هذه المبادئ والأفكار. وقد تضافرت هذه الثقافة العريضة والمتشعبة إلى تكوين موقف نقدي خاص، وبخاصة في مجال تذوق الشعر»[21].

- لقد درست قضايا عديدة مثل «التجديد في شعر المهجر» و «الأسطورة في الشعر العربي الحديث» و «الطبيعة في شعر المهجر» وغيرها.. فما المنهج الذي تؤثره في دراساتك؟ وما أهم أسس هذا المنهج؟

○○ «المنهج الذي اتبعته في هذه الدراسات أو غيرها هو المنهج الذي أوثره دائمًا في دراسة «ظاهرة أدبية»[22].

«وقد يكون صوابًا أن نسمي هذا المنهج «منهج خدمة النص الأدبي» أو «منهج الرؤية الداخلية للنص» ولعله يقترب منه المنهج الجمالي المعروف،



محمد مندور

○ النقد تابع للإبداع الأدبي وتألقه وازدهاره مرتبط به.

ولكنه يضيف عليه البصر بخلفية النص، وبواعثه، وغاياته»[23].

«ويتمثل في :

١ - اصطفاء «النص الأدبي»، فإن ما دون الجودة الفنية لا يستحق عناء الالتفات.

٢ - تحليله وتفسيره، في ضوء النتاج الأدبي العام، وفي ضوء الخصائص الذاتية لهذا النص.. مع عدم إغفال ما يفيد النص - في استيعابنا له - من إلمام بحياة الشاعر وعصره وظروفه الاجتماعية ومشكلاته النفسية.. وغير ذلك.. مما نستعين به على فهم النص دون إقحامه على القارئ، أو بعثرة الجهد في رصده وتركه يطغى على القيم الفنية في النص، وبعبارة مختصرة: «البصر بالظاهرة الفنية داخل وجودها التاريخي، وصلاتها الخفية بالفكر وبالحياة، ثم إجلاؤها للقارئ في قوانينها الخاصة، وقيمها الذاتية»[24].

- صديقي الأعز أنس، باعتبارك أستاذ النقد الأدبي بكلية رياض الأطفال بالإسكندرية، فما إسهاماتك في هذا المجال؟

○○ «أدب الأطفال.. في البدء كانت الأنشودة» و «سبع مسرحيات شعرية» للأطفال والناشئين، وكتاب «أدب الأطفال» هو إطلالة على شعر الأطفال - أنشودة/ حكاية - ونظرة تاريخية صاحبتها نظرة فنية، تعيد تقويم ما قُدِّمَ وتفتح الطريق لما ينبغي أن يكون»[25].

الهوامش

(١) محمد هزاع - أنس داود، وداعًا. الأهرام في ٢٣/ ٤/ ١٩٩٣م.

(٢) عبد الفتاح عثمان - أنس داود. قنديل الشعر الذي انطفأ. جريدة «الأهرام» في ٩/ ٥/ ١٩٩٣م.

(٣) أنس داود - ديوان «بقايا عبير» المؤسسة العامة للتأليف والنشر. ط عام ١٩٦٦م.

(٤) أنس داود - حوار مع الإبداع الشعري المعاصر. هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان. ط ١٩٨٦م. ص ٩.

(٥) أنس داود - شعر محمود حسن إسماعيل، محاولات للتذوق الفني. هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان ط ١٩٨٦م. ص ١٦.

(٦) المصدر السابق ص ١٧. (٧) السابق ص ٢٤.

(٨)، (٩) السابق ص ٢٤.

(١٠)، (١١) السابق ص ٤٠.

(١٢) السابق ص ٤٠، ٤١.

(١٣) أنس داود - حوار مع الإبداع الشعري المعاصر. ص ١١.

(١٤)، (١٥)، (١٦) المصدر السابق ص ٥.

(١٧) أنس داود - في التراث العربي نقدًا وإبداعًا - هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان. ط ١٩٨٧م. ص ١١.

(١٨)، (١٩) المصدر السابق ص ١١.

(٢٠) السابق ص ١١، ١٢.

(٢١) أنس داود - حوار مع الإبداع الشعري المعاصر. ص ٦.

(٢٢) أنس داود - الأسطورة في الشعر العربي الحديث - مكتبة عين شمس، ط ١٩٧٥م. ص ٨.

(٢٣) المصدر السابق. ص ٩. (٢٤) السابق ص ٨، ٩.

(٢٥) أنس داود - أدب الأطفال : في البدء كانت الأنشودة ط دار المعارف بالإسكندرية عام ١٩٩٣م. ص ٣.

شكسبير فرنسا

لقطات من حياة الكاتب المسرحي موليير



موليير

د. جمال عبد الناصر

عندما سأل **لويس الرابع عشر** الناقد الفرنسي الشهير **نيكولاس بوالو** عن أعظم الكتاب في القرن السابع عشر، أجاب على الفور بأنه **موليير**. لم يعتقد الملك ذلك، إلا أن التاريخ برهن على صواب رأي بوالو، بل وعلى نفاذ بصيرته!

لم تمض ستة أعوام على رحيل الكاتب الإنجليزي العظيم وليام شكسبير حتى شهدت فرنسا ميلاد «شكسبيرها» والأب الروحي للكوميديا الحديثة فيها. ففي عام ١٦٢٢ أنجبت سيدة باريسية طفلاً لرجل ميسور الحال يُدعى جان لوكلين، كان يقوم بأعمال الزينة في منازل الأغنياء. وفي التاسعة من عمره أُلحق ذلك الطفل ـ وكان اسمه حينئذ **جان باتست** ـ بمدرسة للآباء اليسوعيين حيث قضى ثماني سنوات، أكبّ خلالها على قراءة المسرحيات الهزلية التي ألّفها عملاقا المسرح الروماني القديم **بلاوتاس وتيرينس**. ثم التحق في عام ١٦٣٩ م بإحدى الجامعات الفرنسية لدراسة القانون، ولكن ذلك لم يستهوه، إذ فضّل أن يزاول حرفة أبيه، فعمل بالفعل مصمماً (للديكور) لدى البلاط الملكي، إلا أنه لم يجد متعة في ذلك أيضًا، فقرر أن يكرّس حياته للمسرح.

وكان جان باتست في الحادية والعشرين عندما تحوّل فجأة إلى المسرح، بعد أن وقف على حقيقة نفسه، واكتشف أن فن الدراما متغلغل في أعماقه، فاستقر عزمه على أن يهب حياته لتلك المنصة حالمًا أن يقف على خشبتها ليؤدي ألوان التمثيل المختلفة. ولم يكن ذلك بالقرار الحكيم في فترة لم تتوافر لممثلين فيها أدنى منزلة اجتماعية أو قبول من جانب السلطات الكنسية. واضطر جان باتست أن يغير اسمه، فاستعار اسم **موليير** كي لا يورّط أسرته في المتاعب. ثم انضم إلى فرقة من ممثلي المسرح، كانت نواتها أسرة تدعى البيجارت، تكونت من ثلاث فتيات: مادلين التي كان جان باتست يميل اليها وجنيفيف ورمانده، ومن ولدين هما جوزيف ولويس. فكوّنوا جميعا فرقة جديدة أطلقوا عليها «المسرح التصويري»، إلا أنهم وجدوا صعوبة في شق طريقهم إلى قلوب النظارة، لوجود فرقتين أخريين تعملان بصفة دائمة في باريس. وكان من نتيجة الفشل الذي لحق بالفرقة أن تراكمت ديونها حتى عجزت عن سدادها، ولما كان موليير المدير المالي للفرقة، فقد زُجّ به في السجن، حتى تدخّل أبوه على مضض، ودفع ديون الفرقة فأطلق سراحه. ولكن ذلك لم يثبط من عزيمة موليير الذي راح يعمل باجتهاد ومثابرة، لا ممثلاً فحسب، بل مؤلفًا ومخرجًا مسرحيًّا أيضا.

وأخذ موليير يفكّر مليا في ترك مسقط رأسه في عام ١٦٤٣، ليتجول في أنحاء فرنسا، فأخذ فرقته ـ التي صار مؤلفها ومخرجها الأول ـ وطاف بها في جولة استمرت نحو ثلاثة عشر عامًا، أدّت الفرقة خلالها العروض المسرحية المختلفة، مما أكسب أعضاءها خبرة كبيرة، وبخاصة موليير الذي راقب عن كثب تأثير أعماله في جماهير فرنسا، وراح يطوّر فنه ويغيّر ويضيف ويحذف من نصوصه المسرحية بما يتفق مع ملاحظاته التي دوّنها في ذاكرته. واستطاع بعض أصدقائه أن يقنعوه هو والفرقة بالعودة إلى باريس، ليحاولوا ـ من جديد ـ جس نبض جمهورها الواعي، فحاول موليير أن يجرّب موهبته في التمثيل والتأليف معًا. وفي الرابع والعشرين من تشرين الأول أكتوبر عام ١٦٥٨ م عادت الفرقة لتمثّل أمام لويس الرابع عشر، وكان لم يتجاوز العشرين من عمره بعد. فترك موليير انطباعًا لا بأس به كممثّل تراجيدي، إلّا إنه برز كواحد من ألمع مؤلفي المسرحيات الهزلية والممثلين الكوميديين، عندما عرضت فرقته مسرحية «الطبيب الميتّم» إذ أثنى الملك الشاب على الفرقة، ومنحها حق التمثيل في باريس وبخاصة في فندق بوربون الصغير وعلى «مسرح القصر الملكي».

أهم أعماله

ولعل من أروع إنجازات موليير في مجال التأليف الدرامي قدرته على الارتقاء بالكوميديا الفرنسية إلى مرتبة نافست التراجيديا، إذ حطّم بذلك قاعدة أرسطو الراسخة بشأن مكانة الملهاة بالنسبة للمأساة. ومن أعماله التي تدل على ذلك سلسلة من المسرحيات الساخرة التي عرضت في باريس ولاقت نجاحًا منقطع النظير في البلاط أو على المسارح العامة، والتي ضمت مسرحيات «طرطوف» (١٦٦٤ م) و«دون جوان» (١٦٦٥ م) و«طبيب رغم أنفه» (١٦٦٦ م) و«عدو البشرية» (١٦٦٦ م) و«البخيل» (١٦٦٨ م) و«البرجوازي» (١٦٧٠ م) و«نبيل المستقبل» (١٦٧٠ م) و«المتحذلقات» (١٦٧١ م) و«مريض الوهم» (١٦٧٣ م). ففي مثل تلك الهزليات هجر موليير بلاوتاس وتيرينس وبدأ باستعراض سخريته من المجتمع الفرنسي، بكل ما يحويه من أنماط الغباء، وصور الشذوذ والسفسطة والرذائل جميعها، وكما توقع تماما، فقد جلبت له سخريته اللاذعة تلك ـ وخاصة من نفاق مجتمعه وتهكمه الشديد من سلوك العصر والناس على السواء ـ الكثير من

المتاعب التي استلذتها وعشقتها روحه، فثارت عليه السلطات الكنسية، وصبت لعناتها على رأسه.

ومنزلة موليير بوصفه واحدًا من أعظم أساتذة العالم في التأليف المسرحي، ترجع أساسًا إلى قدرته الفذّة على ابتكار العديد من الشخصيات الدرامية، وبخاصة في تصويره أخلاقيات وسلوكيات فرنسا في القرن السابع عشر، حيث سيطرت الفروق المادية والطبقية على كلّ المصالح والهيئات بما فيها طبقة رجال الدين. فراح يفضح من خلال الإطار الهزلي رذائل القصر بأسلوب دافئ رصين، مبالغ فيه بعض الشيء، ولكنه يحوي قدرًا كبيرًا من الحقيقة. وكان ذلك بعد أن أوضح تماما في تقديمه لمسرحية «طرطوف» أن كل شيء على سطح الأرض يلحقه الفساد لا محالة، وأن سلاح السخريّة لا غنى عنه لمجابهة شرور الدنيا، أو الحد منها وتصحيحها، مما لا يدع مجالاً لإعفاء بعض الموضوعات من التهكّم بحجة أنها مقدسة أو منزلة من السماء بما في ذلك طبقة الكهنوت.

ولأن موليير صار مخضرمًا بمرور الوقت بوصفه فنانًا متنوّع الاتجاهات، يحترف التمثيل والإخراج وقرض الشعر وكتابة النص المسرحي، فقد انعكس ذلك على شخصيته التي تؤلف نموذجًا زاخرًا، بات مرجعًا للعديد من مؤلفي الكوميديا الإنسانية فيما بعد. ورغم افتتان موليير الأديب بالتقاليد التي صيغ من خلالها الأدب الفرنسي في ذلك الوقت، فإن موليير الممثل والمخرج المسرحي وجد فيها الصرامة، فنبذها بوصفها قواعد كلاسيكية جامدة، وركّز انتباهه على جمهوره الذي جرّب مختلف البنى الدرامية؛ لإرضائه مما كتب لفرقته التوفيق في فترتها الانتقالية العصيبة. واستطاع موليير بموهبته وذكائه اللذين صقلتهما الخبرة، وبمنهجه الذي اعتمد على ملاحظة ما لاقى قبولاً لدى مرتادي مسرحه، أن يتوصل إلى تركيبة كوميدية جديدة كان لها أثر كبير في تشكيل مستقبل الكوميديا في فرنسا. كان «الفارْس» شائعًا منذ أمد بعيد بما له من تقليد طويل، ولو أن الأوساط الأدبية والشعبية انشقت على مكانته، فرفضته الأولى واحتضنته الثانية، وكانت «الكوميديا دي لارتي» اللون المفضّل لدى الجمهور رغم ارتجالها الشديد، وفي هذه وجد موليير ضالته المنشودة، فصبّ في قالبها ذكرياته عن كل ما شاهده في سني دراسته من المسرحيات الرومانية، سواء من جهة الحبكة الدرامية أو الشخصيات، وانصهر الشكل والمضمون في بوتقة المسرح، ليتمخّض عنهما لون مسرحي جديد، يمكن أن نطلق عليه «الكوميديا روما دي لارتي». كما صاغ موليير ألوانًا أخرى من فنون الدراما مثل «الكوميدي باليه» و«الكوميدي باليه أوبرا» و«كوميديا الحيل الآلية» و«كوميديا السلوكيات» و«الكوميديا الرعوية».

غايات الكوميديا

ولقد اعتقد موليير مبدئيًا أن هدف الكوميديا الأسمى هو مجرد التسلية، أي أن تُضحِك وتسعد جمهورها، إلا أنه أدرك - عندما زادت رؤيته لمجتمعه عمقاً وجدّة ــ أن الملهاة تهدف في المقام الأول إلى استعراض مواطن الضعف في شخصية المواطن الفرنسي بلا تستُّر أو حرج أو تزييف. فكانت شخصيات المتحذلق والبخيل والمثقف الجهول والانتهازي ورجل الدين المنافق، والتي جاءت جميعها مقنعةً ومفعمةً بالحياة وبعيدة عن المبالغة أو التهويل لكونها منتقاة بحرص شديد من واقع المجتمع الفرنسي. ولهذا فإن تلك الشخصيات قد فاقت الشخصيات التقليدية في «الكوميديا دي لارتي» التي استفاد منها موليير إلى حدٍّ لا يمكن نكرانه.

ولقد ثار موليير على الشكل التقليدي للمسرحية الذي يحوي خمسة فصول، فجاءت مسرحياته في ثلاثة فصول، وأحيانا في فصل واحد، نجد فيه خطاً دراميًا واضحًا يتطوّر بتعاقب حلقات عقدته الواحدة تلو الأخرى، والتي تدفع أحداثها حيل ومكائد الشخصيات لخداع بعضهم بعضا، مما يبرز الأخطاء الهزلية ويصل بالموقف الكوميدي إلى أقصى درجات التعقيد. وغالبًا ما يأتي حل العقدة على أيدي الخدم الذين يفوقون أسيادهم فطنةً وذكاءً، ولكنهم يُخفون مواهبهم تلك كي لا يفقدوا مصادر رزقهم، فيرتدون ثياب الغباء أمام من هم أعلى مرتبةً منهم، ثم يقدمون يد العون بطرق ملتوية ماكرة لمن هم في حاجة لمساعدة، وخاصة في شؤون العشق والغرام، مقابل الأجر الجزيل والمكافآت الكبيرة، كما تتفوّق الشخصيات النسائية على الرجال، فتبدو أكثر رزانة ووقارًا وتؤدة وأقل طيشًا واندفاعًا وتهوّرًا، وتعرف تمامًا من أين تؤكل الكتف، ومتى يُطرق الحديد. ومن بين تلك الشخصيات شخصيتا امرأتين لا يمكن نسيانهما: **أجينسي وجوردين**.

فهم الطبيعة البشرية

ولقد أدرك موليير مواطن العبث في الحياة ومظاهر الحُمق في الطبيعة البشرية، إلا أن ذلك لم يضلله أو يُحجّر فؤاده على بني جنسه، أو حتى يضعف أمله في مستقبل الإنسانية. وربما كان ذلك سببًا في خلو مسرحيته الساخرة «مريض الوهم» من النقد الجارح أو التعليق اللاذع. ففهْم موليير لمفارقات الطبيعة البشرية جعل منه ــ ولا شك ـ ذلك الكاتب العظيم، تمامًا مثل شكسبير الذي كانت تلك الطبيعةُ المحورَ الأساسيَّ في أعماله الكوميدية منها أو التراجيدية، أو حتى التاريخية. فالإنسان عند شكسبير هو إنسان سواء ارتدى طرطورًا فوق رأسه كالأحمق، أو أمسك صولجانًا كالملك، أو حمل درعًا كالمقاتل المغوار. ولقد مزج موليير ببراعة بين متناقضات النفس البشرية، حتى يمكن أن نقول: إنه كوّن منها تآلفًا غريبًا، كما يتضح لنا من شخصية «دون جوان» الذي يرتكب المعاصي وهو مدرك تمامًا ما قد ينجم عنها من عواقب وخيمة، بل ويستمتع بما يأتي من الفواحش. يلتحم الظاهر بالباطن هنا، والمعقول باللامعقول والحكمة بالخبل، والشعور باللاشعور، في وحدة كوميدية بؤرتها الإنسان؛ وعلى قدر تهكم موليير بذلك الإنسان فقد مدحه وأثنى عليه وأفنى سني عمره ليسعده ويعلمه ويبهره، ويكشف له النقاب عن كنه طبيعته.

وفي ذات ليلة من عام ١٦٧٣م، بينما كان موليير يؤدي أحد الأدوار الهزلية المفضّلة لديه على خشبة المسرح ويُضحك العشرات من عشاقه، فاضت روحه، وتنطفئ شمعة أنارت الطريق أمام كل فرنسي في وقت ما، وهدته إلى جزء من الحقيقة، التي طالما أغفلها، أو تاهت عنه في دروب الزيف والكذب.

قصـة وتحليـل:

الحزن يتألق

بقلم: أحمد المعلم

القصة مثل البيت، ينهض بالركائز، والركائز الأولى للقص هي الحدث، ويأتي الموضوع تالياً للحدث، وإذا كان الحدث يسير باتجاه تقديم الموضوع دائماً، فلا يُشترط أن يعترض الموضوع الحدث، والركائز في القصة القصيرة هي الأعمدة التي ينهض عليها البناء القصصي، وللركائز تعاضد وتآلف في تمتين البنيان، وكذلك لها أسباب ووسائل لتحقيق الإيصال والاتصال. والتعبير ما دام من ضمن الأسلوب فإنه يخدم الخصوصية والذاتية للكاتب.

تقوم قصة «بائع التوابيت»[1] لرياض نصور* على ركيزتين، كفلتا تجسيد الحدث، وتقديم الموضوع، وهما عبارة عن مشكلتين متآلفتين، تعترضان حياة البطل عبد الله. الأولى هي مشكلة موت «إلياس خليل إلياس» المفاجئ، وهذا الموت ليس هو المشكلة بدقة، حيث: «الناس يولدون ويموتون كل يوم،، إنما الغرابة في أن طول «إلياس خليل إلياس» أكثر من مترين، وكل التوابيت التي في مستودعنا لا تتّسع لجسده الطويل» ص ١٠. ويمكننا اعتبار الغرابة أو الإدهاش السمة الأولى لتركيب حوار بين طرفين، يثير الانتباه لديهما. وهذه الخصيصة يبدو أن القصة قد أمسكت بزمامها بحزم.

المشكلة الثانية التي هي ركيزة كالأولى، مهمّتها توسيع دائرة القصة، واستقطاب التواصل مع لحظة التنوير أو الخاتمة، كي يكون سبيل التوضيح وتمكين المتعة من المتلقي بارزاً. وهذه المشكلة المتواصلة مع الأولى، هي أن البطل عبد الله قد تنبّه إلى وجوده، وإلى ما فاته من حياته: «يعود إلى غرفته البائسة وبقايا دموع في عينيه مع الكثير الكثير من الألم في نفسه المظلمة كفوهة قبر. يسترسل في أحلامه الحزينة... لا بيت له، لا زوجة، ولا أطفال كالآخرين... وحيدًا منبوذًا كقط أسود» ص ١٦. ولعلّ التنبيه ما كان ليكون لولا ما بعثه ما هو موجود في بيت الميت: «زوجةٌ غائبة عن الوعي، وأولاده يصرخون» ص١١. أما هو: عبد الله، فمن سيحزن عليه؛ ومن سيصرخ؟!

البطل عبد الله: «يحمل الكآبة والحزن شعاراً، دفن منذ قليل «إلياس خليل إلياس» بقدميه الطويلتين الكبيرتين المرفوعتين... نبذته الحياة لأنه أكبر من سرير بقائه.

وهو المنبوذ يعود إلى كهفه كلّ مساء كلّ يوم..» ص ١٨. هكذا يفطن عبد الله إلى صغاره وصغره، وإلى كِبَر «إلياس خليل إلياس»، لأنه عمِل في الحياة، وكوّن أسرة. أما هو فإنّه: «وحيد، مهمل، تافه... كحشرة صغيرة تتحرك في رغام أرض عوراء... أرض عوراء خاوية كعينه العوراء المتحركة في وجه كالح أسود» ص١٨. وهذه القرائن الدالة على البؤس والشقاء والوحدة من شأنها أن ترفع من سوية التعبير في المبنى القصصي، ومن شأنها أيضاً أن تعزّز منطق المحاكمة في ذهن المتلقي، فالصحيح الثابت هو أن «إلياس خليل إلياس» وكذلك عبد الله من الفقراء والمحرومين، إلا أن عبد الله هو أبأس من «إلياس خليل إلياس»، وأقلّ منه تمتّعاً في الحياة. وله أن يهرع بعدئذ إلى التابوت، خشية أن لا يتّسع له كما هو الحال مع «إلياس خليل إلياس». لكن كيان عبد الله كان أصغر من التابوت، كما أن جسده أصغر من جسد «إلياس خليل إلياس»: «يتّسع التابوت له، ولقدميه الصغيرتين القصيرتين.. يحلم أنه يموت...»[2] ص ٢٠. أما السبب الذي أوجد هذا الفعل زيادة على الزوجة والأولاد في بيت الميت هو أن هدى التي أحبّها عبد الله من بعيد، ومن خصاص النافذة فقط قد وجدت الشاب الذي ستضع حياتها بين يديه، فلم يبق بين يدي عبد الله سوى أن يبحث عن التابوت المناسب لكيانه، وعندئذ ليس لنا أن نتصوّر الفعل الخارق يأتي به عبد الله، وإنما نرى فعل الانهزام والاستسلام يسيطر على الموقف: «يمدّ يده المرتجفة، ويغلق غطاء التابوت...» ص ٢١.

فما الصفة المركزية التي جمعت إلياس وعبد الله؟ وما الصفة المشتركة بين الركيزتين؟

إن الحزن العميق هو الذي ظلّل السيرورة القصصية كلّها. فالصفة الأولى التي يحملها عبد الله: «وهو الذي يحمل أنباء الموتى» ص ٩، وليس نبأ الموت باعثا على الفرح والابتسام. والعجوز التي أطلّت على عبد الله: «أشرقت الدمعة في عيني العجوز. تذكّرت أنّها ستموت قريباً» ص ١٢، وليس الدمع سوى نقيض الابتسام. وليس وضع زوجة الميت بأسعد من وضع العجوز: «ردّت المرأة البائسة المنهارة أرضاً شلواً لا حياة فيها!» ص ١٤، والأدوات التي يعمل بها عبد الله لا تبث غير الأسى في النفس: «والتوابيت كما يراها موحشة كالقبور..» ص ١٤، ومن شأن صحبة الأموات أن تملّك الإنسان الوقار، وأن ترسم على وجهه وملامحه صورة الحزن: «رافق الأموات طويلاً في رحلتهم الأبدية، رآهم يوارون تحت الثرى..» ص ١٥، وليس أفظع ولا أكبر على النفس من هذا الموقف المستغرب، الذي يثير كثيراً من التهكم من حياة الإنسان، ومن رحلته في الحياة.. لنتأمل هذا الجزء من كيان الميت إلياس خليل إلياس وهو يُلقي تحيّة الوداع على الوجود والحياة: «القدمان تطلّان من مؤخرة التابوت. كبيرتان بائستان ترسلان تحية الوداع» ص١٦. أخيراً، لنتأمل هذه الصورة التي إليها يصير الإنسان، وكم تبعث في النفس الإنسانية من الحزن! «وأخذت الأخاديد ترتسم على وجهه، وأخذ البياض يغزو فوديه، ويدمّر التعب بناء جسده الضعيف» ص١٨، وتكتمل صورة الأسى والحزن حين نعلم أن إلياس خليل إلياس يموت بالسكتة القلبية: «يموت بالسكتة القلبية هذا الصباح» ص١٠، وليس مثل هذا الموت يبث في وعينا غير شبكات من الأسى والحزن.

إن الحزن مكين الوجود في النصّ القصصي، تختلف إليه كلّ التعابير، فيتضوّع في الفضاء القصصي حزن عميق، يبثّ الحيرة والاستسلام. وهذا الحزن هو صلة الوصل بين حياة عبد الله وإلياس خليل إلياس، كما أنه الصفة المشتركة بين الركيزتين. أما ما نراه من بعض الاختلاف والتغاير، فإنّه يعود إلى تفرّد الشخصية في بعض مناحي سلوكها وخصوصيتها، حيث لا يمكن للنص القصصي ولا للمتحدّث في الحوار العادي إلا أن يُظهر ذلك.

لقد كـان الموت مشكلة تعترض الإنسـان، ولا تزال، وليس مـوت «إلياس خليل إليـاس» سوى وسيلة، يقتنصهـا الكاتب، ليعمّم فعـل الموت وأثره على الإنسـان: «بـدت الـدهشـة على وجـه العجـوز. . . مـاذا يـريـد منهـا هـذا اللعين. . . ؟ إنـه يضحك من الموت! يستهزئ بها وبـالميت هذا المجنـون! أم مـاذا. . . ؟» ص ١٢. فهل أراد الكـاتب أن ينبّه النـاس إلى وجـود الموت، أم يريد أن يقول: إن الموت يعترض مسيرة الحياة!؟

إن النسق المعـرفي الـذي تأسّس عليـه البناء القصصي يشجعنـا على قبـول البيـان الأخير، حيث نجد لـدى الكاتب الـرغبة دائماً في أن ينتقل من المشكلـة الصغرى إلى المشكلة الأكبر[٣]، ومن الحدث البسيط العـابر إلى الحدث العـام الشامل.

لقد صرّحنـا بأن البناء القصصي يستنـد إلى ركيزتين، وإلى شخصيتين، فما هو جهد تواصل التعبير مع هذه المسألة، وكذلك مسألة التواصل مع المتلقي؟

ذكرنا الحزن ودوره في تمتين العـلاقة بين الركيزتين. أمّـا الآن فإننا نعرف من الوحدة والعزلة التي سيطرت على حيـاة عبد الله معنى التواصل بين الركيزتين: «لأول مرّة في حياته يعود «عبد الله» حزيناً كئيباً حتى الموت.

يعود إلى غـرفته البائسـة وبقايا دمـوع في عينيه مع الكثير الكثير من الألم في نفسـه المظلمة كفـوهة قبر. يسترسل في أحـلامـه الحزينة. . . لا بيت لـه، لا زوجة، ولا أطفـال كالآخرين. . . وحيـدًا منبوذًا كقط أسـود» ص ١٦. هذه الصلة قائمة بين الركيزتين، حيث إن العزلة كانت قائمة في الركيزة الأولى، وإن لم يصرّح النص بها، لكنها مفهومة من المضمون.

أما الصلـة بين الشخصيتين إلياس خليل إلياس وعبد الله فإنها قـائمة من هـذه الـلامبـالاة، التي يبـديها النـاس حيـال مشكلـة الشخصيتين: «جلس بجانب السائق الذي حمل التابوت، وأخـذ يحدّثه عن المشكلة في موت «إلياس خليل إلياس» والسائق لا يصغي إلى ما يقوله. . .» ص ١٤، أي أن السائق ما دام واحداً من الناس، فإنه لا يعبأ بالمشكلة التي حصلت لإلياس خليل إلياس ولا إلى عبد الله. ويصـل الأمر بين الطرفين إليـاس خليل إلياس وعبـد الله من جهة والمجتمع من جهة أخرى إلى مـا يشبه القطيعة: «يختلف وضع «عبد الله» الآن كثيراً عما اعتاد عليه، فهو في حيرة، يضرب يـداً بيد، مفتّشاً عن الشخص الـذي يبثّ همومه» ص ٩. وهنـا تكـون وسيلـة التواصل بين الشخصيتين قـد أخذت مداهـا الأعظم. وهذه الصلة إذا كان لا بدّ من تعـريفها، فإنها الصلة المجذوذة، التي يحاول النص لمّها إلى بعضها. فهي صلة قائمة على التجاور.

وحيث إن النص ارتكـز في معظمه إلى السرد والوصف، وتـرك شأن الفعل للتقدير، ولأن الراوي يعرض اللـوحة القصصية، التي نشأ عليها الحدث، فإن الإشارات الواردة في التعبير كفلت نوعاً من التوجه نحو القارئ، وأيضاً تواصلاً خفياً مع الموضوع المطروح: «كان يقطـع الشارع مفكّراً، محدودب الظهر وكأنه يفتّش عن شيء ضائع» ص ٩، وليس الشيء الضـائع سوى التابـوت، وهذه الحياة التي عاشهـا «إلياس خليل إلياس» والمرأة التي أحب أن تكـون إلى جانبه عبد الله.

أما الصلات التي أحب الكاتب أن يقيمهـا معنا، فقد جاءت على النحو التالي:

١ ـ عبـد الله يريد إنسانـاً، يسمع منه شكواه: «يريـد أن يكلّم أحداً، أي إنسان عابر» ص ٩.

٢ ـ ويبـدو أن الناس في شـاغل عن هموم عبد الله، فيسألـونه عما يخصّهم وحسب، فتكون الإجـابة: «ويردّ على أسئلـة الناس بسرعـة، ذاكراً اسم الميت وعمره والمكان الذي يُصلّى عليه فيه قبل الدفن» ص ٩.

٣ ـ الـمـوت حـدث صعـب في الحياة، يتهيّبه العجائز، وهم حين يبكون على ميت إنما يبكون أنفسهم: «أشرقت الـدمعة في عيني العجوز. تـذكّرت أنها ستموت قريباً» ص ١٢.

٤ ـ يحقّق الكاتب ذروة الأثـر وذروة الفعل وذروة التفاعل وذروة البنيـان، وأيضا سعـة الرمـز في المدلول والعطـاء حين يجسّد المشهـد الجنائزي: «قـدمان كبيرتان طويلتان تطلّان خارجاً بحذاء جديد مثقوب. . . وتتكاثر الثقوب أمام عبد الله. ثقوب واسعة المدى وثقوب صغيرة. . الثقوب في كلّ مكان. ثقوب متبـاينـة الحجـوم. . الثقـوب حتى في السماء. . النجـوم تثقب الفضــاء اللامتناهي، تثقبه بوحشية، وهي تطلّ على الدنيا التي تموت» ص١٥.

٥ ـ يسـاعد هذا العرض المتسلسـل عبد الله على أن يعيد النظر في حيـاته: «لا شيء جديد في حياته المثقلة برائحة الموت ووحشة القبور» ص ١٩.

٦ ـ وما دام الأمـر كذلك، فليجرّب عبد الله التابوت، خـوفاً من أن يكون وضعه مثل وضع «إلياس خليل إلياس»، لكنـه سرعان ما يكشف أنه أقل فعلاً منه، فقـد كان «إليـاس خليل إلياس» مؤثّـراً حتى في موتـه، أما عبـد الله: فـ «يتّسع التابـوت له، ولقـدميه الصغيرتين القصيرتين. . يحلم أنـه يموت. . .» ص ٢٠. يالله! إن العلاقة التي كـانت للميت مع الحياة هي أفضل من علاقة عبد الله معها، فلقد شغل الميت بائع التـوابيت عبد الله والزوجة والكهنة وكثيراً من الناس، بينما عبد الله لا أحد يعبأ به.

٧ ـ وكـان لا بدّ لعبد الله أن تشمئز نفسـه من مثل هذه الحياة: «يمـدّ يده المرتجفة، ويغلق غطاء التابوت. . .» ص ٢١.

لقـد كان الكـاتب موّفقـاً غايـة التوفيق في هـذه النهايـة، حيث ارتسمت اللوحة القصصية من كل مشاهدها، وأفضت إلى توكيد سلطان الحزن الآبل أو الحامل الإنسان إلى الموت.

إن قصة «بائع التوابيت» تثير كثيرًا من الأسئلة والأخيلة، وتستدرج التفكير إلى التفاعل مع الرموز، كما أنها تبدع طريقاً خاصة بها، ترمي إلى بلوغ الذروة في التوهج الإنساني متألّقاً ومتفاعلاً مع الحياة.

---

١ ـ من مجموعة: اللصوص وعروس البحر. دمشق، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ١٩٨٩.

٢ ـ راجع بنـاء القصة: جـزء المعنى ـ من فن القصـة القصيرة. رشاد رشـدي، بيروت، دار العودة، ط ٢، ١٩٧٥.

٣ ـ أحمد محمد عطيـة ـ فـن الرجل الصغير في القصـة العربيـة القصيرة ـ دمشق، منشورات اتحاد الكتـاب العرب، ١٩٧٧. ص٨٣.

* ريـاض نصور مـن رواد القصة القصيرة الأوائل في سـوريـة، فقد بـدأ النشر منـذ مطلع الخمسينيات ولا يزال. ولئن أهمل التاريخ الأدبي في بلده هذا القاص فذاك يعود إلى تأخر نشره لقصصه في كتاب، ثم لأنه كان ينشر قصصه في الـدوريات العربية في لبنان، مثل مجلة «الأديب» وغيرها، وكذلك في مصر.

كنوز من المعرفة الإسلامية في بلغاريا

○ ثلاثة آلاف من أنفس المخطوطات العربية النادرة موجودة في صوفيا

○ مطلوب تحرك ثقافي واسع لإحياء كتب التراث المنتشرة في الشرق والغرب

بقلم: وجيه الشربجي

تواجه الأجيال العربية مسؤولية الإحاطة بالتراث المخطوط وتحويله إلى كنوز محفوظة وموثقة، وقد اشتد إلحاح هذه المسؤولية وتزايد الإحساس تحت وطأة المخاطر المصيرية التي يرزح تحتها العرب ونتيجة للحاجة إلى تأكيد الوجود القومي تاريخيا وحضاريا ولأن التراث العربي برهن على أهميته كمرحلة فاعلة وخصبة في مسيرة الثقافة الإنسانية.

ولكن مهام الإحاطة بالتراث - كله أو معظمه أو الجانب الأهم منه - تزداد مصاعبها مع بروز حقائق ضخامة التراث المخطوط، وتناثر بقاياه في الخزائن وعشرات المكتبات والمراكز العلمية المنتشرة في الشرق والغرب، ولا يمكن الاطلاع على محتويات هذه المكامن إلا بالوصول إليها مباشرة والتنقيب في خفاياها وهو جهد لا يطيقه الأفراد.

ولا بد من أن تضطلع به هيئات علمية تشتمل على اختصاصات متكاملة، وتعتمد على موارد كافية للتحرك النشيط عبر العالم.

ولقد دلت تجربة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، على أن مهمة البحث عن التراث العربي المتناثر في أنحاء العالم وتوثيقه بحاجة ماسة إلى جهد متزايد ومتواصل لتقديم معطيات كبيرة في هذا المجال. ومن المفيد في هذه المرحلة أن نرشد إلى مكامن التراث العربي في العالم وأن نبحث أين توجد مجموعات مهمة من المخطوطات العربية؛ لأن ذلك في حد ذاته، يلفت أنظار الباحثين إلى مواقع العمل. ويثير انتباه كل عالم أو مهتم بشؤون التراث، ويشده إلى العمل، وبصورة فردية لتقصي التراث والبحث في محتوياته، وبذلك نتجاوز السبل الرسمية وقيود الروتين.

ومكتبة (كيريل وميتودي) في صوفيا عاصمة بلغاريا إحدى هذه المؤسسات الثقافية الكبرى التي تحتوي على ثروات قيمة من التراث العربي المخطوط نضعها تحت الضوء من أجل الاهتمام بتحقيق، وإحياء المخطوطات العربية القابعة في خزائنها، والتي يرجع عمر معظمها إلى أكثر من عشرة قرون.

كيف وصلت المخطوطات إلى صوفيا ؟

خـــلال الفترة التي حكم العثمانيـــون فيهـا دول البلقـــان، والبلغار، انتقلت مجموعات من كتب التراث العـربي والإسـلامي إلى تلك الأقطار، وقد أقبل الباحثون عليها في ذاك العصر يستكشفـون المنجـزات العلميـة والـروافـد الحضـاريـة التي قدمها الإنسان العربي، أثناء عصور الازدهار. ولما انحسر الحكم العثماني عن تلك البـلاد، وبـدأ العثمانيـون بالانسحـاب من بلغـاريا، لجأوا إلى جمع المخطوطـات العـربيـة النـادرة والثمينـة، وركـزوا اهتمامهم بصـورة خـاصـة على ما انتجـه قـادة الفكـر العـربي في القـرن الثـالث الهجـري الذي أطلق عليه فيما بعد (قرن المدنية الإسلامية)، وأعادوا كل ما جمعوه إلى استامبول وتـم حفظه في دار الكتب العثمانيـة إلى يـومنـا الحـاضر. ولكن (عمـر بـاسبـان زاده) حـاكم ولايـة (فيــدين) في الشمال الغـــربي من بلغاريا، الذي كان يحتفظ في خزائنه بثروة ضخمة من المخطوطات العربية النادرة تمكن من اخفـائها في قصره. ولـــم تستطع السلطات العثمانيـة العثـور عليهـا خـلال انسحـابها، وبقيت محفوظة في ولاية (فيدين) حتى قيام الدولة البلغارية بشكلها الحالي.

عنـدئذ تم نقلهـا إلى صـوفيـا حيث وضعت في خزائن دار الكتب الشعبية (كيريل وميتـودي) بعـد تـوثيقهـا والإحاطة بها وأحصيت فبلـغ عددها ثـلاثة آلاف مخطـوط من أنفس كتب التراث العربي الأدبي والعلمي.

الموضوعات والأغراض

أبحـاث هـذه المخطـوطـات متعددة الجوانـب متنوعـة الأغراض؛ فيهـــــا كتب تبحـث في الطب والصيـدلة، والهنـدسـة والجغرافيـة، وقسم كبير يتنـاول العلـوم الفقهيـة واللغـة والشعـر والنحـو والصرف، وجـزء يسير تـدور مـواضيعـه حـول السلوك والهيئة والفلك.

تستمد هذه المخطوطات أهميتها التراثيـة كـون معظمهـا نـادر وغني



مخطوطة ديوان المتنبي كُتبت بخط نسخي جميل

بالمعرفة العلمية، إضافة إلى أنها تتميز بقدمها وموضوعية أبحاثها، وإشراق الخط الذي كُتبت به، وجودة الورق، ووضــوح المداد، ونقـدم على سبيل المثال، تعريفًا موجزًا لطائفة اخترناها من تلك المخطوطـات التي تنفرد دار الكتب الشعبيــة في اقتنـاء النسخــة الوحيدة والأصيلة منها.

وتأتي في مقدمـة هذه المجمـوعة ثـلاثـة كتب تراثيـة مهمـة من روائع الشعر العربي وهي :

ـــ ديـوان البحتري : لأبي عبـادة الـوليــد بن عبيـد بن يحيـى الطـائي الملقب بالبحتري (٢٠٦ ـ ٢٨٤ هـ) النسخـة أصيلـة، ومـوثقـة وقـويـة السند. جاء في مقدمة الديوان النص الآتي (من شعـر أبي عبادة الوليـد ابن عبيد البحتري صنعـه محمد بن يحيى الصولي. رواته محمـد بن العباس بن أحمد بن الفرات عـن أبي الغوث يحيى ابن الـوليد. قـال أنشدني أبـو عبادة الوليـد بن عبيد البحتري وقـرأته على الأقفسن عن أبي الغوث عن أبيه).

نُسقت قصـائد الـديـوان حسب حروف المعجم المخطوطة بصورة عامة جيدة عدا بعض أقسـام منها أصيب بالاهتراء وذهب ببعض القصائد. في آخـر كل قصيدة ذكـر الناسخ عـدد أبيـاتها. كُتبت المخطـوطـة بخط نسخـــي مشرق وجميــــل. الكلمات مشكولة، وكُتبت عنـاوين القصائد بالمداد الأحمر ـ لـم يذكر اسم الناسخ وتـاريخ النسخ إلا أن طريقـة النسخ ونــوع الخط والـورق ينبئـان على أن المخطوطة نُسخت في القرن السادس للهجرة ـ عـدد أوراقها ٢٢١ ورقـة، طول الـورقة وعـرضها ٢٥ × ١٥,٥ سم عدد أسطر الورقة ١٥ سطرًا.

ـــ ديـوان المتنبي : لأبي الطيب أحمد بن الحسين الجعفـي الكنـــدي المتنبي (٣٠٣ ـ ٣٥٤ هـ) (٩١٥ ـ ٩٦٥م) جاء في الصفحـة الأولى من الديوان ما يلي :

(ديوان الفاضل البارع أبو (. .) الطيب أحمد بن الحسين المتنبي تغمده الله بالرحمة والرضوان) النسخة ورقها جيد، رُتبت قصائدها حسب حروف المعجم.

كُتبت المخطوطة بالخط النسخي الجميل ـ الكلمات مشكولـة بشكل كامل ـ عدد أوراقها ١٨٤ ق ط × ع (١٩ × ١٢ سم) عدد الأسطر (١٧) في الخاتمة ورد ما يلي :

(تم الفراغ من كتابته في صبيحة يـوم الاربعـاء رابع عشر شهـر ربيع الثاني سنة ١١١٥ هـ).

ـ ديــوان ابـن الفـارض : لأبي حفص شرف الدين عمر بن علي ابن رشـد بن علي بن الفـارض الحمـوي الأصل المعري (٥٧٦ هـ).

تصنيف المخطـــوطـــة التراثي أصيل، يتضمـن الـديـــوان اثنتين وعشرين قصيـدة مطولـة وفي آخـره قصيـدة من نظم جـامع الـديـوان ـ النسخـة جيـدة كتبت بخط نسخي وضبطت الكلمات بالشكل الكامل. تم تزيين بعض القصائد بماء الذهب عـدد أوراقهـا ٦٣ ط × ع ٢٥,٥ × ١٨ سم عدد أسطر الورقة ١٦، جاء في خاتمة الديوان : (تم الديوان المبارك عبـد الله بعـونــه وحسن تـوفيقـه في سادس عشر جمادى الأول سنة إحدى وثمانين وسبعمائة غفر الله لكاتبه وقارئه ولمن نظـر فيـــه وجميع المسلمين آمين . .).

مخطوطات في اللغة والعلوم

ـ اصلاح المنطق لابن السكيت : ألفه يعقوب بن إسحاق بن السكيت (١٨٦ هـ ـ ٢٤٤ هـ) يُعد هذا المخطوط من الكتب النادرة والثمينة. قسّمه المؤلف إلى تسعة وثمانين بابا، ورق المخطوط جيد كُتب بخط حسن، عدد أوراقه ١٩٤ ط × ع (٢٣,٥ × ١٥ سم) عدد أسطر الورقة ١٧ سطرًا.

ـ نظائر الصناعات : قام بتأليفه عبد الرحمن بن عيسى بن حماد الهمزاني الكاتب البغدادي المتوفى سنة ٣٢٤ هـ يبحث في فقه اللغة، النسخة بحالة عادية الخط ليس بالجيد ـ عدد أوراقها ٤٤ ط × ع (٥ × ٢٢ × ١٦) عدد أسطر الورقة ٢٩ سطرًا.

ـ الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد : تأليف منتخب الدين حسين ابن رشيد الهمداني المتوفى عام ٦٤٣ هـ يقع في أربع مجلدات ـ النسخة جيدة وأصيلة ـ كتبت بخط أندلسي وقد ميز الناسخ بين الآيات وإعرابها بتكبير الخط وتصغيره ـ يضم الجزء الأول إعراب سورة الفاتحة وسورة البقرة، عدد أوراقه ٢١٠ ط × ع (٢٤ × ١٦,٥ سم) عدد أسطر الورقة ١٧ سطرًا.

ـ الزبور : وهو الكتاب السماوي الذي أنزل على النبي داوود عليه السلام، تم نسخه عام ١٠٨٨ هـ بخط نسخي جيد ومشرق ـ عدد أوراقه ٩١ ط × ع (٢١ × ١٤,٥ سم) عدد أسطر الورقة ١٥ سطرًا.

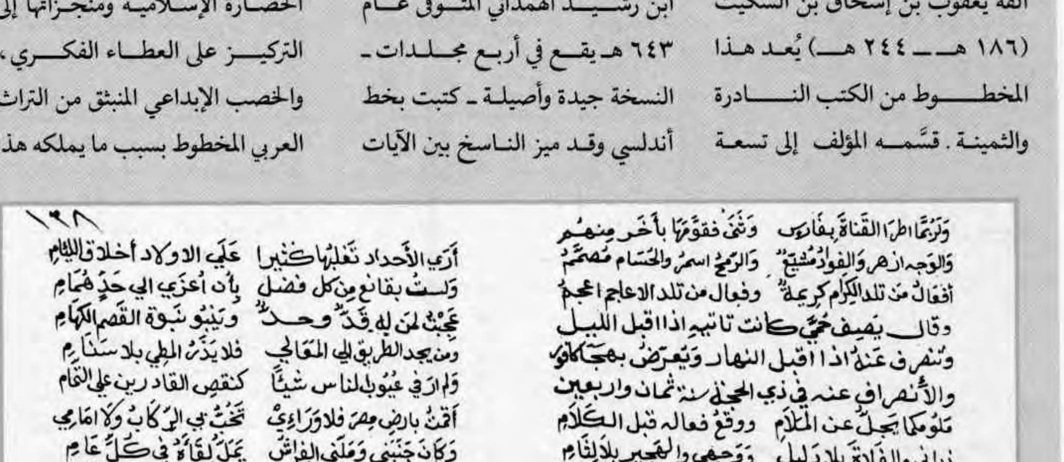
ضرورة حماية المخطوطات وتوثيقها

أدى الاعتراف الأممي بمفردات الحضارة الإسلامية ومنجزاتها إلى التركيز على العطاء الفكري، والخصب الإبداعي المنبثق من التراث العربي المخطوط بسبب ما يملكه هذا التراث من حضور دائم على الساحة الثقافية الإنسانية. وكلنا يعرف أن الغرب كان كلما يشعر بالفراغ يتجه نحو الشرق وبخاصة إلى تراثه القومي ليستعير من كنوز المعرفة ما شاء.

والمخطوطات العلمية العربية وعلى رأسها مخطوط (الحيل) في الميكانيك وكتاب (المخروطات) (وموسوعة الأشكال الهندسية) ومخطوطة (مساحة الأكر) التي ألفها المهندسون العرب في القرن الثالث الهجري والتي يحتفظ بها الفاتيكان بروما حتى اليوم قد تُرجمت إلى اللغة الألمانية والإنجليزية في القرن الماضي من قبل فيدمان وهاوس والدكتور هيل؛ علماء المكننة في ألمانيا وإنجلترا.

كل ذلك ينهض كدليل ساطع على أن الحضارة الغربية لم تبدأ من الصفر ولكنها تأثرت واستمدت من نتاج الحضارة الإسلامية الشيء الكثير. من هنا أصبح الإنسان العربي اليوم ينظر باهتمام وعشق شديد إلى ما جاء في كتب التراث القيمة. فهي عصارة عقول أسلافه. وقد تكونت في نفسه دعوة ملحة إلى إحياء المخطوطات وحمايتها. ووضع أوثق مصادرها وأقدمها بين يدي الأجيال المتوالية من مختلف الجنسيات.

وإن العكوف على تحقيق التراث المخطوط وإبرازه ثانية إلى النور ليس تكرارًا واجترارًا للماضي ولكنه تفجير لينابيع المعرفة عند العرب.



مخطوطة ديوان البحتري نُسِخَتْ في القرن السادس الهجري

المراجع

(١) الموسوعة العلمية الفرنسية (LAROUSSE)

(٢) نشرة معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية.

(٣) التعريف بالمخطوطات لمحمد الفاسي، عميد جامعة الرباط.

الشباب.. ورعايتهم



د. محمد بن سعد
الشويعر

غريزة حب الاقتناء والمحافظة على الممتلكات، من الغرائز الفطرية التي جُبِلَ عليها الإنسان، وهي غالبة في طباعه . . ولذا فإن كل شيء في الحياة، له طريقة خاصة يهتم بها الانسان رعاية وعناية. ولكي يُبْقي على مكانة ذلك الشيء، وينتفع به النفع المفيد، في عاجل أمره أو آجله، فإنه لابد أن يُراعي سياسة ذلك الأمر، على وجه يتلاءم معه، فتربية الطيور والدواجن، تختلف عنده عن سياسة الخيل ورعاية الإبل، والاهتمام بالزراعة، والإفادة منها، وتتباين مع طريقة تربية الحيوانات وتناسلها، بل إن ما يعدّ للذبح يغاير منهج ما يعدّ للدرّ والنسل. وهكذا دواليك.

والشباب الذين هم أمل الأمة، وعدتها في المستقبل، يجب أن يولوا عناية خاصة، منذ البداية، في تنمية الروح الإسلامية، وتأصيل العقيدة الراسخة في قلوبهم، وتقوية أواصر المحبة وحسن التعامل فيما بينهم: ذكورًا وإناثًا؛ كبارًا وصغارًا؛ لأن حسن التوجيه ورعايته، نوع من منهج السلوك الاجتماعي الذي يحتاج إلى أدب في التعامل، وسياسة في التدبير. . والإسلام قد أعطى هذا جانبًا كبيرًا من الاهتمام: تأديبًا ومكارم أخلاق، ورعاية وتوجيهًا.

وفي المجتمع وإن كثرت الكتب التي تهتم بمثل هذا الجانب كالتعامل التجاري، والارتباط الاجتماعي، والاهتمام ببعض العادات، حتى إن الارتباط بين الدول أخذ منهجًا خاصًا في التعامل وحسن الآداب المرعية شعوريًا وغير هذا من جوانب الحياة. . إلا أن التربية المتعلقة بتلك الأمور هي من منطلق تعاليم الإسلام التي هي أعلى تربية مفقودة. ولسائل أن يقول ما نصيب الشباب من ذلك كله؟ وهل أعطى ما يستحقه كأي أمر يهتم به الإنسان؟ إذْ الشباب هم أغلى جوهرة في جيد الأمة، وأنفس ممتلكات الفرد: أولاده الذين هم ثمرة فؤاده، وجزء من كيانه، فلقد كان لطاقات الشباب وحماستهم عند غير المسلمين توجيه ماديّ، ورعاية مصلحية. . أما الإسلام فقد راعى مكانة الفرد في بيئته، واهتم بتكوين أثره في مجتمعه. . فكانت تعاليمه ترعاه قبل الولادة، بحسن اختيار الأم؛ لأنها الأرض الخصبة المنبتة، ورعايته كما في توجيه المصطفى صلى الله عليه وسلم عندما قال: «تنكح المرأة لأربع: لمالها وجمالها وحسبها ودينها فاظفر بذات الدين تربت يداك» وفي قوله ﷺ «إياكم وخضراء الدمن. قيل وما خضراء الدمن يارسول الله؟ قال: المرأة الحسناء في المنبت السوء». فسبق صلى الله عليه وسلم بهذا علم الجينات والخلايا. وعلم الوراثة والمخبريّات. بل سبق بما وجه الأمة إليه أمورًا لم يتفتق عنها العقل البشري بعد. ومن هنا يجب أن يدرك المرء أن جوهر رعاية الأبناء في منهج الإسلام، تنطلق من الدين الذي تدور تعاليمه في جميع الأعمال، على محور الاهتمام بالفرد، ورعاية أمر الجماعة•والشباب هم ثمرة ذلك الجهد. . أخذًا وعطاء، وتوجيهًا ورعاية وتعليمًا. . وفي الاهتمام برعايتهم الحرص على غرس القيم في نفوسهم، وتعبئة أذهانهم بكل أمر نافع: علمًا وثقافة، وتهيئتهم لمجابهة المعضلات وما يراد بالإسلام. ولئن تخبطت مآرب التربية الحديثة، عند غير المسلمين حسبما طرحته من نظريات وأفكار، سواء جاءت باسم: التربية أو علم النفس أو علم الاجتماع، وما تشعبت به الثقافات أو تطرحه وسائل الإعلام، فإنها قد فقدت المستند الحقيقيّ في قاعدة التوجيه، وفاقد الشيء لا يعطيه. . ولذا كانت النتيجة ضياع الشباب فكريًا وعقديًا، وصار الاهتمام منصبًا على رعايتهم بدنيًا فقط.

لكن الإسلام كان أشمل في رعايته لشبابه حيث أولى هذه الناحية عناية خاصة. إذْ كان التوجيه والخطاب دائمًا منجهًا للعقل؛ لأن رعايته وحسن توجيهه رعاية للفرد بدنيًا، وللمجتمع سلوكًا ونظام تعامل، وما سمي العقل عقلاً، إلا لأنه يعقل الأمور، ويحمي البدن بحواسه عن تجاوز الحدّ. يروى أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال: من أدبك يا رسول الله؟ فأجابه بقوله: أدبني ربِّي فأحسن تأديبي. . فكان خلقه صلى الله عليه وسلم القرآن كما قالت عائشة رضي الله عنها.

ولذا فإن من رعاية شباب اليوم الاهتمام بحمايتهم من التيارات التي تحيط بهم في كل بيئة يعيشون فيها وتحصينهم ضد المؤثرات التي تتكاثر في هذا العصر بالذات لتداخل المعارف بما تنقله وسائل الإعلام المتعددة، ومصدر هذا الاهتمام الآباء أولاً والعلماء وقادة الفكر ثانيًا؛ لأن الله حمّل العلماء رسالة وأمرهم بأداء الأمانة عند السؤال ويتم ذلك للشباب مع مراحل نموهم وفي كل وقت بصفة عامة، وفي الإجازات بصفة خاصة، حتى يكون لديهم حصانة تحميهم - بعد توفيق الله - من المخدرات، وتجعلهم قادرين على مواجهة شدائد الأمور وإدراك مكامن الخطر المرادة بهم وبأمتهم الإسلامية.

الطريق إلى الله

فوق السحاب
أعلنت الأميرة إسلامها

ولدت وترعرعت في أحضان المجتمع البريطاني المتعصب لكنيسته البروتستانتية، وشهدت في طفولتها وصباها كيف انقسمت عائلتها بين كنيستين، فعاشت ضياعًا وحيرة لا حدود لهما.

إنها الأميرة ايبيانك مودوا دي ساراواك، زوجة ولي عهد الراجا بروك، حفيد جيمس بروك الإنجليزي الذي حكم سراواك عام ١٨٤١م وحوّلها إلى محمية ثم إلى مستعمرة بريطانية حتى نالت استقلالها عام ١٩٦٣م، وانضمت إلى اتحاد الولايات الماليزية في العام نفسه.

حائرة بين كنيستين

كان انقسام أسرة **ايبيانك** بين كنيستين بروستانتيتين من الأسباب التي قادتها إلى التفكير في حقيقة النصرانية، إضافة إلى ما لمسته من خلال معرفتها **لمسلمي سراواك** من عظمة الدين الإسلامي وسماحته، وكونه الدين الوحيد الذي يفي بحاجات البشر من القيم والسلوكيات ويوفر لهم بتعاليمه ما يحتاجون إليه كأفراد وجماعات وشعوب في غير تعصب أو انحلال.

ولم تجد في البروتستانتية عمادًا خلقيًا تستند إليه، إذ لم يقوَ هذا المذهب النصراني على إرواء غليلها الذي أججه ذكاء فطري استخدمته في دراسة أساس النصرانية، فهالها أن تجد نفسها محاطة بأسرار وطلاسم لا تفهم منها شيئًا، ولا تجد لها إجابة، ودفعتها شدة تعصب البروتستانت وغلو تطبيقات طقوسهم التعبدية فضلاً عن الملل من جرائها إلى التخلي عن هذا المذهب بعدما صارت في سن تسمح لها باتخاذ قراراتها.

لكنها إلى ذلك الحين لم تكن تدري أين تذهب؟ وأية عقيدة تعتنق؟

بين هذه الحيرة وذلك الضياع نصحها أحد الأصدقاء **باعتناق المذهب الكاثوليكي**، ففيه - كما أخبرها - ما تبحث عنه من راحة بال، ولقى اقتراحه قبولاً لديها، خاصة أن أحد أبناء عمومتها قد اعتنق الكثلكة - قبلها بسنوات وحدثها عن سروره بذلك، فانكبت على دراستها ثم اعتنقتها.

لفترة ظنت إيبيانك أنها ارتاحت من هواجسها، وأن روحها سوف تجد السلام المنشود في ظل المذهب الكاثوليكي، لكنها كانت واهمة، إذ اكتشفت أن كل ما يعود للأصول الكاثوليكية من قواعد ونظم محصور في حلقات معينة ومحددة، وكانت كلما التجأت إلى القس، إذا ما استشكل عليها أمر من الأمور الحساسة، تجده يصاب بالجزع ويجيبها بإجابات معدة له سلفًا مأخوذة من المنسوخات القديمة للقساوسة النصارى.

زيارة إلى الفاتيكان

وحين بلغت بها الحيرة منتهاها التمست في شهر مارس ١٩٢٩م من **بابا الفاتيكان** أن يمنحها مقابلة خاصة في قصره، واستجاب لها البابا، فذهبت إلى روما وفي ذهنها صورة خيالية **عن شخصية البابا الذي يعده النصارى الوريث الزمني للمسيح عليه السلام، لكنها فوجئت بصورة أخرى مغايرة، فالرجل الذي اعتقدته راهبًا متبتلاً زاهدًا في الدنيا، وجدته يتقدم بموكب ملكي جالسًا على أريكة تحف بها أفخر المجوهرات من كل جوانبها، محمولاً على أكتاف خدمه، وحوله حرس خاص بملابس مزركشة.**

خرجت إيبيانك من لقائها مع البابا وحيرة أشد تعصف بها، فما رأته في الفاتيكان من مظاهر الترف والدعة يتناقض تمامًا مع ما عرفته عن زهد المسيح

عليه السلام، كما أنها لم تجد لدى البابا أية إجابات تشفي غليلها، فكل ما يملكه هو ذاته تلك المنسوخات القديمة للأحبار القدامى.

مطامع أشعبية

بل إنها لاحظت أثناء زيارتها أن الكنيسة تتخذ من أية دراسات علمية تنافس طقوسها موقفًا معاديًا، وتناقض نفسها في تعاملها مع رعاياها. إذ تسمح لهم أن يعتقدوا ما شاءوا خفية أمام الله، لكنها لا تسمح لهم بالإعلان عن ذلك على الملأ أو أمام الكنيسة، والويل كل الويل لَمَنْ يحاول الخروج عن هذه القاعدة، ذلك أن مطامع الكنيسة الأشعبية جعلتها تستخدم النصرانية سلاحًا تخضع لسلطانه الحكومات، وبالتالي الشعوب المغلوبة على أمرها الفاقدة لمن يهديها إلى الطريق الصحيح.

انتهت بها تلك المشاهدات والانطباعات إلى الاقتناع **بأن الكثلكة لا تتطلب فقط جمودًا عقليًا، بل وأيضا انقيادًا أعمى**، فالكنيسة لم تكتف باحتكار إيمان البسطاء ووقفه عليها، لكنها منعت كذلك قراءة الأناجيل دون تفاسير الكهنوت الجامدة والمحرفة. وتاجرت في خطايا البشر عبر صناديق الاعتراف، حيث أهملت الخطايا الدينية المتعلقة بالله وحده، وتشددت في تعذيب مخالفي نظمها.

الدائرة المحصورة

تقول **إيبيانك** في كتابها «**لماذا اعتنقت الإسلام**»(1) شارحة كيف اقتنعت ببطلان عقيدة النصارى: «كانت الانتقادات التي وجهتها حول الكثلكة تتمركز أولاً على الخصوص في القواعد المتبعة في الكهنوت، وفي الكنيسة نفسها، ولم يكن في استطاعتي التخلي عن الاستطلاعات الذهنية لبعض الأحداث الغريبة التي ساورتني الشكوك في معرفة حقائقها الدينية».

وتضيف قائلة: «فهمت الآن أن كل ما يعود للأصول الكاثوليكية من دروس وقواعد محصور في حلقة معينة ومحدودة، فهم يفسرون كل شيء بما هو موضوع ضمن تلك الحلقة، فلا يأتون بجديد الأشياء، وحقائق الأحداث خارج النصوص الموضوعة، وتيقنت أنه حالما يبتعد عن الدائرة المحصورة ويراد اقتباس شيء خارجها، تظهر الشكوك تترى».

البحث في الإسلام

دفعتها شكوكها في عقيدة التثليث إلى محاولة البحث عن الدين الحق، الدين الذي يعرف البشر حقيقة الله، ويجمعهم على حبه والإخلاص له في العبادة، وكانت فكرتها السابقة عن الإسلام أنه دين شرقي، وبالتحديد دين القومية العربية، إلا أن ما لمسته لدى مسلمي سراواك من خلق متين حدا بها إلى الانكباب على دراسته.

لم يكن الطريق سهلا، إذ عانت الكثير من الصعاب في سبيلها لدراسة أسس ونظريات الشريعة الإسلامية، وكانت كل يوم تكتشف في الإسلام شيئًا جديدًا جذابًا، وانتهت دراستها إلى الاقتناع بأن الإسلام أول دين أطلق الحرية الفكرية كاملة لبني البشر، بل أوجب عليهم التوسع في العلم والمعرفة، ولم يضع أمامهم قيودًا تحد من استعمال عقولهم، وعلى عكس النصرانية التي افترضت معرفة الله بالأشكال الموضوعة والرسوم الموهومة للسيد المسيح عليه السلام، أتى الإسلام بصورة واضحة لا لبس فيها ولا غموض للذات الإلهية، صورة يقبلها العالم والجاهل، والفطرة السليمة، يوجزها قوله تعالى في سورة الإخلاص: **﴿قل هو الله أحد. الله الصمد. لم يلد ولم يولد. ولم يكن له كفوًا أحدٌ﴾**.

لماذا الإسلام؟

كذلك رأت في الإسلام دينًا يحترم تراث الإنسانية، إذ لم يسع إلى محو كل ما سبقه من الثقافات المغايرة لكنه رحب بالنافع منها ورفض الطالح، مما أتاح للأجيال أن تتواصل مع ماضيها في ظل سماحة الإسلام، ولم يفرق بين شعب وجنس وعقيدة، وأتاح لأهل الديانات الأخرى ممارسة طقوسهم في أمن وأمان، فضلاً عن أنه ـ أي الإسلام ـ أكد على أن علاقة العبد بربه علاقة مباشرة لا تحتاج إلى وساطة أو كهنوت.

وإزاء كل هذه الحقائق قرَّ قرارها على اعتناق الإسلام دينًا، بعدما اتضح لها أنه الدين الوحيد المؤهل لإخراج الإنسانية من تمزقها، الدين الوحيد الذي يبين للإنسان حقيقة الله، واختارت لنفسها اسما جديدًا هو «خير النساء دي سراواك».

من الطائرة أعلنت إسلامها

يروي الداعية الأوروبي المعروف الدكتور **خالد شلدراك** رئيس الجمعية الغربية الإسلامية في مقالة له نشرتها مجلة «**نور الإسلام**»(2) **كيف أشهرت الأميرة ايبيانك إسلامها أمامه داخل طائرة أثناء اجتياز البوغاز الإنجليزي في التاسع عشر من شهر فبراير ١٩٣٢م.**

يقول د. **شلدراك**: إن الأميرة بعد أن أعلنت إسلامها في الطائرة **خاطبت مواطنيها السراواك عبر اللاسلكي بناء على طلب شركة الإذاعة الاستعمارية** حيث قالت: «**دعاني القرآن لاتباعه باعتبار أنه خطاب الله الصادر منه مباشرة إلى رجل هو خاتم الأنبياء، وإننا لعلى علم بحياة هذا الرجل من أولها إلى آخرها. وبمقدار الخير الذي أداه دينه إلى العالم**، وقلّ من الناس من يعلم أنه بينما كانت أوربا غارقة في ظلمات القرون الوسطى المخيفة، كانت الحضارة الإسلامية تنشر نورها فتتقدم به العلوم والفنون والآداب تقدمًا مجيدًا، وإذا كانت أوربا قد استطاعت أن تجد لها طريقًا إلى التجديد فإنما الفضل في ذلك يرجع إلى خلفاء أسبانيا المسلمين المستضيئين بنور العرفان... وسينقل الشرق إلى بلاد الغرب قبس الإسلام الذي يؤسفنا أننا كدنا أن نطفئه، وعلينا أن ندرس هدايته الحسنة، **وقد قال برنارد شو وأنا موافقة له تمام الموافقة فيما قال: إن الإسلام هو دين المستقبل**»(3)

الهوامش

(١) لماذا اعتنقت الإسلام؟ من روما إلى مكة، ايبيانك مودوا دي ساراواك، ، دار الحضارة للطباعة والنشر، لبنان، ط١ ـ ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٦م.

(٢) إسلام أميرة انجليزية، د. خالد شلدراك، مجلة نور الإسلام، العدد٨، شعبان ١٣٥١ هـ (١٩٣٢ م).

(٣) المصدر السابق.

طريق الهدى

فتاوى لفضيلة الشيخ
د. صالح بن سعد اللحيدان

رواية الحديث بالمعنى

■ **ما حكم رواية الحديث بالمعنى ؟**

مصطفى م . م . م الولايات المتحدة الأمريكية

□ الأصل أن تكون رواية الحديث بالمتن كما ورد دون المعنى، ولم يرد حسب علمي أن المعنى ورد رواية على لسان صحابي أو تابعي متقدم، بل كانوا يروون اللفظ كما هو دون سواه .

ولم يجزم أحد من النقلة الأولين بشيء من رواية المعنى، فعلى هذا لا تجوز الرواية بالمعنى؛ لأن الحديث نص شرعي، وقد لا يفي المعنى بالغرض .

ولأن النبي ﷺ أُعطي جوامع الكلم، فلا يستطيع ناقل المعنى الأداء كما ورد به اللفظ وهناك اعتبارات كثيرة تمنع هذا، مدونة في مظانها في كتب علوم الحديث .

لكن إذا توقف الأمر على المعنى لصعوبة حفظ النص، أو نسيانه فلا بأس حينئذ من الرواية بالمعنى، بشرط عدم الإخلال بمراد الشارع ﷺ . ومن ضرورة هذا أن يكون الراوي للحديث بالمعنى قد وقف على علم اللغة وفق الأحكام والله أعلم .

تعريف العدل

■ **هل العدل الحكم بين اثنين متخاصمين بحق ؟**

ضاحي نوارد هيهان الرشيدي ـ الكويت

□ نعم، هو ذا . لكن تعريف العدل على وجه شرعي شامل دقيق هو : أن تحكم بين من بينهم خصومة، أو نميمة أو سوء بحق بيّن فتأخذ الحق لصاحبه وتعطيه إياه ولو غضب الآخر، لأن مجرد الحكم بحق يحتاج إلى تفصيل لا بد منه .

ولهذا كنت أشير دائمًا إلى ضرورة الموهبة، والحزم، والتقوى، والعمق لدى «ناظر القضية»، لأنه قد تطوله دعوة مظلوم إذا اقتصر على الحكم دون أخذه لصاحبه بصرف النظر عن الرضاء والغضب .

صبغ اللحية بالسواد

■ **ما حكم صبغ اللحية بالسواد ؟**

م . ل . ن . حائل ـ الروضة

□ لا يجوز صبغ شعر اللحية بالسواد ولا الرأس، لورود النهي عن هذا . وقد طول الترمذي رحمه الله تعالى الكلام حول هذا في كتابه الجيد «الشمائل المحمدية» .

فالمقصود عدم جواز هذا للرجال . وإذا صاحب الصبغ حيلة أو كذب بقصد الزواج أو سواه كان أشد تحريمًا .

والذي يجوز فعله هو : الحناء، وكذلك الكتم وهو البُني الغامق الذي لا يُفضي إلى سواد .

الخطأ على من ؟!

■ **إذا حسم على شخص من راتبه قدر يومين أو ثلاثة خطأ، فعلى من يقع هذا ؟**

راشد . س . ط ـ الرياض

□ إذا كان هذا حاصلاً كما تقول، فالخطأ يصحح بالصواب بتبيين هذا لمرجعك .

بين القضاء والإفتاء

■ **هل هناك فرق بين القضاء والفتيا ؟**

ج . م . ل ـ الجامع الأزهر ـ ج . م . ع .

□ الفرق بينهما أن القضاء الحكم بالشرع وقطع النزاع والإلزام بالحق بقوة، أما الفتيا فهي الإخبار عن مراد الشارع الحكيم فيما يُسأل عنه من مسائل دينية أو دنيوية حسب النص أو الاجتهاد إن كان من أهله من غير إلزام، وهنا يكمن الفرق . والله أعلم .

من شروط القضاء

■ **هل من شروط القضاء كبر السن ؟**

م . ل . أ ـ الكويت ـ وزارة العدل

□ من شروط تولي القضاء : الإسلام والعقل والبلوغ والتمييز .

فلعلك تريد بكبر السِّن هُنا : الشيخوخة أو بتجاوز الأربعين كما جاء في رسالتك المطولة .

فليس هذا كذلك؛ لأن التحديد بالأربعين أو فوقها أو دونها ليس شرطًا، إنما الشرط هو : البلوغ، ولا بد معه من العقل والتمييز بجانب كل من :

ـ العلم .

ـ والتقوى .

ـ والعدل .

وأهم شيء بعد هذا، الموهبة القضائية، وبعد النظر، والعمق، والتأني جدًا . وهذه إذا توافرت في القاضي فقد استجمع صفات طيبة نفسية وعقلية وذهنية لازمة .

ماء زمزم

■ **ماء زمزم ذكروا لي أنه علاج، فهل صح هذا ؟**

حمود نافل اليافعي ـ اليمن

□ ورد نص صحيح فيه «ماء زمزم لما شُرب له» .

وهذا النص عام لمن شرب الماء، حسب نية الشارب وإخلاصه وأكله الحلال الطيب وسكناه ولبسه ممن شرب من ماء زمزم لمرض ما أو طلب حاجة ما في نفسه، كعلم وقوة ونحوهما، حصل له هذا بإذن الله تعالى . فمتى شرب الإنسان الماء بالشرط السابق حصل له ما أراد . والله أعلم .

ردود خاصة

■ **الأخ د. محمد زكي ـ جدة ـ التحلية :**

يصلك جواب خاص عن سبب «مس الجان» .

■ **الأخت هيفاء ـ البكيرية ـ القصيم :**

الطلاق ليس حلاً .

■ **الأخ م . ل . ـ الرياض :**

بإمكانك مراجعة البلدية، فهي صاحبة الاختصاص .

من تجاربهم



القصّة وأنا

تجربة الكتابة شبه سيرة ذاتية

بقلم: رجب سعد السيد

يمكنني تلخيص علاقتي بالقصة في الحقيقة التالية: أعيش أحلى أيامي حين أكتب القصة. وبالرغم من الإجهاد الذي يحل بي في أثناء فعل الكتابة - وربما يكون مصدره الأنيميا - فإنني أكون في أزهى حالاتي، وأكتفي بمراقبة نمو العمل بين يديَّ، فلا يضيرني إفلاس مادي، ولا أهتم بنوعية طعام، وأقبل على أسرتي وأصدقائي بصدر رحب، فلقد كتبت وتصالحت مع العالم. أما في أيام (الكساد) - وهي تزداد طولاً في الآونة الأخيرة - فإن الغيوم الثقيلة تتسلل إلى سمائي، لا تمطر، ولكن تظلم، ويكثر ترددي على الأطباء ليكتشفوا أنني لا أعاني من مرض!

وإذا كان لي أن أحدد تاريخًا لبداية علاقتي بكتابة القصة، فإن الذاكرة لا تعينني لأتوقف عند تاريخ أول قصة كتبتها، كما أن صلتي بالنظام والتنظيم غير وثيقة، فلا أحتفظ لنفسي بسجل أو (أرشيف) يمكنني من تذكر أول قصة نشرتها. وعلى أية حال، فقد بدأتْ حكايتي مع القصة في منتصف الستينيات من هذا القرن، في أثناء دراستي بالمرحلةالثانوية.

ويهمني أن ألفت نظر القارئ إلى بعض (المحطات) العمرية التي مررت بها مع أبناء جيلي، فربما كانت لها دلالات، أولها محطة الطفولة المبكرة التي كانت حول سنة (النكبة): ١٩٤٨م. ثم مرّ بنا عقد الخمسينيات بكل ما به من تغيرات سياسية واجتماعية، امتدت لتغطي سنوات العقد التالي.

وبالرغم من أن المناخ العام، في هذه الفترة الطويلة التي شهدت نمونا المادي والعاطفي وتشكل رؤيتنا للحياة، كان - من وجهة نظري - حافلاً بالعلامات الموجبة الشاحنة، إلا أنه لم يسلم من كبوات جلبت لنا الإحباط والشعور بالأسى، وكانت ذروة الانكسار في حزيران/ يونية ١٩٦٧م، وهي - عند المبدعين - عوامل شاحنة أيضًا.

ثم عادت رياح، أو قل عواصف التغيرات السياسية والاجتماعية والاقتصادية تهب من جديد خلال عقدي السبعينيات والثمانينيات، وقد اختلف الحال بالنسبة لنا، حيث انتقلنا إلى صفوف المشاركين والمؤثرين، ابتداءً بالانخراط في سلك الجندية بعد الانتهاء من مراحل التعليم المختلفة، إلى تحمل مسؤولية العمل الوظيفي أو السياسي، إلى بدء الإنتاج عند من اختاروا أن يحملوا القلم واكتملت لهم أدواتهم وتبلورت عندهم رؤى يكتبون من خلالها، وقضايا يدافعون عنها.

وهكذا أجدني الآن، وقد تخطيت الخامسة والأربعين، مصابًا بداء الكتابة، الذي اشترك مع عوامل أخرى في إبعادي عن تحقيق أي تقدم في مجال الوظيفة، فقد اخترت العمل بالبحث العلمي، حيث أحمل الدرجة الجامعية الأولى (البكالوريوس) في الكيمياء وعلوم البحار، ولكنني عجزت عن الحصول على درجات أعلى، فقد (انجرفت) إلى الأدب والقصة!

ولم يكن شيء ليمنعني عن هذا الانجراف. أتذكر الآن الرقابة الصارمة التي كان أبي يفرضها عليَّ خلال سنوات الدراسة الثانوية، وربما الجامعية، بهدف دفعي للتفرغ بغية النجاح؛ لأن (الحال) لم تكن تسمح بترف التأخر في الدراسة لممارسة هذا (الكلام الفارغ). وأعترف بأنني كانت لديَّ وسائلي للتحايل على هذه الرقابة وتضليلها. كنت قد وقعت في حب القصة!

لقد تجمعت عوامل عديدة جعلت القصة تمسك بتلابيبي. وأشعر - أحيانًا - كأنني لم أبذل جهدًا لأكون كاتبا. غير أنني - وأنا أكتب هذه السطور - يمكنني أن أنظر إلى الوراء، وأستخلص ما يمكن تسميته بعوامل البناء.

أول هذه العوامل هو حفظي لحوالي عشرة أجزاء من القرآن الكريم في السنوات الأربع الأولى من المدرسة الابتدائية. وقد تأكدت بنفسي من أن معظم من عرفتهم من الأدباء اكتسبوا هذا العامل الفائق التأثير في طفولتهم. وأذكر أن اللغة العربية لم تكن عندي - كما كانت عند معظم رفاق الدراسة - تمثل مشكلة، بل كانت مادة محببة إلى نفسي. لقد أنعم الله عليَّ بصحبة القرآن الكريم - بحس لغوي يجعلني - وإن كنت لم أدرس اللغة العربية طويلاً - أحرص على سلامة لغة الكتابة، وأضع يدي على قدر لا بأس به من أسرار الفن والجمال في لغتنا الجميلة عندما أعيش تجربة الكتابة.

ولا أستطيع أن أغفل عاملاً أساسيًا، أظنه أسهم بقدر كبير في تشكيلي ككاتب قصة، وهو خصوبة الطفولة. أعترف بأنها كانت طفولة فقيرة. ولكن، حتى الفقر لا يخلو من جوانب خصبة. وفي شوارع أحد الأحياء الفقيرة في مدينتي: الإسكندرية، أمضيت معظم أيام سنوات عمري العشر الأولى، مستمتعًا إلى أقصى حد بمشاركة الرفاق عددًا كبيرًا من الألعاب الشعبية التي كانت، بالإضافة إلى كونها ضرورة لصحة أجسامنا ونفوسنا، مملوءة بالإيحاءات والأحلام والعوالم الخيالية التي لا يمكن إلا أن تكون مفيدة وخلّاقة، إذا وجدت الكيان المناسب لاستقبالها. وإنني لأجد جزئيات من ذكريات الطفولة تقفز إلى سطور قصصي. بل لقد كتبت أخيرًا قصة تعتمد كلية على تلك الذكريات.

وأجدني الآن أوازن بين طفولتي وطفولة طفليَّ، وأحزن من أجلهما. فأنا وأمهما حريصان على (تأمينهما) داخل علبة اسمنتية، وهما - في الحقيقة -

من تجاربهم



فريستان لصندوق سحري شيطاني هو التلفاز، ولا يصدقان ولا يصادقان إلاّ الحاسوب، وتطبق على أنفاسهما أعباء الواجبات المدرسية المنزلية، ولا يريان الشارع إلا لدقائق قليلة عند انتظار سيارة المدرسة. إنني عاجز عن توفير (ثراء) طفولتي لهما!

وفي طفولتي أيضًا، كان لي حظ النهل من نبع ثري: الجدة!.

وقد وهبني الله جدتين تبارتا في شحذ خيالي. وكانت جدتي لأبي ساحلية، أما جدتي لأمي فكانت فلاحية. وقد تلونت حكاياتهما باختلاف البيئتين. وأجزم، أنني لم أعش في حياتي لحظات من الفرح بنفس العمق والدهشة والدفء، وغيرها من المشاعر الغامرة التي كنت أجدها عند جدتيَّ، - رحمهما الله -.

ويهمني هنا أن ألفت النظر إلى ضرورة وجود (بديل) عن الجدة، التي أعتقد أن دورها قد تضاءل أو انعدم مع الظروف التي جدّت على تركيب وقوام الأسرة في معظم البلدان العربية. يدفعني إلى طرح هذا الاقتراح خبرتي بقيمة (الحكي الحيّ) للأطفال. صحيح أن الكتاب والمجلة والبرنامج التلفازي والشريط السينمائي، كلها وسائل مفيدة، ولكن أن يجد الطفل صوتا دافئا يفتح له أبواب الخيال السحرية، شيء جد مختلف وجد مؤثر. إن ذلك لا يفيد في تفريخ المبدعين في مجالي الأدب والفن فقط، فللخيال ضرورة مماثلة في مجال الإبداع العلمي.

لا أعرف ماذا أو من يمكن أن يكون ذلك (البديل)، مع اعترافي بصعوبة، وربما باستحالة، تعويض دور الجدة؛ لذلك أرضى بالحد الأدنى، وأناشد الآباء والأمهات ألا يبخلوا على أطفالهم بتوريثهم متعة الحكايات الخيالية التي رضعوها من أمهاتهم وجداتهم، مهما كانت ضغوط الحياة اليومية عليهم.

وقد يولد الطفل موهوبًا، ولكنه لا يبقى كذلك، ولا تتوافر له طول الوقت كل العوامل لتنمو موهبته وتزدهر وتثمر، فيلفه الإهمال ويذوي. وكم من مواهب ماتت في تربة غير صالحة.

ولقد استمتعت برعاية بعض المدرسين في المرحلة الإعدادية. وأذكر أنني نشرت سطورًا تشبه الشعر في مجلة الأطفال (ميكي)، التي تصدرها دار الهلال بالقاهرة، وكنت بالسنة الثانية الإعدادية. وقد أفرد مدرس اللغة العربية حصة كاملة للاحتفال بهذا (الحدث الكبير). وحين أعلن على الملأ (مولد شاعر)، كان في الحقيقة، يروي بذرة يضج جنينها بالرغبة في الانطلاق إلى الحياة.

وقد تزامن ذلك مع سنوات من الانتعاش الثقافي في مصر، كان في مقدوري خلالها أن أشتري مجلة للقصة وكتابًا مسرحيًا وآخر ثقافيًا، وأن أشاهد مسرحية، كل شهر، في مقعد (بأعلى «التياترو») كل ذلك من (مصروفي) الزهيد.

وفي المدرسة العباسية الثانوية بالاسكندرية، رزقني الله بمجموعة من الزملاء كانت لهم نفس التطلعات، ولم أُحرَم من استمرار الرعاية، فقابلت الأديب الكبير الأستاذ سليمان فياض الذي كان يعمل مدرسًا للغة العربية بالمدرسة. قرأ سليمان فياض بعض كتاباتنا الأولى، واختصني بنسخة من مجموعته القصصية الأولى (عطشان يا صبايا)، كما وجهني إلى قراءة (هيمنجواي)، وأعارني كتابًا عنه. لم يحاول الرجل أن يحدد لنا ماذا أو كيف نكتب، أو أن يفرض علينا طريقته في الكتابة. لقد اكتفى بأن يعطينا الثقة في أنفسنا، وهذا مهم في بداية الطريق.

وكان لسليمان فياض فضل لاحق عليَّ، حين كان يساعد الدكتور عبد القادر القط في إدارة مجلة (إبداع)، ونشرت لي العديد من القصص.

ولا أجدني بحاجة إلى الاعتراف ببساطة البداية، فقد كانت قصصي الأولى محاولات للرصد المباشر لبعض ملامح الواقع المعيش، ولا تخلو من تأثير مزاج مرحلة بداية الشباب أو المراهقة، فكانت مملوءة بالإيحاءات الحسية.

وكان طبيعيًا أن أتطلع إلى النشر، فقد حقق بعض قصصي مراتب متقدمة في مسابقة نادي القصة بالقاهرة في عامين متتاليين، كما فزت بجائزة مالية قدمتها هيئة محلية بالإسكندرية ترعى الفنون والآداب. وهنا، أحب أن أؤكد أهمية الجوائز للمبدعين من الطلائع والنشء، في كل مجالات الإبداع. إن التقدير المادي - مهما تواضعت قيمته - يرفع معنويات (البراعم) إلى عنان السماء، ويدفع بهم - إذا كانوا حقيقيين ومخلصين - خطوات على الطريق.

عرفتني أبواب الرد على (الأصدقاء) في المجلات الأدبية، ورفضت مجلة القصة القاهرية كل ما أرسلته لها من قصص. ثم أقدمت على مغامرة بأن كتبت قصة اسمها (سرُّ حيَّة مبرقشة)، في محاولة لتقليد من يدعون (تحطيم) الشكل التقليدي للقصة. وفوجئت بالمجلة تنشرها، بينما أنا - حتى هذه اللحظة - لا أعرف ماذا كتبت!

وكان يحيى حقي يرأس تحرير مجلة (المجلة) في الستينيات، ويعطي الفرصة للعديد من الأسماء الجديدة في القصة والشعر، فقررت أن أحاول مع (المجلة). أرسلت له عددًا من قصصي جملة واحدة. وأريد الآن أن أقدم (نموذجًا) لما يجب أن يكون عليه موقف الأستاذ من التلميذ، وأكتفي بإثبات نص خطاب أرسله إليّ الأستاذ الكبير يحيى حقي، - يرحمه الله -، ويحمل تاريخ ٢٩/٨/١٩٦٦م.

«عزيزي رجب، وعن سريع صديقي، فيما أرجو، وعما قريب زميلي - أنا واثق.

يا رجب، قرأت كل قصصك حرفًا بحرف بلذة كبيرة.

وأسارع وأؤكد لك أن لديك موهبة صادقة، أدعو الله سبحانه وتعالى أن يحفظها لك ويحفظك لها، جعلتني بالمقارنة استهزىء بكل ما كتبته في صباي. إنني لا أخشى عليك من الغرور؛ لأني أكلمك من قلبي المفتوح لك كلام أب لابنه كما لا أخشى تألمك إذا قلت لك إنك تمر الآن بأدق مرحلة في حياتك، لأن موهبتك أكبر من خبرتك. مثلاً «الجسم فيما لا نهاية»، وهي قصة جميلة، لا تزال بها رائحة تدل على أن الذي كتبها تلميذ. وهذا شيء لا بد منه، لأنك تلميذ. ولكن هذه الرائحة وحدها كفيلة بأن تجعل القارىء لا يأخذها مأخذ الجد، وبخاصة لأنك استخدمت ضمير المتكلم، وكان حقك أن تستخدم ضمير الغائب، لتخف هذه الرائحة على الأقل.

هذا هو طرف القوس الأول. والطرف الثاني

لا بـد أن يكـون شطحـان الخيـال، كما في «تفـاصيل حقائق مطموسة»، وهي مـع أنها قصة جميلة جدًا ـ ليس هذا هو المهم، هـذه هي فترة عابرة، المهم أن تعرف كيف تحتمل مـرورها بصبر. والذي يطمئنني عليك أن هذا السر الربـاني الذي أسميه الإحساس الفني، كـان تحت كلماتك، بل تنطق بـه هـذه القصـة القصيرة جـدًا «ذلك الشيء». أنت نفسك استخدمت كلمة شيء بمعنى سر.

أكثر قصصـك خفة دم والتصاقًـا بواقعنـا هي «الصرخة». طبعًا (الجنس) في قصصك متضخم، والحب لا يزال هو الغريزة الحيوانية، وهذه أيضا من صفات هذه الفترة الحرجة التي تمر بها.







○ القصة القصيرة تمتد في مستويات زمنية سحرية وتتسع لتزدحم فيها الأصوات وتتلاطم المشاعر والرؤى

صدقني إذا قلت لك إنني تمنيت أن أنشر لك إحدى هذه القصص في مجلة «المجلة»، لكنها مجلة وقور، لا تحب رائحـة التلاميـذ، ولا رائحة الجنس الصـارخـة. ولـذلك، سأجتهـد في أن أوصي على قصتك «الصرخة» لدى مجلـة «صبـاح الخير» التي يتنفس فيها الشباب، وأخبرك بالنتيجة.

أرسلت لك هـذا الخطـاب (مسـوكرًا)، لأن عنـوانك على خطابـك ناقص، وعلى الظـرف غير واضح. وأحـب أن تكتب لي على عنـــواني (٧٠ الخليفة المأمـون ـ منشية البكري ــ القاهـرة). كما أرجو أن نتلاقى قريبًا.

المخلص : يحيى حقي.

وللأسف الشديد، فإنني أهـدرت هذه البداية الطيبة، ولـم أستمر في الكتابة للأديب الكبير، ولـم أسع للقائه. غير أن ملاحظاته أفادتني، وجعلتني أتمهل كثيرًا قبل الكتابة.. وكنت، حال أعثر على الفكرة، أجلس مباشرة لأكتبهـا في جلسة واحدة! ولكني، بعد خطاب يحيى حقي، أصبحت أعايش الفكرة طويلاً، وأحرص على التخلص من العيوب التي وضع يده ويدي عليها.

وقد تزامن ذلك مع التحـاقي بالجامعة، فكان لـدراســة العلوم أثرهـا في الإضـافـة إلى رؤيتي للأشيـاء. ولـم تلبث أحداث فبراير/ يـونية ٦٧ أن أسدلت ستائرهـا السوداء، وجعلتني ـ مع غيري ـ أتوقف طـويلاً لمراجعة النفس ومحاولة الإجابة على كثير من الأسئلة. وفي الوقت نفسـه بدأت أيضًا، بدأت معـرفتي الحقيقية بيـوسف إدريس، فقـرأته بعمق، وتحمست لـه، حتى إنني بدأت في كتـابة دراسـة عنـه بعنـوان «اكتشـاف البعـد الخامس في قصص يـوسف إدريس». وكنت أعني به (البعـد القصصي) للأشياء، بعد الأبعاد التقليدية المعروفة: الطـول والعـرض والارتفـاع، ثم البعـد الرابـع: الزمـن الـذي أتـى به أينشتـايـن. ولا زالت بداية هذه الـدراسة موجودة لـديَّ، وعندي أمل دائم أن أنتهي منها ذات يوم.

ولا أريـد أن أنسى أنني أرسلت قصـة «الجسم في ما لا نهاية» التي أشار إليها الأستاذ يحيى حقي في خطابه إليَّ، إلى مجلة «الآداب» البيروتية، وعلمت ـ في عــام ١٩٧٤ ـــ أنها نشرت في عــدد تشرين الثـاني/ نوفمبر ١٩٦٧م من المجلـة، ولـم يـدخل ذلك العدد إلى مصر، لأنه كـان يحتوي على قصيدة عن النكسـة لنـزار قباني!

وبــدأت (رحلـــة) الجنـــديـــة في تشرين الأول/ أكتـوبـر ١٩٧٠م، فـور تخرجي في كليـة العلوم. ولم تكن قسـوة الحياة العسكريـة متمثلة في مكابدة جفافهـا فقط، بل ـ أيضًا، وبشكل أشد ـ في الجهل التام بمـوعد نهاية تلـك الرحلة؛ فـالزمن الرسمي لها كان سنة واحدة، غير أن ظروف النكسة فـرضـت على كل أبنـاء جيلي أن يبقـوا في (الـزي الكاكي) سنوات طـويلة. وكنا ننتظر الحرب، ولا نعرف هل ستكتب لنـا الشهادة فيهـا، أم سنخرج منهـا أحيـاء، لنعود إلى مجرى الحيـاة الطبيعيـة؟. وكيف ستكون صورة الحيـاة بعد الحرب؟. وكنت أرى الحرب شيئًا آخر غير مجرد الكر والفر والقصف والموت.. كنت أراها (حدثًا حضـاريًا) كفيلاً بأن يضعنا على عتبات دنيا جـديدة إن أحسنَّا التفكير. وقد عـالجت هذه الفكـرة ـ بتنـويعات مختلفـة ـ في قصصي التي كتبتها خـلال سنوات الجنـدية الأربع تشرين الأول/ أكتـوبـر ١٩٧٠م ـ أيلـول/ سبتمبر ١٩٧٤م).

وكنت أظن أن الحيـاة العسكريـة ستقضي على آمالي في أن أستمر كاتبًا للقصة، غير أنني سرعان ما تكيَّفت مع هــذه الحيــاة، بل واستمتعت ببعض جـوانبهـا.. فـلا شيء سيئًــا على طـول الخط. وخـالطـت في الجيش نماذج بشريـة متنـوعـة، كما اكتسبت خبرات مهاريـة ومعيشية عديـدة أضافت إلى رصيدي ككاتب قصة. ويبدو ذلك بوضوح في جزئيات مجموعتي القصصيـة «الأشرعة الرمادية». كما أتيح لي أن أنشر بعض القصص في مجلة «النصر» التي تصدرها القوات المسلحـة المصرية، وهي مجلة واسعة الانتشار، وكانت تضمن لي عشرات الآلاف

من تجاربهم



من القـراء المثقفين، المجنـدين في المؤسسـة العسكرية.

ضمت تلك المجموعة القصصية الأولى أعمالاً ترصد أحوال مجتمع النكسة من خلال المثقف المصري الذي حمل على كاهليه أعباء معايشتها، وآمال وتخوفات الحلم بالتخلص منها؛ ثم بعض القصص التي تسجل خيبة الأمل والمرارة التي شعر بها (المحاربون الرومانتيكيون) بعد أن خلعوا الزيّ (الكاكي).

ويعيب عليّ الأستاذ الدكتور سيد حامد النساج، في مقالته عن «الأشرعة الرمادية وبدايات كاتب جاد» ــ مجلة الهلال تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٨٦م، أنني جمعت في هذا الكتاب العديد من الخيوط، وكان جديرًا بي أن أركز على نغمة واحدة. ومعه حق، فبعض القصص يبدو غريبًا عن السياق العام للمجموعة. وقد وقعت في هذا الخطأ نتيجة حماستي الشديدة ورغبتي في إصدار أول كتاب قصصي لي.. فقد تأخرت في ذلك كثيرا (صدر عام ١٩٨٤م).

وكان كتابي القصصي الثاني «نقوش الدم» * امتدادًا لتجربة الحرب. وهو عبارة عن قصتين طويلتين:

١ ــ المخاض.. من أوراق مقاتل مصري. وهي تسجيل لتجربتي الحقيقية في الأيام الأولى لحرب تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٧٣م.

٢ ــ الممر وهي تسجيل في معالجة قصصية لتجربة صديقي المهندس الشاعر أحمد ماضي في الحرب نفسها.

وكان المفروض أن يصدر كتابي القصصي الثالث في آب/ أغسطس ١٩٩١م، وأخرته (بيروقراطية) موظفي الثقافة بالقاهرة. وقد يصدر هذا الكتاب أثناء أو قبيل نشر هذه المادة، وهو بعنوان: عملية تزوير. وهو يحاول أن يرسم ملامح وجه المجتمع في سنوات ما يسمى بالانفتاح. وكل شيء واضح في عنوان الكتاب!

أما الكتاب الرابع، فقد أعطيته اسمًا هو: «اركبوا درّاجاتكم!». وهو لا يزال مخطوطا، وأنا حائر به، لا أعرف كيف أو أين أنشره، وإن كنت نشرت معظم قصصه في مجلتي العربي والهلال.

ويقودنا كتابي الخامس إلى جانب محبب إليّ في تجربتي مع القصة، فهو قصص للأطفال، ويحمل عنوان: أريد أن أطير في الفضاء!. أصدرته سلسلة كتب الهلال للأولاد والبنات ـ دار الهلال ـ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٩٠م.

ويحلو للبعض أن يهول من صعوبة الكتابة للأطفال، ولكني أراها ممتعة، وأسهل من الكتابة لعالم الكبار الكئيب. وقد تكرمت عليّ مجلة «ماجد» التي تصدر في أبي ظبي، وضمتني إلى أسرة كتابها الدائمين. وأنا أجتهد في تحمل هذه المسؤولية مغالبًا كسلي. وقد تكون لديّ في الآونة الأخيرة كتابان قدمتهما لدار الهلال، أو لهما مجموعة قصصية بعنوان: جدّي يفتح صندوقه. و الثاني، مقالات علمية مبسطة.

وبالرغم من أننا نتحدث عن تجربة الكتابة القصصية، فقد يكون من المفيد الإشارة إلى نوع آخر من الإنتاج، وهو الكتابة العلمية للعامة. وقد شجعني على الخوض في هذا المجال اشتغالي بالعلم، وعلوم البحار بصفة خاصة، ثم نصيحة سمعتها في ندوة للأستاذ يحيى حقي، مفادها أن على الأديب ألا يقنع بالكتابة في صنف أدبي واحد، بل عليه أن يجرب أنواعا أخرى غير النوع الأثير لديه، لأن ذلك من شأنه أن يثري خبرته، وقد يفيده إذا مرت به فترة توقف عن الإبداع، كما يحدث لكثير من الأدباء.

ويجب أن أعترف بأن اشتغالي بالكتابة العلمية للمجلات كان له دافع جوهري، وهو كونه مصدر دخل، تفرضه ضرورات الحياة. فالكتابة الأدبية ـ للأسف، وبالنسبة لمعظم الأدباء ـ لا يمكن الاعتماد عليها، ولا يزال كثير من منافذ النشر يعاملها، ماديًا، معاملة متدنية، فإذا جازف أديب واعتمد عليها، جاع. لذلك، كان لكل الأدباء وظائفهم الثابتة ـ وهي، أيضًا، نصيحة «محفوظية» ـ وكان اشتغالهم بالأدب يأتي في المرتبة الثانية بعد الوظيفة الرسمية. وهذا هم أساسي من هموم الأدباء. وأتخيل لو أنهم أتيحت لهم سبل العيش الكريمة، دون حاجة لمورد الوظيفة وقيودها، لتوافرت لهم فرص أعظم لتجويد إبداعاتهم.

وبالإضافة إلى مئات المقالات العلمية التي نشرتها في معظم الدوريات الثقافية العربية، فقد أصدرت أربعة كتب علمية، هي:

١ ــ الحرب ضد التلوث. سلسلة كتابك ـ ٧٣م ـ دار المعارف ـ القاهرة ـ ١٩٧٨م (نفد).

٢ ــ البحر.. أسرار وكنوز. المكتبة الثقافية ـ ٣٨٣ ـ هيئة الكتاب ـ ١٩٨٤م. (نفد).

٣ ــ الإنسان والبيئة. (مع آخرين) ـ كتاب العربي ـ وزارة الإعلام ـ الكويت ـ ١٩٩١م.

٤ ــ في عالم البحار ـ تبسيط العلوم ــ هيئة الكتاب ـ ١٩٩٢م.

بالإضافة إلى كتاب خامس تعاقدت مع دار المعارف لنشره في سلسلة (اقرأ) وهو بعنوان: الأرض.. شفاها الله!

وواضح أنني لم أجرب الرواية. ولكي أكون صادقًا، فقد حاولت، ولكن ـ في كل مرة ـ كانت الفكرة تتحول بين يديّ لتأخذ شكل القصة القصيرة! لقد تمكن مني هذا الشكل حتى إنه يمنعني عن مغادرته إلى شكل آخر. وأكثر من ذلك، فإنني ــ في مقالاتي العلمية ـ أشعر كأنني أكتب قصة قصيرة. بل إنني حينما أفكر في الأشياء والأحداث من حولي يتلبسني أسلوب القصة القصيرة، فأنشد التركيز والتكثيف، وأحب أن تنتهي الأشياء والأحداث بسرعة.

والقصة القصيرة فن خطير. إن صفة القصر فيها لا تزيد عن قصر الحيز (الجغرافي) الذي تحتله القصة على العدد القليل من الأوراق، غير أنها ـ كما أحبها وأراها ـ يمكن أن تمتد في مستويات زمنية سحرية، تطول إلى أبعد من الوجود الجغرافي، ويمكن أن تتسع لتزدحم فيها الأصوات وتتلاطم المشاعر والرؤى، مستفيدة من غيرها من الفنون: الموسيقى والتشكيل اللوني والشعر، بشرط أن يتوافر عليها (معماري) واع، يمسك بناصية لغته الخاصة ليبدع هذا (المخلوق) العبقري المسمى بالقصة القصيرة.

(*) إشراقات أدبية (١٣) ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ أكتوبر ١٩٨٧م.

من المكتبة السعودية





محمد بن ناصر العبودي

- الكتاب : في غرب البرازيل .
- المؤلف : محمد بن ناصر العبودي .
- الناشر: مطابع الفرزدق التجارية ، الرياض، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م . ١١١ص .

وصلت كتب الشيخ محمد بن ناصر العبودي في الرحلات إلى حوالي ثمانين كتابا ، بين مطبوع ومخطوط . وكانت كلها مشاهدات وانطباعات عن تلك الرحلات في أرجاء العالم شرقًا وغربًا ، شمالاً وجنوبًا ، يتفقد من خلالها أحوال المسلمين في تلك الديار التي يزورها ويرحل إليها ، بصفته الأمين العام المساعد لرابطة العالم الإسلامي .

وكتاب «في غرب البرازيل» أحد تلك الكتب الرحلية ، الذي يذكر فيه ، كعادته في المقدمات سبب الرحلة وهدفها . وهو أنه بعد أن قام بجولة في البرازيل قبل ثلاث سنوات ، وترتب عليها أن أقامت رابطة العالم الإسلامي مؤتمرًا إسلاميًا لقارة أمريكا الجنوبية ، وبعد أن مضت فترة من الزمن على تقويم العمل الإسلامي في تلك البلاد ، احتاج الأمر إلى إلقاء نظرة جديدة على أوضاع المسلمين هناك واقتراح السبل الكفيلة لمساعدتهم على ضوء هذه الأمور المستجدة ، إضافة إلى معرفة العوامل التي طرأت على العمل الإسلامي في أنحاء العالم ، وفي البرازيل بصفة خاصة ، مع تقديم المساعدات للمشروعات الإسلامية فيها .

وكان تاريخ الرحلة يوم الثلاثاء ١٦/ ٥/ ١٤٠٨هـ ـ ٥/ ١/ ١٩٨٨م ، واتبع فيها ، فيما يكتبه ، المذكرات اليومية ، وهي طريقته المعهودة في كتابة الرحلات . وكان يسرد مرئياته وانطباعاته الآنيّة في سير الرحلة . بحيث يصف المطارات وطائراتها ، والإقلاع ، والمضيفات داخل الطائرة ، ومناظر الأرض وهو في الجو ، والهبوط ، واستقباله ، وذهابه للفندق بسيارات مستقبليه ، ووصف لمشاهدات الطريق . ثم جولات في بعض الأمكنة والمعالم ، ووقوف عند الأماكن التي جاء من أجلها ، وبخاصة المساجد ، والمسلمين ، وأحوالهم ، وذكر لأسماء بعض المسؤولين عنهم . ثم عودة من حيث انطلق ، أو رحلات أخرى لأماكن جديدة . . . وهكذا . وقد دوّن لنا الكثير من تلك المشاهدات .

ولهذا فقد ذكر لنا في هذه الرحلة البرازيلية أبرز الشخصيات الرسمية السعودية والإسلامية التي التقى بها منذ رحيله من «برازيليا» إلى كويابا حين وصف لنا مدينة «كويابا» من الجو ، ثم من الأرض ، وقد استقبله «خالد حمد حيمور» رئيس الجمعية الإسلامية في تلك المدينة ، و «حسن شوشر» عضو الجمعية وإمام المسجد ، وكلاهما من لبنان ويعملان في التجارة ، وضّحا وفسرا له بعض الظواهر الجغرافية ، والمناظر المرئية ، وتسمياتها اللغوية مثل : كثافة الأعشاب والأشجار فيها ، فهي عاصمة ولاية «ماتو قروسو» (ماتو : عشب ، وقراسو : كثيف في اللغة البرتغالية) ، وقد سمّوها بهذا الاسم «لكثرة أعشابها وكثافة نباتها وشمول ذلك لكافة أرجائها» . وقد وقف عند مثل هذه التسميات كثيرًا في رحلاته .

ولأن المساجد بيوت الله فقد كانت غاية رحيله ، ومقصد مشاهداته . ولهذا وقف بنا عند جامع كويابا ، فوصف وذكر بعض مظاهره وأخباره : مئذنته وساحته وأعمدته وقبته . وقرأ علينا لوحة تضمنت تاريخ بنائه وتأسيسه ، ٢٠ صفر ١٣٩٢ هـ ، ومن شيّده ، ثم ذكر مشاهدات ذات قيمة محلية وسياحية ودينية ، مما يلفت انتباه الزائر المسلم ، وهي اهتمام البلدية البرازيلية بذلك المسجد ، حين توظفه في مصالحها السياحية ؛ إذ قامت ببعض الإصلاحات وتحسين المنطقة حول المسجد ، «وزادت البلدية على ذلك بأن جعلت المسجد معلمًا سياحيا من معالم المدينة ، فطبعت صورته على بطاقات بريدية ، ووضعت زيارته ضمن زيارة المناطق السياحية المهمة في المدينة ، وكتب عنه في الكتاب الذي أصدرته في معرفة المدينة ، وذكرت أنه للمسلمين وأن الجالية اللبنانية هي التي قامت على بنائه ، وذكرت البلدية عنوانه» .

وذكر لنا عدد المسلمين في «كويابا» ، ٦٠٠ نسمة ، بينهم ستون عضوًا عاملاً ، يدفع الواحد اشتراكًا قدره خمسة دولارات . ويتراوح عدد المصلين يوم الجمعة ما بين ٣٠ إلى ٤٠ مصليًا . وكان تاريخ قدوم المسلمين إليها عام ١٩٤٨م ، بينما كان النصارى قبل ذلك التاريخ ، أكثر عددا من المسلمين . وقد توقفت الهجرة لأحوال البلاد الاقتصادية المتردية .

وحين يتجول في شوارعها وضواحيها ، يصف مشاهداته بدقة ، كما لا تفوته أوضاع البلدة الزراعية والتجارية والصناعية ، ومعالمها البارزة والملفتة للنظر . وبخاصة ما يهم المسلمين كمقبرتهم ، ومن كلامه عنها قوله : «ومن المضحك المبكي هنا أن سعر القبر يكون محددًا بمدة معينة يتم الاتفاق عليها بين شركة الدفن التي تملك المقبرة ، وبين ورثة الميت . فإذا كان القبر لمدة سنتين مثلا فإن الشركة تبعد الميت ، بل قل تطرده من المقبرة بعد انتهاء السنتين وتلقي بعظامه في مكان مخصص لذلك . أما إذا أراد ورثة الميت أن يبقى في قبره لفترة أخرى فإن عليهم أن يدفعوا إيجارًا إضافيًا لتلك المدة . قال الأخ خالد حيمور : لذلك سعينا في شراء مقبرة خاصة للمسلمين حتى لا يتعرضوا للنبش والإبعاد من القبر . فيمكننا حسب أنظمة البلدية أن ندفن الميت حيثما نراه ، وأن يبقى في قبره إلى ما شاء الله ما دمنا قد حصلنا على رخصة مسبقة بذلك من البلدية ، ونحن نملك أرض المقبرة» .

ووقف عند جامعة «ماتو قروسيو» ، ثم انتقل إلى قلب المدينة التجاري . وقد يجري مقارنة كعادته بين النساء ولباسهن وأحوالهن في بعض المدن ، ليستخلص رؤية من تلك الانطباعات . كما أنه قد

من المكتبة السعودية

يعرض بعض السلبيات والمساوئ التي يراها، مما يؤثر على سمعة الدولة البرازيلية السياحية وعلى أهلها ونظافتهم، وتنعكس هذه المظاهر على سلوك السكان في متاجرهم ومحلات أعمالهم. وقد يذكر المطاعم التي يرتادها وأنواع المشروبات والمأكولات فيها. كما يتعرض لحالة الطقس، والأمطار، والرطوبة والحرارة المرتفعة خلافًا لطقس الولايات المتحدة الذي وصلت فيه البرودة إلى ٥٩ درجة تحت الصفر، ليقول «سبحان الذي يفعل ما يشاء»، ولكنه يفسر ذلك تفسيرا علميا أو جغرافيًا. ويقف عند الكلمات التي ألقاها في المسجد على إخوانه المسلمين، ومضمونها، والنقاش الذي دار بينهم حول أمور الدين.

ويصنع الصنيع نفسه في المدن الثلاث البرازيلية الأخرى التي قصدها، ورحل إليها، وهي: «كامبو قراندي، ودورادس، وفاطمة دوسول»، ليعود إلى حيث بدأ الانطلاق لمدينة «برازيليا».



● الكتاب: المتنبي الإنسان والشاعر.

● المؤلفة: د. نورة الشملان.

● الناشر: دار مصر للطباعة، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢م - ١٨٨ص.

عرّفنا الدكتور حسين نصار بصاحبة الكتاب في مقدمته، وهو الكتاب الذي نالت به درجة الدكتوراه، وكان عن «المتنبي الإنسان والشاعر بين أبي تمام وأبي فراس»، أما الذي يقدمه فهو جزء من رسالتها للدكتوراه، وقد استبعدت صاحبته بالموازنات التي عقدتها بين المتنبي وبين كل من أبي تمام وأبي فراس، فيرى في ذلك، «تخفيفًا على القارئ، واكتفاء بالموضوع الأساسي» ثم لا يشك «أن هذا الاجتزاء يؤثر بعض التأثير على بقية الكتاب». ولكنه نسي أنه يؤثر على القارئ وعلى المؤلفة نفسها التي أمضت السنوات في بحوثها المجهدة لها وللمشرفين عليها كي تقدم الجديد، بعد استقصاء طويل، للمؤسسات العلمية، ومحبي الثقافة الأدبية ومتابعيها؛ ثم تحرمهم جميعا من خلاصة فكرها، إلا إذا كانت المؤلفة لم تقتنع بفائدة المجتزأ من ثمارها للقارئ لسبب من الأسباب؛ أو ربما ستطبعه كاملا في يوم من الأيام.

ولا يضيرنا، في هذا المقام، أن نعرض خلاصة لموضوعها، ثم نتعرف على شخصيتها الأدبية والفكرية في العرض والتناول والمنهج. يقوم موضوعها على تمهيد عن أبي الطيب المتنبي نشأةً وحياةً، وأربعة فصول: الأول «شخصية المتنبي»، ربما كانت تقصد به «الإنسان»، الزاخر بأحاسيس «العظمة، والطموح، والتشاؤم، والقوة». والثاني «العوامل المؤثرة في شعر المتنبي» وربما أرادت المؤلفة أيضًا أن تستكمل به شخصية المتنبي من خلال «بيئته المملوءة بالفتن» و«تضخم الشعور بالذات لديه» و«اضطراره للتكسب لدى الأمراء والكبراء»، ومن خلال «ثقافته الواسعة». والثالث عن أغراض المتنبي الشعرية، وهي الأغراض التي عرف بها مثل «الشعر الحربي، والحكمة، والمديح، والهجاء، والشكوى، والرثاء، والغزل، والعتاب والاستعطاف والاعتذار، والشعر السياسي، والوصف».

أما الرابع والأخير، فهو فيما يبدو تتمة لما يتعلق بالمتنبي الشاعر، فكان عن «خصائصه الفنية» وهي: «الأسلوب، والمعاني، والعاطفة، وأثر سيف الدولة في الخصائص الفنية لشعر المتنبي». وفي كل تلك الموضوعات من كتاب المؤلفة اتبعت منهجا أو أسلوبا واحدا في عرض أفكارها، يقوم على تقديم أفكار الآخرين، قدامى ومحدثين، ومناقشة أفكارهم وتصورهم ومواقفهم، والموازنة بينها، وترجيح الأصوب أو الموافق لمنظورها، أو إظهار المخالفة، أو الاحتفاظ بالرأي الشخصي المستقل والمستند على النصوص الشعرية للمتنبي نفسه. وإنه لمنهج اتبعته منذ البداية وحتى آخر سطر في بحثها.

ففي تمهيدها مثلا عن نشأة المتنبي وحياته، وعن كل مسيرته: «ولادة، وتعليما، وادعاءً للنبوة، وسجنًا ورحيلا لسيف الدولة فكافور، وعودة للكوفة فبغداد، ثم أرجان فارس وابن العميد، وعضد الدولة في شيراز فمقتله» نجد في الكثير من ذلك المنهج السابق نفسه.

وحين وقفت عند لقبه وادعائه النبوة وسبب سجنه، عرضت مصادرها القديمة والحديثة واستخرجت منها مادتها، وأظهرت ما اتفقوا عليه وما اختلفوا حوله أو ما خالطه الشك، أمثال: «الثعالبي، وصاحب الصبح المنبي (البديعي الدمشقي) والبغدادي وابن العديم، والأنباري، وابن جني، وابن خالويه، وابن خلكان، ثم محمود شاكر، وعبد الوهاب عزام، وطه حسين، ومحمود يوسف نجم، وشوقي ضيف، وزكي المحاسني وأنيس المقدسي»، هذا فضلا عن ديوان المتنبي، فوحدة بحثها متكاملة متداخلة لا انفصام بينها، فحين عرضت أفكار وآراء أولئك القدامى ثم المحدثين، فعرضها لهؤلاء جاء على ضوء أولئك؛

ثم تستخلص وتقدم صفوة رؤاها مع دعمها بالدليل ونصوص المتنبي لتقول: «بعد أن استعرضنا أهم الآراء التي قيلت حول سجن المتنبي وتعليل لقبه، يبدو لي أن ادعاء النبوة أمر يتناسب مع شخصية المتنبي وسعيه للرئاسة، ولا أستبعد أنه ادعى النبوة ليفوز بالرئاسة التي يحلم بها» ثم أوردت أدلتها على ذلك.

وإذا كانت المؤلفة قد اعتمدت في بلورة حياة المتنبي ونشأته على آراء الآخرين، وعلى شيء من شعره، فإنها مع شخصيته لم تعتمد إلا على شعره، «لأن شعره أصدق تعبيرا عن حياته،

وأحسن تصويرا لنفسه من أقوال جميع الذين كتبوا عنه قديما وحديثا».

ولكنها مع ذلك كله لا تستطيع أن تسير على هذا المنهج، فهي تعترف بأنها لا يمكن أن تغفل ما قيل عن المتنبي: «ومع هذا تناولت أشهر ما قيل عن شخصية المتنبي، وبينت مدى اتفاقي مع تلك الآراء، واختلافي معها، مع الاعتراف بالفضل للسابقين فيما تتوارد عليه الأفكار، أو تتفق فيه الآراء». ولكنها تخرج برؤية واضحة عن شخصية المتنبي، وتمنح القارئ صورة كاملة لملامحه وأهمها «الإحساس بالعظمة، والطموح، والتشاؤم والإيمان بالقوة». وتقع الباحثة في المفارقة نفسها مع أسلوب المتنبي وخصائصه الفنية حين تقول: «وجدت نفسي أمام سيل لا يكاد ينفد من الدراسات ذات المستويات المتباينة، والآراء المتضادة حينا، والمتفقة في أكثر الأحيان، مما جعل معظم المصادر التي كتبت عنه تقليدية ينقل فيها الخلف عن السلف».

ومع ذلك فهي لا تقوى على الفكاك من ربقة الآخرين، قدامى أو محدثين، فأثرهم والاعتماد عليهم واضح في تحليلها وتقويمها، فقد استخلصت مثلاً، وهي بصدد الكلام عنه: «أثر سيف الدولة في الخصائص الفنية لشعر المتنبي» أن «المتنبي استفاد كثيرا من (اسم) سيف الدولة، فاستخدمه استخدامًا كثيرا في مدائحه له» «ويستغل هذا الاسم» «والحق إن استفادة المتنبي من (اسم) الممدوح قويت في شعره (السيفي) وكثرت». واستشهدت باثني عشر بيتا سيفيًا. وتنتهي المؤلفة لتذكر نصا لأسبقية الثعالبي في هذا الصدد مما استخلصه قبلها تقول: «وذكر الثعالبي أن المتنبي استطاع أن يتصرف تصرفا حسنا في مدح سيف الدولة بجنس (السيفية)، وأورد ثمانية عشر بيتا بان فيها استغلال الشاعر لاسم الممدوح في إضفاء صفة المديح عليه».

وللمؤلفة وقفات موفقة في دراستها للعوامل المؤثرة في شعر المتنبي ولا سيما أنها لم تعتمد كثيرًا على آراء المعاصرين غير محمود شاكر والعقاد. حين طرحت بعض الأسئلة عن تلك العوامل مما لا تجد لها جوابا، فمثلا تتساءل وهي بصدد الكلام عن بيئة المتنبي المملوءة بالفتن وعن نتائج الأمور في شعر المتنبي لو كانت تلك الأمور في مسار آخر «ترى لو عاش المتنبي في بيئة هادئة ساكنة، أكان يقول ما قال من شعر ثائر قوي، فيه تهديد ووعيد، وسخرية وحقد على من قبض زمام الأمور من أناس لا يستحقون ما وصلوا إليه؟! لسنا ندري».

ولقد أظهرت المؤلفة أثر العصر وما يزخر به من اضطرابات على المعاناة الشعرية لدى المتنبي، فعصره المضطرب «أوجد عنده تلك الغربة التي عبر عنها في شعره»، وأيضا «جعله يجبر نفسه على معاشرة أناس لا يحبهم ولا يحترمهم»، «وصبغ شعره بلون أحمر».

كما أن «تضخم الشعور بالذات لدى المتنبي» أو اعتداده بنفسه هو ماكان سببًا من أسباب شهرته كما تقول المؤلفة. ونصوصها الشعرية على ذلك كثيرة؛ وقد تجد في تعليق الآخرين من القدامى عليها خير ما يغنيها عن الكلام، وهو نوع من فاعلية القدامى عليها. فتترك الثعالبي يعلق على داء العظمة، لدى المتنبي في هذه الأبيات:

«أي مكان أرتقي
أي عظيم أتقي
وكل ما خلق الله وما لم يخلق
محتقر في همتي كشعرة في مفرقي».

ليقول: «وقبيح بمن أوله نطفة مذرة، وآخره جيفة قذرة وهو فيما بينهما حامل بول وعذرة، أن يقول مثل هذا القول الذي لا تسعه معذرة». وقد وفقت في تحليلها لاضطرار المتنبي للتكسب لدى الأمراء والكبراء حينا، وأخفقت حينا آخر وإن دعمته بنصوص شعرية، وكذلك في كلامها عن أغراضه الشعرية، حين أخذت تدافع عن حكم المتنبي، وتقف بجنب المحدثين الذين تصدوا للقدامى ممن أظهروا تأثر المتنبي بحكماء اليونان، (أرسطو أو أفلاطون).



● العنوان: الضمير الذي اغتالوه.
● المؤلف: د. خضر محمد عبد الرحمن الشيباني.
● الناشر: دار القاموس للنشر والتوزيع، الرياض، ٢٣٧ ص.

يحاول المؤلف في مقدمته أن ينير القارئ بشيء من مضمون الكتاب ودوافع نشره، ولا سيما أنه إزاء حالة يمر بها كثير من كتّاب الزوايا الصحفية الدورية، وهم يشرعون بلملمة مقالاتهم لتسكن الكتب المطبوعة. ومهما حاولوا التبرير والإقناع، وإضفاء روح الديمومة على فكرهم في مقالاتهم، فإن طابع الفكر الآني يظل هو السائد على كتابات الزوايا الدورية، لأنها تستمد مادتها من الواقع والمواكبة للأحداث أو الأخبار اليومية، والتي يطلق عليها في عالم الصحافة: أخبار الساعة. وكانت مقالات صاحب «الضمير الذي اغتالوه» قد نشرت ما بين عامي: (١٣٩٢ هـ و ١٤٠٤ هـ) في جريدة المدينة المنورة وفي زاوية عنوانها «تأملات». واتبع في ترتيب المقالات في كتابه ترتيبًا زمنيًا تنازليًا. واختار عنوان أحد تأملاته ليكون عنوان الكتاب لأنه يراه مناسبًا لمعظم المقالات التي تحكي شيئا عن رحلة المعاناة الفكرية والنفسية التي يعيشها الإنسان العربي، وهو يصطدم بالتحديات والعقبات في كل طريق وعند كل مفترق، كما يرى أن الآلام التي تحاول بعض هذه المقالات تجسيدها، والأحزان التي تسعى إلى طرحها، والهموم التي تحرص على تعميقها؛ كلها في الأصل تنبثق عن انعدام الضمير، لأن الضمير - كما يقول المؤلف - «يعني الإخلاص في الدعوة والطريقة والمنهج، وإرساء القدوة الصالحة، والحفاظ على الأصيل في كيان

من المكتبة السعودية

الإنسان، والشامخ في وجوده».

وإذا كانت الفترة الزمنية التي قيلت فيها تلك المقالات، قد شهدت الكثير من نوايا إسرائيل وأفعالها مع العرب في الطمع والتوسع، فإن هاجس المؤلف، في كثير من مقالاته، يتجه صوب ذلك الصراع العنيف بين العرب وعدوهم اللدود الأول إسرائيل؛ لدرجة أن بعض مقالاته تتسع لتشمل عدة حلقات، ولتغطي الموضوع بكامله، ثم يعود إلى مقالات أخرى للموضوع نفسه؛ لأن الهم العربي يعلو على أي هم آخر.

ولهذا يلجأ المؤلف إلى عُدَّة تعبيرية تمكنه من إيصال فكره وهمومه إلى قارئه العربي. فيستمد المعلومة والرؤية من الخبر، والميدان الواقعي، والشاهد اليومي والفكر السياسي، والثقافة الخاصة، والمعاناة الذاتية، تتضافر كلها لتتوج بأسلوب لا تعوزه الحكمة، ورصانة الصياغة، مما تساعد على ملاصقة ـ ذهن ووجدان قارئه.

ولنطف معه، ونقف عند أبرز معلوماته ورؤاه عسى أن يمنحنا ذلك صورة تقريبية لفكر المؤلف، وشخصيته السياسية والعربية، ومواقفه حيال الكثير من المشكلات والقضايا ودور الآخرين منها سلبًا وإيجابًا. وليكن حسب تسلسل مقالاته، يرى ـ مثلاً ـ وهو يقوم بدور «تأطير الإنسان العربي»، أن أهم الصفات العامة التي يلتقي عندها كل مواطن عربي، وضعوه تحت المجهر ليتكلم ويحاور ويتحدث، هي: السطحية والاهتمام بالعموميات، والخوف من النقد، والمبالغة في وصف الأعمال أيًا كانت، والإسراف في الثناء والمدح والإطراء، والابتعاد عن التحليل الموضوعي، والتلاعب بالحقائق لتلائم الأوضاع السائدة، والتكلف المصطنع، مما يجعلك تحسب أن المتكلم هو إنسان آلي يردد برنامجًا وضعوه في داخل هيكله الجامد ص ١٥.

وقد عمم المؤلف هذا الوصف على «كل مواطن عربي»، فسلبه شخصيته الفكرية والثقافية والاجتماعية، وإن ذلك الوصف لا يقوم به عادة كل مواطن عربي، وإنما هو من تخصص المثقفين والصحفيين وغيرهم من الصفوة. وقد عزا المؤلف ذلك «التأطير» إلى النكبات التي حلت بالإنسان العربي في العصر الحديث. بينما يرى ـ في الوقت نفسه ـ أن أسلوب الإنسان الغربي يختلف عن العربي، بل هو على النقيض منه تمامًا.

ويرى، وهو يتساءل «متى نتعلم؟» إن أكثر ما يحز في النفس إزاء ما يحدث على الصعيدين العربي والإسلامي هو أننا لا نتعلم شيئًا من التجارب المريرة التي نمر بها. ولو استخلصنا من كل هزيمة نكراء، سطرًا واحدًا في التحليل الموضوعي، لأصبحنا اليوم مرجعًا في النضج والحكمة والرؤية الصائبة ص ١٧. ونجده، وهو يحاول إيجاد وصف للعصر العربي الحديث مع مهازله ونكباته ويتجاوز وصف العصر الرديء) ليستعير وصف الشيخ الغزالي وهو (العصر الأنكد)، نجده يقول: تندفع دبابات العدو، وتنطلق طائراته لتحرق الأخضر واليابس، وتدمر القرى والمدن، وتقتل الشيوخ والأطفال، وتحتل الأرض، وتسرق العرض، وتهيمن هيمنة مطلقة على المنطقة، ولكن المنطق العربي المتطور في العصر الأنكديقول: إن إسرائيل انهزمت لأنها فشلت في أن تحقق مآربها في القضاء على القيادات الثورية! وما دامت هذه القيادات في أحسن حال فإن الأمور ستظل بخير ص ٢٥.

ويقف المؤلف طويلا، ومن خلال أربع مقالات، عند فكرة «الوقت لعبة إسرائيل» لينتهي قائلاً بأن الوقت استمر في الانسياب ليضع العرب أمام أمر واقع جديد يضاف إلى سلسلة طويلة من سياسة ترويض العرب لقبول حقائق الأمر الواقع.

وقد يضع المؤلف القارئ في ميدان جديد بعيدا عن الصراع العربي الإسرائيلي، بشكل مؤقت، يضعه مع أخبار الساعة التي تتناقلها الصحف، ومما تثير الدهشة أو الاستفسار، فيمنحنا رؤيته ثم يعقبها بالخبر؛ أو العكس. مثل خبر أو قصة (إي ـ تي) ذلك الكائن الآلي الشبيه بالضفدعة الضخمة (المخلوق الوافد من خارج الأرض)، وهو فيلم أمريكي تناقلته الصحافة، ص ٤٧، أو ما نقلته مجلة «تايم» على لسان أحد القضاة الأمريكان، إثر ما توصلوا إليه من طريقة يعدم فيها القاتل من غير ألم، وذلك بواسطة حقنة سامة تعطى للمحكوم عليه فينام نومة لا يستيقظ بعدها في هذه الدنيا العجيبة، ص ٤٩.

على أن هذه الأخبار لا تنأى به عن جو الصراع العربي الصهيوني، فبعضها يدخل دائرة همومه مع إسرائيل، مثل الخبر الذي نشرته مجلة اليمامة عن السيد «سمير حنفي»، مصري الجنسية، قد اختار لولده اسم «بيجن»، تكريما للرجل الذي أعاد لمصر شرفها حسب قوله، ص ٨٠.

وكانت رؤيته وانطباعه عنه بمثل هذا القول الحق: «لقد رأى حنفي القيادات التي وثق فيها تقبل (بيجن) وتأخذه بالأحضان، وشاهد حنفي النخبة التي تمثل له قمة الثقافة والفكر تتمرغ في وحل الصهاينة، وكان لابد أن يعتقد أنهم على صواب، أليسوا هم الرواد والقواد وأرباب الفطنة والمعرفة؟» ص ٨١.

وحتى تعليقه على الخبر الأول، الذي يحمل مأساة البطل الخرافي (إي ـ تي) من الوجهة الغربية، لا ينسيه الهموم العربية، حين يتساءل وهو يتابع ردود الفعل التي نقلتها الصحافة الأمريكية عن مدى (الاهتمام) بمعاناة (إي ـ تي) والتحسر على مصابه والأسى لفراقه وغير ذلك من المشاعر التي انتابت كبارهم وصغارهم، تساءل قائلا: «ترى ماذا كانت ردود فعل الكبار فيهم ـ فللصغار أعذارهم ـ أمام ما نقلته الصحافة والتلفزيون عن مذابح صبرا وشاتيلا، ومعاناة المدنيين في حصار بيروت، ونكبة اللاجئين عبر سنين طويلة من رحلة الغربة والعذاب والتشريد؟!» ص ٤٧.

وتتجلى القيم الأصيلة والدعوة إلى القدوة الصالحة، ونبل الأخلاق، مما كان أشار إليها المؤلف في مقدمته للكتابة عن انعدام الضمير، تتجلى في مقالاته الاجتماعية، وهي قليلة جدا ويمثلها مقال «يوم في دائرة حكومية»، حيث نجده يبرز سلبيات «البيروقراطية» والموظفين «البيروقراطيين»، وكان في وصفه إياهم شيء من التهكم والسخرية الكاريكاتيرية.

الفضاء في خدمة علم المحيطات



م. سليمان القرطاس

شهد عصر الفضاء ثورة تقنية في العديد من المجالات، ومنها دراسات الأرض، فقد شهد عام ١٩٦٠م التقاط أول صورة للأرض تغطيها السحب من القمر الصناعي الأمريكي للأنواء الجوية «تيروس»، بينما أصبح من المعتاد في السبعينيات من هذا القرن جمع المعلومات الفيزيائية والكيميائية والحركية للجو وأشكال الأرض من القمر الصناعي وشهدت السبعينيات أول استخدام للقمر الصناعي ومقياس الارتفاع فيه لقياس ارتفاع سطح البحر.

وتكتسب الأقمار الصناعية أهمية كبرى في دراسات علم المحيطات لما يعتري قياسات السفن المخصصة للبحوث والأجهزة الطافية من قصور من حيث قصر المدة والتحديد في الرقعة الجغرافية. ولا تستطيع توفير فهم الجريان العالمي للمحيطات والذي يتطلب مراقبة طويلة ومتناوبة للتيارات البحرية على نطاق المحيط.

فقياس طبوغرافية المحيطات بواسطة رادار محمول على قمر صناعي يُعد الطريقة الأكثر نجاحًا للحصول على هذا الرصد حاليًا، لذلك فعصر من عقدين من الإنجازات في مجال الرادار لقياس الارتفاع من الفضاء سوف يوظف لخدمة آخر الأقمار الصناعية في هذا المجال.

ولكن، ما الذي يسبب تيارات المحيطات؟ وما الذي يسيطر على حركتها؟ وما كمية الحرارة التي توزعها على العالم؟ وهل هي مرتبطة مع المناخ؟

للإجابة عن هذه الأسئلة أُعدَّ أحدث برامج الأقمار الصناعية لدراسة الارتباط بين المحيطات ومناخ الأرض.

فكل من الهواء والمحيط ينقل كمية متساوية تقريبًا من الحرارة من المنطقة الاستوائية التي تُسخن بكثافة من الشمس نحو القطبين الشمالي والجنوبي المتجمدين، اللذين يستلمان كمية قليلة نسبيًا من الإشعاع الشمسي، فالهواء الجوي ينقل الحرارة من خلال نمط معقد عالميًا مندفعًا فوق سطح اليابسة وفوق سطح المحيطات مسببة تيارات بحرية مرافقة لها، أما التيارات البحرية فهي أكثر بطئًا لكنها ذات سعة حرارية كبيرة، فالمقدار الهائل من الحرارة المخزونة في المحيط تنظم درجة حرارة الأرض ويشبهها بعض العلماء بدولاب موازنة كبير ينظم سرعة الماكنة، بينما يصفها آخرون بذاكرة حرارة لنظام المناخ.

تيارات المحيط

الرياح الجوية تمسح سطح المحيط معها رافعة ارتفاع مستوى الماء تحت الريح، فمستوى سطح المحيط الهادي في المنطقة الاستوائية على سبيل المثال ــ يتراكم ٥٠ سم أعلى في جهة آسيا من جهة أمريكا الجنوبية بسبب الدفع المستمر من الرياح الغربية المستمرة من الرياح التجارية الاستوائية.

وتستجيب التيارات البحرية لدوران الأرض، فهي تنحرف يمينًا في نصف الكرة الأرضية الشمالي وإلى

اليسـار في النصف الجنـوبي حسب قـانون «قـوة كـوريولس»، فتيـارات المحيـط السطحيـة تجـري فـي «جيروسكـوب» هـائل حـول مـواقع أعلى أو أدنى مـن مستـوى سطح البحر، فـالتلال والـوديـان في سطح المحيط تعتمـد على الريـاح ومستوى الضغط الجوي في المنطقة.

حزام ناقل عالمي للحرارة

تقوم تيارات ضيقـة وسريعة عبر المدى الغـربي للمحيطـات بنقل الماء الـدافئ السطحي الاستـوائي بـاتجاه القطبين حيث تفقد حرارتها في البحار القطبية، وتبرد وتغطس إلى الأعماق، وهذا محسوس بصورة واضحة في المياه الشرقيـة للمحيط الأطلسي، ثـم تنحرف مرة أخرى باتجاه نصف الكرة الجنوبي على شكل ماء بـارد ينبع مرة أخرى في المنطقـة السطحية للمحيط الهندي والهادي، وتأخـذ هذه الدورة حـوالي ١٠٠٠ عام لكي تتبـدل جميع مياه المحيطات.

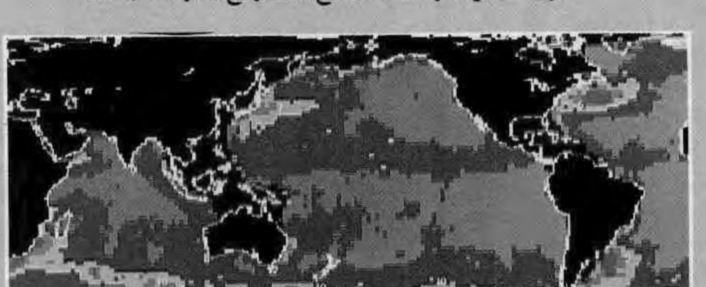
فالنقـل المستمر الثابـت للحرارة الاستوائية إلى القطبين يعـدل المناخ، فدون تأثير التدفئـة من تيار الخليج ـ على سبيل المثال ـ يجعل مناخ أوروبا جزءًا من مناخ كندا. ويمكن أن تؤثر فعاليات الإنسـان على هذه التيارات وبذلك تغير مناخ الأرض.

وتقـوم المحيطات بتنظيم المنـاخ بطـريق آخـر هـو امتصاصهـا لثـاني أكسيـد الكـربـون وغـازات البيت الزجاجي الأخرى، فمن خلال تحليل نسبـة تشبع ميـاه المحيـط بغـاز ثـاني أكسيد الكربون والتراكم في الثلج في القطبين ظهر أن تركيب الجو وتيارات المحيطـات حـدثت عليهـا تغيرات واسعة خلال السنـوات الـ ١٨٠٠٠ الماضية خـلال آخر عصر جليـدي، فمستويات غاز ثاني أكسيد الكربون هي ٤٠٪ أقل من النسـب الحاليـة، ومستـوى البحـر أدنى من المستـوى الحالي بأكثـر من ١٠٠ متر. والفهم الأفضل لعمل المحيطـات مطلـوب لتفسير هـذا التـاريخ وتـوقع طـويل المدى للتغيرات المناخية.

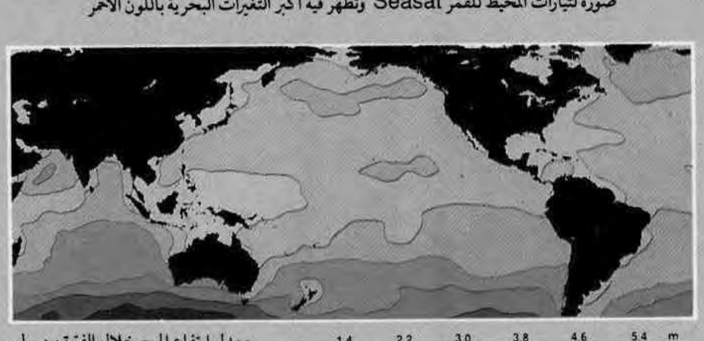
وإضـافة إلى ذلـك فالمحيطـات تـؤدي دورًا في تغير المنـاخ على المدى القصير، فخلال الفترة مـن السنوات العشر الماضيـة أدىٰ ضعف الـريـاح التجـاريـة الاستـوائيـة إلى دفع الميـاه السطحيـة الآسيـوية الـدافئـة بـاتجاه الغرب عبر أمريكا الجنوبية مصاحبة معهـا زحفًـا رئيسًـا للتـدفق الجوي والأمطـار، وأثـرت هذه الظـاهـرة في المناخ عـالميًا. فهـذه الظـاهـرة المسماة «النينـو» التي كـانت في أوجهـا عـام ١٩٨٢ ــ ١٩٨٣م وسببت الفيضـانات والانهيـارات الأرضيـة وأدت إلى مقتل ٦٠٠ شخص في بيرو والإكـوادور وتخريب السـاحل الغـربي للـولايـات المتحدة، وأتت العواصف على جزيرة تـاهيتي، فجعلت ٢٥٠٠٠ شخص دون مأوى، وسبب جفافًا شديدًا في أستراليـا وأندونيسيا والفلبين وجنوب أفريقيـا. فتحسين المعرفة في جـريان الطبقة العليا من المحيطات الاستوائية في المحيط الهادي شيء أسـاسي لتنبـؤ معوّل عليه في هذه الأحوال.



صور ملتقطة من القمر Seasat لسطح المحيط توضح فيه المرتفعات والخنادق



صورة لتيارات المحيط للقمر Seasat وتظهر فيه أكبر التغيرات البحرية باللون الأحمر



معدل ارتفاع الموج خلال الفترة من يوليو إلى سبتمبر ١٩٧٨م مُقاسة من Seasat

لكن كيـف يـؤثـر الترابط في حدوث ظاهرة «النينو» المناخية ؟ وما النمط العـالمي العـام للتيـارات في المحيط ومـا المراقبـة المطلـوبـة من الفضاء ؟

هذه الأسئلـة وضعت عـالميًا وفي أكثر من برنامج للإجابة عن ذلك.

توبكس بوسيدون

في مارس ١٩٨٧م وقعت وكـالة الفضـاء والطيران الأمريكيـة «ناسـا» ووكالة الفضاء الفـرنسية اتفاقًا يحدد اشتراكهما في مهمـة لقيـاس ارتفـاع المحيطات بـواسطة القمـر الصناعي الـذي أطلق عليه اسم «تـوبكس بوسيدون». والهدف مـن هذه المهمة تم تعـريفـه في دراسات مشتركـة بين الوكالتين منذ عام ١٩٨٣م، ويهدف إلى مـا يلـي :

١) قيـاس نشـاط سطح المحيط لمدة خمس سنـوات لغـرض دراسـة جريان المحيطات وتغيرها.

٢) فحص هـذه القيـاسـات والمعلـومـات المرتبطة بها ومعـالجتهـا وتوزيعها على العلماء.

٣) إعداد برنامـج لرصد مستمر على مدى طويل.

برنـامج TOGA

البرنـامج العـالمي لـلأجـواء والمحيطـات الاستـوائيـة بـدأ عـام ١٩٨٥م من قبل البرنـامج العـالمي لبحـوث المنـاخ(WCRP)، وهذا البرنامج مكرس لدراسة التغيرات سنة بسنة للمحيطات الاستوائية وارتباطها مع المنـاخ العـالمي ويستمـر هـذا البرنامـج عشر سنوات تشهـد رصدًا واسعًـا، ودراسـات نمـوذج المنـاخ والنتـائج ستسهم في تحسين التـوقع حول ارتباط المحيطات بالجو في حدود زمنيـة تتبـاين مـن عـدة أشهـر إلى سنوات وخصوصًا ظواهر «النينو» في المحيط الهادي.

وخـلال مهمـة «تـوبكس يوسيدون» هناك حيز كبير من العمل في برنامجTOGA لـدراسـة الميـاه الـدافئـة وتـدفقهـا في غـرب المحيط الهادي (وهو أكبر حيـز مائي يستلم الحرارة) وتسبب ظـاهـرة «النينـو».

فمقياس الارتفاع لمستوى سطح البحر يوفر دراسة لمستوى سطح المحيط الهادي بدقة وعلى نطاق شامل، وبالعكس فإن قياسات TOGA ستساعد في تطبيق الرصد من الفضاء.

WOCE

وهي مختصر لعبارة «التجارب العالمية لتيارات المحيط»، وبدأت عام ١٩٩٠م من قبل البرنامج العالمي لبحوث المناخ(WCRP) لوصف وفهم أفضل لتيارات البحار وعلاقتها بالمناخ وتغيراته خلال عقد أو أكثر.

ويشارك في هذا البرنامج علماء من أربعين بلدًا يحملون في تجارب لا سابق لها شبكة من المحطات البحرية وأسطولاً من المراكب تغطي بعملها جميع المحيطات تعمل على إجراء القياسات والرصد للمحيطات.

المهام الفضائية

القمر الصناعي «توبكس بوسيدون» سيكون مكملاً لمهام فضائية سابقة ولاحقة مهمة، ومن المهام السابقة القمر الصناعي المتعدد المهام ERS-1 الذي أطلق إلى المدار في ١٧ يوليو ١٩٩١م من قبل وكالة الفضاء الأوروبية، فهو يحمل مقياس ارتفاع راداري مع خمسة أجهزة أخرى، ومع أن مقياس الارتفاع أقل دقة من مقياس الارتفاع في «توبكس بوسيدون»، إلا أن ارتفاعه العالي البالغ ٨٠٠ كيلو متر ومداره المتزامن مع الشمس بزاوية انحراف ٩٨,٥ درجة يسمح له بمراقبة المنطقة القطبية وطبوغرافية الجليد ودراستها، وهذا الأمر غير ممكن بالنسبة للقمر الصناعي «توبكس بوسيدون». وتشمل معدات هذا القمر - بإيجاز - ما يلي:

١) جهاز المايكروويف الفعال والذي يعمل بثلاثة أنماط.

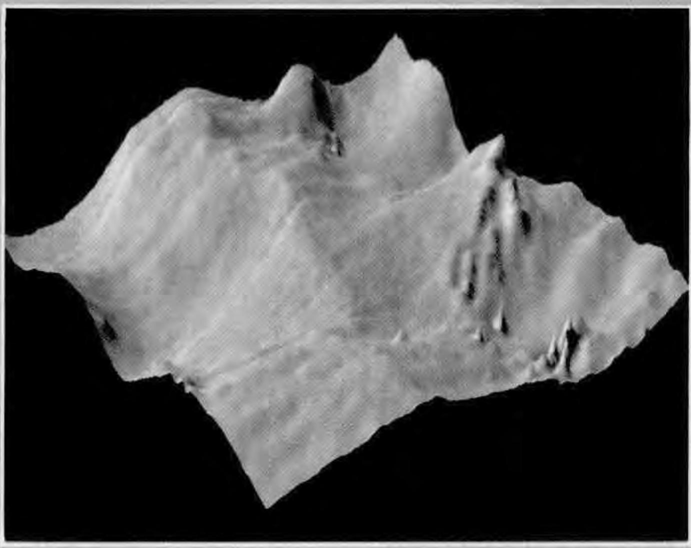
أ) نمط التصوير بالرادار ذي المنفذ المصنّع، وذلك لالتقاط صور ذات اتساع كبير على المحيط، القطب المتجمد والمناطق الأرضية بتمييز لأبعاد طولها ٣٠ مترا.

ب) صور الرياح بالرادار ذي المنفذ المصنّع وذلك لالتقاط صور بقياس ٥ × ٥ كيلومترات بالقياسات المعتادة على خط دون القمر الصناعي لإيجاد اتجاه موجة البحر وطولها.

ج) مقياس الانعكاس: وهو جهاز يستخدم ثلاثة هوائيات منفصلة لقياس سرعة الرياح على سطح المحيط واتجاهها بدقة لا يزيد خطؤها على ١٠٪ بالنسبة للسرعة و٢٠ درجة بالنسبة للاتجاه.

٢) مقياس الارتفاع. ويوفر قياس ارتفاع سطح المحيط وارتفاع الموج وسرعة السطحية على المحيط وتغير ارتفاع الجليد في المناطق القطبية بدقة لا يزيد خطؤها على ٥,٠ مترا لارتفاع الموج و١٠ سنتمترات للجليد.

٣) جهاز المسح الشعاعي والراديوي: وهو عبارة عن مجموعة متحسسات راديوية وتحت الحمراء لقياس درجة حرارة سطح المحيط وحرارة أعلى الغيوم ونسبة بخار الماء في الجو بدقة كبيرة لا يزيد خطؤها على ٥,٠ درجة كلفن بالنسبة للمسح الحراري و١٠٪ بالنسبة للرطوبة النسبية.



صورة دقيقة لطبوغرافية المحيط مشتقة من معلومات Seasat (الصورة تظهر منطقة جنوب المحيط الأطلسي)

٤) جهاز البعد الدقيق ومعدل البعد: ويعمل لإيجاد الموقع الدقيق للقمر الصناعي وخواص المدار لغرض متابعته من قبل المحطات الأرضية.

٥) جهاز عاكس الليزر، ويقوم بقياسات تمكن من تحديد موقع القمر الصناعي باستخدام طريقة إيجاد البعد بالليزر من المحطات الأرضية.

٦) حولة نقل المعلومات: وهي معدات نقل المعلومات التي تقيسها الأجهزة وتبث الإشارات إلى الأرض عبر قناتين بحير × الترددي، كما أن هناك وحدة تسجيل بشريط مغناطيسي يسمح بخزن المعلومات ذات المعدل المنخفض (جميع أجهزة القمر عدا الجهاز الأول).

ومن هنا نلاحظ أن مهمتي ERS-1 «وتوبكس بوسيدون» تكمل إحداهما الأخرى، وسيتم مزج المعلومات لجهازي قياس الارتفاع في القمرين للحصول على معلومات واحدة بتغطية كبيرة أكبر مما يوفره واحد لوحده.

وتتم متابعة البحوث، فجهاز مقياس الانعكاس Scatterometer في تجربة ناسكات المصنع من قبل ناسا ليحمل على القمر الصناعي الياباني المتقدم للرصد الأرضي المؤمل إنجازه وإطلاقه عام ١٩٩٦م سيقيس سرعة الرياح واتجاهها عند سطح المحيط بدرجة عالية من الدقة بنسبة ٩٥٪ من المحيطات كل يومين، وبذلك توفر فرصة رائعة لمتابعة الدراسات في هذا المجال.

أما القمر الصناعي «أرسطوطالس» لقياس الجاذبية فقد وافقت وكالة الفضاء الأوروبية على المقترحات والدراسات لمشروع بحوثه وإنتاجه وإطلاقه في نهاية هذا العقد، وسيحمل جهاز مقياس انحدار الجاذبية Gradiometer لقياس التغير الفضائي لمجال الجاذبية الأرضية بالتفصيل، وهذه المعلومات ستحسن بدرجة كبيرة دقة حسابات تيارات المحيط.

أما نظام الرصد الأرضي EOS، وهو سلسلة من الأقمار الصناعية، فستكون مركز لتجارب كوكب الأرض التي من المتوقع أن تجرى نهاية العقد، وسيوفر فهمًا ومعلومات ذات مدى طويل (١٥ سنة) لسطح المحيط والجو والكائنات الحية وتأثير نشاط الإنسان. وبالإضافة إلى معلومات جديدة في مجال التوزيع الجغرافي للكيمياء الحيوية biogeochmical وعلم المياه hydralogy فإن EOS يستمر في قياس ارتفاع المحيطات في بداية القرن القادم.

عشرون عامًا من الخبرة والتجربة

مع أن تجارب الـرادار لقيـاس الارتفاع تعود إلى عام ١٩٧٣م عندما أطلقت وكـالـة الفضـاء والطيران الأميركية المحطة الفضائية «سكاي لاب» التي تحمل جهـازًا من هـذا النوع، إلا أن قمر ناسا الجيوفيزيائي GEOS-3 (بين عـامي ١٩٧٥ ـ ١٩٧٨م) هو أول قمر صناعي يحمل أجهـزة ذات فـائدة واسعـة لقيـاس مستوى البحر وتغيره مع الزمن.

بينما حمل قمـر نـاسـا الصنـاعي Seasat عام ١٩٧٨م أول مقيـاس ارتفاع مصمم للمحيطـات. ومع أن مهمتـه المصمم لها هي مـا يزيـد على سنة فإنه توقف عن العمل بعد ١٠٦ أيام نتيجة تعطل نظـام تجهيز القدرة فيه.

وبرغم هذه المدة القصيرة إلا أنه جمع من المعلومات ما يزيد على ما تم جمعـه من خـلال السفـن وأبحـاثهـا خلال المئة عام الماضية.

أما مقيـاس الارتفاع على القمـر الصنـاعي التـابع للبحـريـة الأمريكية Geosat (بين عـامي ١٩٨٥ ـ ١٩٨٩م) فقد جمع لأول مرة معلومات لطبقات متعددة في مستوى البحـر وهـو مـا تم لأول مـرة بنفس دقته.

وتمثل مهمـة الأقمار الصنـاعيـة الـرائـدة Geos-3 و Seasat و Geosat عقدين من الإنجازات في مجال تقنية الأجهـزة العلمية وتحليلهـا والتحسينـات في دقة قيـاس الارتفـاع من مدى خطأ ٦٠ سنتمترًا في سكاي لاب إلى ٤ سنتمترات بالنسبـة لجهاز القيـاس، إلا أن المحصلـة النهـائيـة لقياس الارتفاع مرتبطـة كذلك بدقـة تحديد المدار الذي كان يصل إلى خطأ ١٠ أمتار في Geos-3 إلى مترين في Seasat و Geosat. نتيجة لذلك فإن هـذه المهمات لا تستطيع إعطـاء دراسـات معرفـة لتيارات المحيطـات التي تتطلـب قيـاسـات بخطأ لا يتجـاوز ١٤ سنتمترًا أو أقل لارتفـاع المحيطات.

«توبكس بوسيدون»

تم في سـاعـة متـأخـرة من يـوم العاشر من أغسطس ١٩٩٢م إطلاق صاروخ آريان الأوروبي في رحلته ٥٢ حـامـلاً القمر الصنـاعي الأمـريكي الفرنسي المشترك «توبكس بوسيدون» المخصص لدراسة المحيطات، وتصل تكاليف البحوث والتطوير والإطلاق لهذا القمر الصنـاعي إلى حوالي ٥٩٠ مليون دولار أمريكي، تتحمل فرنسا ٢٥ ـ ٣٠٪ منهـا وتتحمل الـولايات المتحدة الباقي.

ويـدور القمر الصنـاعي بمـدار ارتفـاعـه ١٣٣٦ كيلـو مترًا وزاويـة انحراف ٦٦ درجة، وهذا يجعله قادرًا على مراقبـة ٩٠٪ من البحـار الخالية من الجليد من خط عـرض ٦٦ درجة شمالاً إلى ٦٦ جنوبًا.

وأجهـزة قياسـات هـذا القمـر هـي:

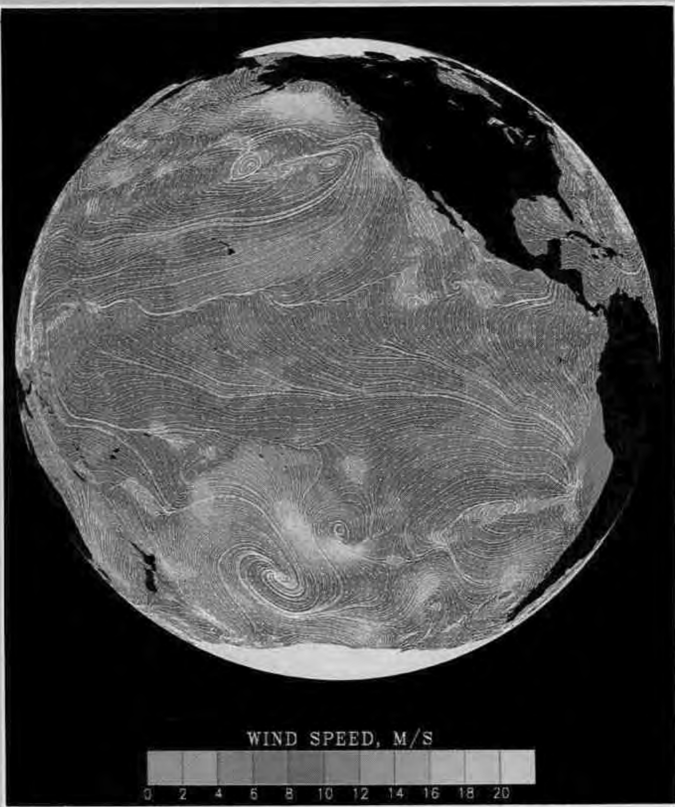
١) جهـاز قيـاس الارتـفـاع الـراداري: وهـو الجهاز الـرئيس في القمـر، ويقـوم بقياس طبـوغـرافيـة المحيط بدقة لا يزيد خطؤها على ٢ ـ ٣ سنتمترات بـواسطة نبضـات بتردد حامل ثنائي ٥,٣ و١٣,٦ GHZ، بينما يستفـاد من شكـل النبضـة المنعكسة على سطح البحر في حساب ارتفـاع الموج وسرعـة الـريـاح السطحية.

٢) مقيـاس كشـافـة الإشعـاع الكهـرومغنـاطيسي: ويستخـدم الترددات (١٨ ـ ٢١ ـ ٣٧) GHZ لقيـاس المحتـوى المائي للجـو تحت المركبة، وذلك لأن بخار الماء يمتص التردد المايكـروي ويـؤخـر نبضـات مقياس الارتفاع، لذلك فإن قياسات هـذا الجهـاز ستستخـدم لتصحيح القياسات في الجهاز السابق.

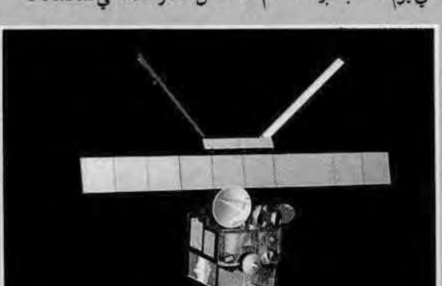
٣) مقيـاس راداري لقيـاس الارتفـاع (بـوسيدون): وهـو أحـد جهـازين تسهم بهما وكـالة الفضـاء الفرنسيـة وهو مشابه في عملـه لجهاز قيـاس الارتفـاع الأول، إلا أنـه يستخدم تـردد حامـل واحد ١٣,٦ GHZ وأصغر حجمًا وأقل استهلاكًا للطاقة وأقـل دقة (بخطأ يتراوح بين ٢ ـ ٥ سنتمترات).

وهنـاك ثـلاثة أنظمـة لتحـديـد الارتفاع للقمر الصناعي وهي:

١) بواسطة استخـدام عاكسات الليـزر المجمعة حـول هوائي قيـاس الارتفاع، وتـرسل أشعة الليـزر نحو القمـر الصنـاعي وتنعكـس من عـاكسات الليـزر لتُراقب من شبكـة



سرعة الرياح واتجاهها فوق المحيط الهادي يوم ١٤ سبتمبر ١٩٧٨م مُقاسة من القمر الصناعي Seasat


القمر الصناعي ERS-1

مكـونة من ١٢ محطـة مـراقبة ليـزر، وتستطيع هذه الطريقـة تحقيق دقة لا يزيد خطؤها عن سنتمترين.

٢) بـاستخدام نظـام DORIS وهـو الجهـاز الثاني الـذي تسهم بـه وكالـة الفضاء الفـرنسية، ويتـم فيه قياس سرعة القمر الصناعي من تأثير دوبلـر على تـرددين مـرسلين من ٥٠ محطـة إرشـاد معلومـة الموقع بـدقـة، وبهذه الطريقة يتـم الحصول على دقة لا يـزيـد خطـؤهـا على ٥ ـــ ١٠ سنتمترات.

حالة نجاحه سيكون لـه دور مهم في الأقمار الصناعية المستقبلية.

مركبة «توبكس بوسيدون»

مركبة «توبكس بوسيدون» محورة في المركبـة المتعـددة المهمات(MMS) التي استخـدمت «نـاسـا» في مهمـة أقصى إشعـاع شمسي، وبعـد ذلك في لاندسات ٤ ولانـدسات ٥، وهو يزن ٢٤٠٠ كغم ويحمل ستـة أجهزة ويجهز بالطاقـة من جناح واحد كبير للخلايا الشمسية.

الصنـاعي. وانتهت هــذه المرحلـة بنجـاح أخيرًا لتبدأ المهمــة الفعليـة للقمر الصناعي.

ويعقــد العلمـــاء الآمـــال على قياسـات القمر الصنـاعي «توبكس بـوسيـدون» في حسـاب الجريـان في المحيطات الهادي والأطلسي والهنـدي والبحـار الجنـوبيـة. وبـاستخـدام المعلـومات المختلفـة للبرامج في هـذا المجـــال يمكـن فهم الترابـط بين

الغربيـة في المنطقة القطبيـة الجنوبيـة على المدى البعيــد نتيجــة التسخين الأرضي، فإن ذوبــان هــذه الكميـة الهائلة مـن الجليد سيـؤدي إلى ارتفاع مناسيب البحـار ٤ ـ ٥ أمتار. وأخيرًا فإن ظاهرة «النينـو» ستأخذ حيزًا مهمًا في هذه الدراسات.

الجاذبية المستقرة والمحيطات المتحركة

حتى لـــو كـــانت المحيطـات مستقرة فإن ارتفـاع المحيط سيحدده مجال الجاذبيــة الأرضيــة، وحتى لـو حـدث ذلك فستكـون هنـاك تـلال ووديان، لأن مجال الجاذبيـة الأرضية متذبذب مـن مكان إلى آخر، والتغير الفضـائي للجـاذبيـة نفســه يـولـد طبوغرافية لسطح البحر بتفاوت قدره ١٦٠ مترًا بـالنسبة للبعـد من مركـز الأرض تسبب أيضًا تيـارات بحرية. ومقـارنـة بهذا الارتفــاع فإن التغير الكبير في موج البحر هو ارتفاع مترين وهـو بنسبة ١٪ تقـريبًـا، لكن ليس هـذا هــو التحدي بـالطبع بل إن التحدي هو قياس التيارات البحرية الضئيلـة عبر مسـاحـة واسعــة من المحيط.



صورة ملتقطة للقارة المتجمدة الجنوبية وتظهر فيها السلسلة الجليدية الغربية.

٣) باستخدام نظامGPS (تحديد الموقع عـالميًا)، ويستفيـد من النظـام المكـــون من عـــدد كبير من الأقمار الصناعية للأغراض الملاحية في تحديد موقعه بدقـة لا يزيد خطؤها على ١٠ سنتمترات، ويعـد هــذا النظـام من أحدث الطـرق في تحديد الموقع، وفي

ما بعد الإطلاق

بعد انفصال القمر الصناعي عن صاروخ آريان بدأت مرحلة مهمة من مـراحل التحكم بـالقمر الصنـاعي، تتضمن منـاورات الوصـول إلى المدار وانفتـاح الجنــاح الشمسي والبـدء في فحص الأجهــزة المختلفـــة للقمـــر

التيارات البحـرية السطحيـة النشطة وتيارات الأعماق البطيئة، وهو مفتاح فهم تغيرات المناخ على المدى البعيد.

والدراسـات في البحار الجنـوبية مهم كـذلك، فـالتيـارات القطبيـة الجنوبية تؤدي دورًا أساسيًا في التوازن الحراري، فلـو تحطمت السلسلـة

المراجع:

(١) نشرة باللغة الإنجليزية بعنوان Topex/Poseidon, AUS /France Mission صادرة عن وكالة NASA عام ١٩٩٢م.

(٢) نشرة بـاللغـة الإنجليـزيـة بعنـوان /Topex Poseidon, صادرة عن وكالة ناسا برقم Hq L 310، غير مؤرخـة.

(٣) وثيقة برقم BR-36 باللغة الإنجليزية صادرة عن وكالة الفضاء الأوروبية بعنوان ERS-1 عام١٩٨٩م.

(٤) كتـــاب Earth Observation Satellite صـــادر عـن Matra Marcony بتاريخ ١٩٩٢م.

الطفل القارئ

دور البيت في تنمية شخصيته وميوله

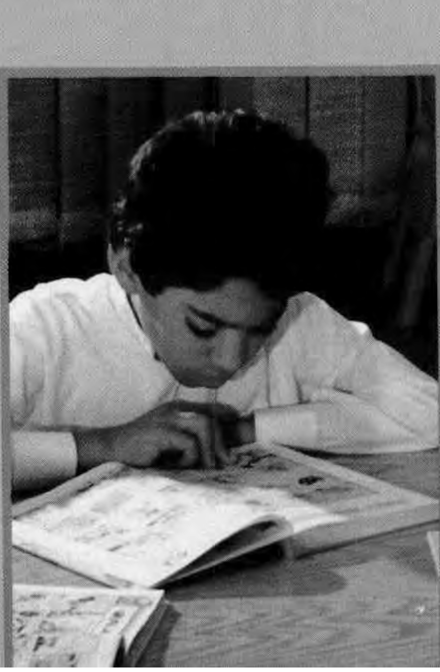
كمال فداوين

يُمثل البيت ركنا أساسيا من أركان تربية الطفل، خاصة في مجال ثقافته وتنميتها لإعداده للحياة المستقبلية، وإثراء رصيده المعرفي وتأهيله لمعايشة النمط الاجتماعي الذي ينتظره. ويبرز الكتاب ـ سواء داخل الأسرة أو خارجها ـ كدعامة مهمة في ترسيخ مقومات ثقافة الطفل، ونقطة انطلاق حقيقية في هذا المجال، تعقبها ـ دون شك ـ عوامل ووسائط أخرى تتضافر جميعا على تكوين شخصية الطفل.

لذلك يتعين على الأسرة الراغبة في دعم مكونات الثقافة الأساسية لشخصية ابنها أن تنطلق من الكتاب، وتشجع طفلها على المطالعة لتنمية ميوله للقراءة، وذلك بتخصيص جزء معقول من حياتها اليومية لتنظيم أوقات فراغ أبنائها، والنظر فيما يلزمهم من كتب ومجلات، وإتاحة الفرصة لمناقشة ما يقرؤونه لحفز هممهم للاطلاع ومتابعة وسائل الإعلام المكتوبة والمسموعة والمرئية

دور الوالدين

إن تشابك مصالح الحياة المهنية العصرية للآباء والأمهات اليوم يجب ألا تشغلهم عن العناية بأطفالهم ودعم ثقافتهم وتقريب الكتاب منهم، كما أن الطفل الذي يولد في بيت لا يقرأ فيه الوالدان لا يمكن أن ينشأ على حب القراءة والمطالعة إلا إذا تدخلت في مراحل شبابه أو كهولته عوامل ذاتية أخرى داخلية أو خارجية ذات تأثير كبير كسلطة المشرفين على تعليمه مثلاً،



والبيت الذي يندر فيه الكتاب في حين أنه يزخر بالتحف والأشياء الثمينة لا يسهم في تعويد الطفل على القراءة.

من ذلك يتبين لنا أن الصلة الأولى التي تنشأ بين الطفل وبين وسائل الثقافة والمعرفة ومن أبرزها الكتاب إنّما تنشأ في البيت وفي الفترة الأولى من مرحلة الطفولة، فالأسرة بإمكانها أن تضع اللّبنة الأولى لترغيب الطفل في الكتاب، وذلك بإنشاء علاقة حميمة بينهما منذ سنوات طفولته المبكرة، وإذا ما عملت الأسرة على غرس عادة حبّ الكتاب في نفس الطفل، فلا شك أن هذه العادة ستستمر معه إلى المراحل الأخرى للطفولة والشباب وما يليها، وإذا لم يتوافر ذلك فإن القطيعة بينه وبين الكتاب ستكون واضحة وقد لا تسهم في التخفيف من حدتها إلاّ بعض العوامل المؤثرة، والتي تتطلب بدورها مجهودات إضافية كان يمكن تفاديها لو عودنا الطفل منذ صغره على حب القراءة.

إن علينا ألا نستهين بأهمية الكتب للأطفال في هذه المرحلة التي تسبق تعلم القراءة الهجائية أي دخول الطفل للمدرسة، واعتبار الكتاب وسيلة تعليمية وترفيهية وتثقيفية مكملة للأعمال المدرسية، وللتربية داخل المنزل، وليست فقط عملاً تلميذيًا في إطار مدرسي بحت.

كيف يتعامل الطفل مع الكتاب؟

ولسائل أن يتساءل عن مدى قدرة الطفل على التعامل مع الكتاب في طفولته المبكرة وهو لا زال يجهل أبجديات القراءة والكتابة ولم يدخل بعد المدرسة ولا حتى روضة الأطفال، إنّ الإجابة عن ذلك ليست بالأمر العسير، خاصة إذا ما أدركنا أن الطفل في سنوات حياته الأولى تحكمه غريزة حب التملك وحب التعامل مع اللعب والأشياء والاحتفاظ بها، ويمكن في هذا الإطار اعتبار الكتاب لعبة محبوبة لدى الطفل، يلذّ له تقليب صفحاته ومشاهدتها بصورة عشوائية، ومن ثمّ يعزّ عليه التفريط فيه لذلك نستنتج أن ملكية الكتاب في سنّ مبكرة، من طرف الطفل، أمر على غاية من الأهمية. ويجدر بنا أن يكون لكل طفلٍ كتابه أو كتبه على غرار لعبه، غير أنه «من المؤسف أننا

لا نجد كتبا لأطفال هـذه المرحلة من مراحل الطفولة في الوطن العربي، وقد نجد أحيانًا كتبًا مترجمة فقط هي في حد ذاتها غير مناسبة لأطفالنا»(١)، أما الدول الأجنبية والمتقدمة فقد فطنت منذ زمن غير قصير إلى دقة هذه المرحلة، وإلى تأثير الكتاب على نفس الطفل منذ الصغر، فابتكرت عدة أصناف من الكتب في شكل ألعاب محببة للطفل «منها التي تطوى طيًّا أو تفك وتشكل تشكيلات مختلفة، والكتب التي يمكن للطفل أن يحولها إلى مجسمات، كالقطارات والسيارات والعمارات، وترفق مع بعض هذه الكتب دُمًى عديدة تمثل كلّ أشخاص القصة»(٢).

أهمية السرد للطفل

ودور الأسرة في هذا المجال كبير جدًّا إذ تساعد الطفل على تفكيك وتركيب مكونات القصة سواء كانت شخوصًا أو رسومًا أو دُمًى، وعلى بيان العلاقة التي تربط بينها، أما إذا كانت القصة كتابًا عاديًّا مطبوعًا على الورق فبإمكان الأم أن تتولى تصفّح الكتاب أمام ابنها وتدرّبه على تقليب صفحاته، لأن ذلك من شأنه أن يؤسس علاقة من نوع جديدٍ بين الأم والطفل، هي علاقة فكرية روحية، إضافة إلى العلاقة الغريزية المتينة ذات البعد الفيزيقي المتمثل خاصة في «الرضاعة والحاجة إلى الطعام والنظافة».

إن الانتقال من العلاقة الفيزيقية إلى العلاقة الفكرية الروحية من شأنه أن يدعم المحبة العميقة والرابطة الوجدانية بين الطفل وأمه، وأن يقرّب الطفل من الكتاب، وإثر عملية التصفح هذه وتقليب صفحات الكتاب تأتي مرحلة سرد القصة، وتتمثل أهمية السرد في كونه يعتمد التعبير الصوتي الشفوي والنطق الواضح السليم إضافة إلى بعض الحركات كتقليد حركات وأصوات شخوص الكتب، كلّ هذا من شأنه أن يشدّ انتباه الطفل ويقربه أكثر فأكثر للكتاب، وواجب على السارد في هذا المجال سواء كان الأب أو الأم الاعتناء بطريقتي التعبير والإيماء اللذين يرافقان السرد، واختيار الكتاب «السهل الذي يبدو واضحًا من أول لقاء، وذلك من حيث المعنى الذي تبرزه الصورة كما ينقله النص، وتيسير لقاء الطفل بالكتاب والدخول إلى عالمه بشكل مباشر دون لف ودوران ودون ترجمة ودون كلام مسهب»(٣).

أهمية كتب الأطفال في مرحلة ماقبل المدرسة



الكتاب وسيلة تعليمية وتثقيفية وترفيهية مهمة للطفل

وسائل تشجيع الطفل

إضافة إلى كل ما ذكرنا، يمكن للبيت أن يقوم بعدة نشاطات تحبب الطفل للكتاب، ويمكن تلخيص أبرزها فيما يلي :

- تنمية عادة حب ارتياد المكتبات، وذلك باصطحاب الأب لطفله إلى المكتبة وتعريفه بدورها وأهميتها.

- اصطحاب الأولياء لأطفالهم لزيارة المكتبات التجارية والاطلاع على الكتب المتوافرة.

- اصطحاب الأطفال لزيارة معارض كتب الأطفال.

- تشجيع الطفل على تخصيص جزء من مصروفه الخاص لاقتناء بعض الكتب.

- تشجيع الطفل على تكوين نواة مكتبية خاصة به أو تخصيص جزء من مكتبة البيت للطفل.

- التعود على تقديم الكتاب كهدية للطفل في المناسبات والأفراح.

كما يجب إعادة النظر في عدة مسائل متعلقة بكل ما أسلفنا القول فيه، ومنها خاصة ثلاث مسائل أساسية وهي حسب رأي الدكتور عبد القادر بن الشيخ(٤).

- نظرة العائلة إلى الكتاب.

- مفهوم العائلة لأوقات الفراغ.

- محتوى العلاقات التي تربط الكبار بالأطفال.

وبذلك يتسنى لنا تنفيذ ما أتينا على ذكره وصهره في الواقع المعيش ولو بنسبة محدودة؛ لأننا شئنا أم أبينا «أصبح علينا من الأمر المتحتم أن نعمل لتصبح العائلة قادرة على القيام بهذا الدور الذي لا يمكن أن يعوضها فيها أحدٌ، فلا رياض الأطفال ولا المدرسة يمكنها أن تعوض العائلة هنا، وينبغي أن نتصور طريقة تربوية تجعل العائلة تدخل ضمن مسؤولياتها توفير الكتاب للطفل وهو في سن الثالثة»(٥).

وتجدر هنا الإشارة إلى بعض النواقص والموانع التي قد تجعل الأسرة غير قادرة في بعض الأحيان على ممارسة واجباتها إزاء الطفل والكتاب والمطالعة، ومثل ما ذكرناه سابقًا وما يتعلق بعدم توافر نوعية الكتب الخاصة بمراحل الطفولة الأولى على غرار الدول المتقدمة، وكذلك ضعف المقدرة الشرائية للمواطن العربي وارتفاع سعر الكتاب وتواضع عمل وسائل الدعاية والإعلام إزاء الكتاب ومحدودية مسالك التوزيع، وكل هذا يحتاج منا بحثًا آخر.

الهوامش

١) هادي نعمان الهيتي : أدب الأطفال.

٢) المصدر السابق.

٣) آسيا سويسي : مجلة الناشر العربي عدد ٥ سنة ١٩٨٥م.

٤) عبد القادر بن الشيخ : ندوة الكتاب العربي، تونس ١٩٧٥م.

٥) عبد المجيد عطية : ندوة الكتاب العربي، تونس ١٩٧٥م.

الهنود الحمر
تاريخ ومصير

أحمد سينو

تعود الأصول العرقية لسكان العالم الجديد إلى مجموعة السلالات المنغولية الآسيوية التي اجتازت أمريكا الشمالية، عبر مضيق بهرنغ في فترة ما قبل التاريخ.

وتدل الهياكل العظمية المكتشفة في أمريكا أن لها نفس مواصفات الإنسان الآسيوي المنغولي الذي يتميز بالشعر المستقيم الأسود والخشن، الذي يكون نادرًا على الوجه والجسم. ولون البشرة يتفاوت بين الأصفر والنحاسي. هذه هي الصفات المميزة لهنود اليوم. وأطلق كولومبس عليهم هذه التسمية عام ١٤٩٢م، عندما وصل برحلته إلى جزيرة سان سلفادور معتقدًا أنه وصل إلى شبه القارة الهندية. وبالرغم من الخطأ الفادح الذي ظهر فيما بعد، إلا أنهم ظلوا يدعون بهذا الاسم منذ ذلك الحين.

والبحث في تاريخ الهنود الحمر وحضارتهم شائك وبالغ الحساسية، سيما وأنهم من أوائل الشعوب التي تعرضت للإبادة والهجرة القهرية من بلادهم، ومنذ زمن بعيد يعود إلى القرون الأولى من التاريخ الحديث، كما أنهم لم يتركوا أية وثائق مكتوبة، تكشف عن تاريخهم وحضارتهم المندثرة سوى الآثار التي عثر عليها في المكسيك وأمريكا الجنوبية.

والكثير من المصادر والمراجع التي كُتبت حولهم غير موثوق بها، لأنها مصادر ومراجع كُتبت بيد الغزاة المحتلين الطامعين في بلادهم كالإسبان والإنجليز والأمريكيين وغيرهم. وفي هذا الخصوص يقول هاينموت تويالاكت أحد زعماء الهنود: «لم يرو الرجل الأبيض سوى أفضل أفعاله وأسوأ أفعال الهنود».

ومن الموضوعية دراسة هذه المصادر والمراجع بحذر وعناية فائقة للوصول إلى الحقيقة قدر المستطاع، رغم أن الكثير من المؤرخين الأمريكيين والإنجليز حاولوا قدر جهدهم الاقتراب من الحقيقة، معتمدين على الوثائق الأصلية، ومن الهنود الحمر أنفسهم، كما هو الحال مع دي براون مؤلف كتاب «تاريخ الهنود الحمر»، ومذكرات كولومبس التي فقدت وربما عن عمد ولم يتبق منها غير القليل الذي يكاد يكفي السينما الأمريكية، التي أظهرت الهندي بأبشع صورة إنسانية، ومذكرات القس «لاسي كاسس» والطبيب «شانكا» الذي كان جراح العائلة المالكة وعضو أول بعثة استكشافية. هذه الوثائق وغيرها من المراجع ساعدت على معرفة الكثير من عادات الهنود الحمر وتقاليدهم والتكوين الاجتماعي لكل قبيلة.

من حضارة الهنود الحمر القدماء

عاش الهنود في مجتمعات بدائية متفاوتة التطور، تمارس مختلف أنماط المعيشة، فالهنود في أمريكا الشمالية مارسوا الصيد بكل أشكاله، لا سيما هنود السهول الذين ارتحلوا حيثما كانت الوعول وقطعان الجاموس، وهنود السواحل الذين صنعوا القوارب من لحاء شجر البتولا، والهنود القاطنين في أقصى الشمال الغربي الذين نقشوا أعمدة الطواطم، وهنود أمريكا الوسطى والجنوبية الذين كانوا أكثر تطورًا وحضارة، فمارسوا الزراعة والعمارة وكل أشكال التنظيم السياسي والإداري في كل من المكسيك وغواتيمالا والبيرو والتشيلي وهندوراس وجزر الباهاما وغيرها، مشيّدين حضارات في غاية الروعة والجمال، كحضارات المايا والآزتك، الذين استغلوا وادي المكسيك استغلالاً اقتصاديًا حسنًا، متوسعين في بداية القرن السادس عشر للميلاد في أراضي البلاد المجاورة مخضعين القبائل الأخرى من الهنود.

كما شيدوا عاصمة لهم على ضفاف بحيرة تكسكو، للأمور الإدارية والعسكرية والاقتصادية، ومارسوا التجارة مع الشعوب الخاضعة لهم، تاركين لهم حرية الإدارة والعبادة مستخدمين الزوارق لكثرة البحيرات والجزر حول دولتهم، التي انتهت على يد المغامر الإسباني «كوريتز» الذي فتك بالسكان بواسطة الأسلحة النارية الحديثة آنذاك. ولم يكن شعب المايا أوفر حظًا من الآزتك؛ لأنهم بدورهم قد تعرضوا للإبادة على يد المحتل الإسباني.

إمبراطورية الأنكاس

امتدت إمبراطورية الأنكاس إلى العديد من المناطق في أمريكا الجنوبية، وهو ما يعرف الآن بالبيرو والأكوادور وبوليفيا والقسم الشمالي من التشيلي.



وقد سيطر الإمبراطور على هذه المناطق بعد حروب طويلة الأمد، دان له سكان البلاد المذكورة. لقد نُظر إليه على أنه من سلالة الإله «شمس» ويعني هذا أنه المالك لكل شيء: الأرض والناس والذهب والفضة وكل الخيرات المادية في البلاد.

ومن واجباته تأمين الحماية لشعبه وشعوب البلاد الخاضعة له، من الحروب والمجاعة وصيانة الطرق والمحافظة على القانون والنظام، يساعده في إدارة الدولة الكثير من الضباط الإمبراطوريين، وكان من حق الإمبراطور تعيين وريث على العرش، وتحفظ جثته بعد الموت.

لكن ما أن حل عام ١٥٣٢م حتى أتت حملة الكابتن «بيزارو» ممثل الملك الإسباني شارل الخامس على رأس قوة من ١٨٠ رجلاً و ٢٧ جوادًا بقصد السيطرة على أرض الأنكاس، في الوقت الذي خرج إمبراطور الأنكاس (أتاهوالبا) منهكًا من حرب أهلية مدمرة، فشل في مواجهة هذه القوة الجديدة المصحوبة بالبنادق والأسلحة الأخرى، التي لم يعرفوا عنها شيئًا. وجرت مذبحة من جراء هذه المواجهة الفاشلة، التي راح ضحيتها أكثر من ألفين من الحراس الإمبراطوريين، كما أسر الإمبراطور نفسه.

وأجهز الإسبان على هذه الدولة ومناطقها وقصورها ومعابدها في خمس سنوات وسقط في أيديهم كنز بلغت قيمته سبعين مليونًا من الجنيهات.

العمارة عند الأنكاس

من أبرز المدن التي تم بناؤها العاصمة «كوزكو» في واد عريض، مقسمة إلى أربعة أقسام. وللعاصمة سوقان رئيسيان، وكانت المباني من الحجارة المحكمة القطع والنحت على شكل مربعات مصممة بأيدي معماريين متخصصين. والجدير ذكره أن مباني المدينة تتألف من طوابق عدة حسب المكانة الاجتماعية، فالنبلاء من الأثرياء كانت مبانيهم تتألف من طابقين أو أكثر، لكن بقية أفراد الشعب من المزارعين والفلاحين والحرفيين، كانت منازلهم تتألف من طابق واحد. ومما يميز القصور الملكية والمعابد الدينية المقدسة أنها كانت تغطى بقشرة من الذهب وذلك لأهميتها العظمى.

أما مدينة «ماتشو بيتشو» فقد كانت شديدة الشبه بالعاصمة كوزكو، إذ كانت بيوتها تطلى بالجص، والسقوف تصمم أكثر انحدارًا حتى تنزلق عليها مياه الأمطار، ولم تكن لبيوتهم سوى قلة من النوافذ أو كانت بغير نوافذ على الإطلاق.

ولعل من أجمل مبانيها المعبد النصف دائري المشيد من حجر الجرانيت الأبيض الذي منه العديد من المحاريب الجميلة الصنع.

ومياه المدينة من الينابيع، بجانب الجبل على بعد ميل واحد منها، وتسير عبر أنابيب صخرية ضيقة. وسوف ندرك أن مدنهم كانت ضربًا من المعجزات الهندية العديدة، خاصة عندما نتذكر العقبات التي لا بد للأنكاس أن يذللوها، خاصة لأنهم لا يملكون العجلات والمركبات أو العربات، وأن مؤنهم ومواد البناء كانت تنقل على أكتاف الرجال أو ظهور الحيوانات. وما نعلمه أنهم لم يدونوا تاريخهم في سجلات مكتوبة، وإنما يستعملون بدلاً من ذلك أسلوبًا معقدًا من الحبال الملونة والمعقودة، التي كانت تحفظ في بعض

الهنود الحمر تاريخ ومصير

المدن، لكن الرطوبة أفسدت كل ما كان موجودًا منها. وهكذا اندثرت معلومات قيمة عن تاريخهم وحضارتهم.

المواصلات والزراعة

كان على الأنكاس إيجاد نظام خاص للطرق، أو شبكة مواصلات برية بين أجزاء الإمبراطورية، علمًا بأن هذه الطرق أخذت بعين الاعتبار الظروف المناخية والحالات الجوية. فلم يبلغ عرض هذه الطرق أكثر من سبعة أمتار سيما وأننا ذكرنا أنهم لا يعرفون العجلات والعربات.

وبلغ طول هذه الطرق أكثر من ١٦٠٠ كم، تجتاز جبال الأنديز إلى الإكوادور والبيرو وبوليفيا. أما السفوح والأجراف فكانت تحول مباشرة إلى مدرجات حجرية، ويمكن اجتياز الأنهار عن طريق جسور معلقة مصنوعة من الألياف.

أما ما يتعلق بالزراعة، فقد زرع الفلاحون الذرة والبطاطا والفول والكاكاو والطماطم والأناناس والقرع والخيار، وكانت الأرض ملكًا للدولة تُحرث وتُحصد من قبل الجميع، واعتبر هذا الإجراء من قبيل الخدمة العامة، يكون الفلاحون بعدها أحرارًا في أن يعاون كل منهم صاحبه في رعاية ما يملك من الأرض. كما اعتمد الأنكاس على رعي حيوان اللاما كحيوانات لنقل الأحمال، وعلى الخنازير التي كانت تزودهم باللحم.

التنظيم الاجتماعي

ينقسم الهنود إلى عدد كبير من القبائل، لكل قبيلة قوانينها وتقاليدها الخاصة، التي فرضتها عليهم حياتهم الصعبة، ويتكلمون لهجات لا تفهمها القبائل الأخرى أحيانًا، ونادرًا ما كانت تتوحد إلا في حالات الخطر الخارجي.

وكما في كل نظام قبلي يحكم القبيلة شيخها، كان لكل قبيلة من قبائل الهنود رئيس ليست له أية سلطة مطلقة. فهو في منصبه ينفذ رغبات قومه، لا سيما في الأمور المهمة حيث يعقد مجلس رجال القبيلة حول النار الموقدة مساء، يتداولون أمورهم ويقررون مصيرهم، ويضم المجلس غالبا المسنين من رجال القبيلة ذوي الخبرة والشجاعة.

ولا يحضر هذه الاجتماعات النساء والأطفال إلا في المناسبات العامة. ويحتفظ رئيس القبيلة بمنصبه إلى سن معينة، ثم يختار خليفته، ربما يكون ابنه أو ابنته، ورغم ذلك لا بد من موافقة مجلس القبيلة.

عقائدهم الدينية

معروف عن الهنود الحمر تعظيمهم لكل مظاهر القوى الطبيعية، من الشمس والقمر والهواء والماء والنار، وإلى هذه القوى الغامضة يرفعون الصلوات الطويلة الصامتة، كما يؤدون طقوسا دينية معقدة، يرأسها رجال الطب من السحرة في القبيلة وتستمر أياما عدة. ونستطيع القول إن العقيدة الدينية نفسها كانت متفاوتة الوضوح والتطور عند مجموع القبائل الهندية التي اختلفت في أساليب العبادة، وإن كانت في الإطار العام متشابهة. لقد أطلقوا على الإله الذي قدسوه «روح الخالق العظيمة» أو الروح العظمى»، وهذه الروح قد تكون الشمس أو القمر أو طوطم ما.

وكما كان الفرعون ابنًا للإله في وادي النيل، جعل ملوك الأنكاس أنفسهم أبناء «الروح العظيمة». وبموجب ذلك كانت سلطتهم مطلقة مقدسة ولا تجب معارضتهم، كما كان كل ما على الأرض ملكًا لهم. واشتهر الهنود برقصاتهم العجيبة، لا سيما الرقصات التي كانت تؤدى في مناسبات دينية استجلابًا للمطر، أو الصيد الموفق أو استنفار المقاتلين للحرب.

لكن هذه العقائد بمجملها لم تحافظ على نقاوتها البدائية فيما بعد لاصطدامها بعقائد دينية وافدة على يد المبشرين المسيحيين الإسبان والإنجليز والأمريكيين، لتبرير الأعمال وقبول الاستعمار الذين أخذوا بها، لكنهم بقوا حاملين الكثير من طقوسهم وشعائرهم الهندية القديمة التي أقرتها الكنيسة وأسبغت عليها طابعا مسيحيا.

موقف الهنود من غزاتهم الأوائل

وصل كولومبس إلى إحدى الجزر الصغيرة من أرخبيل جزر الباهاما وأطلق عليها اسم سان سلفادور التي تعرف اليوم باسم «واتلنغ»، واحتلها



كهف دفاعي في صحراء أريزونا أنشأه الهنود الحمر منذ ٧٠٠ سنة

باسم الملكة إيزابيل والملك فرديناند، وجرى احتفال بهذه المناسبة حضره السكان الأصليون، الذين عُرفوا باسم شعب التاينو الذين لم يفهموا ما يجري معجبين وخائفين من السفن الهائلة التي أقلت هؤلاء الغرباء إلى بلادهم.

ورغم ذلك قدم شعب التاينو الهدايا السخية إلى كولومبس ورجاله وعاملوهم بكل احترام. وعن ذلك كتب كولومبس إلى ملك وملكة إسبانيا قائلا «هؤلاء الناس طيبون جدًا ومسالمون جدًا» بحيث إني أقسم لجلالتيكما، أنه لا توجد في العالم أمة أفضل منهم . . . إنهم يحبون جيرانهم أكثر مما يحبون أنفسهم. كما أن حديثهم دائم الحلاوة واللطف ويرافق دائمًا بابتسامة، ورغم أنهم فعلا عرايا إلا أن سلوكهم محتشم وجدير بالإطراء».

وعندما وصل الإنجليز إلى أمريكا الشمالية أقاموا مستوطنة «جيمس تاون»، أظهروا التعاون واتبعوا سياسة اللين مع الهنود الحمر وزعيمهم «واهونسو تاكوك» الذي منحوه تاجا «ذهبيا» وأقنعوه ليجعل شعبه يعمل على إمداد المستوطنين الإنجليز بالمؤن والغذاء، وبعد وفاته ظهرت النوايا الحقيقية لهم، وهبت قبائل البوهاتان من شعبه للانتقام، لكن دون جدوى، فقد كان السلاح الإنجليزي لهم بالمرصاد ولم يبق منهم إلا القليل، ليرووا ما حدث. بينما في منطقة «ماساتشوستس» حط الإنجليز في بلايموث عام ١٦٢٠م، وتعرضوا لكارثة حقيقية، لولا العون الذي قدمه الهنود لهم، الذين جلبوا المؤن من مخازن القبيلة وعلموهم الصيد وشاركوهم غذاءهم من الذرة وساندوهم حتى مرّ بهم أول شتاء.

وعاشوا معًا في سلام لسنوات عديدة، حتى وفدت الكثير من السفن المحملة بالأوروبيين، الذين



بالريش وورق الشجر يستقبل الهنود موسم اصطياد الأور في شهر فبراير من كل عام



بيت الهندي الأحمر يقابل ناطحات السحاب في سان فرانسيسكو

قطعوا الغابات وأقاموا مستعمرة أخرى «إنجلترا الجديدة» عام ١٦٢٥م، وطلبوا من زعيم الهنود المزيد من الأراضي لإقامة مستوطنات جديدة. وكان ما يعرفه الزعيم «ساموست» هو أن الأرض ملك للروح العظمى وأنها بلا حدود كالسماء، لكنه ساير هؤلاء الأغراب لأساليبهم العجيبة فقد رضي أن يمارس طقوس تحويل الأرض إليهم.

وفي سياق آخر فاخرت قبيلة «الأنوف المحروطة» من الهنود بصداقتها التي دامت أكثر من سبعين عاما مع الأوروبيين، بحيث لم يقتل أي فرد من أفرادها رجلا من الأوروبيين البيض.

لكن هذه الصداقة تحطمت تحت أقدام الأوروبيين ومعاولهم على اختلاف أنواعهم الباحثين عن الذهب والثروات والأراضي الخصبة.

ولم يكن حال الهنود في أمريكا الوسطى والجنوبية بأفضل من أقرانهم في أمريكا الشمالية، فقد اعتبر الإسبان والبرتغاليون كل الأراضي التي اكتشفوها واحتلوها ملكا خاصا بهم، ولم يخطر لهم أن لأصحاب الأرض من السكان الأصليين حقوقا على الإطلاق.

لقد نهبوا بلادهم من كل ما فيها من الثروات، الذهب والفضة والأحجار الكريمة والأراضي الخصبة، وليس هذا فحسب، بل إن القبض على الهنود واستخدامهم رقيقا كان أمرا مشروعا وأحد الامتيازات التي منحها الملوك الإسبان والبرتغاليون إلى رجالهم.

الأطماع والإبادة وصراع البقاء

بلغ عدد الغزاة القادمين من جميع أنحاء أوروبا أكثر من عشرين مليونا من أشد الرجال خطرا وطمعا في أراضي أمريكا. أراد هؤلاء كل شيء ورغم كل شيء، دون أن يكلفوا أنفسهم عناء ما للسكان الأصليين من حقوق. تحت أقدامهم وأفواه بنادقهم ومدافعهم، أزاحوا الهنود عن أماكن الذهب، والمعادن الثمينة والأراضي الخصبة، أزاحوهم لبناء المدن والمستوطنات والمؤسسات والمناجم والمصانع والطرقات والسكك الحديدية.

وقد كتب الجنرال كارلتون إلى وزارة الحرب في واشنطن، لإمداده بالعون اللازم لحماية العاملين في المناجم الجديدة: «لقد باركنا الله... الذهب يقبع هنا تحت أقدامنا ولا نحتاج سوى إلى الانحناء قليلا لالتقاطه».

ومن أجل الذهب، أبعد الهنود إلى مناطق تجمع خاصة، أو مفردات هي أشبه بمعسكرات اعتقال رفض الهنود اللجوء إليها إلا بعد أن خاضوا

الهنود الحمر
تاريخ ومصير

حروبًا طاحنة في هذا السبيل وخارت قواهم.

وكـان لاكتشـاف الـذهب في منطقة جبال الأبالاش سبب المطالبة الصاخبة من الأوروبيين أو الأمريكيين الجدد بترحيل الهنود التشيروكي، وتعهد المهمة الجنرال «وينفيلد سكوت» الذي حصرهم في جبال سموكي ثم منحوا مؤقتًا أرضًا صغيرة في ولاية كارولينا الشمالية، ريثما يحين وقت ترحيلهم إلى المنطقة الهندية، وسميت هذه الرحلة «بقافلة الدموع».

ثم تم ترحيل قبائل التشوكتو والتشيكاسو والكريك والشوني والميامي والأتاوا وطورن وقبائل أخرى كانت قوية فيما مضى، على الأقدام والجياد والعربات إلى الأماكن التي خصصتها لهم حكومة الولايات المتحدة الأمريكية.

وبهدف الحصول على الذهب، وعلى البر الأمريكي أبيدت وتبعثرت قبائل كاملة من الهنود مثل «الوامبا نواغ» «وماسوسويت» و «تيتاكوم» «والبوتوماك»، و «البيكوت» و «المونتوك» وغيرها.

وفي سنوات ١٧٦٠م ــ ١٨٦٩م استطاع الزعيم «بونتياك» من قبيلة أوتاوا أن يوحد كل قبائل الهنود الحمر في منطقة البحيرات أملاً في دحر الإنجليز، لكنه فشل في غرضه هذا لأنه تحالف مع الفرنسيين الذين انسحبوا من المعركة في اللحظة الحاسمة.

وفي أعوام ١٧٦٥ ـــ ١٨٤٠م قاتل هنود الميامي للحفاظ على أرضهم الخصبة، المعركة تلو المعركة ووقعوا المعاهدة تلو الأخرى، وهم يتخلون عن أراضي وادي أوهايو الغنية، حتى لم تعد هناك أراض يتخلون عنها، وتكون آلة الحرب الأمريكية قد فعلت فعلها، أو جمعتهم في معسكرات خاصة قاحلة إلى وراء الميسيسبي.

وقد عبر أحد الأمريكيين الجدد عن ذلك ويدعى جيمس ستيل قائلاً: «نحن ندرك تمامًا أنه من الصعب على أي شعب أن يغادر وطنه وقبور أجداده، ولكن لسوء حظكم تم اكتشاف الذهب في بلدكم وجاءها البيض الذين هم من أكبر أعداء الهنود . . . إنكم معرضون إلى الاستغلال دائمًا». كان هذا اعتقاد السواد الأعظم من الأوروبيين والأمريكيين، وكل من يحاول أن يكون حكيمًا بما فيه الكفاية كان المستقبل بالنسبة له أمرًا غامضًا ومشكوكًا فيه.

وحتى الرئيس الأمريكي أندرو جاكسون مقتنع تمامًا بأن الهنود والأمريكيين لا يمكنهما العيش معًا في سلام، لأنه ومن خلال عمله السابق كضابط على التخوم قد ذبح مع جنوده آلافًا من الهنود التشيروكي والكريك وغيرهم. وهو الذي أوصى في رسالة إلى الكونجرس أن تتم إزاحة الهنود جميعًا باتجاه الغرب إلى ما وراء الميسيسبي لتكون مناطق آمنة لهم حسب زعمه.

وحتى هذه المناطق لم تسلم من جشع الأمريكيين الذين سلبوا تسعة أعشارها التي سميت في فترة بالحدود الهندية الآمنة. والتي ثارت فيها قبائل السانتي والسو لقطع المعونات الحكومية عنهم في عهد الرئيس لنكولن، وكانت حربا طويلة نهايتها معروفة، أُبيد قسم كبير وسجن ١١١٧٠٠ من الهنود الذين طالب الجنرال «بوب» بإعدامهم فورًا وقال: «إن الإنسانية تتطلب تصرفًا فوريا في هذه القضية»، وأمر الرئيس لنكولن بإعدام ٣٩، والبقية يتم حجزهم حتى صدور أوامر جديدة، وسيق هؤلاء إلى المشنقة، وغنوا خلال مسيرتهم الأغنية الخاصة بالموت، وبإشارة من ضابط قطع الحبل تدلى الهنود بلا حياة في الهواء.

وإزاء هذه الوحشية صرخ زعيم قبائل الشاوني: «هل سنسمح لأنفسنا بأن ندمر دون كفاح منا وأن نتخلى عن أرضنا التي وهبتها لنا الروح العظيمة، أن نتخلى عن قبور موتانا وكل ما هو عزيز ومقدس لدينا؟ «أعلم أنكم ستصرخون معي: أبدًا أبدًا».

ثار الهنود رغمًا عنهم، وفي وقت لم يختاروه، وتعلموا الدفاع عن أنفسهم بواسطة الأسلحة والذخائر والبغال التي كانت تقع بين أيديهم، ورغم ذلك دفعوا الثمن باهظًا جدًا. ففي إحدى حملات الإبادة المنظمة شن الميجور بيكر هجومًا على مخيم للهنود معظمه من الشيوخ والنساء والأطفال البالغ عددهم ٢١٩ نسمة، لم ينج منهم سوى القليل كُتب عليهم ليرووا ما حدث، فقد قتل ٣٣ شيخًا و٩٠ امرأة و٥٠ طفلاً بالرصاص وهم يحاولون الهرب.

وأبيدت قبيلة الشايان العظيمة التي حملت راية الدفاع وردد أحد مقاتليها: «سنذهب شمالاً رغم المخاطرة، وإذا متنا في ساحة المعركة فإن شعبنا سيتذكر أسماءنا ويعتز بها» والآن لم يعد هناك من يذكر أسماءهم بعد أن رحلوا.

ولم يكن وضع هنود كاليفورنيا بأفضل من أقرانهم الآخرين الذين كانوا حول بحيرة تولة وعلى امتداد أوريغون والمؤلفة من قبائل المودوك والتشيلولا والنيبوي والألونا، الذين قاوموا بوسائلهم البدائية كنصب الكمائن، لكن دون جدوى. لقد طُمرت عظامهم تحت مليون ميل من الطرقات ومواقف السيارات وقطع الأرض المخصصة لإسكان الأوروبيين والأمريكيين الجدد.

ورغم كل شيء، فقد استمر الهنود في المقاومة، واستطاعوا إيجاد نوع من التحالف بينهم، تحت راية زعيم قبائل الشايان الملقب «بالغيمة الحمراء» لمجابهة الأمريكيين، والذي هاجم أحد مراكز جيش الولايات المتحدة بشكل مفاجئ ومخطط له، وتمكن من قتل جميع المشاة من الجنود ولم ينج جندي واحد من هذه المعركة «التي سماها الأمريكيون مذبحة «فترمان» والتي تركت أثرًا



سجاد صُنع عام ١٨٧٠م

عميقًا في حكومة الولايات المتحدة، فقد كانت أسوأ هزيمة عانى منها الجيش الأمريكي خلال الحروب الوطنية الهندية، وثاني هزيمة في التاريخ الأمريكي الذي لم يخرج منها شخص على قيد الحياة.

وأرسلت حكومة الولايات المتحدة تعزيزات جديدة إلى الحصون

في البلاد، كما أرسلت لجنة للتفاوض من واشنطن لأجل السلام مع الهنود، وذلك في ربيع عام ١٨٦٨م، ولكن دون نتيجة، لتحالف الهنود ووحدة صفهم، بقيادة «الغيمة الحمراء» الذي صرح لهم: «نحن في الجبال نراقب الجنود والحصون، وحين نرى الجنود يبتعدون والحصون تهجر سأنزل وأتفاوض !!» واستجابت حكومة الولايات المتحدة مرغمة، فأصدرت وزارة الحرب الأوامر بهجر منطقة نهر البارود، وفي ٢٩ تموز من عام ١٨٦٨م حزم الجنود أمتعتهم ورحلوا نحو الجنوب من حصن «سميث» وحصن «فيل كرني» وحصن «رينو» وأصبحت منطقة نهر البارود محظورة رسميًا على غير الهنود. وأعطى شرف حرق هذه الحصون لقبيلة الشايان.

وبعد عامين متواصلين من المقاومة الوطنية، انتصر زعيم الهنود «الغيمة الحمراء» وجاء إلى حصن «لارامي» مع محاربيه الأشداء لتوقيع المعاهدة كبطل منتصر، والتي أقسمت الولايات المتحدة بشرفها على إقامة السلام، وصدق الكونجرس نفسه على هذه المعاهدة التي ولدت وبحروف ميتة؛ لأن النزاع بين الطرفين استمر أكثر من عشرين عاما أخرى، ودون أمل قتل الهنود وأبيدوا مرة أخرى، ومن بقي منهم سار في جحافل إلى الحدود الهندية الآمنة وراء الميسيسبي يرددون وبصوت حزين أغنية الموت.

أيتها الشمس، أنت تبقين للأبد
ولكن علينا نحن أن نموت
أيتها الأرض، أنت تبقين للأبد
ولكن علينا نحن أن نموت.

ومنذ ذلك الحين، كان قد سبق للجداول التي كانت ذات ماء عذب، والتي كان معظمها يحمل أسماء هندية أن تعكرت بالطمى وبقايا الإنسان، وراحت الغابات الخضراء تختفي بسرعة أمام فؤوس الغزاة. وبدا للهنود أن هؤلاء الأمريكيين كانوا يكرهون كل ما هو في الطبيعة. أما عظامهم فقد نسيت في ألف قرية محروقة، أو ضائعة تحت آلاف الأميال من الطرق المعبدة والمدن الجديدة المشيدة.

أين الهنود الحمر اليوم ؟!

اليوم أين هي قبائل الهنود الحمر، التي بلغ تعدادها، حسب التقديرات في القارة الأمريكية يوم اكتشافها ٦٠ ـ ٨٠ مليون نسمة ؟

لقد تراجع هذا العدد إلى ثلاثة ملايين ونصف بعد قرن ونصف. ولا زال وجودهم مهددًا بصورة كبيرة، وللأسف لا يحصلون إلا على أقل دخل سنوي للفرد، ويعانون من البطالة والأمراض الناتجة عن حالات الفقر المزرية. ورغم ذلك لا زالوا يناضلون من أجل البقاء والعدالة والحرية والمساواة، ولا تزال إلى اليوم أمريكا الوسطى والجنوبية ساحة صراع حاد بين أحفاد الأوروبيين والسكان الأصليين من الهنود الذين يلاقون قمعًا واسعًا من السلطات المحلية.



الهندي الأحمر بين الأمس واليوم

وفي الأمس القريب مُنحت جائزة نوبل للسلام للمناضلة الهندية زعيمة إحدى الحركات السياسية في غواتيمالا السيدة «ريغو برتا منشو» وجاء في قرار اللجنة «أن جائزة السلام أعطيت للسيدة منشو لإسهامها في إقرار العدالة الاجتماعية والمصالحة بين مختلف الجماعات العرقية ولشجاعتها في الدفاع عن حقوق الشعوب الأصلية».

واستقبل قرار اللجنة بترحيب دولي كبير، وقدمت المرأة الهندية قيمة الجائزة «إلى جميع أولئك الذين ضحوا بحياتهم من أجل مستقبل أفضل لبلادهم».



يصور هذا الجلد معركة بين قبائل ماندنس وأعدائها وقد صنعت هذه اللوحة الجلدية التاريخية عام ١٧٩٧م

المراجع

(١) روز براون: البرازيل شعبها وأرضها، ترجمة محمد عبد الفتاح إبراهيم، القاهرة ١٩٦٩م.

(٢) دي براون: تاريخ الهنود الحمر، ترجمة توفيق الأسدي، اللاذقية ١٩٨٢م.

(٣) المعرفة المصورة: الجزء الأول والجزء الثاني

(٤) كلود جوليان: الحلم والتاريخ «مئتا عام من تاريخ أمريكا»، دمشق ١٩٧٨م.

(٥) فاضل الأنصاري: أبحاث في الجغرافية الإنسانية، دمشق ١٩٧٤م.

(٦) آلان بومبار: عظماء الملاحين الغربيين، ترجمة وجيه العمر، دمشق ١٩٨٦م.

(٧) انتقام الهندية، جريدة تشرين، العدد ٥٤٨٠ (نقلاً عن «الموند»).

(٨) أمل عامر، الهنود الحمر في السينما الأمريكية، مجلة الكويت، العدد ٩٩.

أرامكو السعودية

ماضٍ مشرف ومستقبل واعد
SAUDI ARAMCO أرامكو السعودية
60 YEARS ٦٠ عاماً
PROUD PAST, PROMISING FUTURE



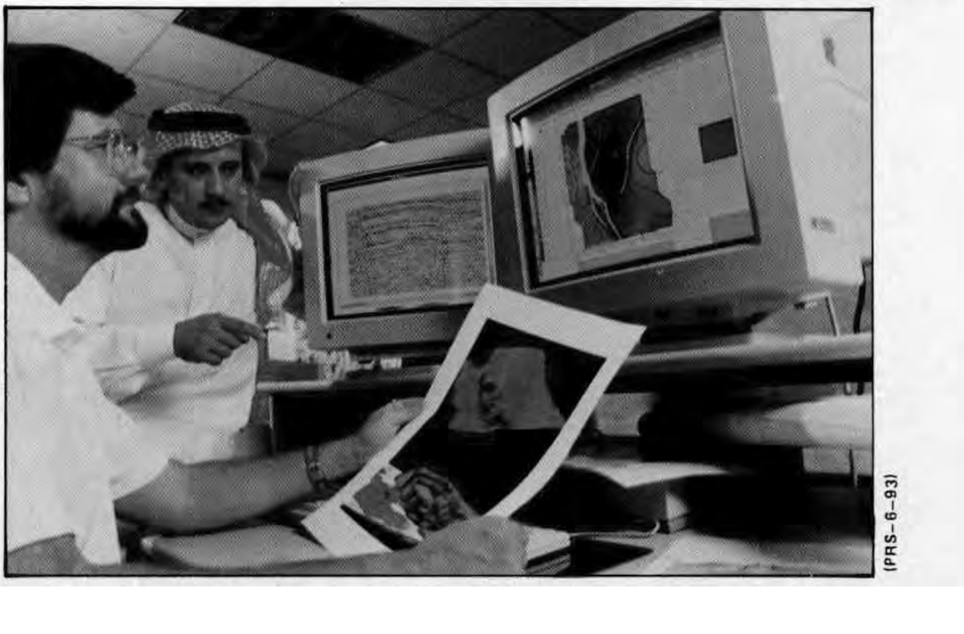


أرامكو السعودية .. انجاز عمره ستون عامًا .. وتاريخ صنعه موحد ومؤسس نهضة هذه البلاد الملك عبد العزيز ، ودوّن بمداد من نور يوم أدار بيده الصمام معلنًا تصدير أول شحنة من الزيت السعودي إلى العالم الخارجي .

أرامكو السعودية أكبر شركة منتجة للزيت في العالم . تتوالى اكتشافاتها الجديدة بنجاح في عهد قائد المسيرة وباني النهضة الحديثة للمملكة العربية السعودية خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز .

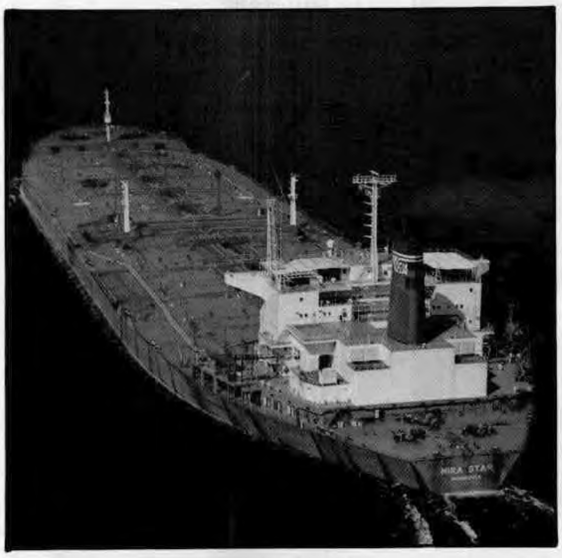
لم تعد أرامكو السعودية اليوم شركة منتجة للبترول فحسب ، بل اختصرت باستثماراتها الدولية ومشاريعها الواسعة واكتشافاتها البترولية الجديدة المسافة الزمنية والمكانية في هذا المجال . كما أصبح الشباب السعودي الذي يدير دفة الشركة بعزم وثبات ، محورًا من محاور تنمية الموارد البشرية حيث أخذت على عاتقها الاهتمام به ، وتطوير قدراته ليتعامل مع التقنية الحديثة المعقدة في صناعة البترول ومشتقاته بكل ثقة واعتزاز ، بغية رفعة هذا البلد المعطاء . ذلك ماضٍ مشرف ، وهنا مستقبل واعد .





(PRS-6-93)

ستون عَامًا من الإنجازَات













العَوَز المناعي

د. صلاح يحياوي

العَوَز المناعي، أو متلازمة العَوَز المنــاعي المكتسب AQVIRED IMMUNE DEFICIENCY SYNDROME مـرض تسببــه حُمَةٌ (فيروس) مـا إن تـدخـل الـدم حتى تهاجم بعض الخلايا البيضاء، وتهجع فيهــا بعض الــوقـت، ثم تبــدأ بـالتضـاعف، وعنـدئذ تتبـدل بنية الخلايا البيضاء، فلا تعود قادرة على تنبيه الدفاع عن العضوية؛ وتضعف الجملـة المناعيـة؛ ويغـدو الشخص عرضةً للإصابة بأمراض تعرف باسم «الأمراض الانتهازية»، وهي أمراض تظهر أعراضها في وقت واحد، وهي التي تميـز متــلازمـة العــوز المنـاعي المكتسب.

تعـرف هـذه الحُمَــةُ بـالمختصر HIV، (وهـي الحــروف الأوائليــة للعبـــارة الإنكليزيـــة HOMO IMMUNODEFICIENCY VIRUS. تستطيع هذه الحُمَة العيش في جسم المصـاب عـدة سنــوات دون أن تبــدي أي عـــرض. ويمكـن للشخص ذي الحُمَـــة الموجبـة (+ HIV) والذي لا تبـدو عليه علامـات الخَمَج، أن ينقلها إلى الآخرين. وتتطور بعـد ذلك أعراض الخمج، وتتم أخيراً الإصابـة بالمرض (والموت).

إن الأوسـاط النـاقلـة للحُمــة الموجبة(+ HIV) محدودة العدد؛ إنها المني والإفرازات المهبلية والدم. كما أن الأم المصـابـة بحمـة المرض يمكن أن تنقلهـا إلى رضيعهـا قبل ولادتـه أو خــلالها أو عن طــريق إرضــاعـه بحليبها.

وهكذا تنتقل العدوى عبر:

ــ الاتصـــال الجنسي بشخص مخموج.

ــ الزرق بـالمخـدرات والاشتراك بـاستعمال زرّاقـة أو محقنـة شخص مخموج.

ــ نقل دمٍ مخمـوجٍ او منتجاتـه.

(يحلل اليـوم دم المتبرعين بـالـدم قبل استعمالـه وذلك لتجنب العـدوى؛ ذلك أن العـديـديـن من مـدمني المخـدرات يبيعـون دمهم ليغـذوا إدمانهم؛ وعلى المرء في جميع الأحوال ـ عند احتياجه إلى نقل دم ـ أن يبحث عما إذا كـــانت قـــد اتخذت جميع الاحتياطات الضرورية.)



الزرق بالمخدرات ينقل مرض العوز المناعي

ــ عبـــر جـروح أشخـــاص مخمــوجين، وذلك بـانتقـال دمهم بالنزف إلى دم شخص آخر بشكل أو بآخر. وقد توفيت في أوائل هذا العام فتاة في الولايات المتحدة كانت تعالج أسنانها عند طبيب أسنان؛ وقد تبين فيها بعـد أن طبيب الأسنـان المذكـور كـان مخموجا بالحمـة الموجبة، وقـد اعتـاد تنظيف أسنـانـه بـالفـرشـاة الكهربائية الدوّارة التي يستخدمها في عمله المهني.

كما دلت الأبحــاث على أن حمة العــوز المنــاعي لا تنتقل خــلال المقــابـلات والتماس والفعــاليــات العرضية للحياة اليومية، فلا خَطَر من العدوى عن طـريق لعاب الشخص المخموج أو عرقه أو دموعه أو بوله أو غائطه.

ولا تنتقل العــدوى بلـدغـات النـامـوس والحشرات الأخـرى. ولا خطر من الجلوس إلى جانب شخص مخموج سـواء في المدرسة أو العمل أو سيارة الأجرة أو دار السينما أو الأماكن العامة.

ولا خطر من العدوى في المسابح العامة وبناء المجمع الرياضي، ولا في المطاعم التي يرتادها المصابون.

ولا خطر من العدوى بمصافحة مخمــوج، ولا بـاستعمال الحمامــات نفسها أو الهواتف أو الثياب أو أدوات المائدة التي يستخـدمهــا.... إلخ ولكن الوقاية خير من العلاج، وخير وقاية هي العفة!

السيرة الذاتية
للأديب عبد المجيد بن جلّون
من كتابه: "في الطفولة"

د. الصادق العماري

يُعدّ عبد المجيد بن جلون (١٩١٩ ـ ١٩٨١م) من الأدباء المغاربة المجددين في النثر المغربي ـ مقالة وقصة ـ وفي الشعر الوجداني، أهّله ـ بجدارة ـ لهذه المكانة، موهبته الفذة وتكوينه الثقافي، حيث جمع بين دراسته التراث العربي واستيعابه الثقافة العربية الحديثة في فترة توهجها. وتسنى له أن يتلقى تعليمه على أعلامها، كما كان عارفًا باللغة الإنجليزية، فاطلع بوساطتها على الثقافة الغربية في مصادرها الأصلية، وسنحت له الظروف أن يكون من طلائع الحركة الوطنية، ومن أعضاء مكتب المغرب العربي في القاهرة. فكرس جهوده، وسخر قلمه للتعريف بقضية المغرب؛ وحقه في الحرية والاستقلال.

إن أديبًا بهذه المكانة، ووطنيًا مخلصًا بهذه الصفة، قضى زهرة شبابه في التحصيل العلمي، والنضال الوطني بتفان وجد، وأغنى الثقافة العربية المغربية بإبداعه. لَجَديرٌ بكل تقدير. ولا يتسع المقام هنا لتناول نواحي شخصيته وكل إنتاجه الأدبي، ونقتصر على دراسة سيرته الذاتية «في الطفولة» [١]، إذ يُعد ـ بحق ـ رائدًا من رواد هذا النوع الأدبي، لا في الأدب المغربي وحده ولكن في الأدب العربي عمومًا، متوخين التركيز والإيجاز في نطاق العناصر الآتية:

أ ـ محور الذات.

ب ـ البعد الاجتماعي والثقافي.

جـ ـ التركيب والبناء الفني.

أ ـ محور الذات

يبدو من الأنسب في مستهل الحديث عن محور الذات أن نتبين الحوافز التي حدته لكتابة سيرته الذاتية «في الطفولة»، فمن المألوف لدى بعض كتاب السيرة الذاتية أن يفصحوا عن بعض الدوافع، وعبد المجيد بن جلون عبر عن شيء من ذلك حيث قال: « . . . **إنما قصدت أولاً إلى إرضاء رغبة في نفسي، وقصدت ثانيًا إلى تسجيل حياة طفل عاش في بيئتين تكادان أن تكونا متناقضتين**»[٢].

فحافز حب البوح بما يملأ النفس يكون عادة بالدرجة الأولى، وهو يتضمن ما يطفو على عالم الشعور وفي مقدور الكاتب أن يتبينه. وهناك ما هو غائر في اللاشعور يظل غائبا عنه، ويمكن أن نقترب منه بالنظر إلى ظروف حياة ابن جلون، وما اكتنفها من أحداث، فقد عاش طفولته في بيئة أجنبية خاصة، وفي ظل عادات وتقاليد معينة. ثم قدر له أن يعود إلى وطنه، ويصطدم بعادات أخرى مناقضة لما سبق أن ألفه فاختزنت ذاكرته الكثير مما انطبع في نفسه، وما انطوى عليه قلبه من مشاعر، من ذلك شعور بالغربة وعدم الاستقرار، وبالأنس تارة، محققا ذاته، ومن شعور بالحرمان تارة أخرى، ينتابه أحيانا ليورثه الرضا أو التطلع، أو الإحباط.

ولا يمكن بحال استبعاد واقع أسرته بأوضاعها، وما مرت به من تجارب وعرفته من استقرار، وهزات ومغامرات، وما تخلل ذلك من رغد العيش أو شظفه وعسره، ثم اتصاله بمختلف النماذج البشرية من أقرانه، وغير أقرانه في البيئتين الأجنبية والوطنية؛ مما ترك في نفسه انطباعات مختلفة، وما كان يرزح وطنه تحته من وطأة الاستعمار، وتطلع فئات لمواجهته، وما طرأ على أوضاع المتعلمين من خمول في مصادر التكوين الثقافي، وما صاروا يتطلعون إليه من تجاوز الواقع.

كل هذا شكل مخزونا، وملأ ذاكرته، ودفع به إلى الإفضاء. ثم إن كل ذلك كان في أعماقه مترابطا، بالإضافة إلى ما له من استعداد فطري وموهبة، ودُربة على الكتابة، والتي ظلت تنمو بتعدد المحاولات منذ سن السادسة عشرة، إلى أن قارب الثلاثين، حيث بدأ في تسجيل سيرته، ولا يستبعد ـ أيضا ـ ما تعهد به مداركه من صقل وتحصيل معرفي، ومن الراجح أن يكون قد اطلع على نماذج من السير الذاتية العربية والغربية.

موهبته الفذّة وتكوينه الثقافي المنفتح على التراث والمعاصرة أهّلاه لمكانة مرموقة

بهذا كله يمكن أن نـدرك الحوافـز الظـاهـرة والخفيـة لكتابـة سيرته «في الطفولـة». ويمكن أن نستخلص محور الذات مما يأتي :

١ ـ مظـاهر من حياتـه ونشـأتــه في إنجلتـرا ودلالتها.

٢ ـ عودته إلى وطنه وإقامته فيه. ثـم رحلته إلى مصر للدراسة.

٣ ـ المآسي والإحباط في حياته.

٤ ـ تعلمه وتكوينه الثقافي.

٥ ـ اتصالاته بنماذج مختلفـة.

١ ـ مـن الطبيعـي أن يستعصـي على كـاتب السيرة الذاتية تذكر وقائع حياته بتفاصيلها، فغالبا لا يعلق بـالذاكرة إلا مـا له أكبر الأثـر في النفس، سلبيا كـان أو إيجابيا، كما أن الـذكريـات لا يتأتى استرجاعها على نحو ما انطبعت في النفس مرتبة في الـزمـان والمكـان، وأمـام هـذا الـوضع لا تسعف الكـاتب إلا مقـدرتـه في تشكيل الـذكـريـات وتسطيرهـا، وملء الثغـرات حتـى تبـدو للقـارئ منسجمة في قالب فني.

وبنـاء على ما سبـق فإن أعمق ما ظـل عالقـا بـذاكـرتـه : المنزل الـذي كـانت تقطنـه أسرتـه في منشستر بكل معالمه، ومـا كان يشده ويشـد أسرته إليـه من روابط. ومن هنـا يتضح أن أول مـا يعيـه الطفل في بـدايـة تفتح مـداركـه ينحصر في محيطـه المرتبط به، ثـم بالمحيط الخارجي العـام، كمرافق الحياة من سينما وحديقة عمومية وحديقة الحيوان، ولا يخفى ما يكـون لكل مرفق من تأثير في مشـاعر الطفل ومداركه، خـاصة في تلك المرحلـة التي يتم فيها تشكيل الأسس الأولية للشخصيـة. وقد كان لأسرة آل بـاتـرنـوس الأثـر الأكبر في ذلك، وهي الأسرة التي تـوثقت صلتهـا بأسرة الكـاتب ابن جلـون.

أقامـت أسرة الكاتب في منشستر مـدة تقارب ثماني سنـوات، منـذ أواخـر سنـة ١٩١٩م إلى ١٩٢٧م ثم عـادت إلى المغـرب. وليس غـريبـا أن يتشبث الطفل في مثل سن الكاتب ووضعـه بما هو مألوف لـديه ويـرهب كل غائب أو يتهيبـه، فمنذ تيقن أنه سيفارق منشستر صار نهبا لمشاعر مختلفة، يتأمل كل مـا يقع تحت نظره مـوقنا أنـه مفارقـه لا محالة : الشارع ـ الرفاق ـ المنزل ـ الحديقة ـ المدرسة ـ أفراد عـائلة آل باترونـوس كل منظر. وفي كل ركن كان يشعر بفيض من الأحـاسيس تعتمل في صدره فيلح عليه الحزن تارة أو الخوف أو التأمل أو الشرود تارة أخـرى.

٢ ـ لـما عـاد الكـاتـب إلى أرض وطنه الأصلي واجهتـه صعوبة التلاؤم مع البيئة بما فيها من مظاهر السلوك والتصرفـات. لقد كان يحس أن شخصيته ذات مميزات خـاصة ينفـرد بها عن كثير من أقـرانه وأبنـاء جيلــه، فقـد أتيح لــه أن يتمـرس بما لـم يتمـرسـوا بـه في بيئتين متبـاينتين في فترة من العمـر تعـد من أهم الفترات في حياة الإنسان.

٣ ـ لقـد عرف الحيـاة بوجهيهـا : بأتـراحها وأفراحها، ويبدو أن كثيرا من المآسي والأحزان ظلت جراحاتها غـائرة في وجدانه، بدليـل أنها لـم تفارق ذاكرته منـذ حدوثها، وقد خصها بالـذكر عـارضا دقائقها بكيفية تثير الأشجان في نفس القارئ.

٤ ـ بـدأ الكـاتـب أولى خطواتــه التعليمية في إنجلترا، ثم كانت المرحلة الثانية في المغرب. وبعد ذلك انتقل إلى القـاهـرة، ولكل مرحلـة تـأثيرهـا ومميـزاتها. وقـد خص الكـاتـب المرحلتين الأولى والثانية بكثير من التفاصيل، وهي جديرة أن يمعن القراء النظر فيها، وبخاصة القائمون بأمور التربية والتدريس.

٥ ـ من خـلال ما سطره الكاتب يتبين لنـا أنه ارتبط أو اتصل بعـدد من النماذج البشريـة ذكـورًا وإنـاثـاً، صغـارًا وكبـارًا، سـواء في إنجلترا أو في المغـرب :

أ ـ أفراد أسرتـه : أبوه وأمــه ومـربيته وأختـاه وأخواه وأعمامه وجده من أبيـه وجدته وأبناء عمـه، وقد خص بعضهم بتفاصيل، وأهم ما يمتازون به. ومدى تعاطفه معهم، وتأثره بهم.

ب ـ في إنجلترا نجد أفراد عائلـة آل باترنوس، وكـذلك زمرة من أصـدقائه وأصـدقاء والـده ومن تلقى عنهم دروسه الأولى.

جـ ـ في المغرب كان اتصاله وثيقا ببعض أقرانه أو من يكبرونـه، وكـذلك أصدقـاء والده وهم من مختــلف الطبقـات، ومنهــم ـ أيضًـا ـ معلمــوه وأساتذته.

إن سعة الاتصال بالآخرين تغني تجربة الفرد. ومهما عـرف الإنسان عن الحياة والأحيـاء فسيظل هنـاك مجال أو مجالات مغيبة عنـه لا محالـة، وكلما قلّت اتصالات الفرد تقلّص مجال معرفته، ويتجلى ذلك في سلوكه وإبداعه الفني، خصوصا في النطاق الأدبي شعرًا ومقالـة وقصـة ورواية ومسرحية. ولعل ممـا سـاعـد الكاتب ابن جلـون أن يصير الأديب المجلي، ويبدع ويجيد في مختلـف المجالات والأنواع الأدبية، هو ذلك الارتباط والاتصال بالآخرين.

إن ما اختاره الكاتب من لوحات عن حياته في سلـوكـه وتعاملـه ومـا تعج بـه الحياة من ظـواهـر وأنماط، يُعدّ ذا أهمية بالغة لما يتضمنـه ذلك كله من حقائق اجتماعية ونفسيـة وتجارب إنسانية، من شأنها أن تغني خبرة القارئ بالحياة والأحيـاء.

ب ـ البعد الاجتماعي والثقافي

بما أن الكاتب قـد عاش بيئتين : الإنجليـزية والمغـربيـة قبل أن يـرحل إلى مصر، فقـد عكس في سيرتـه الذاتيـة «في الطفولـة» مظـاهر مختلفـة من البيئتين السابقتي الذكر ويمكن أن نتبين ذلك ممـا يأتي :

١ ـ وضع أسرته وأهم ما عرفته من تقلبات .

٢ ـ مظاهر من البيئة الإنجليزية وحال المغاربة هناك .

٣ ـ مظاهر من الحياة الاجتماعية والفكرية المغربية ومقارنتها بما هو سائد في إنجلترا .

١ ـ تمثل أسرة الكاتب نموذجًا من الأسرة التجارية . هاجرت إلى إنجلترا سعيًا وراء الثراء، كان الأب بحكم عمله التجاري يغادر المنزل صباحا ولا يعود إليه إلا في المساء، وكانت الأم ضعيفة الجسم يعتريها المرض باستمرار، ولهذا أوكلت تربية ولدها (الكاتب) إلى خادمة، انتقلت مع الأسرة من المغرب إلى تلك الديار، وبحكم التعامل مع الآخرين فقد توطدت صلة هذه الأسرة بأسرة إنجليزية ذات أصول يونانية، كانت ذات سلوك قويم ومشاعر إنسانية وإخلاص وصفاء في التعامل .

عرفت الأسرة ــ أسرة الكاتب ــ حدثًا سعيدًا بولادة أخت الكاتب، وآخر مروّعا بوفاة والدته هناك، فتزوج والده الخادمة ورزق منها بولد، وبعد ما يقارب ثماني سنوات من الإقامة بإنجلترا تعرضت تجارة والده لكساد وإفلاس، فلم يبق أمام الأسرة إلا العودة إلى المغرب، فضاق مجال الكسب التجاري أمام والده لضآلة رأس المال، مما اضطره إلى بيع منزله في فاس والمغامرة بثمنه في أعمال تجارية .

٢ ـ نستطيع من خلال ما قدمه الكاتب أن نستخلص بعض مظاهر المجتمع الإنجليزي من خلال أحوال أسرة آل باترنوس، ومن خلال بعض المظاهر الأخرى السائدة . من ذلك ما يتصف الإنجليز به من نظام، وما يتحلى به المواطن الإنجليزي من تربية مدنية، وما يتصفون به من أناقة في أثاث البيوت، في الهندام، في الشوارع، في الحدائق العامة، في التجمعات . ومن ذلك ـ أيضا ـ ما يقام من حفلات المناسبات، ومدى العناية الاجتماعية بالطفولة وبالحوامل وبالمرافق الصحية والمؤسسات التعليمية، وأماكن التسلية والمتنزهات .

أما المغاربة المقيمون في إنجلترا فأغلبهم من التجار، ويتجلى اختلافهم عن الإنجليز في عدة مظاهر : في تصرفاتهم ومحافظتهم ـ في الغالب ـ على زيهم الوطني، وإذا اجتمعوا كانوا يكثرون من الكلام والصخب، وكذلك نساؤهم، يلاحظ عليهن المبالغة في الضحك والعبث، واللباس، والأكل، والحركات، فالإنجليز لا يعرفون المبالغة في كل ذلك، فلا يصيحون، وإنما يكتفون بالهمس والابتسام ويقتصدون في الحركة، ويلتزمون الهدوء، فأحد المغاربة بلغه نعي أمه فرفع صوته بعويل أثار به انتباه سكان الحي، وآخر اعترض سبيله كلب، فصار يصيح ويعدو والكلب يتبعه حتى فتح سكان الحي نوافذ بيوتهم يطلون منها مستغربين هذا المنظر الذي لم يألفوه .

عرف الحياة بحلوها ومرّها، واتصالاته الواسعة بالآخرين أغنت تجربته الأدبية

٣ ـ عَدَّ الكاتب ما كان يطبع المجتمع الإنجليزي نموذجًا يحتذى، ولما انتقل إلى المغرب وصور مظاهر من الواقع بدا له المجتمع المغربي متخلفا، يعيش الكثير من أهله في بؤس، وتتحكم في تصرفاتهم تقاليد تكرس التخلف، معبرًا عن سخريته من كل ما يقع تحت نظره غالبا . والحق الذي لا يمكن نكرانه أن ما كان يسود المجتمع المغربي في تلك الفترة، وما زلنا نعاني الكثير منه إلى الآن، يعد مُزْرِيًا، ودون ما يجب أن يحظى به الإنسان في العصر الحديث الذي تحققت فيه لكثير من بني البشر في مختلف بقاع الأرض مكاسب لا يستهان بها . وخصوصا أن للمغرب موارد مهمة من شأنها أن تضمن لأهله الكرامة .

إن ما ذكره الكاتب عن أوضاع المجتمع يكون قد تبلور لديه زمن كتابته لسيرته الذاتية، ومن ذلك حالة الكتاتيب، والمدارس التي أقامتها الحماية، وحالة جامعة القرويين وطرق التدريس، وما بدأت تعرفه من تغيير بظهور الحركة السلفية والوطنية، وبروز ثلة من الشباب المتطلع التواق، ورواج بعض الكتب غير ما كان من كتب الشروح والحواشي والمتون، وكذلك المجلات، خصوصا الرسالة، وبعض الدواوين الشعرية . وهناك مظاهر اجتماعية مختلفة مثل الاحتفالات والأعراس والحمام التقليدي، وعدم اهتمام الناس بالمظهر الخارجي لبيوتهم، والاكتفاء بالعناية بداخلها، واعتياد الناس على الدواب، وما يعانيه الأطفال غالبا من إهمال، وكذلك تهميش المرأة وتقييد تصرفاتها وحركاتها، وما يوجد من تفاوت طبقي صارخ، وتفشي الأمراض والأوبئة . وقلة المرافق الصحية الضرورية؛ وغير هذا مما لا يتسع المجال هنا لتفصيله .

جـ ـ التركيب والبناء الفني

إن اعتبار السيرة الذاتية لابن جلون «في الطفولة» رواية ليس حكما مجانبًا للصواب بالنظر إلى البناء الشكلي وطريقة الصياغة . وقد استطاع الكاتب تحقيق هذه الميزة الفنية بما له من مقدرة وتمرس بالكتابة القصصية، لاستفادته من تجارب الآخرين في الأدب العربي والغربي بحكم قراءاته .

قسم الكاتب سيرته إلى حلقات مرقمة من (١) إلى (٤٨)، وخصص كل حلقة لجانب يدور حول محور ما، كأن تتعلق الحلقة بذاته أو بأسرته أو بواقع المجتمع في إنجلترا أو في المغرب أو بشخصية ممن له ارتباط، أو اتصال بها . وتبدو هذه الحلقات ذات استقلال نسبي بعضها عن بعض، ومع هذا يشعر القارئ أن هناك وحدة وتسلسلاً بالنظر إلى السياق العام، مع ملاحظة أن هناك تقديما أو تأخيرا في بعض العناصر، فهناك تقديم الحلقة الثالثة والعشرين دون أي مبرر، وتأخير بعض ما ورد في الحلقة الواحدة والأربعين بالنظر إلى التعاقب الزمني، كما أن الكاتب تخفف ــ إلى

حد ما ــ من الارتباط بالواقع الخارجي الذي يعكسه، من عدم التقيد بذكر الأماكن والتواريخ وأسماء الشخصيات، ويكتفي بالإشارة إلى بعض التواريخ. لعل عدم التقيد بالضبط التأريخي والمكاني يراد به جعل القارئ يصرف اهتمامه إلى الأحداث والمظاهر والمشاعر، وأنه بصدد سرد قصص، لا أمام أخبار تاريخية صرف تتقيد بالحقائق وتفاصيل الواقع الخارجي بكل صفاته، وليس الكاتبُ بدعًا في هذا التجاوز والترخيص بنفسه في التخفف من ذلك فقد سبقه طه حسين وغيره إلى مثل هذا.

ومن حيث توزيع حلقات سيرته عبر المدى الزماني والحيز المكاني، نجد أن السيرة تمتد زمانيا من نحو سنة ١٩١٩م إلى أواخر سنة ١٩٣٧م، ومن حيث المكان نجد أن أغلب الأحداث جرت في منشستر وبعض المدن الأخرى، وفي المغرب نجد مدينة فاس، وهناك أماكن عابرة، كالدار البيضاء وجدة، ثم وهران، مرسيليا، القاهرة.

فمن الحلقة الأولى إلى الثالثة عشرة نجدها خاصة بظروف الحياة في إنجلترا، ومن الرابعة عشرة إلى الخامسة عشرة خاصة بزيارة المغرب لمدة ستة أسابيع، ومن السادسة عشرة إلى التاسعة عشرة العودة إلى منشستر، وهذه كلها تستغرق مدة ثماني سنوات وعدد الصفحات (١٤٨). ثم الرحيل إلى المغرب والإقامة بفاس، ثم السفر عبر وجدة ووهران ومرسيليا إلى القاهرة من الحلقة العشرين إلى السابعة والأربعين، وتستغرق تسع سنوات، وتحتل ثلاثمائة صفحة، أما الحلقة الثامنة والأربعون فهي عبارة عن خاتمة، تناول فيها الكاتب موقفه من سيرته والدوافع إليها، والغايات المتوخاة منها.

اعتمد الكاتب في حديثه ضمير المتكلم، وأحيانا ضمير الغائب. كما أتاح الفرصة للشخصيات الوارد ذكرها أن تتحدث وتعبر عن نفسها، وهذه ميزة تضفي على السيرة تحقيق نزوعها إلى نقل الواقع، وتجعلها أكثر إيحاء بالمواقف المختلفة. والحوار أيضا مما يحقق للسيرة هذه الميزة الفنية، وإلى جانبه المناجاة. أما السرد، فمن الطبيعي أن يتنوع كما هو حال كل إبداع في مكان الأحداث.

> لانجد في الأدب المغربي الحديث من تناول مرحلة الطفولة بمثل مافعل ابن جلّون

وهكذا نجد سردًا من الدرجة الأولى حيث يروي الكاتب أحداثًا متتابعة، وسردا من الدرجة الثانية، حيث يأخذ الكاتب في إدخال قصة داخل أخرى، وبالنظر إلى زمن السرد فالمعتمد غالبا هو السرد التابع، وهو الذي يروي الكاتب بوساطته الأحداث الحاصلة سابقا. أما الوصف فقد تنوع حسبما تقتضيه المواقف، هناك وصف المشاعر والانفعالات، وما يعتمل في نفسه من أفكار أو ما يراه أو يسمعه، ومنه ـ أيضا ـ وصف تصرفات الشخصيات مما يقربها إلى مخيلة القارئ، حتى تبدو وكأنها تنبض بالحياة سواء تعلق الأمر بمظهرها الخارجي أو النفسي. ومن صور الوصف ـ أيضا ـ وصف الأماكن ومظاهر البيئة والطبيعة، مما يقع عليه النظر أو يلتقطه السمع أو تتصوره المخيلة. وفي كل ذلك يتراوح بين التفصيل والإيجاز حسبما يقتضيه السياق العام.

أما الشخصيات الواردة في السيرة الذاتية، والتي شاركت الشخصية المحورية الرئيسة، فهي متعددة لا يتيح لنا هذا العرض ـ الذي توخينا فيه الإيجاز ـ أن نتتبع كل واحدة، من حيث أفعالها وتصرفها ودلالتها ونمطيتها.

أما أسلوب الكاتب فقد خلا من الاقتباس أو الاستدلال بالأمثال أو الأشعار أو الآيات والأحاديث، وليس فيه أي مظهر للتكلف، فهو مشرق معبر بدقة وهدوء، دون تزيين أو إسهاب ممل، أو استطراد يؤدي إلى الإخلال بالوحدة في إطارها العام، إنه أسلوب كاتب متمرس متمكن يتقن استعمال الأصول اللغوية دلالة وتركيبا، ويتجلى هذا فيما سبقت الإشارة إليه من سرد ووصف وحوار، ولا تعوزه الثروة اللغوية للتعبير عن كل ما يرغب فيه من تصورات أو تصرفات وتخيلات، وأدوات ومصنوعات، وحتى كلام الشخصيات لا يتركه محكيا بل يجعله بلغة فصيحة، وهذه الميزة الأسلوبية لا نجد لها نظيرًا في الأدب المغربي الحديث باعتبار زمن صدورها لأول مرة.

قد يبدو أن القيمة الفنية هي أهم ميزة لهذه السيرة الذاتية «في الطفولة»، ولكن الواقع أن قيمتها الموضوعية ورؤية صاحبها للواقع من موقعه الخاص ومكانة أسرته، ليست دون تلك، إذ لا نجد في الأدب المغربي الحديث من تناول مرحلة الطفولة بمثل ما فعل الكاتب، فكثيرا ما يتجاهلها الكتاب إما هروبًا من المواجهة الصريحة، أو أن الذاكرة قلما تسعفهم لاسترجاع أحداث تلك المرحلة المهمة من حياة أي إنسان، ثم لبنائها في قالب فني، وملء ما يوجد من فجوات حتى يبدو العمل الإبداعي متناسقا ومتكاملا.

لقد رحل عبد المجيد بن جلون إلى عالم البقاء يوم ٣ تموز (يوليو) سنة ١٩٨١م تاركًا آثارًا أدبية غنية في موضوعاتها وأنواعها، وهي كفيلة أن تجد مكانة مرموقة بين المشاهير، وهذه الآثار منها المخطوط ومنها المنشور في الصحف والمجلات ولم يجمع، ومنها ما تم طبعه مثل: ديوانه الشعري «**براعم**» ومجموعتيه القصصيتين «**وادي الدماء**» و «**لولا الإنسان**» ومجموعة مقالات في التوجيه الوطني «**مارس استقلالك**».

الهوامش

* في الطفولة لعبد المجيد بن جلون، مطبعة النجاح نشر مكتبة المعارف، الرباط، المغرب.

١ ـ المرجع نفسه، ص ٣٤٩.

آفاق اجتماعية

النظام التربوي

لقد أنتج الإسلام نظامًا عريضًا للتربية، عمل على تشجيع المعرفة بجميع أشكالها وألوانها، كما رفع من شأن من أبدعها ونقلها ووضعه بمرتبة سامية رفيعة؛ فالعلم في الإسلام أمر مقدس؛ لأن جميع العلوم تنتهي لغاية واحدة هي معرفة البعض من صفات وعظمة وقدرة الله سبحانه وتعالى. وهذه النظرة السامية للتربية والتعليم جعلت العلاقة بين المعلم والمتعلم علاقة قوية متينة يحظى من خلالها المعلمون والعلماء باحترام شديد يصعب تصوره في المجتمعات الحديثة، وكما قيل قديمًا: «من علمني حرفًا صرت له عبدًا».

ويرى النظام التربوي في الإسلام أن هناك سبيلين أساسيين يستطيع الإنسان أن يحصل من خلالهما على المعرفة، أولهما: الحقيقة الموحى بها والتي تنقل بعد الوحي من جيل إلى جيل، وهي كما سماها المسلمون «العلوم النقلية». وثانيهما: الحقيقة التي يحصل عليها الإنسان عن طريق العقل الذي وهبه الله إياه ويسميها المسلمون «العلوم العقلية». ودعوة الإسلام صريحة لإعمال العقل في تدبير شؤون الخلق دونما حدود، وقال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق﴾، فالعقل يعمق الإيمان، والحكمة لا تتعارض مع الشرع، وحسبنا أن نشير إلى أن القرآن الكريم قد بدأ نزوله بآيات تُحرّض على العلم وتحض عليه، فقد جاء في القرآن الكريم ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم﴾، لقد أشارت تلك السورة الكريمة إلى هدف مهم من أهداف الدين الإسلامي الحنيف بتربية الإنسان عن طريق الاطلاع والقراءة والتعلم والملاحظة العلمية لخلق الإنسان منذ أن كان علقة.

ومنذ البداية، خصص الإسلام المساجد لتكون مركزًا للبحث والإبداع والحوار ومناقشة أمور الناس وحل مشكلاتهم، ولم يخصصها كمراكز للعبادة فقط، فقد كان المسجد يمثل في الوقت نفسه المركز الديني والاجتماعي، ومركزًا للتعليم، إذ يستخدم جزء منه لتدريس العلوم النقلية منها والعقلية.

ولما اتسع نظام التعليم وتعاظمت أعداد المتعلمين وعجزت أركان العلماء في المساجد عن استيعابهم شيدت المباني المخصصة للتعليم ولكنها بقيت لصيقة بالمساجد، أي أن المسجد لم ينفصل عن المدرسة، ولا يزال الأزهر شاهدًا عملاقًا. وتطورت المدارس إلى جامعات وبقي المسجد يحتضنها، وذلك منذ أكثر من ألف عام تدرس فيها مختلف العلوم من الفقه إلى التوحيد إلى الطب والفلك والهندسة والكيمياء. ولعل المثال على ذلك جامعة القرويين بفاس، والزيتونة في تونس، والأزهر في القاهرة. وما الجامعات الأوروبية والمناهج التي درست بها في العصور الوسطى إلا صورة مقلدة ومنسوخة عن الجامعات الإسلامية.

على أن التعليم والدراسة في المجتمع الإسلامي لم ينحصرا في المدارس والجامعات، فقد لعبت المستشفيات والمراصد دورًا تربويًا مهمًا، والكثير من المستشفيات الشهيرة كبيمارستان بغداد ألحقت بها مدارس طبية لها مناهجها وبرامجها ومكتباتها، وكان على من يريد الحصول على إجازة في الطب أن يعد بحوثًا في هذا العلم.

أما بالنسبة للمراصد التي تطورت تطورًا مهمًا في العصور الإسلامية، فقد أصبحت تستخدم كمراكز علمية، وعندما شيد نصر الدين الطوسي مرصد المراغة في القرن السابع الهجري، كان في حقيقة الأمر قد شيد مؤسسة علمية ضخمة يجتمع فيها الكثير من كبار العلماء يعملون ويدرسون معًا، لذا يمكن القول بكل حق بأن المراصد وليدة الحضارة الإسلامية دون أدنى ريب.

هذا، ولم تكن المساجد والمعاهد والمدارس والجامعات والمؤسسات العلمية هي الوحيدة التي تقوم بعملية التعليم ونقل العلوم وتزويد المعرفة لكل راغب متعطش للعلم والمعرفة، وإنما تم نقل الكثير من تلك المعارف والعلوم من خلال حلقات خاصة تابعة لعالم معين، حيث يتجمع الطلاب في بيت شيخهم أو معلمهم أو في بيت واحد منهم يتلقون ما يروي فضولهم من علم ومعرفة. كما أن المهن جميعها كان يتم تلقيها والتدريب عليها دائمًا في مقر تواجد شيخها أو معلمها، وما زال التعليم والتدريب المهني التقليدي في العالم الإسلامي يتم اليوم في دكان أو ورشة أو معمل شيخ أو معلم المهنة، إذ يدرب هذا الأخير من يأنس فيهم القدرة على التفوق في (الصنعة).

كلمة أخيرة، إن النظام التربوي الذي أبدعه الإسلام كان وما يزال في المجتمع الإسلامي كالأوردة والشرايين تأتي من مختلف الأماكن وتمكن دماء المعرفة من السريان في جسد الأمة لبعث الشباب والحيوية فيه باستمرار.

د. تماضر حسون

العلم للجميع

د. عبد الحكيم بدران

ازدهرت العلوم في العالم ككل وتقدمت تقدمًا لم يكن أحد يتوقعه في العقود الأولى من هذا القرن، لقد بدأت ملامح التقدم العلمي في أعقاب الثورة الصناعية، ولكن خطواته الأولى كانت بطيئة وما لبث أن تسارعت وتيرته، وكان لاندلاع الحروب في أوروبا أثره الكبير في دفع التقدم العلمي والتقني، ففي الأعوام ١٩٢٠ ـ ١٩٣٠م أي بعد الحرب العالمية الأولى التي كانت تعرف بحرب الكيميائيين ظهر أن أبحاث العلوم كان من الممكن أن تحدث تأثيرا متزايدا في أعمال الحرب، وجاءت أكبر دفعة للعلوم مع اندلاع الحرب العالمية الثانية، حيث توجت الأبحاث في المجالات العسكرية بنجاح انجلترا في استخدام الرادار، وتمكنت الولايات المتحدة من تفجير القنبلة الذرية.

ومهما كانت أسباب التقدم العلمي أو طبيعة بدايته، فالحصيلة النهائية، أن العلوم قدمت مجموعة هائلة من الإنجازات العظيمة، جعلتها تؤدي في وقتنا الحاضر دورا أساسيا في كل جانب من جوانب حياتنا.

الإنجازات العلمية

لقد كانت واحدة من أعظم قصص النجاح في العقدين أو الثلاثة الماضية هي إسهام العلوم في التنمية الزراعية، التي تتمثل في قصة الثورة الخضراء، **لقد استطاعت المواد الكيمياوية المخصبة ومضادات الآفات الكيماوية، وتحسين السلالات أن توفر الطعام لملايين الأفواه**، بعد أن ظن أصحاب النظرة التشاؤمية أن العالم في طريقه إلى مجاعة لا محالة.

ولقد قدم العلم إنجازاته التي لا تحصى في المجال الطبي، بدءا من اكتشاف المضادات الحيوية، وعلى رأسها البنسلين، التي أنقذت ـ وما تزال ـ حياة الملايين من الموت، إلى صناعة الأدوية المتطورة، وتجارب نقل الأعضاء، والاقتراب من الكشف عن أسباب السرطان وطرق القضاء عليه، وإدخال السعادة إلى قلوب مئات بل آلاف من النساء باكتشاف التخصيب خارج الرحم.

وما حدث في مجالي المواصلات والاتصالات فاق كل تصور، **وكان لتطور الميكرو الكترونيات تأثيراته المباشرة في تقدم وسائل الاتصال والحاسبات الآلية**، مما مهد لأبحاث غزو الفضاء، التي تحقق من خلالها نزول الإنسان على سطح القمر واتساع إدراكنا لحجم الكون من حولنا.

لقد دعمت هذه الإنجازات العلمية والتقنية حياة الإنسان على الأرض، وأصبحت العلوم وتطبيقاتها في طورها المتقدم من أبرز سمات المجتمعات الحديثة بل وأهمها مما جعل الإلمام ببعض أطرافها ضرورة ملحة لفهم وتحديد القيم الإنسانية والمشكلات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية في عصرنا الحالي.

وأصبحت العلوم الطبيعية الأساس الذي يرتكز عليه تطوير القدرة الإنتاجية، ويظهر ارتباط العلم بالتنمية أكثر وضوحا في البلاد الصناعية،

حيث تنمو الصناعات معتمدة ـ بعد الله ـ على التقنية المتقدمة التي ترتكز بدورها على البحث والتطوير.

ضرورة فهم العلم

ولا ينكر أحد في البلاد النامية أن العلوم هي أيضا النشاط الفعال لبناء أطر تنميتها الحديثة، إلا أن تفسير العلم والتقنية لجمهور المواطنين يواجه صعوبات كبيرة، وبالتالي يصعب على مواطني تلك البلدان استيعاب العلوم والتقنية، وتظل هذه البلاد تستورد التقنية طبقا لشروط معينة تفرضها الظروف الدولية، والإمكانات المحلية، المادية والبشرية، أما العلوم فيمكنها أن تمر عبر الحدود آتية من البلاد المتقدمة في الكتب والمجلات ووسائل نقل المعلومات الأخرى، بيد أن الطرف المستقبل يظل عاجزا على التعامل مع العلوم والإفادة منها، ومن ثم تذوي ولا تزدهر في المجتمعات النامية، وباختصار لا تضرب العلوم والتقنية بجذورها في البلاد النامية ما دام السواد الأعظم من المواطنين لا يستوعبون ما العلوم، وما التقنية ؟ ولا يدركون أبعاد الدور الذي يؤديانه في المجتمع.

ومما يدعو إلى ضرورة فهم المواطنين للعلوم والتقنية هو أن التنمية الاقتصادية تعتمد على العلم، وعلى إعداد القوى العلمية والتقنية المدربة تدريبا عاليا، وهذا يستوجب وجود مناخ علمي تزدهر فيه المعرفة العلمية والتقنية، ويتطلب ذلك توعية الجماهير بدور العلم، وعلاقته بالمشكلات الاجتماعية.

والدولة التي لا تملك عددا كبيرا من العمالة المدربة فنيا وتقنيا لا تستطيع أن تجد لها مكانا بين الأمم التي تمسك بنواصي التقدم العلمي والتقني. فالمعرفة التقنية والعلمية تسهم في زيادة الإنتاج بحوالي ٩٠٪، بينما يرجع إلى الزيادة في رأسمال ارتفاع الإنتاج ما لا يزيد على ١٠٪ تقريبا، وتعرف الدول المتقدمة جيدا هذه الآليات وأهميتها في حين تعجز الدول النامية عن استيعاب ذلك.

وتتطلب الوظائف الجديدة التي تصمم لتلبية حاجات التقنية المتقدمة والتي تتوافر لهؤلاء الذين يريدون أن يدخلوا في دائرة القوى العامة المنتجة مستويات عالية من المهارات والتعليم أكثر من أيّ وقت مضى، وتقلّ فرص أولئك الذين تركوا الجامعة قبل أن يكملوا تعليمهم لشغل هذه الوظائف، وبالتالي فهم في حاجة إلى برامج تدريب تؤهلهم للمنافسة في الحصول على إحدى الوظائف المتقدمة.

وفي البلاد النامية توجد نسبة كبيرة من السكان غير ملتحقين بالمدارس، بل حتى هؤلاء الذين يلتحقون بالمدارس قد لا يتاح لهم سوى أقل قدر من التحصيل في مجالات العلوم والتقنية في الصفوف الابتدائية، ومن ثم لا تتوافر لهم أية فرصة حقيقية لتعلم أي قدر منها أو لممارستها، وبناء عليه فإن الأفراد الذين يمكن أن ينتفعوا بتعليم العلوم والتقنية خارج المدرسة جمهور ضخم يشمل الأعداد الكبيرة من الذين هم في سن المدرسة، ولم يتلقوا أي تعليم نظامي، كما يشمل هؤلاء الذين تركوا المدرسة في سن مبكرة ولم تتح لهم فرصة التحصيل الكافي في المجالات العلمية والتقنية.

وتقر العشيرة العلمية أنها في أشد الحاجة لدعم المواطنين للعلم، ولا يمكن أن تنال ذلك الدعم المطلوب ما لم يعرف المواطنون ماهية العلوم ووظيفتها، وقيمة البحث العلمي في خدمة التنمية، وما يقوم به العلماء لخدمة الوطن والمواطنين، ولهذا يجب أن يكون لديهم مستوى أدنى من المعرفة بطبيعة الممارسة العلمية، وبالذات دور العلماء والباحثين، ومن دون هذا الوعي بطبيعة العلوم ودورها سوف يجد العلماء صعوبة في الحصول على الدعم المالي والتأييد المعنوي لما يقومون به من أبحاث.

وعلى الرغم من حاجة العلماء لدعم المواطنين لأعمالهم، ومساندتهم لها، فإن هؤلاء قد تعودوا أن يعملوا في عالم خاص بهم، ويتكلموا فيه بلغة لا يفهمها غيرهم، وهذا أمر طبيعي، فالعلم ينمو ويتعقد مع الوقت، وتتزايد سيطرته على حياتنا اليومية، ويصعب بذلك فهمه على الناس العاديين، لقد انزلق العاملون بالعلم دون وعي في مجالات تقتضيهم أن يبدعوا لغة جديدة تعبر عما اكتشفوه من أشياء وعلاقات جديدة، ولم يكلفوا أنفسهم عناء ترجمة الأجزاء المهمة من أعمالهم إلى اللغة المتداولة، وقد اكتسب العلم بالفعل كثيرا من خواص المهن الانطوائية.

مسؤولية العلماء في توعية الجماهير

ويواجه العلماء بدرجة متزايدة السؤال عن القيم التي تحكم المجتمع ومكانة العلم فيه، وعن الثقافة التي يتخللها العلم دون أي حواجز، ومسؤوليتهم، والقوانين الأخلاقية التي تحكم تصرفاتهم.

كان العلماء في أسلوبهم التقليدي لا يعيرون النتائج السلبية المتولدة عما يجري في مختبراتهم أي انتباه، **وأما اليوم بعد أن ظهرت النتائج التي أضرت بالمجتمعات نتيجة التطبيق الخاطئ للعلم شعر العلماء بواجبهم نحو ترشيد الأبحاث وتوجيهها لخدمة المجتمع**، فالنتائج السيئة التي أسفرت عن تلوث البيئة، والاستخدام غير المنضبط لمفاعلات الطاقة النووية، واحتمالات الخطر التي قد تنتج عن أبحاث الهندسة الوراثية والتقنية الحيوية، جعلت العلماء، وهم أدرى الناس بالنتائج التي يمكن أن تترتب على الممارسات العلمية، يسارعون إلى تنبيه الرأي العام إلى هذه الأخطار.

وإذا كانت مسؤولية العلماء في البلاد المتقدمة تبدو كأنها تنوير الرأي العام بالأخطار التي تنجم عن الجوانب السلبية لتطبيقات العلوم، فإن مسؤولية العلماء في البلاد المتخلفة أكبر بكثير، فهم يتحملون مسؤولية تغيير المجتمع ونقله من حالة التخلف التي يعيشها إلى مستوى المجتمعات المتقدمة. واليوم نجد أنفسنا مضطرين إلى طرح السؤال «**على من تقع مسؤولية العمل على تنمية المجتمع ؟**» وخاصة في مجال تطوير العلوم والتقنية، إنها حتما ليست مسؤولية العلماء وحدهم، بل إن عملية التنمية لا تحتاج إلى فئة من العلماء تعيش في عالمها الخاص بها فقط دون أي تفاعل بينها وبين العامة، فإن نجاح عملية التنمية لا يتم إلا إذا كانت المعرفة العلمية والتقنية إحدى الخيوط الأساسية التي تنسج الثقافة القومية.

وربما اكتسب العلم في أثناء مراحل تطوره عداء بعض الفئات بخصوص

العلم للجميع

أحداث معينة، كما شك فيه البعض بخصوص أحداث أخرى، وقد يكون هذا حدث في عصور الظلام، والعصور الوسطى وفي العصر الحديث أيضا، ولكن العلم، وبالرغم من كل جوانبه السلبية قد حقق الكثير من أجل الإنسانية. واليوم يجب أن تبدو صورة العلم مشرقة خالصة من أية شوائب تشوهها في نظر المواطنين، فهو في النهاية في مصلحتهم.

مشاركة الجماهير في السياسة العلمية

وفي المجتمعات الحديثة التي يتم فيها التخطيط على أساس جماعي أكثر منه فرديًا فإن مشكلة الربط بين النشاط العلمي وما يثيره من المتطلبات الاجتماعية والاقتصادية، تقتضي وجود نظام للرقابة والتحكم في الحياة الاقتصادية للبلاد، أكثر مما هو موجود فعلا، تدعو إلى مشاركة المواطنين بالرأي، ويسمح لهم من خلاله مناقشة الأمور التي تمس حاجاتهم مباشرة، ولن يكون المواطنون على مستوى من الوعي يسمح لهم بمناقشة السياسات العلمية والقضايا التي يؤدي فيها العلم دورا أساسيا ما لم يكن لديهم الثقافة العلمية التي تجعلهم في وضع المستوعب للأحداث العلمية والتقنية التي تتلاحق بسرعة في هذا العصر.

وكان إطلاق القمر الصناعي سبوتنيك عام ١٩٥٧م من أهم الأحداث العلمية التي هزت كيان المجتمع الأمريكي، ففي ذلك الوقت العصيب مرّ المجتمع الأمريكي بأزمة طاحنة وعبّرت الجهات المختلفة عن عدم الرضى عن مناهج العلوم والرياضيات، وعبّر العلماء أنفسهم وحتى خريجو الجامعات، ورجال الصناعة والحكومة والمؤسسات عن سخطهم، وعلل هؤلاء عدم رضاهم بأن الخريجين ربما يكونون متدربين جيدا، ولكن تعوزهم الثقافة العامة، ودعوا إلى تكوين طالب متمرس فنيا، وفي الوقت نفسه على إدراك واسع بإرث الأمة الثقافي ودورها الحاضر في صناعة التقدم التقني.

وبحث هؤلاء الذين اعترفوا بوجود المشكلة على صياغة قدرات جديدة تعمل على تضييق الفجوة بين مستوى الخريجين ومتطلبات الحياة، ويرى البعض إعداد مناهج تعطى لجميع الطلبة تجعلهم يعرفون طبيعة العلوم ودورها. يقول **فيليب كوربلييه** «تحتاج أمريكا إلى العلوم والهندسة ضمن أشياء أخرى، فهي تحتاج أن تحافظ على مكانتها في قيادة العلم، والمنطق بسيط هنا، فإن ازدهار الاقتصاد يعتمد على التفوق العلمي الذي يعتمد على دعم المواطنين الذي يتوقف بدوره على فهمهم للعلوم».

وتواجه كل المجتمعات سواء أكانت متقدمة أو نامية التحدي الذي يمثله عدم التفاهم بين عالم العلم والتقنية من جهة، والناس عامة من جهة أخرى، ولكي نؤكد التكامل الآلي بين إنجازات التقنية الحديثة وواقع الثقافة الأساسي، يواجه المتخصصون في العلوم الاجتماعية والإنسانية مهمة صعبة في إيجاد التفاعل والتقارب بين التقنية والعلوم والثقافة، ويقع ذلك على عاتق المنظمة التعليمية المهمة نفسها، وهي تضييق الفجوة بين الثقافتين ورفع مستوى المعرفة العلمية والتقنية في التعليم العام، ولكن ما يبدو أكثر أهمية ما يقع خارج النشاط التعليمي في المدارس والمعاهد الفنية والمهنية والجامعات، ويتمثل في تكوين الرأي العام وتوعيته، ويدعو ذلك إلى تهيئة الفرص للمجتمع ككل ليبقى على اتصال دائم بالتقدم العالمي في المعرفة الفنية والمعدات، وإزاحة الشعور بالقلق وعدم الثقة، وخاصة عدم الفهم الذي يولدها، وتعرّف مدى المعرفة الجديدة وحدودها، ويحقق ذلك المهام التي تتضمنها أنشطة تبسيط العلوم والتقنية والتي يمكن أن تتم من خلال الوسائل المختلفة، وتظهر الدعوة الآن إلى أعمال كثيرة، وطرق ووسائل تستخدم من أجل نشر الثقافة العلمية.

الدعوة لفهم العلم

أثار برنال الدعوة لحاجة المواطنين لفهم العلوم في عام ١٩٣٩م حينما ألف كتابه «**الوظائف الاجتماعية للعلوم**» الذي قال فيه «ليس هناك فائدة من تحسين المعرفة التي يملكها العلماء وعن أعمال بعضهم البعض ما لم نر في الوقت نفسه أن فهم العلوم الحقيقي يكون جزءًا من الحياة العامة في عصرنا هذا».

والعلوم تقصد هنا بمعناها الواسع الذي يضم الرياضيات والتقنية والهندسة، وكل ما له علاقة بالعلوم بمعناها الضيق. كما نقصد بالفهم العام للعلوم، أن يفهمها الناس على جميع المستويات وبالطرق المختلفة، يفهمها كل فرد تبعا لموقفه الشخصي والمهني، ولا يقتصر الفهم على الحقائق العلمية، بل يجب أن يمتد ليشمل طرق العلم ومداخلها وحدودها.

وقد ظهر مفهوم الثقافة العلمية، أيضا في الثلاثينيات حينما افترض **جون ديوي** موقفا نظريا لما يراه عن مكانة العلوم في تعليم المواطنين خارج الفصول والمختبرات ويقول **ديوي** «لا يمكن تحقيق مسؤولية العلوم بالطرق التي تهتم بصفة رئيسة بالتردد الذاتي للعلوم المتخصصة والتي تهمل التأثير في أعداد كبيرة دون أن يتبينوا في تركيبهم العقلي الخاص بتلك الاتجاهات لسعة الأفق والتكامل الفكري أو الملاحظة والاهتمام باختيار آرائهم ومعتقداتهم وهي سمات اتجاهاتهم العلمية».

ويمر الآن أكثر من عشرين عاما منذ أثار «**سنو**» موضوع «**الثقافتين**» على المستوى الأكاديمي العالمي، وهو يعني بذلك الفجوة بين العلميين وهؤلاء الذين لم ينالوا حظهم من الثقافة العلمية، ويلام في ذلك العلميون، فهم لما يحاولوا أن يمدوا إلى الآخرين يد العون في تحسس الطرق إلى فهم العلوم ودورها في المجتمع كما أن العلوم نفسها لا تشجع ـ بما تحتوي عليه من مصطلحات ورموز ـ الطلبة لكي ينغمسوا في دراستها.

ويقول **سنو** «إنه لمن الخطر أن يكون ثقافتان لا يمكنهما الاتصال فيما بينهما، وفي الوقت الذي تقرر فيه العلوم الجزء الأكبر من مصيرنا، وسواء عشنا أم متنا فإن الأمر خطير من الناحية العملية أن يعطي العلماء النصيحة غير طيبة، بينما صانعو القرار لا يستطيعون أن يعرفوا إن كانت جيدة أم لا ؟ !».

وتتفق **مارجريت ميد** مع سنو وهي تقول «نحن في طريقنا لنعرف جيدا أننا يجب أن نبني ثقافة في داخلها أفكار وافتراضات متشابكة نتقاسمها بدرجة كبيرة وكافية حتى يستطيع المتخصصون في مجال ما أن يتكلموا مع المتخصصين في المجالات الأخرى، كما يستطيع الرجل العادي أن يلقي بأسئلة على المتخصصين، ويمكن لأقل المتعلمين مستوى أن يشارك في الاختيار السياسي حيث يمكن أن يدلي برأيه في عملية اتخاذ القرارات التي تتصل بالضرورة بالعمليات الفلسفية مهما كانت معقدة وجديدة» وتعني مارجريت هنا بالسياسة والفلسفة سياسة العلم وفلسفته.

وتدل الشواهد على أن الفجوة بين المثقفين، وهؤلاء الأميين تتسع في الآونة الأخيرة، وذلك بالطبع نتيجة حتمية للتقدم الهائل في الإنجازات العلمية والتقنية، وللتزايد المستمر في تعقد العلوم والتقنية، وفي الماضي لم يكن الفارق بين الفئتين بالقدر نفسه من الاتساع، فلم تكن المعلومات العلمية بهذه الصورة التي يعجز الكثيرون عن فهمها وإدراك تأثيراتها في المجتمع.

وقد ترجع هذه الأمية العلمية إلى نظام التعليم العام، ففي الوقت الذي أصبحت فيه التطورات التقنية والعلمية الحديثة لها تأثيرات في صياغة المجتمع، وأصبحت فيه المعرفة بهذه المجالات متطلبا أساسيا لحل المشكلات الرئيسة التي تواجهنا، فإن معظم الطلبة لا يعلمون الكثير عن هذه الأمور، وأصبح هذا القصور في تكوين الطالب علميا هاجسا يؤرق المسؤولين في البلاد المتقدمة وهم ينظرون إلى المستقبل.

تبسيط العلوم

ويتم نشر الثقافة العلمية من خلال تبسيط العلوم، وهي مهمة يمكن أن يطلق عليها «التوعية العلمية»، **وكان لتبسيط العلوم في الماضي هدفان أساسيان:**

أولهما: هدف ذهني لإتاحة الفرصة للذين لم يحصلوا على تعليم علمي متقدم حتى يشاركوا فيما ينجزه البحث العلمي من أهداف العلم الكبرى، وليفهموا الطريقة العلمية عند البحث عن حقائق الطبيعة، وليكتسبوا الإحساس بجمال التعبيرات النظرية للعلم الحديث.

أما **الهدف الثاني**: فكان علميا ليمد المهنيين بالمعلومات التي يمكن أن يستعملوها في عملهم، وليساعدهم على فهم معاني التطورات العلمية الجديدة التي تدخل في اختصاصهم فور وقوعها، فيشرح الطبيب مثلا عن طريق التبسيط العلمي الحقائق الجديدة التي يكتشفها علماء الأحياء، ويشرح المهندس ما يصل إليه علماء الفيزياء في خواص المادة.

وهناك **هدف ثالث** ظهر حديثا لتبسيط العلوم بعد أن بدأ العلم يمسك بزمام مستقبل الإنسانية كلها، حيث أعطى لدول معينة، وخاصة تلك التي يطلقون عليها اسم «القوى الكبرى» مقدرة هائلة على التدمير، كما قدم العلم للجنس البشري وسائل الحصول على قدرات إنتاجية تتزايد باستمرار.

وفي ضوء هذا الدور الخطير للعلم أصبح تبسيطه ونشره بين الجماهير وظيفة جديدة، هي مساعدة الأمم على قبول التحديات التي ستواجهها في المستقبل، وذلك من أجل بقاء الجنس البشري على الأرض، ثم لتفهم ما يستطيع العلم أن يفعله لوضع حد للجوع والفقر وكثير من الأمراض المنتشرة اليوم. وما كان في الماضي حلما يمكن أن يتحول في عصر العلوم إلى حقيقة واقعة، ومن الأمور الحيوية أن تحصل الإنسانية على إدراكٍ كافٍ لإمكانات العلم المدمرة والبناءة على السواء، وهذا وحده هو الذي يستطيع أن يوفق بين التكوينات الاجتماعية التي ترتبط بظروف المعيشة الجديدة، والظروف الجديدة للوجود الإنساني، وهي الظروف التي لا يتوقف العلم عن تغييرها يوما بعد يوم.

وتولي معظم الدول سواء كانت متقدمة أو نامية لبرامج التوعية العلمية اهتماما كبيرًا، **وفي إنجلترا** على سبيل المثال، وضعت الجمعية الملكية المهتمة بنشر الوعي العلمي بين المواطنين الأهداف التالية:

- رضى الفرد العادي النفسي ورفاهيته.
- مشاركة الفرد في مجتمع ديمقراطي.
- تدريب العمال المهرة وأنصاف المهرة، حيث تتضمن أعمالهم اليومية بعض المجالات العلمية.
- مساعدة العمالة في الإدارة الوسطى وفي الاتحادات المهنية والتجارية على اتخاذ القرار في بيئة علمية.
- مساعدة متخذي القرارات الرئيسة في المجتمع وخاصة في الصناعات والحكومة، مع العلم أن معظم القضايا لها جوانبها العلمية.

وفي فرنسا أكدت القوانين التي تنظم البحث العلمي اعتبارَ العلوم والتقنية مجالاً ثقافيا، وتضمن قانون ترشيد البحث العلمي وبرمجته بث المعرفة العلمية وإعلاء قيمتها بوصفها جزءًا من رسالة الباحث الأساسية، كما أخذ قانون التعليم العالي بالفكرة نفسها، وبنى على المنوال نفسه برامج محفزة، وجعلها «المجلس المشترك بين الوزارات» محورا أساسا من محاور السياسة العلمية.

لقد اكتسب هدف تعليم العلوم المناسب للجميع أهمية كبرى، وأصبحت معظم البلاد تعتقد في أن تعليم العلوم لا يجب أن يوجه فقط لهؤلاء الذين سوف يواصلون دراستهم في العلوم، فإن التنمية لا تحتاج فقط إلى اختصاصيين علميين وتقنيين، بل تحتاج لصيانتها وفهم علاقتها بالتقدم العلمي والتقني ويجب أن تدعم العلوم والتقنية على جميع المستويات، وأن تنال اهتمام المسؤولين في جميع المؤسسات العامة والمدارس والجامعات والمصانع، والمؤسسات العلمية والروابط والجمعيات، ووسائل الإعلام، كما لا بد أن يفهم المواطن العادي دور العلم في تنمية شخصيته.

العلوم للجميع

وفي الولايات المتحدة الأمريكية بدأ الاتحاد الأمريكي لتقدم العلوم مشروع «العلم للجميع» عام ١٩٨٥م وكان هدفه الرئيس هو التوعية العلمية، وركزت مرحلته الأولى على تعريف مادة الثقافة العلمية، ولقد استغرق العمل في المشروع أكثر من ثلاث سنوات، وترى أمريكا التفوق في العلوم عاملاً مهما من عوامل الصراع الإيديولوجي، وهي تريد بإصرارها على التفوق أن تثبت للعالم بأجمعه على أن نظامها السياسي هو الذي يمنحها القوة العلمية والتقنية، وذلك

العلم للجميع

في مقابل إخفاق النظام الشيوعي السلطوي في إحراز التفوق العلمي، وهي إذن تقدم نفسها رائدةً في مجال العلوم والتقنية، وتؤكد العلاقة بين الاقتصاد والأيديولوجية، ويتماشى ذلك فعلا مع ما أظهرته الأحداث الأخيرة التي وقعت على مسرح الأحداث العالمية.

وقد تكون المجتمعات الصناعية مضطرة لتطوير تعليم العلوم والرياضيات، ولكن المهم أن نتخيل أيضا أنه من الصعب أن يبقى الفرد في العالم الحديث من دون معرفة بعض الشيء عن العلوم والرياضيات، لقد انشغل العلماء على مدى القرون القليلة الماضية في أكبر مغامرة إنسانية لها عمقها، فلقد زادوا من معرفتنا بأنفسنا وعالمنا، وغيروا نظرتنا لأنفسنا وللعالم الذي يحيط بنا، ويمثل جهلنا الآن بتركيب الذرة، والنظريات الأخرى الحديثة وكيف يكون العالم، عائقا فكريا في المجتمع الحديث.

لقد أدرك **فرانسيس بيكون** منذ أكثر من ٣٠٠ سنة أنَّ **«المعرفة هي القوة»** وذلك أميل إلى الحقيقة اليوم منها في عصر بيكون، لقد أصبح العلم مصدرا للقوة العسكرية والصناعية، وزادت الأموال المستثمرة في العلوم. وحينما تتعقد العلوم والصناعة يعجز الفرد عن المشاركة في اتخاذ القرار في أي شأن من شؤون المجتمع ما دام لا يفهم العلاقة بين العلوم والقضايا ذات العلاقة، ولا يستطيع المواطن العادي أن يجادل العلماء في أولويات البحث العلمي، وهو غير قادر على فهم التجربة وفوائدها للمشروعات العلمية ومخاطرها.

والتعليم الذي يتضمن العلوم تعليم سيىء، فهو يهمل علاقات العلوم بحاجات الفرد والمجتمع وبالاعتبارات الاقتصادية والسياسية، ولا تتعلق القضية هنا بمعرفة تركيب الذرة ولكنها ترتبط بحقيقة أننا نعيش في عالم تسود فيه العلوم والتقنية، ولا يمكن للناس أن يعيشوا في هذا العالم ما لم يكن لديهم الاستعداد لفهم المشروع العلمي والتقني، ويمكنهم أن يفكروا نوعا وكما.

والثقافة العلمية ليست المعرفة المطبوعة في الكتب، بل هي القدرة على تحليل المواقف والمشكلات تحليلا منطقيا واستخدام التقنية المتاحة أو الجديدة بطريقة فعالة، وهي تتضمن أيضا القدرة على صياغة سلسلة من الأعمال مع الأخذ في الحسبان المعلومات المتاحة للوصول إلى نتائج ممكنة.

والشخص المثقف علميا ليس ذلك الفرد الذي يقرأ عن الثقوب السوداء، والانفجار الكبير وهو في الوقت نفسه لا يدرك حجم الذرة، وبقاء الطاقة، أو مدار القمر، وإن قراءة أي مقال علمي دون الربط المناسب بين محتوى المقال والمواقف اليومية لا يطور الثقافة العلمية.

دور وسائل الإعلام

لقد تقبلت العديد من المنظمات الدولية فكرة مساعدة الجمهور على فهم العلوم والتقنية من خلال وسائل الإعلام، من بينها اليونسكو والمجلس الدولي للاتحادات العلمية ومركز بحوث التنمية الدولية بكندا، وكانت النتيجة عقد سلسلة من الحلقات الدراسية خلال سنوات، أولاً في آسيا، وحديثا جدا في أفريقيا خططت لجمع العلماء والباحثين والصحفيين لحث رجال الصحافة على الكتابة عن البحوث العلمية والتقنية.

وتفيد خبرة الدول المتقدمة في الإجابة عن سؤال: **هل من الأفضل تدريب عالم ليصبح كاتبا أم تدريب كاتب ليكون عالما ؟** بأن أيًا من الاتجاهين لا يفيد جيدا عند التطبيق، وتبدو أفضل النتائج حينما يشارك الصحفي المهتم بالعلم العالم الذي يرغب في تقديم خدمة لتبسيط العلوم في عمل مشترك.

وأظهرت المشاهدات في الدول المتقدمة أن العلماء لا يهتمون كثيرا بعرض لغتهم العلمية بطريقة يفهمها المواطنون العاديون، وهم يمتعضون من ضياع وقتهم في كتابة نتائجهم حتى للنشر في مجلاتهم المتخصصة، وعادة ما يكره العلماء الكتابة ولم يسبق تدريبهم عليها، وحتى إذا أتيح لهم فرصة ذلك فإنه لا يمكنهم أن يتعلموا ذلك جيدا، ولا بد من إيجاد وسيط بين العالم والرجل العادي.

ويواجه تفسير العلم للجماهير في البلاد النامية صعوبات أكبر، خاصة في بلاد تتكون من مناطق ريفية أو بدوية شاسعة وتواجه نسبة أمية عالية أو فرصا للاتصال بالعلم والتقنية قليلة، وترجع المصاعب الرئيسة للاتصال العلمي في دول العالم الثالث لبنية التعليم الضعيفة، والبحوث ونظم التطوير الفقيرة، ونقص تقدير العلم كجزء أساسي في الثقافة العامة.

ولقد أصبح توفير المعلومات الأساسية الحديثة عن العلم والتقدم العلمي والتقني واحدا من أكبر التحديات الإعلامية للسنوات الأخيرة من القرن العشرين، ومع ذلك فهو تحدّ يمكن مقابلته. وفي العقدين الماضيين حولت البلدان النامية والمتقدمة جل طاقتها لتعزيز سبل الاتصال بمواطنيها.

وتقوم معظم الدول بحملة من أجل التوعية العلمية، ولكن هذه الحملة في الدول النامية ما زالت تركز على بعض الفروع التي تتصل بطريقة أو بأخرى بالعلم، كالتوعية الصحية أو الإرشاد الزراعي، وهي لم تهمل تحدي نشر المعرفة العلمية، ووضعها في متناول الجميع لتصبح جزءا من الثقافة العامة غير أنها إن أرادت أن تفعل فلا تستطيع وهي تعتمد في معظم الأحيان على المادة المستوردة المصنفة في البلاد الأجنبية.

ويتطلب هذا التحدي لنشر المعرفة العلمية قيام تعاون إعلامي ضخم يضم كافة قطاعات المجتمع، فيشمل العلميين في المجتمعات المحلية والمتطوعين والصحافيين والمذيعين والمحررين ومحترفي الإعلام الآخرين، إلى جانب المدربين والمعلمين ورؤساء الجمعيات العلمية والموظفين المتخصصين في

علوم الدين، وقادة المجتمعات المحلية والفنانين، والفرق الترفيهية والرياضية والناشرين وخبراء الإعلان ورؤساء الهيئات النسائية والشبابية، وموظفي التنمية الاجتماعية، وجميع مسؤولي الإدارة الحكومية والمحلية والوطنية ورؤساء الدول والحكومات والقادة السياسيين.

ولا يعرف هذا التعاون حدودا يقف عندها، سواء أكانت هذه الحدود مهنية أو سياسية أو دينية أو قومية؛ لأن هدفه الذي يسعى إلى تحقيقه هو تعبئة المجتمع من أجل العلم بهدف تحقيق مبدأ «العلم للجميع».

وضع الإعــلام العلمي في الــدول العــربيــة

ويؤكد «**المؤتمر العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم**» المنعقد في أيلول/ ديسمبر من عام ١٩٨٥م في التوصيات والمقترحات التي أقرها على ضرورة احترام حق الاتصال في البلدان العربية والتأكيد عليه واعتباره حقا أساسا من حقوق الفرد والجماعة، وإيجاد الظروف المناسبة والمناخ الملائم لممارسته، كما يوصي المؤتمر نفسه في مجال العلوم «دعوة وسائل الإعلام إلى تبسيطها وعرضها لتكون مفهومة من أوسع الجماهير وأن تهتم بنشر آخر الاكتشافات العلمية والتطور العلمي وآفاقه المقبلة».

ومع ذلك لم ينل موضوع الإعلام العلمي اهتمام الكتّاب العرب حتى الآن، وذلك لا ينفي اضطلاع بعض المؤلفين بالكتابة في الموضوعات العلمية، إلا أن الإعلام العلمي كقضية عامة ومهمة لم ينظر إليه بنظرة شمولية تجعل الكليات العلمية بل والنظرية تسعى إلى تناول الدراسات الأساسية لهذا المجال، والتي تعد الركيزة الأولى لبناء مقرر أو أكثر للمادة في كليات الجامعة النظرية أو العلمية.

وعلى هؤلاء المهتمين بالعلم والتقدم العلمي والذين يسعون حقا لإيجاد المناخ العلمي في المجتمع، أن يأخذوا في اعتبارهم الحاجة لإعداد من يقوم بمهمة الإعلام العلمي، ويمكن أن نطلق على هؤلاء «**الإعلاميين العلميين**». ومهمة إعداد العلمي تتطلب تطبيق مبدأ تعدد الأنظمة، ففي ضوء هذا المدخل يجب أن نواجه قضية إعداده، ونتساءل أهو إعلامي تخرج في كلية الإعلام، أم هو علمي تخرج في إحدى الكليات العلمية؟ وما ثقافته؟ أتتناول هذه الثقافة جانب العلوم الدينية والتاريخ، وتتعرض لجوانب الدراسات الاجتماعية للعلوم، ومن أين يحصل الإعلامي العلمي المرتقب على هذه الخلفية الثقافية والتي لم يحصل عليها بالفعل في أثناء دراسته الجامعية، أليس الأمر يتطلب أن نعيد النظر في مناهج التعليم بغرض تطوير الثقافة العامة حتى يجمع الطلبة بين «الثقافتين» وهما في الحقيقة ثقافة واحدة، إحدى مكوناتها العلوم الطبيعية والأخرى العلوم الاجتماعية والإنسانية، وللأسف ما تزال الجامعات العربية أبعد ما تكون عن هذا الاتجاه متجاهلة تماما مبدأ تداخل الأنظمة، وهو المبدأ الذي ظهرت حقيقته المؤكدة من جراء الممارسات العلمية الفعلية في كثير من المجالات العلمية، وما الدراسات البيئية على سبيل المثال إلا أحد المجالات التي توضح بدون شك مدى التداخل بين فروع العلوم المختلفة.

ومن المحتمل ألا يكون التعليم هو المسؤول عن هذا الفصل بين العلوم الطبيعية الإنسانية، ولكنه يميل إلى تكريسه واستمراريته، فإن من يدرس العلوم الهندسية يفعل ذلك في معاهد متخصصة بعيدة كل البعد عن الدراسات الإنسانية، ويكاد أن يكون التفاعل بين الطلبة في هذه التخصصات، وبين أولئك الذين يدرسون الإنسانيات معدوما، ويكمن الخطر في أن طلبة العلوم والهندسة لن ينموا رؤية حساسة ومتوازنة تجاه المجتمع ككل، وأيضا لن ينموا قدراتهم على تقدير المداخل والمسؤوليات المتنوعة وفهمها.

وتظل كليات العلوم الاجتماعية والإنسانية تتجاهل المواد العلمية والتقنية، ولو أن بعضها الذي يطبق نظام المقررات يتيح الفرصة أمام الطلبة لاختيار بعض مقررات المواد العلمية، إلا أنها مقررات علمية بحتة كتلك التي تقدم لكليات العلوم أو الهندسة، ولكن ليس هذا هو المطلوب، بل يجب السعي إلى وضع مقرر أو أكثر للعلوم يناقش فلسفتها وتاريخها ودورها، وعلاقتها بقضايا المجتمع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، كما توضح أهمية اشتراك المواطن في اتخاذ القرار فيما يتصل بالسياسات العلمية، وفي الموضوعات التي يجب أن يناقشها ويدلي برأيه فيها.

وكان لزاما لتعويض النقص في تكوين خريجي الجامعات أن يفكر المهتمون بالثقافة العامة في كتابة موضوعات ترمي إلى إتاحة الفرصة أمام بعض العاملين في مجال الصحافة والإعلام، ومن يرغب من أساتذة الجامعات في النزول إلى ميدان التوعية العلمية لتنمية التفاعل بين العلوم والتقنية والمواطنين، وتأثير الأفكار الكبيرة في العلوم، في الثقافة، في مجتمع يتغير باستمرار.

وتحتاج القائمة الطويلة للموضوعات التي يمكن معالجتها في كتابتنا أن نضع في أذهاننا ونحن نكتب عنها بعض الأسئلة مثل: ما القانون العلمي؟ وما الممارسة العلمية؟ وإسهامات الإبداع، والأطر المرجعية والطرق التقليدية في التفكير.. الخ؟! وأخيرا كيف نقدم هذه المعالجة بطريقة سهلة للمواطنين؟!

المراجع

(١) العلم في التاريخ، ج. د. برنال، الجزء الأول، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت (١٩٨٢م).

(2) Snow, C.P., The Two Cultures and a Second Look, The New American Library, New York, (1963), P.90.

(3) Mead, M., The Future as the Basis for Established as a Shared Culture, Daedalus 94, (Winter 1969), P.136

(4) Corbellier, P.L., Education in Science Prequisite for National Survival, Daedalus No. 88 (1959) PP. 173-79.

(5) Olorundare, S.A., Scientific Literacy in Nigeria, The Role of Scient Education Programmes, Science Education, Vol. 10, (1988) PP. 151-58.

(6) Bernal J.D., The Social Function of Science, George Routledge and Sons, (1939)

(7) Science for All Americans, Project (2061) AAAS, (1989).

(٨) عبد الحكيم بدران، تشجيع البحث العلمي في التعليم العام والجامعي بدول الخليج، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض (١٩٩٠م).

عملية الاتصال والإنسان

سراج حسين فتحي

عملية الاتصال بين الإنسان وما حوله كانت ولا تزال من العناصر المهمة والضرورية في وجود الحياة واستمراريتها على وجه الأرض، ومنذ بدء حياة الإنسان عليها، بل إن هذا العنصر وجد أصلاً مع بداية تاريخ الإنسانية، أي منذ الأيام الأولى التي خلق الله فيها آدم عليه السلام؛ لأن هذا المخلوق وجد ليعيش ويعايش كائنات أخرى من حوله، وقد شرفه الله بأول خطوة في عمليات الاتصال ثم تبعتها عمليات اتصال مع الملائكة الأطهار، وهنا بدأت أول مرحلة للاتصال مع المخلوقات، وكانت أولى خطوات التعلم ﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾، فكان التعرف على الأشياء من حوله ومسمياتها لأنه ستكون للإنسان علاقة أو علاقات عديدة بها، بل إنه بهذه الخطوة المهمة تميز عن الملائكة الذين أكدوا عند اختبارهم أنه ﴿لا علم لنا إلا ما علمتنا﴾.

ثم توالت الخطوات في عمليات الاتصال بالملائكة، تعلم «آدم» كيف يُحيِّي الملائكة فكان «السلام عليكم» تحية آدم وذريته فيما بعد.

وبعد نزول آدم وحواء إلى الأرض بدأت عملية الاتصال تأخذ صوراً مختلفة وجديدة ومتجددة. ففي الأرض عوالم أخرى غير الملائكة.

هنا يحيط بالإنسان عالم متعدد الأوجه: نباتات، حيوانات، جمادات، هنا أخذت عمليات الاتصال تأخذ أبعادًا وأوجهًا كثيرة وأساليب عديدة، بل إنها «لعبت دورًا كبيرًا في نمو الفكر الإنساني وتقدم الحضارة الإنسانية»، ولذلك اتخذها كثير من العلماء والباحثين معيارًا عند المقارنة بين الحضارات والشعوب المختلفة، بحيث يقاس مدى رقيها بمقدار ما أحرزته من تقدم في هذا المجال.

ولما كان الإنسان مخلوقًا يتميز بالقدرة التطويرية البنائية، فإنه قد مر عبر تاريخه بمراحل وتطورات كثيرة حتى وصل إلى ما وصل إليه من حضارة واستثمار لخيرات الأرض؛ «ولو نظرنا إلى تاريخ الإنسانية لرأينا كيف استعان الإنسان منذ بدء الخليقة بأساليب متنوعة ووسائل كثيرة للتعامل في الحياة»، «ولم تكن الكلمة المنطوقة هي أسلوبه الوحيد في ذلك بل لجأ إلى الرموز والإشارات وجعل منها لغة التفاهم، كما استعان بالوسائل المحسوسة في التعامل وفي إتمام كثير من عمليات البيع والشراء».

ولا يزال الإنسان يواصل مسيرة تطوره وتطويره لأساليب الاتصال، وقد برزت في السنوات الأخيرة أحدث التقنيات وأسرعها حتى قيل عن العالم اليوم إنه أصبح «قرية اليكترونية». وللأقمار الصناعية الدور البارز في هذا المجال، وللكمبيوتر دوره الذي لا يضاهى.

بل أصبح بإمكاننا اليوم أن تحصل على نسخة كاملة من أي كتاب وأنت جالس في عقر دارك بواسطة جهاز الكمبيوتر، وهكذا تنطلق في جولة حول العالم وأنت لا تتحرك من بيتك.

وقد كان للتقدم المذهل في وسائل الاتصال بصورة عامة أثره الواضح جدًا في مجالات التربية والتعليم.

ظهر ذلك جليًا في كثير من المؤسسات التعليمية وخاصة في المجتمعات الآخذة بأساليب التطوير ومناهجه.

ولكن هل يعتبر تملك التقنية أو بعض مظاهرها دليل على التطور والنماء الحقيقي؟

ربما، وربما عكس ذلك؛ لأن الحضارة الحقيقية ليست «تجميعا» لأكوام من الأجهزة والأدوات دون أن يصاحب ذلك، أو بالأصح يسبق ذلك نضج في التفكير وتخطيط ناضج ووضوح في الأهداف وارتباط بالقيم الإنسانية. ولذلك لابد من توضيح مفهوم التقنية، التي تعرف بأنها طريقة في التفكير، فضلاً عن أنها منهج في العمل وأسلوب في حل المشكلات، يعتمد في ذلك على طريقة متكاملة مترابطة بين أجزاء متعددة، وهذا كله يسمى بأسلوب النظام الذي يساعد في تحقيق الأهداف المرجوة، وما الأجهزة والآلات والقائمون على تشغيلها وإدارتها إلا جزء من هذا النظام؛ ولعل هذه الرؤية الشاملة للقضية توضح لنا خطأ الفكرة السائدة لدى كثير من الناس أن التطور التكنولوجي هو فقط تجميع



«العالم: القرية» مفهوم ساد بفضل التقدم التقني الهائل في مجال الاتصال.

الأجهـزة والمعـدات وامتـلاكهـا، وهـذه النظـرة القـاصرة جعلت المجتمعـات «الناميـة» تعيش في حالـة ازدواجية في كل أمـورها، فـلا هي متقدمـة علميًا، امتلكت بعض مظاهـر التقنية، ولا هي بقيت على ما كانت عليـه من أساليب بسيطة في الحياة تعيش بها في راحة وأمان. وهـذا القصور في الأخذ بصورة جدية ومتكـاملة ونـاضجة بـالتقنيـة، جعل الاستفادة من وسـائل الاتصال استفـادة حقيقيـة ضربًا من الخيـال أو مغامـرة لا يتجرأ عليهـا أحد. ومن مظـاهر هـذا القصور في بلاد قد لا يجد الكثير من سكانه لقمة العيش بيسر وسهولـة، بل ربما يولـد ويموت كثير منهم ولـم يعـرف له مسكنًا سوى الأرصفـة وربما القبور؛ في مثل هذه الظروف تجد بعض تلك المجتمعات تبـذل قصارى جهدها للحصول على أعلى درجات التقنية لإنتاج الأسلحة النووية المدمرة، أو قد تجد بلادًا أخرى لا يزال كثير من سكانها ـ يجهلون القراءة والكتابة ومبادئ الحياة الكريمة ويحلم كثير منهم بلقمـة عيش هنيئة، تنتشر في هـذا البلـد أجهزة الفيـديو بل أجهـزة استقبال القنوات التليفزيونية الفضائية!

يقـول د. حسين الطوبجي في كتـابـه «وسائل الاتصـال والتكنـولوجيـا في التعليم»: «لـو أحسن استخدام هـذه الإمكـانات والاستفـادة منها لسـاهمت مساهمة فعالة في رفع مستوى تحصيل التلميذ وتحسين عملية التدريس ومعالجة كثير من مشكـلات التعليم». وهذا ليس مجرد أمنيـات أو أوهام، ولكنهـا نظرة مبنية على دراسات وبحوث أجريت في البلاد التي أخذت بالإطار الشامل لمفهوم التكنولوجيا ولـم تعتمد على الجزئيات والمظاهر فقط.

وهنـاك مجال واسع لـلاستشهـاد على التنـاقضـات المتـزايـدة الموجـودة في المجتمعات «النـامية»، ولكن لا مجال لذكرهـا لأننا نعرفهـا ونعيشها. وبعكس ذلك هنـاك أمثلة على نضج الـرؤيـة ووضـوح الهدف في المجتمعـات المتطـورة تكنولوجيًا. وأيضًا لا داعي للحديث عنها حتى لا يطول بنا الحديث.

وقبل الختام، نتمنى من مجتمعاتنا وجميع المؤسسات العاملة فيها أن تتضافر جهودها لوضع تصور واضح وتخطيـط سليم واعٍ لمقدار احتياجاتها الفعلية، بما يتناسب مع إمكاناتها المتوافرة فعلاً، للاستفادة من منتجات التقنية الحديثة، بل الإسهام الإيجابي في الوصول إلى الأفضل في هذا المجال.

من كتاب العدد



● سراج حسين فتحي

ـ بكـالـوريـوس في التـربيـة وعلـم النـفس ١٣٩٢/١٣٩٣هـ ـ من جـامعـة أم القرى بمكـة المكرمة.

ـ ماجستير تقنيـات التعليم ١٤٠٠هـ ـ من جامعـة جنوب كاليفورنيا.

ـ محاضر بكلية المعلمين بـالمدينة المنورة، قسم الوسائل التعليميـة منذ عام ١٤٠٠هـ.

ـ لـه مشاركـات أدبيـة ومحاولات قصصية في مجلـة المنهل وصحيفـة المدينة السعوديتين.

رموز ودلالات في قصص ضياء قصبجي

حسني سيد لبيب

يغلب على قصص ضياء قصبجي النزوع إلى الرمز، ذلك الرمز المحبب الذي يغريك بالقراءة، لما فيه من شفافية، وهي فارسة هذا المجال، ورغم أن أفكارها واضحة جلية، إلا أنها في كثير من الأحيان تغلف هذا الوضوح بوشاح رقيق من الرمز، قد تجده في عالم الطير والحيوان، أو في الطبيعة. وقد حدثتنا عن (وردة أرجوانية لم تقطف) (١)، والوردة هنا امرأة لا تحب ولا تكره، وفي خط مواز حدثتنا عن تلك التي رحلت مع غروب الشمس، ولا نعرف عن الراحلة شيئا، غير أننا نستشف الرمز الموحي لذات البطلة أو الوردة التي لم تقطف، فهي تواري ضحكتها ولا تظهر الفرح، فكانت النفس هي سر حياتها وتعاستها، إنها النفس أو الروح المغتربة. ووظف الرمز لتضمين القصة الكثير من الرؤى والأحاسيس المرهفة.

كما رمزت الكاتبة إلى تلك الخصومة بين الإنسان ونفسه في قصة (طير من طيور اللقلق)(٢)، بأن روح الشخص تقمصت جسد ميت! تعبيرا عن شخص متخاصم مع نفسه، أو تتصارع بداخله شخصيتان متخاصمتان. وهذه الحال، بديل موضوعي لحوار يكشف حيرة الشخصية وترددها. وبرغم أن الرمز هنا لم يضف جديدا، إلا أنه يكشف طرافة الصياغة، وإن لم يكسب القصة بعدا جماليا كان يمكن أن تصل إليه، لو لم تلجأ الكاتبة إلى شرح كل شيء وتفسيره. في هذه الحالة، يكون التحاور مع النفس أفضل وأقصر وأسهل نفاذا إلى نفس المتلقي.

ورغم ما في بعض قصصها من رمز يؤدي إلى الفكرة، فإن أدبها القصصي يعد أدب الفكرة الطليقة، دون اكتراث بتفاصيل حياتية. فالكاتبة لا تعرف المحطات ولا المنعرجات، وإنما هي تبغي الوصول إلى هدف منشود، ولو ركبت في سبيله طائرة أسرع من الصوت. في قصة (ذاك العبد المطيع)(٣)، يدلنا العنوان على الرمز. ونحن لا نعرف نوع العلاقة التي تربط الرجل بهذه المرأة، غير أننا نلمس وحدته المريرة لاقترابه من الخمسين ولم يتزوج. ولا نملك إلا وصف المرأة بالمعبود الذي أضاع الرجل عمره من أجلها. قد تكون النزوة، حيث عاش عبدا لنزواته، وفي النهاية يحطم المعبود، أو يتحرر من نزواته، بالقضاء على المرأة / الرمز، أو المعبود/ النزوة.

وقد يأتي الرمز تعويضا لنقص، كما في قصة (موت المسافة بين فكرتين) (٤)، عن امرأة تعاني من الوحدة، فتعوض هذا بتربية كلب، وتطبع أمها بأن تربي أيضا الطيور المغردة والأسماك والقطط، وتدور قصة (قدرة على التعرج والتلون) (٥) حول امرأتين إحداهما جميلة والأخرى مثقفة، والتضاد بينهما واضح جلي، فأعلت الكاتبة من قيمة الفكر، بأن هزمت المثقفة تلك المفتونة بجمالها. ويمكن أن نعتبر المرأتين وجهين لعملة واحدة، أو أن النفس يتصارع داخلها ضدان : الروح والجسد.

وقد يحقق الرمز بُعدًا جماليا، مثل ما جاء في قصة (المسير على حافة نهر قويق) (٦)، عن رجل فاشل، أحب ثم ملّ حبيبته!. ولما تزوجت غيره، سعى حثيثا لكسب ودها ففشل. أو هو السير في الاتجاه المعاكس، ثم الندم. والرمز هنا هو نهر (قويق)، الذي يحاكي نفسية الرجل. ونهر (قويق) بحلب، تجف مياهه، ولا يفيض إلا شهرا كل عام. والمداخلة بين الرجل والنهر، أعطت بعدا جماليا وحققت الهدف.

وتدور قصة (كرة تتقاذفها الأهواء) (٧)حول كرة مجنونة، تشخص كائنا يتحرك بلا ضابط، وضد اتجاه مقصد اللاعبين. تشخص الكرة لاعبا مشاكسا يحرز نصرا للفريق المغلوب على أمره. وفطن متفرج إلى أن جنيًّا سكن بالكرة ومشى بها على هواه، فتحركت في الاتجاه المعاكس!. والرمز غالب على القصة من أولها إلى آخرها. والكرة (الهوائية) هي النفس الشاردة، أو أن الكرة هذه تتحقق بها الرمية الناجحة من غير رام. وفي حياتنا أمور كثيرة تحدث على عكس ما نتمنى ونرغب. أو نكون صانعي أحداث أو مشاركين فيها، دون رغبة ذاتية فيها!.

وثمة قصة رمزية أخرى بعنوان (خيول عربية في مدينة راقية) (٨)، عن خيول عربية يقتفي أهل المدينة أثرها إلى خارج المدينة، مفتونين بها، حتى خلت المدينة من ساكنيها، وبدأت الخيول تقدم عروضا فنية لفتت الأنظار. وكلما انتهى فرس من رقصته، خرج من الحلبة وأغلق بابا من الأبواب الستة للمدينة. ولما أغلقت خمسة أبواب، قام فرس بغلق الباب السادس من الداخل، بدلا من زميله الفرس السادس، الذي راح يرقص ويعرض حركاته الفنية. وفطن إلى أن أهل المدينة سيقتلونه، حيث أغلقت الأبواب الستة من الداخل، وأصبحوا مشردين. فانتقموا منه بالتعذيب والقتل، رغم أنه لم يغلق أي باب!. وصاروا (لاجئين) في الدول الأخرى!

وفي قصة (شروخ في الخيمة) (٩)تكره امرأة ظلم الرجل المستبد، الذي قد يكون زوجها، وتعشق الحرية المتمثلة في شاب وسيم التقت به عند الغدير. تترك الرجل الظالم نائما في خيمته، وتبتعد هي والشاب. وكلما ابتعدا عن الخيمة أحسا بنسائم الحرية!. والرمز هنا أضعف القصة، لأنه هنا ليس بالرمز الموحي، لوضوح الفكرة، واختيار أقصر الطرق لتسطير الفكرة. وكل ما هنالك أن الكاتبة تريد أن تقول إن المرأة إنسان يعشق الحرية، ويكره الظلم.

وتومىء الكاتبة في قصص عديدة لمرض العصر، القلق . . في قصة (وسط الشارع، أمام

الإشارات) [١٠]، تصطحب البطلة صديقا لها إلى طبيب أعصاب، فيخرجان من عنده وهما يضحكان، إذ اكتشفا أن الطبيب في حاجة لمن يعالجه. وفي قصة (ذاك العبد المطيع) [١١]، نجد القلق النفسي عند رجل يقترب من الخمسين، ترعبه فكرة الموت فتطمئنه سيدة على علاقة به بأنها ستزور قبره! ويدور بينهما حوار، تتبلور من خلاله الفكرة. يكتئب الرجل لأنه سيموت قبلها، بحكم السن، فيقضي عليها حتى تموت قبله! فكرة غريبة وإن اكتشفت عن حدة القلق النفسي والخوف من شبح الموت. ونحن هنا لا نقف على نوع العلاقة التي تربطه بالمرأة، غير أنه يعيش في وحدة مريرة لأنه لم يتزوج. وفي قصة (ولد ولم يمت حتى تاريخه) [١٢]، تحاول ضياء قصبجي التفلسف. فالإنسان ما دام لم يمت فإنه محكوم عليه بالحياة! على عكس ما جاء في رواية الدكتور يوسف عز الدين عيسى (الواجهة) [١٣]، التي تدور فكرتها حول امرىء محكوم عليه بالإعدام، غير أنه يجهل ساعة التنفيذ، والطريقة التي سينفذ بها الحكم. فالكاتبان يدوران حول نفس الفكرة، وإن تطرق أحدهما لها بالسلب (الحكم بالإعدام)، والثاني بالإيجاب (الحكم بالحياة). والحكم في كلا الحالين، يسبب قلقا يكاد يدمر الإنسان لولا نزعة الإيمان التي ترده إلى الهدوء النفسي. في قصة ضياء (ولد ولم يمت حتى تاريخه)، يدور حوار بين سجين وطليق. كلاهما يحسد الآخر على حياته، فالطليق يرى السجين خلي البال من هموم الحياة، ولديه الفرصة لممارسة هواياته، أما السجين فيتمنى أن ينطلق إلى الحياة الواسعة، فيصطدم بجدران السجن. والطريف أن الطليق حين عرض عليه مدير السجن أن يُحبس في زنزانة، هرب ركضا. فلدى الإنسان أفكار نظرية جاهزة، لكنه في مجال التنفيذ، يتنصل منها. أليس هو القلق الذي يجعل المرء لا يستقر على حال؟

وفي قصص ضياء قصبجي ميل إلى التفلسف، وولوج علم النفس، والغوص في طبائع الإنسان، وما تزخر به النفس من تناقضات. لهذا فقصصها من النوع التأملي، مثل قصة (في الأعماق تتوالد الأحزان) [١٤]، عن إنسان يرصد الأشياء من حوله، ويظن بها ميلا. وفي السطور الثلاثة الأخيرة يلخص النتيجة بقوله: «فاجأتني كلماته - تهاديت على الأرض - قفز لخيالي، خيط العنكبوت المائل ومسار الحشرة المائل، والعمود المائل. بل أنا بكليتي أميل إلى معرفة أشياء لا أعرفها».

فالإنسان يتباكي على الماضي، أو يتذكره ويشيد بانتصاره وعذابه. ولاحظ هنا، الجناس اللغوي بين ميل الأشياء، والميل بمعنى الهوى أو الرغبة. والقلق المستبد يستشعره الراوي في قصة (ظلال الخريف) [١٥]، حين يموت جاره دون أن يشعر به أحد. وفي الزمن القادم، لن يشعر أحد بأحد، ولن يرى الجار جاره.

وتصوغ ضياء قصبجي قصصها بأسلوب شاعري، كأنها أخطأت الطريق حين شاءت أن تصوغ قصيدا فكتبت قصصا فنيا فياضا بأحاسيس شاعرة، تملك ناصية اللغة، فتكتب كلماتها المجنحة، الموحية، المعبرة، ولعل أقرب مثل لهذا ما جاء في قصة (أنتم يا من أحبكم)، ولعل أسلوب الخطاب/ النداء في العنوان، يجذبنا للولوج إلى عالم ضياء القصصي بنفس راضية. وفي الخطاب/ النداء باعث قوى للانخراط في دنياها، والتعرف على ناس القصص، ناسين أنهم من صنعها، موقنين أنهم عائلة ضياء، نتعرفهم واحدا واحدا، وإن كنا نجهل أسماءهم وأوصافهم الجسمانية. نقترب منهم. نجالسهم في دائرة وجد، موقنين أننا صرنا من العائلة. وليس أحب للمتلقي من أن يكون أحد أبطال قصة يقرؤها ويعجب بها. في (أنتم يا من أحبكم)، ترسم ضياء ببراعها البارع صورة لنفس إنسانية عذبها وأضناها انتظار الأحبة. إنه انتظار من لا يجيء، وكانت واثقة من مجيئهم، لكن الزمن يمر ولا يحضر أحد. وتحول فجأة إحساس الحب إلى كراهية، بسبب خوفها من أن تصبح كالعجوز أمضت عمرها تنتظر ابنها الذي لم يدرج اسمه ضمن أسماء الشهداء. والحدث يتبلور في موقف دون معالم أو تفاصيل، ولعله حرص الفنانة أن تعبر عن رؤية شعرية أو حالة وجدانية. ويظل النداء الأثير تردده: أنتم يا من أحبكم. وجمال القصة ورونق إبداعها في صياغتها بأسلوب قريب من الشعر، أو هو النثر الفني الراقي، المتجرد من أي تفاصيل حياتية، قد تخرجنا من دائرة الوجد التي رسمتها ضياء في لوحة جميلة أخاذة. وفي القصة تحدثنا عن وعاء مصنوع على شكل طائر (القطريب)، ولعل المقصود (القطرب) [١٦]، وهو طائر جواب لا ينام الليل. وتصف البحر فتقول:

«هناك البحر، البحر يمتد جبارا عنيفا لا يهاود بأمواجه ثانية.. لا يتوقف.. لا يهدأ، ويبدو عليه أنه لا يحب أحدا، ولا يهتم بأحد.. بقدر ما يهتم بسعادته الخاصة.. بأمواجه العنيفة.. القادمة من بعيد مزمجرة كبيرة ترغي وتزبد.. ثم تنطفىء ثورتها على الشاطىء».

وكما ذكرت (القطرب)، ذكرت الطير والحيوان في عديد من قصصها، كالعنكبوت والكلب والوحش والنعامة والغراب والحمار والبجعة وغيرها. كما مزجت بين الإنسان والطبيعة، وزاوجت بين عالم الإنسان وعالم الطير والحيوان، وذكرت طائر (اللقلق) في قصة لها بعنوان (طير من طيور اللقلق) [١٧]، يشبه بطل القصة نفسه باللقلق فيقول:

«أنا طير من طيور اللقلق التي تحط على الأماكن الخصبة، وبعد أن تشبع، تقلع محلقة في الفضاء الرحب.. يغمرها الشعور الحقيقي بالحرية».

وإن كانت الكاتبة ترى في إحدى قصصها أن الإنسان أشد غباء من الحيوان في قصة (ولد ولم يمت حتى تاريخه)، التي يدور فيها حوار بين طليق وسجين.

- هل رأيت مرة شجرة تقتل نفسها فتمتنع عن شرب الماء، وتنفس الهواء؟

- لا. لم أر.

- هل رأيت مرة هرة، تعلق عنقها في حبل يتدلى من سقف غرفة؟

- لا. لم أر.

- إذن فكيف يكون الإنسان أشد غباء من الحيوان، وأقل عقلا من الشجرة؟».

ونحت الكاتبة التونسية ريم العيساوي منحى أختها السورية في سرد العلاقة التبادلية التأثرية بين

رموز ودلالات في قصص ضياء قصبجي

الإنسان وغيره من الكائنات الحية [١٨]، فعالمنا ليس عالم الإنسان وحده.

وتصور ضياء قصبجي معاناة الأديب الحق كي يعبر بحرية عن سجايا نفسه، وقضايا مجتمعه، وإعلاء فكره ونواحي إبداعه. وقد انتصرت للمثل العليا والغايات النبيلة، ضد خفافيش الظلام والمتنفعين، وأنصاف الموهوبين وأدعياء الأدب، بينما يضج الأدباء أصلا ويعانون. وما أكثر حديثها عن الأدباء والفنانين.

نصادف هذا في قصص عديدة. وقد تكون متسترة خلف إحدى الشخصيات، كما في قصتي (نداء من الماضي البعيد) [١٩] و (ليلة العرس) [٢٠]. وفي قصة (لاتبرنا) [٢١]، تكشف همومها هي وأدباء جيلها، وما يلاقيه الأديب المبدع من شلة المتنفعين وما أكثرهم في كل وسط أدبي. وتشبه هؤلاء المتنفعين أو الانتهازيين بالسمكات السوداوات، وتشبه الأصلاء بالسمكات الحمراوات، ويكفي الوقوف على عناوين قصص أخرى، وهي كثيرة: (ضحكنا معا، تألت وحدي) و (معزوفة) و (لاتبرنا) و (اكتب، ما أنا بكاتب) و (إنها مظلتي، وكانون الأول) و (الآتي من مكان بعيد) من مجموعتها (أنتم يا من أحبكم). وقصص (قدرة على التعرج والتلون) و (زمردة من قاع البحر) و (قادمة من الجنوب يا سيدي) و (خلفية فقر مدقع) من مجموعة (جسد يحضن الحب ويبتعد). وقصة (حديث الزيزفون) [٢٢]. وأحسب أن هذا الجانب يستحق دراسة مستقلة أكتبها في القريب، أو يكتبها غيري، فهذا جانب شغل تفكير ضياء قصبجي وعبرت عنه، مثلما عبر عنه صاحب هذه السطور في غير قصة له، منها: (معاناة) [٢٣] و (يوبيل فضي) [٢٤]. وعبر عنه الكاتب الأمريكي وليم ساروبان، الذي تعرض لمعاناة الأديب في أكثر من قصة، منها قصة (سبعون ألف أشوري) [٢٥].

أما الهم الوطني والقومي، فتعبر عنه في قصة (خيول عربية في مدينة راقية) [٢٦]، وإن غلفته بالرمز. تحدثنا القصة عن الغفلة العربية. وحين يتنامى الوعي في النفوس، يكون الأوان قد فات. فنحن أصحاب الفرص الضائعة. ويصير الانتقام ممن لا ذنب له.

بدأ الاتجاه الوطني القومي يأخذ حظًا من اهتمام الكاتبة. لا سيما ما كتبته في مجموعة (ثلوج دافئة)، التي تتضمن قصصا واقعيا إنسانيا، مع اتجاه إلى الهم الوطني والقومي، بأسلوبها الشاعري، بالإضافة إلى خطها الثابت في نقد تناقضات المجتمع وسلبياته، مع ميل إلى الجانب العاطفي. ولعل أدق قصة كشفت هذا الهم القومي هي (حديث الزيزفون) وفيها تحاور الكاتبة زميلا لها ينتقدها لأنها لا تكتب مثله عن القضايا القومية، فتجد صعوبة في حل المعادلة، بين مثل تلتزم بها وواقع يستنفرها، وهي تؤيد زميلها فيما يكتب، لكن أشد ما يؤلمها هو عجز الكلمات عن تغيير الواقع: «ومن شدة ألمي أجد أن الحدث أكبر من أن أحوله إلى كلمات». وهي تتألم لكل إهانة توجَّه لعربي، ولكن ما الفائدة؟، «فملايين الكتب لا تمسح دمعة من على خد طفل فقد أباه، أو رمية حجر يلقيها طفل معذب». وبعد حوار وجدال، تنهي القصة قائلة: «ورحنا بصعوبة نبحث عن طريق للعودة». والنهاية لها أكثر من دلالة ومعنى. فقد افترقا، كل آب إلى داره، نافضا يديه من القضية برمتها. أو أن التساؤل ما زال مطروحا بأننا ــ نحن العرب ــ ما زلنا نبحث عن طريق للعودة، أو حل للقضية. و (حديث الزيزفون) مثل أغلب قصصها تلجأ فيها إلى الفكرة المباشرة التي تواتيها، وتؤطرها في صورة نقاش بين زميلين أو شخصين، كاشفة عن نفسيتها بما تتحلى به من صراحة وبراءة، تخاطب المتلقي بكل ما يعن لها من أفكار، بأسلوب رومانسي، تنقل إليه عالمها الصافي، هازئة بكل ما هو مادي، معلية كل قيمة ومثل في حياتنا.

وهنالك قصة بعنوان (وردة لكنها من حجر) [٢٧] عن اغتصاب اليهود للأرض وتخريب كل شيء من أجل التوسع والهيمنة، دون اعتبار لشيء، وأصحاب الأرض لا يملكون سوى المقاومة، حتى لو كانت بقذف العدو بحجر.

كتبت القصة بصيغة توجيه الخطاب لهؤلاء المغتصبين، كاشفة النقاب عن شرورهم وأطماعهم. ونظرت الكاتبة إلى القضية ككل. لم يوجد البطل الفرد، وإنما وُجد الكل. وأتت القصة بشكل تقريري للواقع وسرد خبري له، دفع الكاتبة إلى هذا حماستها للقضية وإطلاقها صرخة حادة ضد الظلم والقهر.

وضياء قصبجي قصاصة فذة، تشي قصصها بأنها تتوجه بكتاباتها إلى القارئ بالخطاب الصريح، باحثة عن كل ما هو مضيء في حياتنا، ولو كان مصدر الضوء شمعة صغيرة، فهي حريصة على الضوء الخافت، فرحة به، مستبشرة بأنه وإن لم يضيء العالم بأسره، فقد أضاء منه مساحة صغيرة، بددت ظلمة مكان ما. وهذا حسبها، وحسب كل أديب يناضل بقلمه كيما يبدد ظلمة المكان، ويكون أدبه شعاع ضوء. أو ليس أجدر بالإنسان أن يضيء شمعة بدلاً من أن يلعن الظلام؟ كما تقول الحكمة السائرة. فما بالكم إن كان هذا الإنسان أديبا يعلي من قدر الإنسان ويعبر عن أحاسيسه ومشاعره؟

الهوامش

(١)، (٢)، (٣)، (١٠)، (١١)، (١٧)، (٢١)، ضياء قصبجي: أنتم يا من أحبكم، بيروت ١٩٨١م.

(٤)، (٥)، (٦)، (٧)، (٨)، (١٢)، (١٤)، (٢٦) ضياء قصبجي: جسد يحضن الحب ويبتعد، دمشق ١٩٨١م.

(٩)، (١٥)، (٢٠)، (٢٧) ضياء قصبجي: ثلوج دافئة، دمشق ١٩٩١م.

(١٣) يوسف عز الدين عيسى: الواجهة (رواية)، دار المعارف بمصر.

(١٦) الدميري: حياة الحيوان، كتاب الجمهورية ١٩٩١م، جـ٧.

(١٨) حسني سيد لبيب: لماذا تموت العصافير؟ (دراسة)، مجلة (قصص) التونسية، يوليو/ سبتمبر ١٩٩٢م، العدد ٩٧ ص ٨٧ـ٩٦

(٢٢) ضياء قصبجي: حديث الزيزفون (قصة)، جريدة (الأسبوع الأدبي) السورية، ٢٠ ديسمبر ١٩٩٠م، العدد ٢٤٢.

(٢٣) حسني سيد لبيب: معاناة (قصة)، مجلة (الفيصل)، أكتوبر ١٩٨٩م (ربيع الأول ١٤١٠ هـ)، عدد ١٥٣، ص ٨٦ـ٨٧.

(٢٤) حسني سيد لبيب: طائرات ورقية (قصص)، القاهرة ١٩٩١.

(25) Best stories of William Sarayan, London, 1976.

سكان العالم

نافذة على ثقافة الغرب



إعداد:
ف. أ. بوريسوف
عرض:
د. فيصل المصطفى الحسن

إن العمليات الديموغرافية (السكانية) من تزايد السكان ومعدلات الولادة والوفاة والسياسة السكانية والهيكلية العمرية والجنسية وغيرها، ذات تأثير تبادلي مع التطورات الاجتماعية الاقتصادية، وهي تؤثر بشكل سلبي أو إيجابي في النمو الاجتماعي والاقتصادي لهذا البلد أو ذاك.

حول هذه العمليات في مختلف بلدان العالم، يتحدث كتاب «سكان العالم»، الذي صدر في موسكو عام ١٩٨٩م. ويقع في ٤٧٨ صفحة. وقد اعتمد كمرجع أساسي فيه على نشرات وتوقعات الأمم المتحدة في مجال السكان وحتى العام ٢٠٢٥م.

حركة (ديناميكية) تعداد السكان

هل عدد سكان العالم الآن كبير؟ وهل وصلت الأرض إلى ما فوق حد الإشباع السكاني؟ إن الأرقام مهما كبرت لا يمكن الاعتماد عليها وفقا لما يورده الكتاب دون الرجوع إلى أمور أخرى، وأن هناك مسافة بعيدة حتى ما فوق حد الإشباع السكاني. فارتفاع عدد السكان ليس في الغالب السبب في تدهور الأوضاع الاقتصادية في هذا البلد أو ذاك، وإنما يعود ذلك إما إلى الماضي الاستعماري (أو الحالي) وإما لعدم فعالية الأنظمة السياسية، وما يرافق ذلك من تغيرات اجتماعية وبيئية وغيرها.

تختلف معدّلات النمو السكاني من قارة إلى أخرى ومن منطقة إلى منطقة ثانية، . فبينما يأخذ هذا النمو طابعًا إيجابيا في كل من أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية، وتبلغ معدّلات النمو القيمة العظمى لها، وذلك في أفريقيا (حوالى ٠, ٣٪)، فإن هذا النمو يأخذ طابعًا سلبيًا في أوروبا، حيث تجري عملية الحرمان من السكان depopulation (في كل من النمسا، لكسمبورغ، ألمانيا . .).

أما في أمريكا الشمالية فتشير التوقعات إلى أن المعدل المنخفض للولادات في الولايات المتحدة سوف يحافظ عليه لفترة طويلة. واعتبارًا من عام ٢٠٣٤م يأخذ منحى سلبيًا، إلا أن الهجرة السنوية المستمرة وعلى طول فترة التنبؤ حتى عام ٢٠٨٠م سوف تعوض، حسب رأي العلماء، عن عملية الحرمان من السكان، وتؤمن في النهاية ثبات عدد السكان.

بالنسبة للوطن العربي فإن معدّلات النمو السكاني فيه مرتفعة، وإذا ما استمرت هذه المعدّلات على ما هي عليه الآن فإن عدد سكان الوطن العربي سيصل إلى (٤٤٦) مليونا تقريبا عام ٢٠٢٥م.

بينما كان عدد السكان حوالي مائتي مليون ومليونين عام ١٩٨٧م.

معدلات الولادة

إن معدل الولادة في المعنى السكاني هو أحد أهم مركبات زيادة السكان ـ وهو سرعة ظهور الأطفال في هذا التجمع أو ذاك. والدليل الأبسط لمعدلات الولادة هو معامل معدل الولادة العام (عدد المواليد الأحياء لكل ١٠٠٠ نسمة من متوسط عدد السكان السنوي). وهناك أيضًا المعامل الكلي لمعدلات الولادة والمعامل العمري للولادات.

في النصف الأول من الثمانينيات كان عدد المواليد سنويًا (٩, ١٢٥) مليون. وفي النصف الثاني بلغ هذا العدد (٢, ١٣١) مليونًا. كان نصيب البلدان المتطورة منها (٩, ١٧) و (١٨) مليون على التوالي بينما حصة البلدان النامية (١٠٨) و (٢, ١١٣) مليون طفل.

وقد سجلت أعلى المعدلات في العالم كينيا حيث بلغ المعامل الكلي (٨,٠٠) في الأعوام ١٩٨٥ ـ ١٩٨٩م، وفي رواندا (٧,٣١)، الأردن (٧,٢٨). وأدنى المعدلات كانت في ألمانيا (١,٣٠)، إيطاليا (١,٤٢)، وفي استراليا (١,٤٨) وهذه المعدلات دون الحد الطبيعي للتكاثر السكاني (الحد الطبيعي هو ٢,١ طفلا لكل امرأة خلال حياتها). وحسب تعبير بعض المختصين فإنه يجتاح أوروبا حاليًا «شتاء ديموغرافي» نظرًا لأن معظم بلدان أوروبا ذات معدلات ولادة دون الحد الطبيعي. وهناك أربعة بلدان تخطت الحد الطبيعي وهي: ألبانيا، إيرلندا، بولونيا، ورومانيا.

في الوطن العربي كان المعامل الكلي عام ١٩٨٧م (٥,٨٧). وحسب توقعات الأمم المتحدة فإن هذا المعامل سوف ينخفض إلى ٢,٧٦ وذلك في العام ٢٠٢٤م.

التركيب الزواجي

المعنى الواسع لكلمة زواجي: هو كل العمليات التي تصف عقد القران أو فسخه. والحالات الزواجية هي:

١ ـ الزواج غير القائم.

٢ ـ الزواج القائم.

٣ ـ الترمل.

٤ ـ الطلاق.

يتم الحصول على معلومات عن الحركة الزواجية للسكان عن طريق التسجيل الجاري لحالات الزواج والطلاق والوفيات (بالنسبة للترمل). والمعلومات في هذا النوع ترتبط بهذه الحالات المسجلة فقط، وفقًا للقانون المعمول به في الدولة. إلا أن التسجيل لا يشمل قسمًا من الزيجات التي تعقد في الكنائس والأماكن الدينية الأخرى وكذلك الزيجات المنتشرة في أمريكا اللاتينية مثل الاتحاد الحر والزواج الحسي وزواج الزيارة "visit" وفي أوروبا مثل «الزواج على الطريقة الأوروبية» أو «النموذج الغربي للزواج». وهذه الزيجات لا تسجل بشكل رسمي ومن الصعب إحصاءها. لذلك فإن الزواج الواقعي يمتاز عن القانوني بأنه يمكن أن يلاحظ من قبل الاخصائيين فقط في حالة كون الزوج والزوجة يعيشان مع بعضهما. القوانين حول الطلاق تختلف من بلد إلى آخر وتتراوح مع المنع التام تقريبًا وذلك في البلدان «الكاثوليكية المتعصبة» وحتى الإجراءات الحرة المتطرفة لفسخ الزواج في السويد، حيث تكون المحكمة مجبرة على الموافقة على الطلاق حسب طلب أحد الزوجين دون التعرض لأسباب ذلك، وللمحكمة الحق فقط في توضيح مسألة الأطفال وتوزيع الممتلكات. وهذا أحد الأسباب التي تجعل معدلات الطلاق في السويد الأولى في العالم، حيث كل زواجين ينتهي أحدهما بالطلاق. يتأرجح سن الزواج بين منطقة وأخرى. ففي أوروبا يتراوح من (١٢ ـ ١٨) سنة بالنسبة للنساء ومن (١٤ ـ ٢١) سنة بالنسبة للرجال. بينما تحاول الصين منع الزيجات المبكرة والحد الأصغر من (٢٥ ـ ٢٨) سنة.

وفي المنطقة العربية، سن الزواج في ارتفاع مستمر، وترتفع أيضا نسبة غير المتزوجات من سن (١٥ ـ ١٩) ومن سن (٢٠ ـ ٢٤). والطلاق لا يشكل حدثًا نادرًا، وهو مرتفع في بعض بلدان المنطقة.

التركيب الأسري

إن الأهمية الكبرى في دراسة أية عملية سكانية يجب أن تعطى لتحليل التركيب الأسري. فالأسرة هي المركز الاجتماعي الذي يرتبط به وبشكل كامل التكاثر الفيزيولوجي للسكان وولادة أجيال جديدة وإعدادهم للحياة في المجتمع.

والأسر نوعان: كاملة، حيث فيها على الأقل زوجان مع أطفال أو من دون أطفال؛ وغير كاملة، حيث يوجد أحد الوالدين مع الأطفال. أي إن الأسر غير الكاملة هي جزء من الأسر الكاملة. وقد تصبح الأسرة كاملة نتيجة لزواج الأب الوحيد أو الأم الوحيدة من جديد.

يزداد عدد الأسر غير الكاملة في أوروبا والبلدان المتطورة وفي أمريكا اللاتينية، حيث تكثر حالات الطلاق، وتنتشر أنواع الزيجات الواقعية (غير القانونية)، وفي نفس الوقت تزداد نسبة الأناس الوحيدين (وغالبًا الرجال) في هذه البلدان حيث تصل هذه النسبة إلى ١٠ ـ ١٥٪ من السكان هذا بالإضافة إلى زيادة كبيرة في عدد الأطفال غير الشرعيين.

يسمح بالطلاق في البلدان الإسلامية وبشكل أساسي للعائلات التي لم تنجب أطفالاً. والإسلام يشجع على زواج الأرامل والمطلقين. لذلك فإن الطلاقات في البلدان الإسلامية لا تؤدي إلى تشكل عدد كبير من الأسر غير الكاملة، أما الولادات غير الشرعية فهي غير واردة إطلاقًا في هذه البلدان.

بلغ أصغر حجم للأسرة في سويسرا (٣,٥) فردًا، بينما أكبر حجم فهو في ساموا الأمريكية (٧,٣٣) فردًا.

الوفيات واستمرارية الحياة

تعزى أسباب الوفاة إلى: أمراض الأوعية الدموية والقلب، الأورام وخاصة الخبيثة منها، أمراض الجهاز التنفسي (خاصة عند الأطفال والشيوخ)، أمراض الجهاز الهضمي والحوادث المختلفة. من أجل المقارنة الدولية بالنسبة لعدد الوفيات هناك المعاملات العامة للوفيات (عدد الوفيات الحسابي لكل ١٠٠٠ نسمة) والمعاملات المعيارية التي تؤخذ على أساس التركيب العمري للسكان.

ومعدلات الوفيات تختلف بين الجنسين، وهي أعلى عند الرجال منها عند النساء وذلك لأسباب منها: أن الأمراض الدموية والقلبية والسرطانات المسببة للوفاة وكذلك الحوادث السيئة مثل التسممات وحوادث المرور والانتحار مرتفعة عند الرجال أكثر منها عند النساء.

يشغل الموت المبكر مكانًا خاصًا في جملة المعاملات الخاصة للوفيات، وذلك أثناء الحساب لكل ١٠٠٠ مولود جديد. وهذه النسبة تتدرج من الحد الأصغري وهو (٥٪) (بالألف) في اليابان إلى (١٨٣٪) في أفغانستان. إلا أن هذه المعطيات تصف فقط الوفيات لشريحة غير كبيرة من السكان

حتى السنة الأولى من العمر، ولا تصف الوفيات في الأعمار الأخرى. لذلك ومن أجل دراسة الوفيات يتم حساب المعامل الأشمل والمسمى المتوسط المنتظر لاستمرارية الحياة.

وبشكل عام فقد ازداد المتوسط المنتظر لاستمرارية الحياة بشكل ملحوظ خلال الـ ٣٠ سنة من ١٩٥٠ ـــ ١٩٥٤م إلى ١٩٨٠ ـــ ١٩٨٤م، وبلغت الزيادة تقريبا (١٣,٥) سنة. وقد بلغت أعلى معدلات الحياة في أمريكا الشمالية وكانت للرجال (٧١,٤) سنة وللنساء (٧٨,٩) سنة عام ١٩٨٥ ـ ١٩٨٩م ومن المتوقع أن يصل إلى (٧٤,١) و (٨١,١) سنة على التوالي وذلك عام ٢٠٢٤م. بينما المعدل الأدنى هو في أفريقيا حيث بلغ (٤٩,٨) سنة للرجال و (٥٢,٩) سنة للنساء عام ١٩٨٥ ـ ١٩٨٩م ومن المتوقع أن يصل عام ٢٠٢٤م إلى (٦٢,٧) و (٦٦,٤) على التوالي. أما فيما يخص الوطن العربي فقد بلغ متوسط عمر الإنسان عام ١٩٨٧م. (٥٩,٥) سنة للرجال و (٦٢,٨) للنساء، ومن المتوقع أن يصل إلى (٦٩,١) سنة للرجال و (٧٣,٨) سنة للنساء في العام ٢٠٢٤م.

النمو الطبيعي وتكاثر السكان

لمعرفة حركة النمو الطبيعي للسكان يستخدم عادة المعامل العام للنمو الطبيعي للسكان والمعامل الصافي لتكاثر السكان والمعامل الحقيقي لنمو السكان. وتختلف هذه المعاملات بطرق حسابها وبمعناها.

المعامل العام للنمو الطبيعي هو الفرق بين المعاملات العامة للولادات والوفيات. وقد بلغ هذا المعامل لسكان العالم عام ١٩٨٥ ـــ ١٩٨٩م (١,١٦٪) وينتظر أن تصل قيمة هذا المعامل إلى (٠,٩٪) عام ٢٠٢٥م.

أما المعامل الصافي لتكاثر السكان فيحسب على أساس المعاملات العمرية للولادات والمعاملات الحياتية (أي مؤشرات المستوى العكسي للوفيات). وقيمة هذا المعامل في العالم (١,٣) ـ (١,٤) وحسب توقعات الأمم المتحدة فإنه ينتظر انخفاضه في بدايات القرن القادم. لكن هذا الانخفاض مشكوك فيه نظرًا لأن قيمة هذا المعامل الصافي لا زالت مرتفعة في الكثير من بلدان العالم.

والمعامل الصافي يدل على العلاقة التي يحل فيها جيل الأبناء محل جيل الآباء. فإذا كانت قيمة المعامل الصافي (١) فهذا يعني أنه يحل محل جيل الآباء نفس العدد من جيل الأبناء. أما إذا كانت القيمة أقل من (١) أو أكثر من (١) فإنه سيحل عدد أقل أو أكثر من جيل الأبناء محل جيل الآباء.

بلغت أعلى قيمة للمعامل العام للنمو الطبيعي في أفريقيا حيث كانت (٣,٠٢٪) عام ١٩٩٠م والمعامل الصافي (٢,٢٨). وأدنى قيمة في أوروبا حيث بلغت عام ١٩٩٠م (٠,٢٨٪) للمعامل العام و (٠,٨٨) للمعامل الصافي.

في الوطن العربي بلغ المعامل العام للنمو الطبيعي للسكان عام ١٩٩٠م (٢,٧٨٪) والمعامل الصافي (٢,٢٥). وينتظر أن يصل المعامل العام في العام ٢٠٢٤م إلى (١,٥٩٪) والمعامل الصافي إلى (١,٢٩).

الهيكلية العمرية والجنسية للسكان

تعتبر الهيكلية العمرية والجنسية للسكان من أهم خصائص السكان. فهي مهمة ليس من وجهة النظر (الديموغرافية) فحسب، بل الاجتماعية والاقتصادية أيضًا.

هيكلية السكان حسب الجنس هي العلاقة بين عدد الرجال والنساء. والعلاقة القاعدية (أي بين المواليد) ثابتة تقريبًا في الجيل وهي بحدود (١٠٤) ـ (١٠٧) من الذكور مقابل كل (١٠٠) أنثى. لكن العلاقة بين الجنسين من حيث العدد فإنها تقع في مختلف المجموعات العمرية، تحت تأثير الاختلاف في معدلات الوفيات بين الرجال والنساء. والمعدل المرتفع لوفيات الرجال بالنسبة إلى النساء يؤدي مع تقدم المجموعات العمرية إلى زيادة عدد النساء. وقد بلغت هذه الزيادة عام ١٩٨٥م، وفق تقديرات الأمم المتحدة، (٢٢) مليون امرأة في كل أنحاء العالم.

وقد بلغت أدنى نسبة لعدد الرجال مقابل عدد النساء في أوروبا، حيث كانت عام ١٩٨٥م (٩٥٢) رجلاً مقابل كل (١٠٠٠) امرأة. بينما أعلى نسبة هي في آسيا وقد بلغت ولنفس العام (١٠٤٢) رجلاً مقابل كل (١٠٠٠) امرأة.

تتعلق هيكلية السكان حسب العمر بحركة المواليد والوفيات مع الأخذ بالحسبان الخصوصيات العمرية خلال فترة المقارنة. وهي تختلف من منطقة إلى أخرى. وقد كانت الهيكلية العمرية للسكان عام ١٩٨٥م على النحو التالي (٪):

	٠ـ١٤ سنة	١٥ـ٦٤ سنة	٦٥ سنة فأكثر
كل العالم	٣٣,٧	٦٠,٦	٥,٧
أوروبا	٢٠,٩	٦٦,٧	١٢,٤
آسيا	٣٥,٠	٦٠,٦	٤,٤
أفريقيا	٤٥,٤	٥١,٥	٣,١
أمريكا	٣١,٦	٦١,٢	٧,٢
أوقيانيا	٢٨,٦	٦٣,٣	٨,١

السياسة السكانية

السياسة السكانية هي مجموعة التوجهات التي تؤثر بها الدولة في العمليات السكانية، إما بهدف الحفاظ على الوضع الحالي وإما بهدف تغييره.

وينبغي أن يكون للسياسة السكانية برامج وأهداف دقيقة وأزمنة محددة للتنفيذ. هذه الأهداف يمكن أن تخدم عدد السكان ومعدلات نموه، إحصاءات الولادة، الوفاة، تكاثر السكان ... الخ. والسياسة السكانية يمكن أن تأخذ منحيين: في مجال الولادات وفي مجال الوفيات. وأما في مجال الوفيات فإن السياسة تخدم الجزء التركيبي للسياسة الاجتماعية للحفاظ على صحة السكان. أما في مجال الولادات، فهي تنزع إما إلى زيادة معدلات الولادة أو إلى تخفيضها. ومهمة رفع معدلات الولادة ضرورية جدًا الآن في معظم البلدان المتطورة اقتصاديًا؛ لذلك تسعى معظم الدول المتقدمة إلى تقديم معونات مادية كبيرة وميزات للعائلات التي تنجب أطفالاً.

التركيب العرقي

العروق البشرية ـ هي المجموعات البشرية المتشكلة تاريخيًا والمرتبطة بانحدار سلالي واحد، وينعكس ذلك على العلاقات (المورفولوجية) التشكيلية والفيزيولوجية المتغيرة في حدود معينة. ينتشر بشكل واسع مفهوم تقسيم البشرية إلى ثلاثة عروق وذلك حسب لون الجلد: أسود، أبيض

سكان العالم

وأصفر. إلا أن لون الجلد لا يعتبر العلامة الوحيدة، بل وليس العلامة الرئيسة لتحديد العرق أحيانا. لذلك فإن علم السلالات البشرية Antropology يستخدم لهذا الغرض جملة من المحددات الأخرى علاوة على المحددات الخارجية. وسط أجناس البشر المعاصرين المنتمين لشكل واحد Homo sapiens نجد هناك المجموعات البشرية الكبيرة والتي تسمى أجناسًا كبيرة. وهذه هي: الأوروبية ـ الآسيوية، الأمريكية ـ الآسيوية، الأفريقية (الزنجية) والاسترالية (المحيطية). وقد اتحدت المجموعتان الأخيرتان وشكلتا مجموعة واحدة هي الاسترالية الزنجية أو الاستوائية وهذه المجموعات تضم بدورها عددًا من المجموعات العرقية ومنها الأصفر.

التركيب اللغوي

اللغة ـ وسيلة جبارة لتطور الإنسان والمجتمع. وقد كانت بدايات هذه اللغة في القبيلة ومن ثم تحولت إلى لغة الشعب، وبعدها ومع تشكل القوميات ـ أصبحت لغة الأمة.

يبلغ عدد اللغات في العالم ٤ ــ ٥ آلاف لغة. ومن الصعب تحديد هذا العدد بدقة. لكل شعب عادة لغة واحدة. ، لكن أحيانًا تنتشر مجموعات سكانية ذات لغتين، مثل الأبزاس في شرق فرنسا، حيث يتكلمون الألمانية والفرنسية. ومعظم سكان بلجيكا وسويسرا يتحدثون بلغتين أو أكثر.

أكثر اللغات انتشارًا في العالم (أواسط العام ١٩٨٧م) هي: الصينية ثم الإنجليزية، الهندية، الأوردية، الأسبانية، الروسية، البنغالية، الأندونيسية، العربية، البرتغالية، اليابانية، الألمانية والفرنسية. وست من هذه اللغات اعتبرت لغات رسمية في الأمم المتحدة وهي: الإنجليزية، الفرنسية، الروسية، الإسبانية، العربية والصينية.

هناك أسر لغوية عديدة منها الأسرة الهند أوروبية، الأسرة الأفرو آسيوية، الأسرة الأسترالية ـ الآسيوية، الأسرة الزنجية ــ الكردوفانية، الأسرة الاستوائية، وغيرها. وكل أسرة من هذه الأسر اللغوية تضم عددًا من المجموعات اللغوية، فمثلاً تضم الأسرة الهند أوروبية كلاً من المجموعات التالية: السلافية، البلطيقية، الجرمانية، الكيلتية، الرومانية، اليونانية، الألبانية، الإيرانية، النوريستانية، الهندآرية. والأرمنية.

التركيب القومي

إن تحديد التركيب القومي للسكان في مختلف بلدان العالم ــ مهمة صعبة جدًا. وحل هذه المعضلة أحيانًا صعب حتى في الحالات التي نمتلك فيها معطيات ستاتيكية مفصلة عن التركيب القومي، إذ إنه وفقًا لعلاقة التطور فإن عمليات التجنيس والدمج، في الكثير من البلدان، شملت الكثير من المجموعات السكانية.

فمثلاً الاتحاد السوفييتي السابق يضم خمس مجموعات لغوية: هندو أوروبية (٧٩,٠٪ من السكان ــ منهم ٧١,٥٪ سلاف)، ألتائية (١٦,٥٪ منهم ١٦,٣٪ أتراك)، أورالية (١,٦٪)، كارتفيلية (١,٤٪) وقفقاسية شمالية (١,٢٪). وهناك أكثر من (١٠٠) قومية صغيرة وكبيرة.

في أوروبا حوالى (٦٢) قومية. وفي آسيا أكثر من (١٠٠٠) قومية ولهم الكثير من الأسر والمجموعات اللغوية، ويختلفون بشدة في العدد. في أفريقيا بحدود (٣٠٠) ـ (٥٠٠) قومية. وتعتبر اللغة العربية الأكثر انتشارًا في أفريقيا حيث يتحدث بها أكثر من (١٠٧) ملايين إنسان (حوالي خمس سكان القارة).

التركيب الديني

كانت الأشكال الأولى للإيمان متعددة منها:

١ ــ الفيتيشية ــ وهي الإيمان بالقوى ما فوق الطبيعية.

٢ ــ الأنيمية ــ مصطلح يجمع بين مفهومين مختلفين: الإيمان بأن كل كائن حي يحتوي في ذاته على ثنائي ــ الروح، التي يمكن أن تغادر حاملها وتحرمه من الحياة؛ والإيمان بوجود كائنات غير مرئية ـ الأرواح، الملائكة، الشياطين، الآلهة، الإلهات.

٣ ـ عبادة الأسلاف أو الأموات.

٤ ـ التوتمية: الإيمان بأن الشكل الأثني الحالي ـ قبيلة، عشيرة ـ أو اتحاد قبائل، ينشأ بشكل توالدي من هذا الحيوان أو ذاك أو من نبات معين وأحيانًا من الظواهر الطبيعية المختلفة والمواد غير الحية، وما يرافق ذلك من تعبد لهذا النوع أو ذاك من الظواهر والمواد.

٥ ــ البوليديمونية: وتأخذ المعنى الثاني للأنيمية وهو الإيمان بوجود كائنات غير مرئية.

٦ ـ تمثيل قوى الطبيعة بشكل خيالي.

٧ ـ الشامانية: الإيمان بقدرة بعض الناس على إيصال أنفسهم إلى حالة وجد ونشوة روحية ووحدة مع الأرواح واستخدام قوتها في التطبب وغيره من الأهداف العملية.

٨ ـ البوليتية ـ تعدد الآلهة: الإيمان بوجود عدد كبير من الآلهة.

في الألف الثانية قبل الميلاد بدأت بالظهور ديانات لا تزال قائمة إلى يومنا هذا. أحد أقدم هذه الديانات ــ اليهودية. حيث تنتشر الآن في مناطق عديدة من العالم. ويقدر عدد اليهود بأكثر من (١٠) ملايين في كل أنحاء العالم. وظهرت بعض الديانات في جنوب وجنوب شرق آسيا منها البراهماتية التي تحولت إلى الهندوسية والجاينية والسيخية. وفي القرن السادس قبل الميلاد نشأت البوذية في شمال الهند وانتشرت في مناطق واسعة من آسيا. ويقدر عدد البوذيين الآن حوالي (٢٦٠) مليون، الهندوس ـ ٥٢٠ مليون، السيخ ــ ١٥ مليون والجاينيين ـ ٣ ملايين. ثم جاءت المسيحية وانتشرت في معظم بلدان العالم، حيث يقدر عدد المسيحيين بأكثر من مليار مسيحي. وفي القرن السابع بعد الميلاد ظهر الإسلام وانتشر أيضا في كل بلدان العالم تقريبًا. ويبلغ عدد المسلمين الآن حوالي مليار مسلم.

أخيرًا، يجب أن نشير هنا إلى أن هذا الكتاب المرجع «سكان العالم» احتوى بين دفتيه على معطيات مفصلة عن الاتجاهات (الديموغرافية) في كل بلدان العالم خلال فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية والتوقعات للفترة المقبلة.

وقد أسهم في تأليفه كل من ف. أ. بوريسوف، أ. ب. سينيلنيكوف، ف. أ. أرخانفلسكي وإس. إي. بروك. وراجعه إي. إي. . غروشوف.

مسرحية

بلّغه يا ربّ عنّي السلام

من الأعمال التي تنشر لأول مرة

بقلم: علي أحمد باكثير

- ١ -

(في بيت من بيوت سراة مكة)

(الصبي عامر يقبل مسرعا إلى أمه الجالسة في الحجرة).

عامر : (صوته قبل ظهوره في الحجرة) يا أُمَّه ! يا أُمَّه !

جليلة : عامر ! ما خطبك ؟

عامر : (يدخل لاهثا) إن خالي عقبة قد جاء بأسير معه.

جليلة : أين يا عامر ؟

عامر : أدخله المِربد فحبسه فيه. يقولون إنه من أصحاب محمد.

جليلة : من أصحاب محمد ؟ ما الذي جاء به إلى خالك ؟

عامر : لا أدري. (ينظر إلى جهة الباب) ها هو ذا خالي عقبة فاسأليه.

(يدخل عقبة بن الحارث).

جليلة : من هذا الذي جئت به يا عقبة ؟

عقبة : هذا قاتل أبينا يا جليلة. قاتل الحارث ببدر.

جليلة : خُبَيْب بن عدي ؟

عقبة : أجل. إنك لتعرفين اسمه يا أخية.

جليلة : كيف لا وما من امرأة في قريش أصيب لها أحد في بدر إلا اجتهدت أن تعرف اسم قاتله فحفظته عسى أن تنتقم يوما منه.

عقبة : فها هو ذا قد جئت به إليك فانتقمي منه وعذبيه.

جليلة : إي والله لأشفين وُحْرَ صدري منه. أمكنِّي منه يا عقبة فلأقطعنه بهذا المِشْقَص فلذة فلذة.

عقبة : كلا يا أختاه، لا يحلّ لنا قتله الآن حتى تنقضي الأشهر الحُرُم. ولكن عذبيه عذابا لا يقضي عليه.

جليلة : كأنك جئت به لتحبسه عندنا حتى ينقضي هذا الشهر؛ شهر المحرم ؟

عقبة : هو ذاك.

جليلة : خير. سيتاح لنا بذلك أن نفتنَّ في تعذيبه.

عقبة : أجل. افتني في تعذيبه ما شئت. أريني براعتك يا جليلة ووفاءك لأبيك.

جليلة : ثق يا أخي أنني سأريه الويل أفانين. ولكن كيف تمكنتَ منه يا عقبة ؟

عقبة : كان محمد قد بعثه فيمن بعث إلى بني هُذيل ليعلّموهم الإسلام فوثب بهم الهذليون وباعوهم إلينا.

جليلة : واشتريته أنت منهم ؟

عقبة : بخمسين من الإبل.

جليلة : خمسين من الإبل ؟

عقبة : استكثرتها ؟ والله لو طلبوا به مائة بعير لأعطيت. إنه دم أبينا الحارث يا جليلة.

جليلة : صدقت كل مالٍ يُشترى به دم أبينا فهو قليل.

عقبة : هات له شيئا من الطعام يا جليلة.

جليلة : تريد أن تطعمه ؟ أتطعم قاتل أبينا يا عقبة ؟

عقبة : لابد من إطعامه حتى لا يموت قبل أن ننزل به العقاب الأشد. قد اتفقت أنا وصفوان بن أمية على ذلك.

جليلة : وما شأن صفوان بن أمية ؟

عقبة : إنه هو أيضا اشترى منهم قاتلَ أبيه لينتقم منه.

جليلة : قاتل أمية بن خلف ؟

عقبة : نعم.

جليلة : وما اسم هذا القاتل ؟

عقبة : زيد بن الدثنة.

جليلة : ودفع فيه صفوان خمسين من الإبل ؟

عقبة : نعم.

جليلة : إذن والله ليثرينَّ الهذليون من ذلك.

عقبة : (يضحك) أجل. ليتركُنَّ تجارة الأنعام. وليتجُرنَّ في أتباع محمد. (يخرج).

جليلة : (لابنها الصبيّ) انزل بنا يا عامر إلى هذا الأسير لنضربه ونعذبه . خذ تلك العصا معك .

عامر : لكن يا أمّه . .

جليلة : أليس برجليه القيد ؟

عامر : بلى يا أمه .

جليلة : فأي شيء تخشى منه ؟

عامر : لست أخشى شيئًا منه ولكنه لا يستحق الضرب . إنه رجل طيب .

جليلة : ويلك هذا قاتل جَدِّك الحارث يا لُكَع .

عامر : ما أحسب مثل هذا الرجل يقتل أحدا يا أماه . لقد نظرت إليه من الباب . فلما رآني حيّاني وابتسم .

جليلة : اسكت . لو سمعك خالك عقبة تقول هذا لأدّبك فأوجعك .

هيا خذ تلك العصا وانزل معي إلى المربد .

(يأخذ عامر العصا وهو كاره ويخرج خلف والدته) .

ـ ٢ ـ

في المربد . . مكان ضيق مظلم له باب محكم .

خبيب جالس على الأرض وفي رجليه القيد الثقيل وجليلة وابنها عامر يضربانه بالعصيّ .

خبيب : (يردد كلما ضُرب ضربة) الحمد لله ! الحمد لله !

جليلة : (في غيظ) ويلك . تُضرب وتقول الحمد لله . أهكذا أمركم صاحبكم محمد ؟

خبيب : أجل يا أخت بني الحارث . إن نبينا ﷺ أوصانا بالصبر على ما نلقى في ديننا من مكروه .

جليلة : فدعه الآن ينفعك .

خبيب : إنه قد نفعنا وسينفعنا دائما يا أخت بني الحارث .

جليلة : كيف، ويلك ؟

خبيب : لقد وعدنا أنَّ مَنْ يُقتل منا في سبيل الله فله الجنة .

جليلة : هيهات، ما وعدكم إلا غرورا .

خبيب : يا أخت بني الحارث لو قد سمعت من محمد كما سمعنا ما قلت هذا . أتحبين أن أسمعك شيئا مما جاء به من عند الله ؟

جليلة : (تضربه) كلا، لا أريد أن أسمع شيئا .

خبيب : إذن يفوتك خير كثير .

جليلة : اسكتْ . والله لأضربنَّك حتى تكفر بصاحبك .

خبيب : هيهات . إنك لن تجني من ضربي غير أن تكلَّ يدُك .

جليلة : (تضربه بقوة) اضرب يا عامر !

خبيب : وتكل يد صبيك هذا .

جليلة : لا شأن لك . اضرب يا عامر .

عامر : هأنذا أضربه يا أمه . (يضربه على كره) .

جليلة : اضربه بشدة . . بكل قوتك . (تمضي في ضربه) .

خبيب : الحمد لله . الحمد لله . الحمد لله !

جليلة : أمسِكْ عن هذا القول، ويلك !

خبيب : لو أمسكت عنه لأوجعني ضربك . إنه هو الذي يدرأ عني الوجع . ما بالكِ وقفتِ عن الضرب ؟ أو قد كلَّت يدُك ؟ أريحيها قليلا ثم عاودي ما أنت فيه .

جليلة : (في غيظ) الساعة يأتي عقبة أخي فيضربك ويوجعك .

خبيب : أجل يا أم عامر . دعي أخاك يفعل ذلك فهو أقوى منك ومن هذا الصبيّ الذي دفعته إلى ضربي فأرهقته .

ـ ٣ ـ

عامر : (يجيء إلى المربد متلصصا ويدخل رأسه من الباب) هل لي أن أدخل عندك أيها الأسير ؟

خبيب : (في حنان) عامر ! ادخل يا بني .

عامر : ولا تؤذيني أو تبطش بي ؟

خبيب : معاذ الله . إني لأعلم أن أمّك هي التي دفعتك إلى ضربي وأنت كاره .

عامر : أجل إنها هي التي أكرهتني . وقد قلت لها إنك رجل طيب فلم تصدقني . خبرني، أحقا قتلت أنت جدّي الحارث بن عامر ؟

خبيب : نعم يا بني . جدك أراد قتلي فقتلته .

عامر : وكنت تعرف أنه جدّي ؟

خبيب : لا يا بني . ما كنت أعرف أنه جدك .

(يدخل عامر حتى يقف قريبا من خبيب) .

عامر : ما دمت لا تعرف أنه جدّي فليس بيني وبينك شيء .

خبيب : أجل ليس بيني وبينك غير المودة والمعروف .

عامر : أنت تحبني ؟

خبيب : إي والله يا عامر .

عامر : إن كنت تحبني حقا فاحكِ لي قصة الرجل الذي حمته الزنابير .

خبيب : أو قد سمعت أنت عنها ؟

عامر : سمعت طرفا منها وأريدها كاملة منك . ألست كنت معه ؟

خبيب : بلى يا بني . ذاك رئيسنا عاصم بن ثابت الأنصاري ما زال يقاتل بني هُذيل الذين غدروا بنا حتى قتل فأرادوا أن يجتزوا رأسه ليقدموه لامرأة في مكة كان قد قتل لها ابنين في بدر فجعلت لمن يأتيها برأسه مائة ناقة .

عامر : أنا أعرفها يا عم . أعرف تلك المرأة . هي سلافة من آل عبد الدار التي نذرت إن قدرت على رأسه لتشربنَّ في قحفه الخمر . لكن ما قصة الزنابير ؟ أحقا كانت كبيرة جدا كل واحد منها في حجم الحدأة ؟

خبيب : لا تصدقهم . إنها زنابير في الحجم المعتاد طفقت تذب عن جسد عاصم وتلسع كل من يقترب منه إلى أن جاء السيل فاحتمله وذهب به حيث أراد الله .

عامر : يقولون إنه ساحر .

خبيب : لا تصدقهم يا عامر . بل هو رجل مؤمن شجاع دعا ربه دعوة فاستجابها له .

عامر : ماذا دعا ؟

خبيب : كان قد قاتلهم طوال النهار فلما أيقن بالموت وخشي أن يمثلّوا بجثّته دعا ربه فقال :

اللهم إني حميت دينك صدرَ النهـار فاحم جسدي آخِرَه .

عامر : ما دام ربه يستجيب له فلماذا لـم يَدْعُه أن ينقذه من القتل ؟

خبيب : إنه آثر أن يموت شهيدا في سبيل الله ليدخله الله الجنة .

عامر : خبرني ماذا في الجنة يا عم ؟

خبيب : فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

عامر : هل أستطيع أنا أن أدخلها ؟

خبيب : نعم إذا آمنت بالله وبرسوله وعملت عملا صالحا .

عامر : (بعد صمت يسير) اسمع يـا عم . . ليس في البيت أحد فهل لك في شيء أحضره لك ؟

خبيب : نعم احضر لي موسى يا بني .

عامر : موسى . . ماذا تصنع بها ؟

خبيب : إنهم سيقتلونني غدا فأريد أن استحد بها وأتطهر حتى ألقى ربي وأنا في هيئة حسنة .

عامر : وأين تلقى ربك ؟

خبيب : في الجنة إن شاء الله .

عـامـر : انتظر قليـلا . . سأحضرهـا لك (يخرج) .

ـ ٤ ـ

نفس المنظر السابق . خبيب يسوّي شعر لحيته وشـاربه بشفـرة وبجـانبـه عامـر يصغي إلى قصـة يقصها عليه .

عامر : أجميل هو ؟

خبيب : جميل جـدًا وطيب جيـدًا وشجـاع جدا . آه لـو رأيته ﷺ لأحببته يـا عامر ولـو رآك هو لأحبك !

(يسمع صوت جـارية من الخارج وهي تصيح في رعب) .

الصوت : سيدتي ! سيدتي ! ابنك عامر قاعد عند الأسير وفي يده شفرة ماضية .

جليلة : (صوتها) في يد من ؟

الجارية : (صوتها) في يد الرجل !

جليلة : (صوتها) يا ويلتـا سيثكلني الولد كما أثكلني الـوالد . انطلقي إلى سيـدك عقبـة فادعيـه (تدخل جليلة وهي مرعوبة) .

جليلة : ويلك ماذا تصنع بولدي ؟

خبيب : (يجذب عـامر إليـه) قـد أمكنني الله منكم مرة أخرى يا أخت بني الحارث .

جليلـة : كـلا لا تفعل . حنـانك إنـه صبي صغير وليس لي غيره . أليس في قلبك رحمة ؟

عامر : لا تخافي يا أمَّه . إنه إنما يمزح معك .

جليلة : أيمزح وفي يده الحديدة ؟

خبيب : لا تـراعي يـا أم عامـر . إنما أردت أن أريك أنني قادر عليه لو شئت . ولكن ديني ينهاني عن ذلك ومـا كنت لأفعلـه ولـو لم ينهني ديني . اذهب يا بني إلى أمك .

عامر : لا . . حتى أسمع بقية القصة .

جليلة : ويلك تعالَ يا شقيّ !

خبيب : اذهب إليها يا بني وسأتم لك قصتي فيما بعد .

(يدنو الصبي من أمه فتحتضنه في فرح وهي لا تكاد تصدق أنه حي بعد)

ـ ٥ ـ

في العـراء خـارج مكة وقـد نصبت خشبـة من جذوع النخل ليصلبـوا خبيبا عليها في نشـز مرتفع من الأرض . خبيب يسوقـه عقبـة وإثنـان آخـران وخلفهم جليلة وعامـر الصبي . ومن خارج المشهد تسمع أصـوات الجمهور من الخلق الـذين خرجـوا ليشهدوا صلب خبيب وقتله .

خبيب : إن كنتم تريدون قتلي الساعة فدعوني أصَلِّ ركعتين قبل أن تقتلوني .

أصـوات : كلا لا تجيبـوه إلى طلبـه . اقتله يـا عقبة ! اقتله يا عقبة !

جليلة : مهـلا يا عقبة . أجب هـذا الرجل إلى طلبه . فمـن حقه أن يجاب . (همهمة استنكـار من الجمع) .

عقبة : ما خطبك يا أم عامر ؟

جليلـة : إن لـه يـدًا عندي يـا عقبة . كـان في وسعه أن يقتل عامرا ابني فلم يفعل .

عامر : أجل يا خالي أجبه إلى طلبه .

عقبة : صل يا هذا ما شئت وأسرع .

خبيب : (يكبر للصلاة) الله أكبر .

ـ ٦ ـ

خبيب : (يسلم من صـلاته) السـلام عليكم ورحمة الله . السـلام عليكم ورحمة الله (ينهـض قائما) .

والله لولا أن تحسبـوا أن ما بي من جـزع لزدت . هيا اقتلوني الساعة .

عقبة : هلم ارق هذه الخشبة .

خبيب : ويلكم أتريدون أن تصلبوني ؟

عقبة : نعم . هل جزعت ؟

خبيب : يـا هـذا إن المسلم لا يجزع من الشهادة .

(عقبة وصاحباه يشدونه إلى الخشبة بالحبال) .

خبيب : الحمـد لله . الحمـد لله . (يهم عقبـة بقتله) .

أصـوات : مهلا يـا عقبـة . دعنا نسألـه أولا . أتحب يا هذا أن محمدا مكانك ؟

خبيب : لا والله مـا أحب أن يـؤذى محمـد بشوكة في قدمه .

أصوات : ارجع عن الإسلام لنخلي سبيلك ولا نقتلك .

خبيب : ساء ما قلتم يا جند الباطل . (يدعو) اللهم أحصهم عـددا واقتلهم بـددا ولا تبق منهم أحدا .

عقبـة : سمعتم مـا يقـول كيف يـدعـو عليكـم ؟، إني لن أقتله وحدي . . هلموا كل من بيده رمح فليطعنه معي .

أصوات : أجل دعونا نتعاوره برماحنا من كل جانب .

خبيب : اللهم إنه ليس هنا أحد يبلغ رسولك عني السلام فبلغه أنت عني السلام .

(تسمع حـركـة الرمـاح وهي تنـدق في خبيب والصبي وأمه يشيحان بـوجهيهما عن المنظر وصوت خبيب من خلال الضوضاء والأصوات يقول :

بلّغه يا ربّ عني السلام !

(ختـام) .

مذاهب واتجاهات في الأدب

أ

الأفلاطونية : Platonism

تتمثل الأفلاطونية ـ من الناحية الفلسفية البحتة في روحانية ومثالية مطلقة تهدف إلى إعلاء القيم العليا المتمثلة في الخير والجمال والحق .

وتتصل هذه الفلسفة بنظريات الشعر المختلفة طوال تاريخ الآداب بصلة وثيقة ، وهي تتمثل في أوجه أربعة :

١ ـ من حيث اعتبار الشعر لونًا من التربية ، يرى أفلاطون أن الشعر عليه أن يخدم أغراض الخير الأخلاقي للفرد والجماعة ، ومن هنا فقد ألح في جمهوريته المشهورة على ضرورة حماية أخلاق المواطن من أثر الشعر التافه والماجن ، كما بين في محاورته المسماة بروتاجوراس Protagoras كيف يمكن استغلال الشعر في إثارة الإعجاب بالآلهة والأبطال .

وأثرت هـذه الدعوة كثيرًا في النقد الأدبي الأوروبي في عصر النهضة ، حيث مثلت منطلقًا للدفاع عن الشعر أمام مهاجميه من المتزمتين ، كما رفعت من شأن الشاعر حيث اعتبر مشاركًا في تقوية الروح المعنوية القومية وذلك خاصة من خلال الملحمة .

٢ ـ من حيث اعتبار الشعر لونًا من المحاكاة ، نظر أفلاطون إلى الشعر على أنه محاكاة للطبيعة المخلوقة بوصفها محاكاة مبهمة لمثال إلهي كامل ، ولكن هذه المحاكاة الشعرية تعتبر أسمى أنواع المحاكاة ؛ لأن الشاعر يحاول دائمًا أن يحاكي المثال الإلهي من خلال محاكاته لطبيعة ناقصة مبهمة .

٣ ـ من حيث اعتبار الشعر إلهامًا ، تؤكد النظريات الأفلاطونية أن الشاعر في حالة وجدانية خارقة أثناء قرضه الشعر ، يستطيع من خلالها أن يلمح المثل الإلهية العليا ، وهذا أدى إلى عادة استهلال القصائد بمناشدة ربة الشعر أن تمده بالإلهام والوحي . وكان لهذه النظرية الأفلاطونية تأثير في النظريات المختلفة في النقد الأدبي القائلة بأن الشاعر بمثابة كاهن ملهم أو مجذوب لا يعي ما يقول .

٤ ـ من حيث اعتبار الشعر رمزيًا خفيا ، كان أفلاطون يلجأ في كل محاوراته إلى الأساطير والمجازات والقصص الرمزي ليعبِّر عن أفكاره ، وهذا ما أدى إلى اعتبار الشعر ستارًا لمعان متصرفة خفية .

وقد تأثر بذلك شعراء عصر النهضة في أوروبا وحتى يومنا هذا ؛ حيث نجد هذا الأثر في الكثير من الصور الرمزية التي يستخدمونها والتي تمتد جذورها إلى المثل الرمزية لأفلاطون .

الأفلاطونية الجديدة : Neoplatonism

مذهب فلسفي برز ما بين القرن الثالث والسادس الميلادي ، وذلك كنزعة توفيقية بين الآراء الأفلاطونية والتصوف الشرقي عامة والمصري خاصة ، من أشهر رواده الفيلسوف المصري أفلوطين (٢٠٣ ـ ٢٦٢م) الذي قال بوجود علو مطلق من جانب «الواحد» أو المبدع الأول .

وأثر هذا المذهب في تاريخ الآداب الأوروبية ، حيث ساعد على تطور فكرة القصص الرمزي في آداب العصور الوسطى ، وخاصة عن طريق الترجمات الكثيرة لتعليق ماكروبيوس Macrobius على حلم سكيبيون Somnium Scipionis لشيشرون Cicero .

حيث اعتمد هذا التعليق على مزج العناصر التصوفية والعناصر الأفلاطونية العامة في التأويل الرمزي .

ويبدو أثر هذا المذهب واضحًا في كتاب الفردوس من الكوميديا الإلهية Divinia Commedia لدانتي Dante ، وكذلك في الشعراء الفرنسيين في أواخر القرن السابع عشر ، وعلى طائفة من الفلاسفة الإنجليز في أوائل القرن السابع عشر الذين كانوا يسمون بـ «أفلاطون كمبردج» Cambridge Platonists نسبة إلى الجامعة التي كانوا ينتمون إليها وعلى رأسهم القس هنري مور .

ومن أهم ما تنادي به هذه المدرسة من نظريات هي أن الكون مخلوق خلقًا روحيًا وأن حواس البشر لا تكشف إلا مظاهره ، لا جوهره . أما النظرية الأخلاقية لهذه المدرسة فتعتمد على الانسجام بين العقل والدين ، وبين الخير والحقيقة ، وبين السلوك الأخلاقي وفاعلية العقل المدرك .

الانطباعية : Impressionisme

حركة أدبية وفنية خرجت من أكمام الحركة الطبيعية وعاصرتها ، ولكنها وسعت مجالها ، وساعدت على ترسيخ الخيال والصور الذهنية في جميع ألوان الأدب . وقد استخلص أنصارها الأوائل في فرنسا منهجهم من منهج المدرسة الانطباعية في التصوير الزيتي التي أسسها كلود مونيه (١٨٤٠ ـ ١٩٢٦م) واشتق اسمها من عنوان لوحته التي عرضها عام ١٨٧٤م وصور فيها منظرًا طبيعيًا وجعل عنوانها «انطباع عن الشمس الشرقية» واهتم فيها وفي غيرها بتتبع أثر الضوء وتصويره بنقط من اللون تحلق في المشاهد انطباعا عن المشهد بضوئه وظلاله وجوه .

وكان أنصار هذه الحركة في الأدب يستعيضون عن اللون باللغة ويجعلونها وسيلة لتسجيل الانطباعات . وكان منهجهم يقوم على بعض المبادئ التي يمكن تلخيصها في :

١) البعد عن التأمل في الأشياء والتفكير فيها ، والاكتفاء بالأثر أو الانطباع الفوري الذي تخلقه في الأديب .

٢) العمل على امتصاص موضوع الكتابة في إطاره الكلي لا في تفصيل من تفصيلاته .

٣) إيجاد مزيج من الكلمات التي تتصل بالصفات الأساسية للشيء الذي يقع تحت الملاحظة ولكن بأخذ الشيء نفسه بجميع مظاهره.

٤) فرض الانطباع على حواس القارئ بطريقة تجعله يشارك في تجربة الكاتب.

لقد هيأت واقعية القرن التاسع عشر في فرنسا الأرض للانطباعية، وقامت الطبيعية بشحذ أسلوب الملاحظة الدقيقة الذي استخدمه الانطباعيون.

ويعد الأخوان إدمون وجيل جونكور رائدَيْ الحركة الانطباعية في الأدب؛ ولا سيما في يومياتهما التي نشراها عام ١٨٥٦م وسجلا فيها رحلاتهما إلى الشرق ومصر بصفة خاصة. وقام الكاتب الألماني أد البرت ستيفتر بتمهيد السبيل للحركة في ألمانيا بمجموعة قصص قصيرة صدرت في منتصف القرن التاسع عشر وسجل فيها الحياة الريفية في جبال بوهيميا، وعرض ملاحظات محايدة عن تفاصيل هذه الحياة في الطبيعة وتكامل البشر معها. ولكن لم تتطور الحركة إلا في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، حين أصبح لها أتباع كثيرون في فرنسا (إميل بورجيه) وألمانيا (ريلكة وتوماس مان في شبابه) وإيطاليا (جبرائيل دانونزيو) وبلجيكيا (موريس مترلينك) وقد حاول هؤلاء وغيرهم أن يخلقوا في كتاباتهم إحساسا جديدا بالطبيعة كنوع من التمرد على تركيز أنصار الحركة الطبيعية على المدن، وأن يرتادوا خوافي العلاقات الإنسانية. وكانت حركتهم هذه إعدادًا لما تلاها وعاصرها من أنصار الحركتين الرمزية والرومانتيكية الجديدة.

ب

البرناسية : Parnassism,e

مذهب أدبي ظهر في فرنسا خلال النصف الأخير من القرن الماضي، وعرفت به جماعة من الشعراء الفرنسيين، كانوا ينشرون شعرهم في منتخب شعري بعنوان «البرناس المعاصر» Le Parnassa Contemporain. وكان يتولى جمع هذا المنتخب ونشره ناشر يدعى ليمير. وقد ظهر ثلاث مرات في سنوات ١٨٦٦م - ٧١ - ٧٦. واسم المنتخب نفسه مأخوذ من اسم جبل برناسوس في وسط اليونان الذي اشتهر بأنه كان مقر الإله أبو للو وربات الفنون.

وكان أفراد هذه الجماعة متمردين على ما في الشعر الرومانتيكي من ذاتية في المضمون وتفكك في الصياغة. ونادى هؤلاء بضرورة إهمال الشاعر لذاتيته والاهتمام الصارم بشكل القصيدة. واستمدوا مبادئهم النظرية من فكرة «الفن للفن» التي نادى بها الشاعر تيوفيل جوتييه وفكرة الشاعر بانفيل حول الجمال اللفظي في الشعر. وقد كتبوا أشعارهم متوخين الوضوح دون الإقلال من أهمية دور الصور الشعرية، ولكن الرمزيين أنكروا عليهم هذه الطريقة فيما بعد بحجة خلوها من الظلال التي تفرضها المعاني والحركة التي تفرضها الألفاظ في القصيدة.

كان تيوفيل جوتييه (١٨١١ ــ ١٨٧٢م) نجم الجماعة. وكان زميله ليكونت دي ليل (١٨١٨ ــ ١٨٩٤م) أشبه بقائد الأوركسترا فيها. وكان جوتييه قد كتب في مقدمته لديوان (الآنسة موبان) (١٨٣٥م) أن الفن غاية في ذاته، وليس وسيلة لأي شيء، وأن الشاعر أشبه بالنحات والصانع الماهر، ويجب أن يشكل قصيدته على نحو موضوعي لا ذاتية فيه ولا غموض. وهذه نفسها هي الفكرة التي تبناها الشاعر الإنجليزي ت. س. أليوت فيما بعد حين قال: إن «تطور الفنان يعني التضحية المستمرة بنفسه والاستئصال المستمر لشخصيته».

وقد اتبع أفكار هذه الجماعة كثيرون من الشعراء الذين اجتذبتهم فكرة «الفن للفن» من أمثال تيودور دي بانفيل (١٨٢٣ - ١٨٩١م)، سولس برودوم (١٨٣٩ ــ ١٩٠٧م) الحائز على جائزة نوبل عام ١٩٠١م، فرانسوا كوبيه (١٨٤٢ ــ ١٩٠٨م) ج. م. هيريديا (١٨٤٢ ــ ١٩٠٥م) وظهر أثرهم في إنجلترا خلال سبعينيات القرن الماضي عن طريق بانفيل الذي كان على صلة بالشعراء أوستن دوبسون وسوينبورن وأندرو لانج. واستعان أتباعهم الإنجليز هؤلاء بكثير من أفكارهم، ولا سيما في الأسلوب والصياغة وإحياء الأشكال الشعرية القديمة في القصيدة، مثل البالاد Ballad (أشبه بالموشح) والروندو Rondeau (أشبه بالموشح أيضا ولكن أقصر).

ت

التصويرية : Imagism

مذهب أدبي ظهر في إنجلترا وأمريكا بين سنتي ١٩٠٩م و١٩١٧م، وأبرز ما يميزه عن غيره من المذاهب هو التخلص من الغموض والرمزية في الشعر مع عرض صور شعرية تتميز بالوضوح وبقدرتها على الإيحاء بصور مرئية تنبض بالحياة.

وقد تأثر شعراء هذا المذهب بالشعر الياباني والصيني.

وكان أهم رواده الشاعر الأمريكي عزرا باوند الذي جمع أول ديوان مختار لشعر هذا المذهب (١٩١٤م)، كما جمعت الشاعرة إيمي لوول ديوانًا من مختارات التصويريين أسمته «بعض الشعراء التصويريين Some imagist poets» وتضمن هذا الديوان المبادئ الجديدة لهذه المدرسة بعد أن حدث انشقاق بين أنصارها، وأهم تلك المبادئ: الدعوة إلى إدخال العامية في الشعر، وإبداع ايقاعات شعرية جديدة، وأنه لا فرق بين موضوعات شعرية وغير شعرية، وأن الصور الشعرية يجب أن تتصف بأقصى درجة من التحديد ووضوح المعالم.

التعبيرية : Expressionism

نزعة فنية وأدبية ظهرت أولاً في ألمانيا قبيل الحرب العالمية الأولى ١٩١٤م وازدهرت هناك حتى سنة ١٩٢٤م تقريبًا.

وهي ترمي إلى تمثيل الأشياء كما تصورها انفعالات الفنان أو الأديب نحوها لا كما هي في الحقيقة والواقع. ويقابلها في إيطاليا الحركة المستقبلية Futurismo والحركة المستقبلية التكعيبية Cubo-Futurism في روسيا قبل ثورة ١٩١٧م، وأثرت هذه النزعة على الحركة السريالية Surrealism (ما فوق الواقع) بأوروبا وأمريكا، في نفس الوقت الذي تأثرت هي فيه بفلسفة

برجسون وخاصة نظريته في الوثوب الحيوي، وكذلك أثرت عليها روايات دستويفسكي ومسرحيات سترند برج.
من أشهر الأدباء التعبيريين الشاعر النمساوي فرانس مترفل وفرانس كافكا الروائي الألمانيّ اللغة، التشيكي الوطن.

د

الدادوية : Dadaism

مدرسة في الفن والأدب تأسست في سويسرا عام ١٩١٧م على يد الشاعر الفرنسي (١٨٩٦ ـ ١٩٦٣م). وتتجدد مرامي هذه المدرسة في التخلص من قيود المنطق المعتادة والعلاقات السببية في التفكير والتعبير. واتخذ أتباع هذه المدرسة السخرية سبيلاً للوصول إلى هدفهم في التخلص من كل ما يعوق الحرية المطلقة ويكبح جماح التلقائية في التعبير والإبداع الفنيين، ولكن حدث اختلاف بعد ذلك فيما بينهم، وجاءت الحركة السريالية التي أنشأها أندريه بريتون سنة ١٩٠٤م لتضع نهاية لهذه المدرسة.

ر

الرمزية : Symbolism

تعني الرمزية في الأساس كل اتجاه في الكتابة فيه استعمال للرموز إما بذكر الملموس وإعطائه معنى رمزيًا، وإما بالتعبير عما هو مجرد من خلال تصويرات حسية مرئية كحروف الكتابة أو اللوحات الفنية مثلا. أما الرمزية كمدرسة شعرية فقد ازدهرت في فرنسا في أواخر القرن التاسع عشر، وكانت البداية ـ تحديدًا ــ في العام ١٨٨٥م، حيث اجتمع عدد من الشعراء بعد وفاة الشاعر فيكتور هوجو، ودعوا لشعر يستطيع أن يوحي بحياة الشاعر الداخلية، وذلك خلافًا للمدرسة البرناسية التي كانت تتميز بالنفور من التعبيرات الشخصية.

والشعراء الذين تبنوا هذه الدعوة هم : ستيفان مالارميه (١٨٤٢ ـ ١٨٩٨م) وبول فرلين (١٨٤٤ ـ ١٨٩٦م) وأرثور رامبو (١٨٥٤ ــ ١٨٩١م) وتريستان كوربير (١٨٤٥ ـ ١٨٧٥م) وجان موریاس (١٨٥٦ ـ ١٩١٠م).

وفي ١٨ سبتمبر ١٨٨٦م نشر الأخير بيانا بمبادئ هذا الاتجاه بصحيفة الفيجارو. واعتبر هؤلاء الشعراء شارل بودلير رائدًا لهم.

ومرت المدرسة الرمزية بجيلين من الشعراء، جيل استمر حتى نهاية القرن التاسع عشر وهم ألبير سامان (١٨٥٨ ـ ١٩٠٠م) وجول لانورج (١٨٦٠ ـ ١٨٨٧م) وجوستاف كان (١٨٥٩ ــ ١٩٣٦م) والأخيران هما رائدا ما سُمّيَ بالشعر الحر في فرنسا.

والجيل الثاني استمر يكتب حتى نهاية الحرب العالمية الأولى وشمل بول فور (١٨٧٢ ـ ١٩٦٠م) وبول فاليري (١٨٧١ ـ ١٩٤٥م).

وكان لهذه المدرسة بالإضافة إلى تمردها على المدرسة البرناسية اتجاهان واضحان : هما الاهتمام بالجمال الموسيقي في الكلام أكثر من الاهتمام باستحضار الصور الخيالية الشبيهة بتصويرات الفن، والولع بأسرار الكون وبالسحر وبما وراء الطبيعة وهو ما كانت تتميز به الحركة الرومانتيكية في أوروبا.

وقد اندثرت هذه المدرسة في الثلاثينيات من هذا القرن إلاّ أن ظلالها لا تزال واضحة في الحركة السريالية الأوروبية.

الرومانتيكية : Romanticism, Romantisme

جاءت كلمة «رومانتيكي» في اللغات الأوروبية من كلمة Romantzالفرنسية القديمة بمعنى رواية، ثم ظهرت الكلمة في الإنجليزية عام ١٦٥٩م بمعنى «كالرواية» أو «مثل الرواية» ثم استخدمها الألمان في القرن الثامن عشر بالمعنى المعروف الآن، أي بمعنى مناهضة الكلاسيكية. وكان أول من استخدمها من الألمان الناقد الشاعر فيريدريش شليجل. ومع أنه عرّف الرومانتيكية بأنها تصوير للمادة العاطفية أو الوجدانية من خلال الخيال فقد تباينت التعريفات وتعددت بعد ذلك على نحو كبير، حتى لقد أحصى أحد الدارسين نحو ١١٣٩٦ تعريفًا للرومانتيكية حتى عام ١٩٤٨م.

ولم تختلف الرومانتيكية في تعريفاتها وحسب، وإنها اختلفت أيضا في مظاهرها من بلد إلى بلد ومن لغة إلى أخرى. ففي فرنسا حيث تميزت الكلاسيكية بتقاليد قوية وراسخة واجهت الرومانتيكية معارضة شديدة وواسعة، ولم تستقر حتى عام ١٨٢٠م. وفي تلك الأثناء اصطدمت بحركة التنوير وتقاليد الكلاسيكية. وكانت لها اهتماماتها العميقة بمشكلات عصرها السياسية والاجتماعية، وارتبط تطورها أساسًا بالنزعة الغنائية في الشعر والتحليل النفسي في الرواية. وبلغت ذروتها في الشعر بصفة خاصة على أيدي لامارتين وفيكتور هيجو وألفرد دي فيني وألفرد دي موسيه، أما في إنجلترا فقد تميزت الرومانتيكية بالتركيز على مشكلات المجتمع والبشر بوجه عام والإحساس القوي بالطبيعة والبساطة والمشاعر الفطرية والتراث الشعبي. وازدهرت على أيدي الشعراء بايرون وشيللي ووردزورث وكوليريدج.

غير أن المؤرخين وجدوا في اختلاف الرومانتيكية وتباينها من بلد إلى بلد مظاهر شبه متعددة. ومالوا إلى تعريفها عن طريق هذه المظاهر التي هي في الوقت نفسه خصائص مشتركة. ومن أهمها : معاداة الكلاسيكية أي معاداة القواعد والقيود والتقليد والعقلانية. وكذلك الاهتمام بالطبيعة والمشاهد غير المألوفة. ومن هذه الخصائص أيضا التلقائية في التفكير والسلوك والتعبير، وقوة الخيال، والتأكيد على حرية الفرد وذاتية الأديب، والإعلاء من شأن العاطفة والحدس.

وقد ظلت الرومانتيكية مزدهرة في الأدب الأوروبي حتى منتصف القرن التاسع عشر حين بدأت الواقعية في إقصائها عن ساحة المذاهب الأدبية. ولكن الرومانتيكية ما لبث أن عادت من جديد في مطالع القرن العشرين، وأطلق عليها المؤرخون اسم «الرومانتيكية الجديدة» ومع ذلك لم تختلف كثيرا في خصائصها عن الرومانتيكية الأولى.

نخلص من هذا كله إلى أن الرومانتيكية مذهب أدبي ظهر كرد فعل للمذهب الكلاسيكي مع التغيرات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي رافقت نهاية القرن الثامن عشر ومطالع القرن التاسع عشر.

مُسابقة أرامكو السّعوديّة الثقافيّة
للكِبار
بمناسَبة مُرور ستّين عامًا على إنشاء الشركة

بمناسَبة مُرور ستّين عامًا على إنشاء أرامكو، التي أصبحت تُعرَف الآن بأرامكو السّعوديّة، يسرّ إدارة العلاقات العامّة بالشركة أن تدعُو المواطنين والمقيمين في المملكة العربيّة السّعوديّة للاشتراك في هذه المسَابقة الثقافية، متمنّية للجميع التوفيق، وراجية من جميع المشاركين الالتزام بشروط المسَابقة بدقّة.

شــروط المسابقــة

أولاً: يحق لكل مواطن سعودي ولكل مقيم في المملكة العربية السعودية الاشتراك في هذه المسابقة شريطة أن لا يقل عمره عن أربعة عشر عامًا.

ثانيًا: يسمح لكل مشترك دخول المسابقة بقسيمة واحدة فقط، وسوف يستبعد من المسابقة كل من يثبت اشتراكه بأكثر من قسيمة.

ثالثًا: على كل متسابق أن يرفق مع قسيمة الإجابات صورة عن وثيقة تثبت صحة المعلومات الشخصية المسجلة على القسيمة (مثل: البطاقة العائلية، الجواز، الإقامة، شهادة الميلاد، حفيظة النفوس أو غيرها).

رابعًا: تكتب الإجابات بخط واضح وبقلم الحبر.

خامسًا: الإجابات التي تتطلب تحديد تاريخ معين يمكن الإجابة عليها بالتاريخ الهجري أو الميلادي أو الاثنين معًا.

سادسًا: آخر موعد لتلقي الإجابات هو ١ جمادى الثانية ١٤١٤هـ الموافق ١٤ نوفمبر ١٩٩٣م

سابعًا: لن تدخل المسابقة أية قسيمة مخالفة للشروط، كما لن تقبل الإجابات المرسلة بجهاز النسخ الهاتفي (الفاكس)

ثامنًا: لا يسمح لموظفي أرامكو السعودية ولا لأفراد عائلاتهم بالمشاركة في هذه المسابقة، إذ أن هناك مسابقة أخرى منفصلة مخصصة لهم.

تاسعًا: ترسل الإجابات قبل الموعد المحدد. إلى العنوان التالي:

مسَابقة الذكرى الستين للكبار
قسم النشر - إدارة العلاقات العامة
غرفة ٢٢١٦ - مبنى الإدارة الشرقي
أرامكو السعودية - الظهران ٣١٣١١

الجوائز
ستون جائزة
كالتالي:

جائزة المركز الأول مقدارها ٣٠ ألف ريال

جائزتان للمركز الثاني:	مقدار كل منهما	١٥ ألف ريال.
ثلاث جوائز للمركز الثالث:	مقدار كل منها	١٠ آلاف ريال.
أربع عشرة جائزة للمركز الرابع:	مقدار كل منها	٥ آلاف ريال.
أربعون جائزة للمركز الخامس:	مقدار كل منها	٢٥٠٠ ريال

قسيمة الاشتراك في مسابقة أرامكو السّعوديّة الثقافية للكبار

عزيزي المتسابق، اقطع هذه القسيمة، وأجب على الأسئلة وأملأ البيانات المطلوبة ثم ارسل القسيمة إلى العنوان الموضح في الإعلان :

المعلومات الشخصيّة

اسم العائلة أو اللقب	اسم الجد	اسم الاب	الاسم الأول

الاسم (رباعيًا ومطابقًا للوثائق الرسمية) : ______ ______ ______ ______

رقم وثيقة إثبات الشخصية ______ نوعها ______ مصدرها ______ تاريخ إصدارها ______

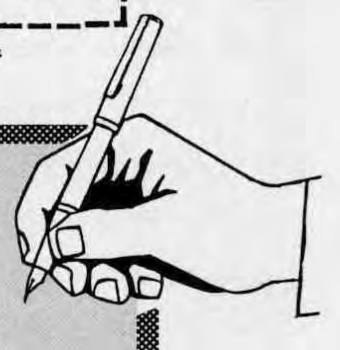
تاريخ انتهاء صلاحيتها (إن وجد) ______ الجنسية ______ العمر ______

العنوان كاملاً : ______ ______

ص.ب ______ المدينه ______ الرمز ______

رقم الهاتف : ______ رقم الفاكس : ______

عزيزي المتسابق ، لا تنسَ إرفاق صُورة من الوثائق التي تثبت صحّة المعلومات المدوّنة هنا



أسئلة مسابقة أرامكو السّعوديّة الثقافية للكبار

س١ كان توقيع اتفاقية الامتياز الخاصة بالتنقيب عن الزيت الانطلاقة الحقيقية لصناعة الزيت السعودية، متى وقعت اتفاقية الامتياز ؟ وأين وقعت ؟
الإجابة : وقعت اتفاقية الامتياز في ______ هـ ______ م في مدينة ______

س٢ كان اكتشاف الزيت بكميات تجارية هو بداية العملية لنمو وتطور صناعة الزيت في المملكة، فما اسم البئر التي اكتشف فيها الزيت بكميات تجارية لأول مرة في المملكة ؟ ومتى كان ذلك ؟
الإجابة : اسم البئر ______ وكان ذلك في ______ هـ ______ م.

س٣ رعى جلالة الملك عبد العزيز آل سعود، يرحمه الله، حفلاً أشرف فيه على شحن أول ناقلة بالزيت السعودي، متى كان هذا الحفل ؟ وأين ؟ وما اسم تلك الناقلة ؟
الإجابة : كان الحفل في ______ هـ ______ م
في فرضة (ميناء) ______ وكان اسم الناقلة ______

س٤ أنجزت أرامكو السعودية عددًا من الاكتشافات البترولية المهمّة جنوب الرياض، أذكر ثلاثة من الحقول التي اكتشفت هناك .

س٥ من هو أول سعودي عُيّن رئيسًا لشركة أرامكو ؟ ومتى كان ذلك ؟
الإجابة : أول سعودي عُيّن رئيسًا لأرامكو هو ______
وكان ذلك في ______ هـ ______ م.

س٦ قامت أرامكو السعودية بالاشتراك مع سابك وموبيل بتمويل إنتاج سلسلة من ثلاثة أفلام تتحدث عن الحياة الفطرية في المملكة، وقد حازت هذه السلسلة على عدد من الجوائز العالميّة، فما هو اسم هذه السلسلة ؟
الإجابة : اسم هذه السلسلة هو ______

س٧ إسهامًا من أرامكو السعودية في دعم الحركة الثقافية والفكرية فإنها تصدر مجلتين إحداهما شهرية عربية والأخرى إنجليزية تصدر كل شهرين وتوزع المجلتان مجانًا على الراغبين في الاشتراك فيهما فما اسما هاتين المجلتين ؟
الإجابة : المجلة الشهرية العربية هي ______
والمجلة الإنجليزية التي تصدر كل شهرين هي ______

س٨ يختص علم (البترولوجيا) بدراسة واحد مما يلي، ضع دائرة على الحرف الذي يشير إلى الجواب الصحيح . أ- الطبقات الأرضية الحاملة للماء .
ب- أصل وتاريخ الصخور وتركيبها الكيميائي. جـ- أنواع الأحياء البحرية

س٩ هل تضم منظمة الدول المصدّرة للبترول (أوبك) جميع الدول العربية المنتجة والمصدّرة للبترول ؟ ضع دائرة حول الجواب الصحيح .
الإجابة : نعم - لا

س١٠ تستخدم الطائرات النفاثة وقودًا هو شكل نقي جدًا من أحد أنواع الوقود التي كانت شائعة الاستعمال فيما مضى لبعض الأغراض المنزلية، فما هو ؟
الإجابة : هذا الوقود هو ______ أو ______

(PRS-7-93)

ردود خاصة

● الأخ محمد عصام الحلبي ـ بيروت ـ لبنان :

شكرا على ملاحظاتك بشأن التوزيع في لبنان. ونعدك وبقية قرائنا الكرام في لبنان أن مشكلات التوزيع في بلدكم ستنتهي قريبا إن شاء الله.

● الأخ محمد طاهر حسن القريشي ـ لاهور ـ باكستان :

لم نفهم ـ مع الأسف ـ شيئا مما جاء في الأوراق التي أرسلتها إلينا.

● الأخ أحمد وور موسى ياري ـ كناكر ـ غينيا :

يبدو أن خطأً ما قد وقع، فرسالتك تطلب فيها مجلة «رسالة الجهاد» وهي موجهة إلى تلك المجلة مع أن عنوان مجلة «الفيصل» صحيح على المظروف. للإحاطة وشكرًا.

● الأخ محمد الطيب جقليل ـ الجلفة ـ الجزائر، والأخت ليلى شاعة ـ المسيلة ـ الجزائر :

رسالتكما موجهة إلى القائمين على الإذاعة السعودية رغم أن المظروف معنون بعنوان مجلة «الفيصل». ويبدو أنكما وقعتما فيما وقع فيه القارئ الغيني. عموما نرحب بكم جميعا أصدقاء للفيصل !

● الأخ رشاشي الزين بن خليل ـ خنشلة ـ الجزائر :

لابد من إرفاق قسيمة المسابقة لمن يرغب في الاشتراك فيها. أما العدد الذي طلبته فهو في الطريق إليك.

● الأخ مصطفى أمير حسين ـ أسيوط ـ مصر :

ملاحظاتك على النسخة التي اقتنيتها لا علاقة للمجلة بها، فواضح أن سببها سوء الحفظ أو العرض أو التخزين. أما كتيبات قواعد المعلومات المتخصصة فيرجى طلبها مباشرة من مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، وعنوانه موجود على ظهر الغلاف الخلفي، وأهلا بك.

● الإخوة : ليث فخري حسين ـ عمان ـ الأردن، عبد الرحيم حجازي ـ الإسكندرية ـ مصر :

جوائز المسابقة اتخذت أشكالا مختلفة منذ صدور المجلة، والتغيير فيها شيء طبيعي في محاولة لإرضاء الجميع. وملاحظاتكم محل التقدير. وبالنسبة للأخ عبد الرحيم فما كتبه رئيس التحرير في «إطلالة» عن «الجوائز البراقة» لا علاقة له بجوائز المسابقة !

● الأخ نبيل علي البواب ـ المنستير ـ تونس :

الكتب التي تتحدث عن المملكة العربية السعودية ومنجزاتها الحضارية يمكنك الحصول عليها من المكتب الإعلامي السعودي في تونس التابع للسفارة السعودية. اقتراحاتك حول المادة التحريرية سننظر فيها. وشكرا لك.

● الأخ حسن علي القرني ـ القنفذة :

مرحبا بك وبرسالتك الأولى. ونأمل الكتابة إلينا على وجه واحد من الورقة إذا رغبت في أن ننشر شيئا من إنتاجك الأدبي.

● الأخ علي بوشريت ـ بسكرة ـ الجزائر :

نرحب بمقالاتك وإسهاماتك معنا، فأهلا بك.

● الأخ نعاس هرماس ـ حاسي بحبح ـ الجزائر :

سوف نرسل لك معلومات عن الشخصية التي استفسرت عنها. كما سيرد عليك قسم التوزيع بريديا حول مجلدات «الفيصل»، وشكرا.

● الأخ محمد المغاوري ـ بوجنيبة ـ المغرب :

نرحب بك صديقا للمجلة، كما نرحب بإسهاماتك الكتابية.

● الإخوة : برابري الطاهر ـ عنابة، عاشور نور الدين ـ بسكرة، بزوغري محمد ـ حسين معسكر، عبد القادر حمّة ـ مستغانم، ابن سالم عبد القادر ـ الجلفة، عبد القادر فلاح ـ الشلف، فافي الوردي ـ باتنة، بهري حمو كمال ـ الجزائر العاصمة ـ الجزائر :

نرحب بكم جميعا أصدقاء للمجلة، ونحيطكم علما بأنه ليس فيها ركن للتعارف.

● الأخ سيوطي نجاتي رابع ـ كانو ـ نيجيريا :

طلبك بشأن الحصول على مجلة «أهلا وسهلا» أحلناه إلى القائمين على تلك المجلة، ونأمل استجابتهم لذلك.

● الأخ مصطفى كعبية ـ المنستير ـ تونس :

شكرا على ملاحظاتك واقتراحاتك حول الأرقام الهندية والعربية وترجمة بعض الحروف اللاتينية وسوف ننظر في ما أشرت إليه.

● الأخ علي محمد عبد الله ـ الإسكندرية ـ مصر :

طلبك أحيل إلى مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ونرجو أن يستجيب القائمون عليه لهذا الطلب وشكرا.

● الإخوة : أحمد عبدو القاضي ـ حلب ـ سورية،

عمرو شوقي ربيع ـ المنصورة ـ مصر، محمد فيصل آدم ـ كوماسي ـ غانا، مالك صلاح الدين ـ الجلفة، ابن حمو أم الخير ـ بسكرة، يوسف الحواس ـ سطيف، سلطان سلاط ـ تبسة، عبد النبي عبد الرزاق ورشيد كعبوب ـ المدية ـ الجزائر:

طلباتكم أحيلت إلى القسم المختص، وسيتم التجاوب معها في أقرب فرصة إن شاء الله.

● **الإخوة: عامر أحمد العبدلي ـ أبها، خالد حاج عثمان وكمال الشيخ علي وأحمد شميس ـ دمشق ـ سورية، أحمد محمد إبراهيم الصيني ـ أبو زعبل ـ مصر، علاء الدين بن حميدة ـ تونس ابن الطاهر هشام ـ مكناس، آيت لشكر الحسين ـ أغادير ـ المغرب، عاصم شحادة علي ـ كوالالمبور ـ ماليزيا:**

استفساراتكم بشأن مجلدات «الفيصل» أحيلت إلى قسم التوزيع، وسيتم الرد عليكم بريديا، وشكرا.

● **الإخوة: نور هدية الله ـ أندونيسيا، الحمزة عبد القادر وابن هيبة يحيى وفلاحي بشير ـ الجزائر، السيد إبراهيم يونس ـ كفر الشيخ، طلبة محمد السيد، الجيزة، مصر:**

يؤسفنا أن نعتذر عن عدم تلبية طلباتكم حيث إنها خارجة عن إرادتنا، مع شكرنا وتقديرنا لحسن ظنكم في المجلة.

● **الإخوة والأخوات: سامي عبد الله العقيل ـ الأحساء، منصور أبكر ـ القضارف ـ السودان، نادر شوزي ـ صفاقس ـ تونس، شنفل عبد القادر وعروج أحمد وسعيد المشري ومحمد السعيد الصالح ـ الوادي، بلعيد فاتح وعالب العين وابن حدوق مخلوف وبن يحيى فاطمة وفاطمة بوعكاز ـ الجلفة، عبد الرحمن روابحية وخميس مختار ـ تبسة، حسين نعام ونعام سليمان ـ ورقلة، ربيع عبد الرؤوف ولزنك سفيان ـ بسكرة، نور الدين مبراك وذياب الطاهر بن حسين وزيدان صلاح الدين ـ باتنة، مقدر عمر ـ تلمسان، علي شيكوش ـ المسيلة، دار طانيو نور الدين ـ تمنراست، أحمد أوفريد ـ المدية، الشائع أحمد ـ غرداية، رايد بن يوسف ـ عين الدفلى، قنجوح أعمر ـ واد السمار، عقومة محمد ـ بشار ـ الجزائر، محمد سيبا ماغاني ـ غانا، أبو بكر موسى وأمين غورزوا ـ نيجيريا، علي أمين ـ إزمير ـ تركيا، دوروننج ساريه ـ لاهور ـ باكستان:**

طلبات الاشتراكات التي تخصكم أحيلت إلى قسم الاشتراكات، وسيتم الرد عليكم بريديا، وشكرا.

إيضاح

وردت استفسارات من الإخوة والأخوات قراء المجلة تتعلق بحملة الاشتراكات المخفضة التي بدأتها المجلة من العدد ١٩٦ لشهر شوال ١٤١٣هـ ـ نيسان (أبريل) ١٩٩٣م.

ونظرا لتكرار هذه الاستفسارات، نود إيضاح ما يلي:

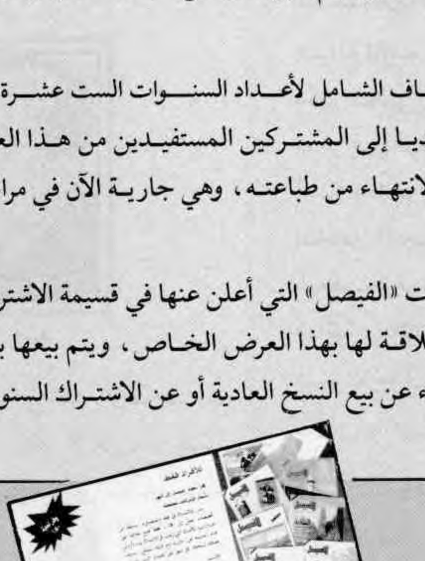
١ ـ جميع المعلومات الأساسية المتعلقة بالاشتراكات المخفضة موضحة على القسيمة.

٢ ـ يبدأ الاشتراك اعتبارا من تحصيل قيمة الاشتراك من البنك وليس استلام الشيك المرفق به القسيمة.

٣ ـ الأعداد السابقة التي يرغب بعض القراء في الحصول عليها لإكمال مجموعتهم من «الفيصل» لا علاقة لها بالاشتراك في المجلة.

٤ ـ الكشاف الشامل لأعداد السنوات الست عشرة الأولى سترسل بريديا إلى المشتركين المستفيدين من هذا العرض الخاص فور الانتهاء من طباعته، وهي جارية الآن في مراحلها النهائية.

٥ ـ مجلدات «الفيصل» التي أعلن عنها في قسيمة الاشتراكات المخفضة لا علاقة لها بهذا العرض الخاص، ويتم بيعها بصورة منفصلة، سواء عن بيع النسخ العادية أو عن الاشتراك السنوي في المجلة.

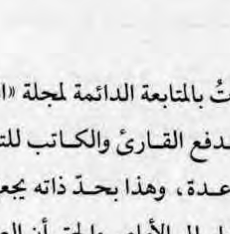


تعليقاً على مقالة علي شلش عن نجيب محفوظ:

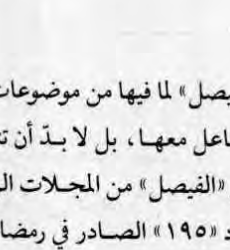
كيف يكون الفكر المنحرف فكراً نيّراً ؟



سعدتُ بالمتابعة الدائمة لمجلة «الفيصل» لما فيها من موضوعات ذات قيمة عظيمة تدفع القارئ والكاتب للتفاعل معها، بل لا بدّ أن تثير في نفسه تساؤلات عدة، وهذا بحدّ ذاته يجعل «الفيصل» من المجلات الرائدة في دفع عجلة الحوار إلى الأمام. والحق أن العدد «١٩٥» الصادر في رمضان ١٤١٣هـ جاء حافلاً وثريًّا بما يمتع القارئ، فإطلالة د. زيد بن عبد المحسن كانت إطلالة تلحّ على الوعي الفكريّ المتقدّم لكل ما يحاك ويخطط من مؤامرات ضدّ أمتنا لسلبها هويّتها الإسلامية الرائدة، أما الخروج من هيمنة الفكر الاستعماري الوافد كما يرى، فيكون بوعينا بذاتنا وفكرنا الإسلامي الأصيل «للقضاء على أوهام أعدائنا في التفوق العُنصري الحضاريّ المخالف في حقيقته لحقائق الحياة ومعطياتنا التي أنارت للبشرية طريقها في عصورها المظلمة». والحق أنّنا بحاجة إلى كتابات ناضجة وفكر نيّر يبصّرنا بمقاومة الباطل مهما زُخرفَ وصُفِّقَ له. ومن زخرفةِ الباطل تسميته بغير أسمائه، وهذا ما لفت نظري في مقال: «نجيب محفوظ: ذكريات وملاحظات».



د. علي شلش



نجيب محفوظ

وفي بادئ الأمر فإنّه يحق لكاتب المقال الدكتور علي شلش أن يتحدث بما يريد عن صداقاته وعلاقاته بنجيب محفوظ أو غيره، ولكن لا يحقّ له أن يقلب الباطل حقًّا، بأن يجعل الفكر المنحرف فكرًا نيّرًا! ومن هنا فإنّي سأتناول مقاله من خلال محورين:

١ ـ لقد جعل الكاتب رواية نجيب محفوظ «الثلاثية» أوّل ناطحة سحاب، مادحًا هذه الرواية وصاحبها مُغفلاً أنّها تزخر بالعلمانية والهجوم على الدين بكل إسفاف.

وإنْ كان نجيب محفوظ نسيطًا منضبطًا متدفقًا بطاقة مدهشة من الإبداع والتفوق كما يحلو للكاتب أن يصفه، فمن المؤكد أن ذلك لمْ يكن في صالح الفكر السويّ، إنما كان يجسّد الفكر الضّال المضلّ، ولنستمع إليه يقول على لسان أحد شخوصه في (السكريّة) ص ١٥٢: «الشيوعية علم أمّا الدين فأسطورة» ويقول في موضع آخر: «عرفت بالتجربة أنه ليس من العسير إقناع المثقفين بأن الدين خرافة وأنّ الغيبيّات تخدير وتضليل» ص ٢٩٦، أي مثقفين هؤلاء؟ ﴿كبرتْ كلمة تخرج من أفواههم إنْ يقولون إلاّ كذبا﴾ الكهف ٥، والأمثلة على هذا الضلال في الرواية كثيرة. بل إن الإلحاد بلغ به أن يستهزئ بالقرآن الكريم والحديث الشريف حيث كتب: «الخمّارُ للخمّار كالبنيان يشدّ بعضهُ بعضًا» السكرية ص ٢٨٦، وهذا طعن واستهزاء بقوله تعالى عن المؤمنين ﴿كأنهم بنيانٌ مرصوص﴾ وقول الرسول ﷺ (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدّ بعضه بعضًا). وإنْ لم يكن هذا طعنًا وسخرية فهل يجوز أن نقتبس من ديننا صورة مشرقة للتكافل بين المؤمنين لنمثل من خلالها صورة قاتمة سوداء للخمّارين الضالّين؟ وإنْ كان يحق للكاتب أن يعرض لشرائح ضالة شاذّة من المجتمع فأين الشرائح المؤمنة السويّة التي تقابلها؟ ولا يخفى على القارئ المتدبّر أنْ يلاحظ بوضوح وجلاء تعاطف الكاتب مع شخصياته الضالّة الملحدة فيلبسها ثوب الفكر العلمي النيّر القادر على الإقناع والمحاورة، بينما يصوّر الشرائح المؤمنة ـ على قلتها ـ بأنها شخصيات ضعيفة منهزمة لا تصمد أمام الحوار العلمي الهادف، وهذا يتضح في شخصية عبد المنعم في الرواية حيث يعجز عن الدفاع عن دينه. فأين الصدق الفني والموضوعي في الرواية؟ أين أمانة الكاتب في تصوير الوقائع بلا تدخل قسريّ يكون لصالح شخوصه المنحرفين الملحدين؟! أمّا كمال عبد الجواد الذي يقول علي شلش بأنه يشبه شخصية نجيب محفوظ (بناءً على معرفته وصداقته لنجيب) فهو شخصية ضائعة وحائرة ومتمردة على الأخلاق والدين، فإن كان نجيب محفوظ كذلك، فليس غريبا أن يكتب ما يكتب ساخرًا من الدين الإسلامي، فالإسلام في نظر محفوظ دين قديم لا يصلح للعصر الحديث والحياة المتجددة والمتغيرة (١).

٢ ـ أما حصول نجيب محفوظ على جائزة نوبل (الغربية) الموالية لإسرائيل كما يقول كاتب المقال، فلم يكن تقديرًا حقيقيًا لرواياته، إنما تقديرٌ لمواقفه (الرائعة) المساندة لحقّ إسرائيل في فلسطين والمناصرة للقيم الغربية. وقد أدرك محفوظ ـ بذكائه الخارق ـ هذه النتيجة فنادى بالتفاوض مع إسرائيل عقب هزيمة ١٩٦٧م (٢).

والغريب أن الكاتب يقر بحق إسرائيل في فلسطين ومناصرة الغرب لها، وهو المسلم الذي لا يغيب عنه موقف الإسلام من ذلك، نعم يقرّ بهذا لسبب أكثر غرابة فيقول بالحرف الواحد: «وهذا كله أمرٌ طبيعي لا نملك له دفعًا ولا تغييرًا، وليس أمامنا إلا التعايش معه؛ لأن رفضه يحتاج إلى قوّة وبدائل ليست في

حوزتنا، ولأنّ الغرب لن يسمح لنا إلاّ بالتعايش مع عدوّنا» . ترى لِمَ كان اغتصاب فلسطين من قبل العصابات اليهودية لا نملك له دفعًا ولا تغييرًا ؟ ولِمَ الإصرار على التعايش مع هذا الظلم ؟ وهل حقًّا لا نملك القوّة والبدائل لتغيير هذه المعادلة ؟! إن تطبيق شرع الله كفيل بنسف هذه المعادلة ! ولكن ما دامَ بيننا الرموز المتسلطة التي تنحّي الإسلام فكرًا وحكمًا وتنادي بالعلمانية منهجًا فما يحصل للمسلمين من قتل وتشريد واغتصاب أوطان نتيجة طبيعية لا غرابة فيها ! أمّا أنّ الغرب لن يسمح لنا إلا بالتعايش مع عدوّنا، فمتى كان النّصارى والمشركون واليهود راضين عن المسلمين أو تروق لهم قوتنا وديننا ؟! فالله يقول في محكم كتابه : ﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النّصارى حتى تتبع ملّتهم قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم ما لك من الله من وليّ ولا نصير﴾ البقرة ١٢٠ . وإنْ كنا لا نستطيع أن نحرّر فلسطين في الحاضر لضعفنا وتنحية حكم الإسلام في حياتنا فهل نعلم الغيب بأن الأجيال القادمة لن تحرّرها وستكون على شاكلتنا !

أما قول (محفوظ) ـ كما يقول كاتبنا علي شلش ـ «ولا سبيل لنا إلا الاعتراف بالأمر الواقع وإنقاذ ما يمكن إنقاذه» ، فهو أسلوب اليأس والانهزام الذي غرسه اليهود والنصارى في نفس نجيب محفوظ ومن يسير في ركبه . وما الذي سننقذه في التفاوض مع إسرائيل ؟! سننقذ (شطرًا بسيطًا من فلسطين) حسب قرارات مجلس (الأمن ـ الخوف) ؟! وهل نفذت إسرائيل قرارًا واحدًا من قرارات هذا المجلس الموقر منذ قيام كيانها الدخيل ؟! بل إنها مع أكذوبة «السلام» تزيد من قمعها لشعبنا الفلسطيني من خلال أشكال متعددة للطرد والقتل والتعذيب ! ولا أدري لماذا إصرار الكاتب على غرس هذه الانهزامية في النفوس، وهل كان ينبغي للشعب المصري ألا يقاوم الاستعمار البريطاني ليستسلم له ويفاوضه لإنقاذ ما يمكن إنقاذه ؟ أم أن شعبنا الأبيّ في مصر صمد وجاهد وضحّى حتى طرد الإنجليز، ولنأخذ العبرة من الشعب الجزائري البطل في مقاومة الفرنسيين، وكذلك بقية شعوبنا الإسلامية التي جاهدت عشرات السنين حتى نالت حقوقها كاملة .

إن المأساة العظيمة هي أن نكون أبواقًا للإعلام المضلل الذي يسعى جاهدًا لتحطيم معنوياتنا وتشكيكنا في قدراتنا وتاريخنا المجيد ! وما علينا إلاّ أن نتوجه لتطبيق شرع الله ونصر دينه بدلاً من الذلّ والخنوع لأحفاد القردة والخنازير ﴿والله غالبٌ على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ يوسف ٢١ ، ﴿ولينصرنّ الله من ينصره إنّ الله لقويٌّ عزيز﴾ الحج ٤٠ .

محمد شلال الحناحنة

الجوف ـ طبرجل

الهوامش

(١) إيمان سالم البهنساوي ، فكر نجيب محفوظ من خلال «الثلاثية» . مجلة المجتمع الكويتية العدد (٩٩٥) ص ٤٢ .

(٢) انظر رأي الكاتب علي شلش بجائزة نوبل بمجلة الفيصل العدد (١٩٥) ص ٢٣ .

باكثير وأشياء عنه



سعدت جدًا بقراءة المقالة القيمة التي كتبها د . عبده بدوي تحت عنوان «من تجاربهم : تجربة باكثير مع الشعر» . والواقع أننا استفدنا كثيرًا من تلك المقالات الهادفة . ونرجو من أستاذنا القدير أن لا يبخل علينا من نفثات قلمه وخلجات نفسه، فنحن نعلم أنه شاعر مجيد وكاتب ذو قلم مميز ورائد له إسهاماته البارزة وبصماته الواضحة على أدبنا المعاصر . وحسب القارئ الكريم أن يعلم أن أستاذنا الكبير قد رافق مسيرة هذه المجلة منذ صدورها إلى يومنا هذا . وفي العدد ١٨٣ شعبان ١٤١٢هـ كان ضيف «من تجاربهم» الشاعر الإسلامي الأستاذ علي أحمد باكثير ـ رحمه الله ـ، صاحب الروائع التي طبقت شهرتها الآفاق مثل : «وا إسلاماه» و «سلامه القس» والأخيرة أشاد بها الكثير من النقاد والأدباء، نذكر منهم الأستاذ روريني خشبة الذي قال : «تمتاز بتماسكها وجمال موضوعها وتناسق عاطفتها ومسحتها الشعرية الغامرة»، وقد قيض الله لهذا الشاعر العملاق من يهتم بشعره ويجمع تراثه الأدبي، ذلكم هو د . محمد أبو بكر حميد، والمعروف عنه حبه وشغفه الشديد بشعر وتراث علي باكثير الذي مات ـ يرحمه الله ـ في غرة رمضان سنة ١٣٨٩هـ، ودفن في مصر .

عمومًا لست هنا بصدد الكتابة عن حياة شاعرنا الكبير، فقد كفاني ذلك د . أحمد عبد الله السومحي عندما تعرض لحياة شاعرنا ولرحلاته ولعشقه الكبير للإسلام والعروبة، وذلك في كتابه القيم «علي أحمد باكثير : حياته وشعره الوطني والإسلامي» . والصادر منذ سنوات عن نادي جدة الأدبي وكتب مقدمة الكتاب د . عبد الله الغذامي . وقد تعرض الكاتب في مقالته الآنفة الذكر بشيء من الإسهاب لحياة شاعرنا وتأثره الشديد بوفاة زوجته وابنته، وتحدث عن الأمراض التي انتابته وأصبح أسيرًا لها ثم تطرق لمحاولاته الجادّة لكتابة الشعر الحر الذي وفق فيه وكذلك كتابة لأوبرا، واستشهد بعمله «قصر الهودج»، وكذلك كتابة الأوبريت واستشهد بعمله «الشيماء» إلى غير ذلك من الأشياء والجوانب المهمة من حياة وشعر شاعرنا باكثير .

ولكن هناك نقطة مهمة ليت أستاذنا الكاتب تعرض لها، وهي حبه الكبير لمصر وتغنيه بأمجادها وآثارها ورثاؤه لكثير من أعلامها، وليس ذلك بمستغرب فقد درس في جامعتها وتوفي ودفن فيها .

سعد بن عايض العتيبي

الرياض



من أسرار الرسائل الأدبية

في مقال عن «الرسائل الأدبية» منشور بالعدد ١٩٧ من مجلة «الفيصل» الغراء، أشار الأستاذ وديع فلسطين إلى الرسائل التي تلقاها محمد لطفي جمعة من أعلام عصره، وقال إنني وقفت على نشرها، والحقيقة أن ما نشر من هذه الرسائل في كتاب «محمد لطفي جمعة وهؤلاء الأعلام» وفي سلسلة المقالات المعنونة «حوار المفكرين» التي نشرت بجريدة «السياسي» القاهرية من مايو سنة ١٩٨٧م حتى فبراير ١٩٨٨م لا تعدو أن تكون كمًّا ضئيلا من تلك الرسائل التي بعث بها إلى لطفي جمعة لفيف من الأدباء ورجال الفكر والسياسة والصحافة والقصة والمسرح في مصر ومن مختلف أقطار العالم العربي والإسلامي منذ مطلع هذا القرن وحتى أوائل الخمسينيات منه، أمثال الشيخ محمد عبده وسعد زغلول ومحمد كرد علي وجرجي زيدان والآنسة ميّ وأمين الريحاني وأحمد شوقي وشكيب أرسلان وخليل مطران وفرح أنطون وأحمد زكي أبو شادي وتوفيق الحكيم والعقاد ومحمود تيمور والمستشرق المجري عبد الكريم جرمانوس والمستشرق الفرنسي لوي ماسينيون والمستشرق الإيطالي ميشيل جويدي وعشرات غيرهم من الكتاب والأدباء والشعراء والسياسيين والصحافيين والمستشرقين.

وتعدّ هذه الرسائل بحق صفحات حيّة نابضة متفاعلة مع أحداث العصر الذي كتبت فيه، فهي صفحات من الأدب والتاريخ والسياسة والاجتماع والثقافة في مصر بخاصة والعالم العربي والإسلامي بعامة، تنتظم فترة من أهم فترات تاريخ هذه الأقطار وشعوبها.

وهي إلى جانب ذلك تكشف لنا عن أمور كثيرة كانت خافية أو غير معروفة للجميع، سواء في حياة كتابها ومنشئيها أو في حياة الدول والشعوب التي ينتمون إليها، ومن ثم فهي عند نشرها تعدّ معينًا زاخرًا ووثائق تاريخية مهمة ومادة خصبة توضع بين أيدي النقاد والأدباء والمؤرخين ليتناولوها بالدراسة والبحث والتحليل ويستنتجوا منها ما قد يؤيد نظرتهم إلى بعض المسائل أو ينقضها أو يصحّحها، أو يكشف لهم عن حقيقة كانت غائبة عنهم أو مجهولة لديهم.

وفيما يلي أورد طرفًا من بعض الرسائل التي بعث بها جرجي زيدان والآنسة ميّ وأمين الريحاني إلى لطفي جمعة تكشف لنا عن أمور وجوانب لم تكن معروفة في حياة هؤلاء الأدباء.

من رسائل جرجي زيدان

فإبّان أن كان لطفي جمعة في مدينة ليون لدراسة القانون كتب إليه جرجي زيدان في ٧ يونيو ١٩١٢م يطلب منه المعونة في الحصول على درجة الدكتوراه الفخرية ردًا على الحملة التي شنّها الأدباء على كتابه «تاريخ التمدن الإسلامي»، فكتب إليه يقول: «وكثيرًا ما حرّضني الأصدقاء على السعي في نيل رتبة علمية أو أدبية (دكتورية) من إحدى الجامعات، لعلمكم أني رفضت الرتب السياسية غير مرة ولا مطمع لي بألقابها لأني لا أراها تلائم صناعة القلم، فقالوا ولكن اللقب العلمي ينطبق عليك ويلائم عملك . . . فإذا وجدت وقتًا تستفهم فيه عن شروط نيل ذلك اللقب وهل في الإمكان نيله لمثلي وما هي الأسباب المساعدة عليه . . . وفاتني أن من جملة حجج الأصحاب في تحريضي



على هذا الأمر أن في نيله ردًا على غير المنصفين من الناقدين وتعزية على التعب . . .».

كذلك نعرف من خطاب جرجي زيدان إلى لطفي جمعة بتاريخ ٢٠ يونيو سنة ١٩١٢م أن روايته «العباسة أخت الرشيد» قد ترجمت إلى الفرنسية ونشرت منجّمة بجريدة «الفيجارو» وتحت عنوان «أخت الخليفة»، ويقول زيدان في خطابه: «وأظن نشر هذه الترجمة في «الفيجارو» نجاحًا حسنًا وهي أول رواية نقلت إلى الفرنسية من تأليف المعاصرين العرب . . . إنني أتربّص الآن لأرى وقعها عند قراء اللغة الفرنسية، فإن كان وقعها حسنًا عددت ذلك فوزًا فيه تعزية لي على التعب والمقاومة . . .».

من رسائل ميّ

أما الآنسة ميّ فقد ضمنت رسائلها إلى لطفي جمعة العديد من آرائها في المرأة الشرقية بعامة والمرأة المصرية بخاصة ووسائل نهضتها، وتقول من رسالة لها في ٢٤ سبتمبر سنة ١٩١٣م: «نحن في حاجة إلى مساعدة الأيدي القوية، نريد قلوب رجال حساسة تشفق وأقلامًا قادرة تشجّع وبدون هذه المساعدة لا تتم نهضتنا إلا ببطء لا نتمناه».

وتناشد لطفي جمعة في رسالتها المؤرخة في ٨ ديسمبر سنة ١٩١٣م أن يأخذ بيد المرأة ويقيلها من عثارها فتقول: «يعجبني نشاطك وتسرني حميتك وتعزيني رغبتك في إيقاظ شعلة الحياة العالية في نفوس أبناء العصر . . . يا سيدي ارفعْ صوتك وتكلمْ، اصرف شيئًا من بيانك وأرشد واعمل في ملاشاة الجهل . . . ثم أرجو أن يكون لك الوقت بعد الوقت . . . كلمة إشفاق في شأن المرأة المظلومة، وإن لفضلك أثرًا في النفوس فعالاً».

وفي رسالتها بتاريخ ١٥ ديسمبر سنة ١٩١٣م تتحدث إلى لطفي جمعة عن غربة الأدباء في أوطانهم وافتقادهم إلى روابط فكرية تجمع بينهم وتقول: «ليس بيننا نحن أدباء الشرق روابط فكرية حقيقية تجمعنا، فإذا كلنا غريب يشعر بالوحدة والوحشة».

من رسائل الريحاني

أما الأديب اللبناني فيلسوف الفريكة أمين الريحاني فيحدثنا في رسائله إلى لطفي جمعة عن رحلاته وسياحاته في بلاد العرب وعن مقصده منها، فيقول من رسالة بعث بها إليه من الحديدة باليمن في ٢٨ شوال سنة ١٣٤٠هـ: «قد تطول سياحتي في بلاد العرب لأن لي فيها أكثر من غاية واحدة، فيهمني من أمرها وحدتها القومية والسياسية، ويهمني قبل ذلك عمرانها، ولكن الجهل في البلاد ضارب أطنابه إنك لا تجد مدرسة واحدة في اليمن وفي عسير».

ويقول أيضا من رسالة بعث بها من الفريكة في ٢٩ أغسطس سنة ١٩٢٣م: «أبغي قبل كل شيء التفاهم الإسلامي ثم التضامن ثم توحيد الكلمة في الأقطار الإسلامية الكبرى كمصر والحجاز، فيشعر المصري مع العربي إذا سعى في سبيل استقلاله، ويشعر العربي مع المصري ومع الهندي . . . هذه بعض آراء بثثتها هناك، وإني أكتب إليك كأخ عزيز لا إلى جريدة من الجرائد».

كذلك يتحدث أمين الريحاني في بعض رسائله إلى لطفي جمعة عن بعض شؤونه الخاصة وأحواله المعيشية الطريفة مما لا يعرف أحد شيئًا عنها كطريقته في الكتابة والتأليف والمعيشة، ويقول من رسالة بعث بها من الفريكة في ١٦ يونيو سنة ١٩٢٣م: «وبعد العشاء أدخن الأركيلة لأنها تساعدني على الهضم وأطالع الجرائد التي تكون قد جاءتني من بيروت، والساعة العاشرة أنام فتضطرب إذ ذاك حياتي لأني في نومي قبل لي أحتج كثيرًا وأحلم أحلامًا مزعجة وأكوبس وحبذا بدل الكابوس العروس! ولكن الرحلة العربية يا سي لطفي علّمتنا العفّة. والحرمة . . . لا تزال في أمريكا وبآخر ما عمر الله من بلدانها سان فرانسيسكو، إن الحياة العقلية تصرف المرء عن المرأة، وكان الكاتب الأمريكي دجاك لندن يقول: «كل مرة أبغي الجماع أكتب قصة فأنتصر على بغيتي» . . . مسألة جديرة بالبحث! . . . أما السبب في اضطراب ليلي وفي نومي المتقطع فهو ألمي العصبي الذي يزول وقت التأليف والأصح أني أنساه ويخفّ بعد الظهر ويشتد في الليل، الحمد لله أني لا أزال بعد اثنتي عشرة سنة من هذا الداء العصبي سليم العقل والقلب، يشهد على الأول الجزويت . . . لأنهم اتهموني بكل شيء فيما عدا الجنون، ويشهد على الثاني أصحابي وأنت أولهم . . . أمي وشقيقتي سعدى وأدال مدام يوسف صادر وأخي ألبرت يهدونك أزكى السلام».

وفي رسالة أخرى بعث بها في ١٠ مارس ١٩٢٧م تحدث فيها عن بعض أموره المعيشية فقال: «أنا لا أزال في الفريكة وحدي أي أن زوجي لا تزال في أميركة وسنجتمع إن شاء الله في الخريف القادم، ولكن في البيت أمي . . . وأختي سعدى تدبر شؤون البيت وشؤونها بالرأي الثاقب الذي «يثقب» جيبي كل يوم!! وفي البيت نورة الفرس النجدية التي أهداني إياها الملك السلطان عبد العزيز . . . وفي البيت هرّ اسمه حسن لا يأكل غير اللحم والسمك ولا يجلس إلا في أحراج الناس . . . وقد شبّهتُ حسنًا بموظفي الحكومة في هذه البلاد المنكوبة بحكوماتها، فالموظف شغف بكرسي وثير براتب كبير مهما كلّفه ذلك من الضرّ والشتيمة إن كان من عامة الأمة أو من الأسياد الحقيقيين في الحكومة أي الفرنسيس، هذا ما في بيتنا بالفريكة من مخلوقات الله، أما رأس هذا البيت فقد شاب رأسه من الهمّ الذي يولّده حساب البنك ومن استماعه دائما هذه الكلمات الموسيقية العذبة: نفد الشعير . . . نفد الطحين . . . نفد الزيت . . . يلزمنا أرز . . . يلزمنا سمن . . . إلخ. هذا النشيد الذي يذهب بما في حياة الجبال من السكينة والهناء، ولكننا بفضل الآلة الكاتبة قائمون بواجبنا والحمد لله».

وبعد، فهذا غيض من فيض مما حوته رسائل الأدباء والمفكرين ورجال السياسة والصحافة إلى لطفي جمعة وما انطوت عليه من أسرار لا زالت حتى الآن طي الكتمان.

ولا يسعني وأنا أختتم هذه الأسطر إلا أن أشير إلى أن هذه الرسائل جميعها منسوخة لديّ على الآلة الكاتبة ومنسّقة، ومرفق بها نماذج من خطوط منشئيها وراسليها، ولا ينقصها إلا أن يأذن الله سبحانه وتعالى بأن تنهض إحدى دور النشر بطبعها دون مقابل خدمة للأدب والتاريخ والثقافة.

رابح لطفي جمعة

القاهرة - مصر

١ - من رسالة كتبها أمين الريحاني إلى لطفي جمعة في ١٠/ ٣/ ١٩٢٧م.

٢ - الصفحة الأخيرة من إحدى رسائل ميّ زيادة.

استراحة العدد

نصيحة

كتب كسرى إلى هرمز : استقلل كثير ما تعطي، واستكثر قليل ما تأخذ، فإن قرة عين الكريم فيما يعطي، وقرة عين اللئيم فيما يأخذ، ولا تجعل الشحيح لك معينًا، ولا الكذاب أمينًا، فإنه لا إعانة مع شح، ولا أمانة مع كذب.

الحجاج والأعرابي

حج الحجاج يومًا فنزل بين مكة والمدينة وطلب الغذاء، وقال لتابعه : اذهب وتحر مَنْ يأكل معي. فذهب التابع وبحث حتى وجد أعرابيًا نائمًا، فلكزه بيده وقال له : ائت الأمير، فلما وقف الأعرابي أمام الحجاج قال له الأخير : اغسل يديك وتغد معي. قال الأعرابي : دعاني مَنْ هو خير منك فأجبته. قال الحجاج : من هو ؟ قال ربي الرؤوف الرحيم دعاني إلى الصيام فصمت، قال الحجاج : أفطر وصم غدًا، قال : أتضمن لي البقاء إلى غد ؟ قال : ليس ذلك بمقدوري. قال : كيف تسألني عاجلاً بآجل لا تقدر عليه ؟ قال : إنه طعام طيب. قال : لم تطيبه أنت ولكن طيبته العافية.

أربعة أحسن من أربعة

قال حكيم : أربعة أحسن ولكن أربعة أحسن منها : الحياء من الرجال، ولكنه من النساء أحسن، والعدل من كل إنسان، ولكنه من القضاة والأمراء أحسن، والتوبة من الشيخ حسن، ولكنها من الشباب أحسن، والجود من الأغنياء حسن، لكنه من الفقير أحسن.

بلاغة زوجة

كانت امرأة أبي حمزة الضبي لا تلد إلا إناثا، فهجرها زوجها إلى زوجة أخرى لأنه يريد ولدًا، فأخذتها الحرقة يومًا وهي في خبائها وأنشدت :

ما لأبي حمزة لا يأتينا … يظل في البيت الذي يلينا
غضبان ألا نلد البنينا … تالله ما ذلك في أيدينا
وإنما نأخذ ما أعطينا … ونحن كالأرض لزارعينا
تنبت ما قد زرعوه فينا

فلما سمع أبو حمزة قولها أدرك خطأه وذهب إليها مصالحًا.

دواء

حبس ملك الفرس أحد الحكماء. وأمر ألا يزيد طعامه اليومي عن قرصين من شعير وقليل من الملح، فأقام الحكيم على هذه الحالة أيامًا دون أن يتكلم، فأمر الملك أصحابه أن يدخلوا على الحكيم ويسألوه عن ذلك، فقالوا : أيها الحكيم نراك في ضيق وشدة دون أن يؤثرا على صحتك، فما السبب ؟ قال : إني علمت دواء من ستة أخلاط آخذ منه كل يوم شيئًا وهو الذي حفظ توازن صحتي. قالوا : صفه لنا ؟ قال : الخلط الأول : الثقة بالله عز وجل، والثاني : علمي أن كل مقدور كائن، والثالث : أن الصبر خير ما يستعمله الممتحن، والرابع : أن أصبر، والخامس : قد يمكن أن أكون في شر مما أنا فيه، والسادس : من ساعة ضيق إلى ساعة فرج. فبلغ ذلك الملك فعفا عنه.

البر بالأم

قيل لزين العابدين رضي الله عنه : إنك من أبر الناس بأمك، فلماذا لا تأكل معها في صحفة واحدة ؟ قال : إني أخاف الله أن تسبق يدي يدها إلى ما تسبق عيناها إليه فأكون قد عققتها.

واحدة بواحدة !

يحكى أن رجلاً اشتهر بالبخل استأجر حطابًا، ثم استكثر أجره، وطمع في إنقاصه بالحيلة، وجلس بالقرب من الحطاب يقول مع كل ضربة يضربها الأجير : هيه، فلما انتهى الأجير من العمل أراد البخيل إعطاءه نصف الأجر فقط بحجة أنه شاركه العمل بقوله «هيه» مع كل ضربة. واختصما لدى الحاكم الذي طلب من البخيل أن يعطيه الأجرة كاملة ليقوم هو ـ أي الحاكم ـ بتقسيمه بالعدل، وشرع الحاكم يلقي درهمًا وراء آخر في صندوق نحاسي محدثًا رنينًا، حتى إذا ما انتهت الدراهم قال لهما : الدراهم للأجير، ورنينها للمستأجر.



ميدان الصفاة بمدينة الرياض، ويبدو الممر الذي يربط قصر الحكم بقصر الضيافة ١٣٥٦ هـ ـ ١٩٣٧م

ويأتيك بالأمثال

لَا يُحْسِنُ الْعَبْدُ الْكَرَّ إلاَّ الْـحَلْبَ وَالصَّـرَّ

في قصة هذا المثل قيل إن شدَّادًا العبسي قـال لابنه عنترة في يوم لقاء وقد رآه يتقاعس عن الحرب وقـد حُميت : كر عنتر. فقال عنترة : لاَ يُحْسِنُ الْعَبْدُ الْكَرَّ إلاَّ الْـحَلْبَ وَالصَّـرَّ.

وكانت أمه حبشية فكان أبـوه كأنه يستخف به لذلك، فلما قال عنترة لا يحسن العبد الكـرَّ، قال له : كرَّ وقـد زوجتك عبلة. فكرَّ وأبلى، ووفى له أبـوه بذلك فزوجـه عبلـة.

والصَّـرُّ : شد الصِّرار، وهو خيط يشدُّ فوق الخِلف والتَّودية لئلا يرضع الفصيل أمه، ونصب الحلب على أنه استثناء منقطع، كأنه قال : لا يحسن العبد الكر، لكن الحلب والصر يحسنهما. ويضرب بهذا مثلا لمن يكلف ما لا يطيق.

دعـوة المظلـوم

شكا جماعة من أهل الكوفة واليهم سعد بن أبي وقاص إلى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، فـرده عمر مع محمـد بن سلمة الأنصـاري، وأمره أن يطـوف في مسـاجدهم يسـألهم عن سيرته، فجعلـوا يقـولـون خيرًا، حتى أتى مسجد بني عبس، فقـام أسامة بن زيد العبسي فقـال : كنت والله لا تعدل في القضية، ولا تقسم بالسـوية. فقال سعد رضي الله عنه : اللهم إن كـان كاذبًا فأطل عمره، وأدم فقره، ولا تنجه من معاريض الفتن.

فـرؤي العبسي شيخًا كبيرًا يمشي على محجن فيقـول : شيخ أعمى أدركتـه دعوة العبد الصالح.

أشهـر لغـوي

يعـد الفرنسي جـورج شميـدت المولـود عـام ١٩١٤م في ستراسبـورج أشهـر لغوي في العـالم، حيث كـان يتحـدث ويترجم بسبع وتسعين لغـة عالمية.

عادة . . وعادة

قيل لعبـد الله بن جعفـر : إنك أسرفت في بـذل المال. قال : إن ربي قد عودني أن يتفضل عليّ، وعودته أن أتفضل على عباده، فأخاف أن أقطع عـادتي عن عبـاده، فيقطـع عـادتـه عني.

ستة لا تخطئهم الكآبة

قيل إن ستة لا تخطئهم الكآبة : فقير قـريب العهد بـالغنى، ومكثـر يخاف على مالـه، وطالب مرتبـة فوق قـدره، والحسـود، والحقـود، ومَنْ يخالط أهل الأدب وهو غير أديب.

من عجـائب الخلق

يـوجـد في رئتي الإنسـان البـالغ أكثـر من ٣٧٥ مليـون حـويصلـة هــوائيـة، وتبلغ كميـة الهواء التي يسحبها في اليوم مـا يوازي ١٨٠ مترًا مكعبًا، ويتولد عن ذلك طاقة تكفي مجموعها لرفع قـاطرة سكة حديد إلى علو مترين!

طرب وغضب



قصيـدة «الأطـلال» دخلت التـاريخ الأدبي، ومهما قرأت عن القصة الغـرامية التي كـانـت مقـدمـة لها فـإني لا أتصـور إلا أنها قصيدة سياسية غنتها أم كلثوم.

وعندمـا مررت الأسبـوع الماضي بإحدى المكتبـات ورأيت عنـوان كتـاب «الأغنيـات السيـاسيـة» انـداحت أبيــات القصيـدة في ذهنـي :

أعطني حـريتي أطلق يـديّـا ... إنني أعطيت مـا استبقيت شيئا
آه من قيـدك أدمى معصمي ... لم أبِقـه ومـا أبقى عليَّـا
مـا احتفاظي بعهود لم تصُنهـا ... وإلا مَ الأسر والـدنيـا لديَّـا

إن بعض الشعراء لهم توفيق عجيب في الوقوع على معانٍ تنطبق على مواقف الحب والهيام كما تعبر عن قضايا عامة تهم مجموع الناس وترتسم في تاريخ البلاد. ولست أعني بالقصائد المباشرة مثل قصيدة علي محمود طه المغناة ومطلعها :

أخي جـاوز الظـالمون المدى ... فحق الجهـاد وحق الفـدا
أنتركهم يسلبـون العـروبـة ... مجد الأبـوة والسـؤددا

ولكني أعني القصـائد أو الكلمات الغنـائيـة التي تتحـدث عن خواطر الغرام، وفي طياتها ألغـام من الكلام السياسي الملتهب.

وقد حققت إحدى الـدول العربية في قضية شـاعر غنائي نبطي شهير بعنـوان «لحدّ يكلم سعـد» أي لا أحـد يحاول إقنـاع سعـد، حسب الأسلوب المتبع هنـاك. وفي التحقيق زعم الشاعر أنـه يقصد سعد حـداد، مع أن بلاده بعيدة جـدًا عن بلاد الشام بأسرهـا، وقد نجا بذلك!

المهم أنني مددت يدي إلى الرف وتناولت بلهفة كتاب «الأغنيات السياسية» وفتحته، فإذا به يتحدث عن قتل الرئيس الأمريكي جون كيندي. أعوذ بالله، ما دخل الطرب بالغَضَب؟

فقلبت الكتـاب وعـدت أقـرأ العنـوان من جـديـد، فإذا بـه «الاغتيالات السياسية»!!

الحق على النظر!

محمد علي الجفري

كتب وردت إلى المجلة

عبد الله بن عـدوان كلمـات للتـاريخ



كتـاب عن الشيخ عبـد الله ابن عدوان وزير الماليـة الأسبق مـــن جمع وتصنيف ابنتـه حصة، تتحدث فيـه عن شخصيتـه وآثاره في التنمية والنهضة السعودية. ويتضمن الكتـاب ثـلاثة فصـول: أولها بعنوان «قالوا فيك يا أبي» تناولت فيـه بعض مـا نشر عنـه في الصحف المحلية في نعيـه وذكر فضـائله. وفي الفصل الثـاني وتحت عنوان «صـدى الماضي: أحـداث ومشـاهـدات» استعـرضت اللقاءات الصحفيـة مع الشيخ ابن عـدوان وثنـاء الملك عبد العزيز ـ يرحمه الله ـ عليه. واختتمت الكتاب بفصل عن نشأته وأعماله التي تولاها وأوردت بعض مذكراته وصوره التـذكاريـة التي تضمنت الحفـلات التكريمية التي أقيمت للفقيد.

والكتـاب من طبـاعـة شركـة العبيكان للطبـاعة والنشر بالـرياض وهـــو من القطع الكبير في ١٣٩ صفحة. ونشر في عام ١٤١٢هـ.

شجن بنت القدر الحزين



روايـــة قصصيـــة من الحجـم الصغير للكـاتبة حصـة جمعـــة الكعبي ومن تقـــديم الكاتب خالد محمد القاسمي، وهي ذات طابع عـاطفي اجتماعي تدرس مأسـاة شـابـة متشردة من جـراء ظلم ذويها والسلبيـــات التي نتجـت عن ذلك.

والـرواية من إصـدار دار الثقافـة العـربيــة للنشر والترجمة والتـوزيع بـالشـارقـة في ٩٥ صفحــة عــام ١٩٩٢م.

الكتاب العلمي للندوة الجغرافية الرابعة لأقسام الجغرافية بالمملكة العربية السعودية



الكتاب من إصـــدار قسم الجغرافيـة بكلية العلوم الاجتماعية بجامعة أم القرى في ٥٧٦ صفحـة من القطـع الكبير. ويضم بعض البحـــوث التي ألقيت خلال الندوة للعام الهجري ١٤١٣.

وقـدم للكتـاب أعضـاء اللجنـة التحضيرية للنـدوة برئاسـة الدكتـور ناصر عبد الله الصالح وقرظه كل من سمو أمير منطقة مكـة المكرمة الأمير ماجد بن عبد العـزيز والدكتور راشد الراجح مدير الجامعة.

وبـدأ الكتـــاب بفصل عن نشأة الندوة وتطـورها وتوجيهاتها لـلأقسام الجغرافيـة بالمملكة. كما تناول ثـلاثة عشر بحثًــا نـــاقش فيهــا مجمل الموضـوعـات الجغرافيـة والتنمـويـة بجميع جوانبهـا موثقة بـذكر المراجع العربية والأجنبية للبحوث. وكان من أبـرزهـا بحث عـن الـزراعـة وتنمية الريف في المملكـة العربية السعـودية للدكتـور محمد عبد العزيـز القباني، وقد أعد البحوث نخبة من المختصين في المجـــال من مختلـف الجهـــات في المملكة.

رحلة العمر



كتـاب من تأليف الرحـالة عبـــد الحميـــد مـرداد وتقـــديم الدكتور عبد الله الزيد، ويضم الرحلات التي قام بها المؤلف منـذ صغره مع أسرتـه وتجاربه فيها، بـالإضافة إلى دراسـة اجتماعية عن القبائل التي زارها ولهجات أهلها وعـاداتهم في الحفـلات والمحـافل، وأمثـالهم العـاميـة مـع مـا يقـابلهـا بـالفصحى، كما ذكر مـراجع بعض الأسماء التي وردت في الرحـلات من أوديــة وهجـر وقبــائل في المملكـــة وإعـادتها إلى أصــولها في القـواميس والمعاجم العربية.

والكتـاب من إصـدارات نـادي مكـة الثقـافي والأدبي لعــام ١٤١٠ للهجرة في ٥٦٩ صفحـة من القطع الكبير.

تمثيليات إسلامية وعربية



مجمـوعـــة تمثيليـــــات للكـــاتـب تميم الحكيم قـدم لها الكاتب الأستاذ عبـد الله بـــوقس، وتشمــــل عشر مسرحيـــات تحمل طـابعًـــا نقـديًـــا اجتماعيًـــا، ومن أبـــرزهـــا: «مهـــر العروس» التي تتكون من ثلاثة فصول وتنقد عزوف الجيل عن لغتـه العربية مع كونها لغـة القرآن ومرجع أصـالته ومنبع تـــراثـــه. ومسرحيــة «الأمل» وتكـونت من ثـلاثـة فصـول بطـابع اجتماعي هـادف يـدعـو إلى حسن تربيـة الأبناء ومـراقبتهم وعدم اليأس من صلاحهم بـالإضافة إلى مسرحية «أين حقي؟» التي تناولت في أربعة فصـول النتـائج المترتبة على تفكك الأسر وفقدان الأبناء للترابط والشعور بـالطمأنينة الـذي يكون الـدافع إلى الجريمة والشذوذ.

والكتـاب من مطبـوعات نـادي مكة الثقافي الأدبي في ١٩٥ صفحة من القطع المتوسط، من إصدارات عــام ١٤١٣هـ.

محاضرات نادي مكة الثقافي والأدبي



تضمـــــن الكتــــاب أربع محاضرات ألقيت خـــلال الموسم الثقـافي للنـادي لعـام ١٤١٣هــ مع مقـدمـة كتبهـا الدكتور راشد الراجح رئيس النادي، وأولى المحاضرات لسماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز عن الحكمة في تشريع الحج وأحكـامـه وفـوائده استعرض فيها أركـان الحج حاثًا على استثمار هذه الفرصة وإعمارها بتقوى الله عـز وجل. وفي المحـاضرة الثـانيـة وتحت عنـوان «المسلمـــون في الاتحاد السوفييتي وتحديات الانفتاح الجديد»

ناقش الدكتور محمد عبده يماني أوضاع العمل الإسلامي وأولوياته في الاتحاد السوفيتي، وأسباب نكبة المسلمين في روسيا، وأورد خلاصة للتوجيهات إلى النهوض بالحضارة الإسلامية في شتى مجالاتها في تلك البلاد. أما المحاضرة الثالثة التي كانت بعنوان «لمحات في إعجاز سورة المائدة» للدكتور حسن محمد باجودة فقد شملت لمحات من تطور دلالة الألفاظ إلى بناء الآيات الكريمة للمعاني وإلى روعة الذكر ومعجزة الزمان والحساب في سورة المائدة. ومن خلال المحاضرة الرابعة التي بعنوان «نظرات في الأدب السعودي» تناول الدكتور محمد بن سعد آل حسين تاريخ الأدب السعودي منذ نشأته ومناطق ازدهاره، ثم ناقش العصر الحديث منه وما مدى احتفاظه باستقلاله وشخصيته.

والكتاب من إصدارات نادي مكة الثقافي والأدبي لعام ١٤١٣هـ في ١٣٧ صفحة من القطع المتوسط.

صور من البراءة



تأليف عبد الله سالم الحميد، ط ٢، والكتاب عبارة عن مجموعة مقالات يتناول من خلالها المؤلف بأسلوب أدبي شيق عدة موضوعات بينها الأطفال المعاقين، حيث يصف براءة الأطفال وهم في أغلال الإعاقة مستثيرًا ومستنهضًا همم أبناء المجتمع لرعاية هؤلاء. كذلك يتناول الحميد قضايا الفن والفنانين وتألق الفلاح البسيط حيث يمارس عشقه في تحويل صحارى بلاده إلى جنات وارفة وظلال، وقضايا أخرى بعقل مفكر وقلم أديب.

صدر الكتاب عن دار طويق للخدمات الإعلامية والنشر والتوزيع في الرياض، ويقع في ٢٤٥ صفحة من القطع الكبير.

دراسات في الأدب والنقد



تأليف عيسى فتوح، يضم الكتاب مجموعة من الدراسات الموجزة تضم سبع عشرة دراسة تنتظم في سلك واحد هو النقد الموضوعي.

يبدأ الكاتب بأدب الاعترافات، ومنه ينطلق إلى تناول الخلق الفني في الأدب ثم التنقيح في الأدب، والأدب وصلته بالأخلاق، وفن كتابة القصة، وطبيعة العاطفة في العمل الأدبي، والافتراض أو الاحتمال في الأدب، والوحي والإلهام في الأدب، والإلهام وتنوع الطبيعة، والوصف في الأدب، وعلاقة الوصف الأدبي بالأشكال والألوان، وعلاقة الوصف الأدبي بالموسيقا، وعلاقة الوصف الأدبي بالروائح والطعوم، وعلاقة الوصف الأدبي بالصورة، وعلاقة الوصف الأدبي بالتحليل، وترجمة الشعر، ويختتم بدراسة لما بين السيرة والتاريخ، ثم يذكر المصادر التي اعتمد عليها.

صدر الكتاب عن منشورات اتحاد الكُتّاب العرب في دمشق ١٩٩١م، ويقع في ١١٧ صفحة من القطع الصغير.

دليل التأليف والترجمة



يبرز الدليل الجهود المتواصلة لكلية الاقتصاد والإدارة بفرع جامعة الملك سعود في القصيم في مجالي التأليف والترجمة.

ويتضمن الكتاب مقدمة، ومجموعة آراء وانطباعات بعض المتخصصين حول جهود الكلية في مجال الترجمة.

أما المحتوى فتم تقسيمه إلى ثلاثة أقسام: أولها للكتب المؤلفة أو المترجمة التي تم نشرها، بحيث يذكر اسم الكتاب والمؤلف والمترجم وعدد الصفحات ودار النشر، مع ملخص وافٍ له، وتنتمي الكتب المنشورة إلى مجالات: الاقتصاد، إدارة الأعمال. الأساليب الكمية، ومجالات عامة. وفي القسم الثاني توجد عناوين الكتب المترجمة والمؤلفة التي تحت النشر مع أسماء مؤلفيها ومترجميها ودور النشر التي تتولى طباعتها، وهي في ثلاثة مجالات: الاقتصاد، وإدارة الأعمال، والأساليب الكمية. أما القسم الثالث فيتضمن كتبًا مؤلفة أو مترجمة تحت الإعداد مع أسماء مؤلفيها أو مترجميها، ومجالاتها: الاقتصاد وإدارة الأعمال، والمحاسبة، والأساليب الكمية.

يقع الدليل في ٧٧ صفحة، وصدر عن مطابع جامعة الملك سعود ١٤١٣هـ.

أحداق الجياد
(تنويعات على لحن الحارس السجين)



مجموعة شعرية للشاعر حسن فتح الباب، تتضمن ستين قصيدة ما بين غنائية ودرامية. وتعد هذه المجموعة الديوان الحادي عشر للشاعر، وقد فازت بجائزة عبد العزيز سعود البابطين لأفضل مجموعة شعرية، وقصائد حسن فتح الباب تشكل ـ في مجموعها ـ ملحمة واحدة تتفجر بالصراع النفسي والصراعات الاجتماعية، تدل على أن الشاعر يملك تجربة حياتية زاخرة، متوهجة بإيقاعات العصر وعشق الوطن والإنسان والطبيعة، ويمثل صوت الشاعر الضابط المتجول ضمير الأنا في القصائد مثله مثل شعراء التروبادور الذين بحثوا في البراري والنجوع والقرى عن الدفء الإنساني.

واستطاع الشاعر في ديوانه أن يحقق المعادلة الصعبة المتمثلة في الجمع بين التراث والمعاصرة، فالبنية الشعرية قوية، والنسيج متضافر فيه من الأصالة وفيه من التجديد بشكل متوازن.

صدرت المجموعة عن الهيئة المصرية العامة للكتاب في القاهرة.

■ ■

أجوبة مسابقة العدد (١٩٩)

ج ١ : انفجرت اثنتا عشرة عينًا، وقد ورد ذلك في قول الله تعالى : ﴿وإذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينًا قد علم كل أناس مشربهم كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾ البقرة : ٦٠ . وكذلك في قوله ـ عز وجل ـ : ﴿وأوحينا إلى موسى إذ استسقاه قومه أن اضرب بعصاك الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عينًا قد علم كل أناس مشربهم﴾ الأعراف : ١٦٠ .

□ □ □

ج ٢ : قُتِل عدو الله أبو جهل عمرو بن هشام، لعنه الله، حسبما روى أصحاب الحديث والمؤرخون ـ باختلاف يسير ـ على يدي معاذ بن عمرو بن الجموح، ومعاذ ومعوِّذ ابني عفراء، وعبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ؛ فقد تعاوروه بسيوفهم الواحد تلو الآخر، إلى أن أجهز عليه عبد الله بن مسعود واحتزَّ رأسه، وأتى بها النبيّ ﷺ، الذي حمد الله على مصرع فرعون هذه الأمة، ورأس أئمة الكفر أبي جهل .

□ □ □

ج ٣ : الحيص بيص : شهاب الدين أبو الفوارس سعد بن محمد بن سعد الصيفي التميمي، الشاعر المشهور. درس الفقه بالري، وشارك في خلاف المذاهب. غلب عليه الأدب، وكان من أخبر الناس بأشعار العرب ولغاتهم، فكتب الرسائل، ونظم الشعر في مدح الخلفاء والسلاطين والوزراء؛ وإنما قيل له حيص بيص، لأنه رأى الناس يومًا في حركة مزعجة وأمر شديد، فقال : ما للناس في حيص بيص ؟ فأطلق عليه هذا اللقب. تقول العرب : وقع الناس في حيص بيص؛ أي في شدة واختلاط. توفي سنة أربع وخمسين وسبعمائة ببغداد.

أما الشاعر الخليع، فهو أبو علي الحسين بن الضحاك بن ياسر الباهلي. ولد ونشأ في البصرة، وتوفي ببغداد، وأصله من خراسان. اتصل بالأمين الخليفة العباسي، ونادمه ومدحه، وهجا المأمون؛ الذي أبعده حين ولي الخلافة، فعاش في البصرة حتى ولي المعتصم، فاتصل به ومدحه. كان من جملة أصحاب أبي نواس، وكان حسن الافتنان في ضروب الشعر، مطبوعا، لا يتكلف، موفقًا إلى اللفظ المتين والأسلوب الرصين واللفظ العذب.

□ □ □

ج ٤ : تبدأ النخلة في إعطاء ثمارها بعد ٤ ـ ٥ سنوات إذا غرست من الفسيل. أما إذا غرست من النواة؛ فتعطي ثمارها بعد ١٠ ـ ١٥ سنة. والنخلة من الأشجار التي تعمر طويلاً؛ إذ يصل عمرها في بعض الأنواع إلى مائتي عام. ويصل معدل إنتاج النخلة السنوي من ٥٠ إلى ٩٠ كيلو جرامًا، وقد يزيد على ذلك.

والنخلة، شجرة مباركة كلها منافع؛ إذ تحتوي ثمارها على ٦ , ٧٠٪ مواد سكرية، و٨ , ١٣٪ ماء، و٢٪ مواد بروتينية، و٣٪ مواد دهنية، و١٠٪ ألياف. وإذا أضيف الحليب إلى التمر يصبح من أفضل الأطعمة وأحسنها.

أما من الناحية الطبية، فالبلح مليّن طبيعي ممتاز، ومقوّ للعضلات والأعصاب ومؤخر لظاهر الشيخوخة. كما أنه يحفظ رطوبة العين وبريقها نتيجة غناه بفيتامين « أ »، ويقوي الرؤية والسمع، ويهدئ الأعصاب، وينشط الغدة الدرقية، ويُليّن الأوعية الدموية، ويرطب الأمعاء ويحفظها من الضعف والالتهاب. كما أنه يعمل على تلاشي الدوخة، وزيغان البصر، والتراخي والكسل عن الصائمين، وهو منشط للجسم، مدرّ للبول، منظف للكبد والكلى، كما يمتاز بسهولة الهضم.

□ □ □

ج ٥ : ترجمت رباعيات الخيام إلى اللغة الإنجليزية أولاً بعد أن نظمها الخيام بالفارسية. وقد قام بترجمتها ـ أولاً ـ توماس هيد، أستاذ العربية في جامعة أكسفورد، تلاه النمساوي فون هامر، الذي ترجم بضع رباعيات سنة ١٨١٨م. ثم تتابعت الترجمات، إلى أن قام الشاعر الإنجليزي إدوارد فتزجرالد (١٨٠٩ ـ ١٨٨٣م) بترجمتها ـ في شيء كثير من التصرف ـ في ثلاث ترجمات إنجليزية مشهورة (١٨٥٩، ١٨٦٨، ١٨٧٢م). والخيام، هو غياث الدين أبو الفتح عمر بن إبراهيم الخيام. ولد في نيسابور سنة ٤٣٣ هـ، وقضى حياته متنقلاً بين خراسان ومكة المكرمة وبغداد طلبًا للعلم. وهو أشهر شعراء الفرس لدى الغربيين، وأحد كبار الرياضيين والفلكيين المسلمين. له مؤلفات عديدة في الرياضيات والفلك، منها : «شرح ما أشكل من مصادرات كتاب أقليدس»، «مختصر في الطبيعيات»، «رسالة في الكون والتأليف». وقد عني العلماء في الغرب والشرق بتحقيق رباعياته، وبيان الصحيح من المنتحل منها، وأفضل من كتب في ذلك كريستنسن وآربري وفروغي. كما ظهرت لها ترجمات عربية عديدة؛ منها ترجمة وديع البستاني (١٩٣٢م)، وأحمد الصافي النجفي، وأحمد رامي، وعبد الحق فاضل، وغيرهم. توفي الخيام في نيسابور سنة ٥١٧ هـ.

مسابقة مجلة الفيصل

١ ـ الإخوة القراء الأعزاء :

جوائز عديدة تقدمها المجلة لأصحاب الحلول الفائزة على النحو التالي :

أ ـ ثلاث جوائز مالية تمنح ثلاثة فائزين بين (٥٠٠ ريال، ٣٥٠ ريالاً، ١٥٠ ريالاً).

ب ـ خمس جوائز اشتراك مجاني في المجلة لمدة عامين (٢٤ عددًا).

ج ـ عشر جوائز اشتراك مجاني في المجلة لمدة عام واحد (١٢ عددًا).

د ـ خمس جوائز عبارة عن مجموعات من إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية في الرياض، قيمة كل مجموعة في حدود مائة ريال.

٢ ـ شروط المسابقة :

أ ـ الإجابة عن جميع الأسئلة، وإرفاق القسيمة الأصلية للمسابقة مع ورقة الإجابات التي يوضح فيها الاسم ثلاثيًا أو رباعيًا ـ إن أمكن ـ وعنوان المراسلة.

ب ـ ترسل الإجابات على العنوان التالي :

مسابقة «مجلة الفيصل»
ص. ب. ٣ الرياض ١١٤١١
المملكة العربية السعودية
(مع ذكر رقم المسابقة على المظروف)

جـ ـ أية إجابات تصل بعد ٤٥ يومًا (حسب التقويم الهجري) من صدور العدد لن يلتفت إليها.

د ـ من حق القارئ أن يشترك باسمه في المسابقة الواحدة أكثر من مرة على شرط إرفاق قسيمة المسابقة مع كل رسالة.



نتائج مسابقة العدد (١٩٩)

أ ـ **فاز بالجائزة المالية الأولى**، وقدرها ٥٠٠ ريال سعودي، **أحمد جمعان رمضان الزهراني**، جدة ـ **المملكة العربية السعودية**.

وفاز بالجائزة المالية الثانية، وقدرها ٣٥٠ ريالاً سعوديًا **محمود بن مصطفى المصطفى**، حلب ـ **سورية**.

وفاز بالجائزة المالية الثالثة، وقدرها ١٥٠ ريالاً سعوديًا، **السيد محمد زكي الدين**، الغربية ـ **مصر**.

□ □ □

ب ـ **فاز بجائزة الاشتراك المجاني في المجلة لمدة عامين (٢٤ عددًا)، كل من:**

١ ـ **محمد إدريس سومرو السندي**، السند ـ **الباكستان**.

٢ ـ **سلوى حمودان**، فاس ـ **المغرب**.

٣ ـ **نازك محمد المهدي**، الخرطوم ـ **السودان**.

٤ ـ **جمال غاي بن رابح**، الجزائر ـ **الجزائر**.

٥ ـ **غازي سالم شعبان الحجوري**، المدينة المنورة ـ **المملكة العربية السعودية**.

□ □ □

ج ـ **فاز بجائزة الاشتراك المجاني في المجلة لمدة عام واحد (١٢ عددًا)، كل من:**

١ ـ **جابر عبد القادر الحميدان**، عمّان ـ **الأردن**.

٢ ـ **آمال أمين سعدي عيطة**، المدينة المنورة ـ **المملكة العربية السعودية**.

٣ ـ **أبو بكر محمد محسن جحيس**، صنعاء ـ **الجمهورية اليمنية**.

٤ ـ **سميرة العلي بنت حسين**، حلب ـ **سورية**.

٥ ـ **أحمد محمد جويد أحمد**، بورسعيد ـ **مصر**.

٦ ـ **أحمد عوّاد الشيخ**، الدار البيضاء ـ **المغرب**.

٧ ـ **عبد الله غداف سعد الأحمدي**، المدينة المنورة ـ **المملكة العربية السعودية**.

٨ ـ **منى يحيى شريف**، بيروت ـ **لبنان**.

٩ ـ **بلقاسم بن محمد العبداوي**، الوسلاتية ـ **تونس**.

١٠ ـ **هيجر محمد خليل**، عمّان ـ **الأردن**.

□ □ □

د ـ **كما فاز بجائزة مجموعة من إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، كل من:**

١ ـ **الهادي جابر حقار**، الخرطوم ـ **السودان**.

٢ ـ **سعد أحمد سعد**، الدوحة ـ **قطر**.

٣ ـ **عمر بن محمد السباعي**، الدار البيضاء ـ **المغرب**.

٤ ـ **أسامة محمد الحمزاوي**، دير الزور ـ **سورية**.

٥ ـ **رضا محمد أبو رحاب**، بورسعيد ـ **مصر**

أسئلة مسابقة العدد (٢٠٢)

السؤال الأول:

القضاء، من أهم الوسائل التي فرضها الإسلام لحفظ الحقوق وصَوْن الدماء والأعراض والأموال. وعلى القاضي؛ إذا جلس بين يديه خصمان؛ أن يسوي بينهما في عدة أشياء. اذكرها باختصار.

□ □ □

السؤال الثاني:

اذكر من يرث من الرجال.

□ □ □

السؤال الثالث:

منارة الإسكندرية، وسور الصين العظيم، عجيبتان من عجائب العالم القديم. أيهما شُيِّد قبل الآخر؟

□ □ □

السؤال الرابع:

من الذي اخترع مظلة الهبوط من الطائرة (الباراشوت)؟

□ □ □

السؤال الخامس:

جورج واشنطن، أحد أبطال حرب الاستقلال الأمريكية، والذي يعرف بأنه الرئيس الأمريكي الأول. فهل هو حقًا كذلك؟



الجزيرة

تكفيك



المسائية

تثري مساءك

تصدران يوميا عن «مؤسسة الجزيرة» للصحافة والطباعة والنشر.. ص.ب: ٣٥٤ الرياض: ١١٤١١ هاتف: ٤٠٢٥٥٥٥ .. تلكس ٤٠١٤٧٩ جزاتي اس جي.

الثعالبيُّ.. جاحظُ زمانِه



عبد الملك
عبد الرحيم

إن المرء لا يملك إلا أن يقف وقفة إعزاز وإكبار، أمام أسلافنا الكبار، الذين أثروا حياتنا الأدبية واللغوية والفكرية، بما خلفوا لنا من مؤلفات ومصنفات ثمينة، تشهد على جهادهم الدؤوب، وجهودهم المخلصة، إعلاءً لمكانة الحرف والكلمة . . . ومن هؤلاء الأعلام، الذين أثروا حياتنا بعطاءاتهم المتنوعة، أبو منصور الثعالبي، الذي كان شاعرًا أديبًا وعالماً موسوعيًا في اللغة والبلاغة والتاريخ والتفسير والآداب والأخلاق والمعارف العامة.

وتشير الدراسات التي ترجمت لـه، إلى أن اسمه الأصلي هو :

عبد الملك بن محمد بن إسماعيل، أبو منصور الثعالبي النيسابوري، لقب بالثعالبي؛ لأنه كان فَرّاء يخيط جلود الثعالب. وبالنظر إلى أنه كان معلم صبيان، فإن بعض الدارسين يرجح أن عمل الجلود لم يكن صناعة يعيش بها، ويحيا لأجلها، بل كانت من الأعمال التي يعالجها المؤدبون في الكتاتيب، وهم يقومون بالتأديب والتعليم.

وقد عاش الثعالبي في نيسابور، وقضى نحبه في الثمانين من عمره، تاركًا عشرات المؤلفات، في العديد من المجالات.

لقد كان الثعالبي واعية كثير الحفظ، فلقب بحافظ نيسابور، وأوتي حظًا من البيان بزّ فيه أقرانه فلقب بجاحظ زمانه، وعاش بنيسابور حجة فيما يروى، ثقة فيما يحدّث، مكينا في علمه، ضليعا في فنه، فقصد إليه القاصدون، بعد أن سار ذكره في الآفاق سير المثل.

وقد حفلت كتب الأدب، بكثير من الشهادات، التي تثبت للثعالبي مكانته الشامخة بين أهل زمانه، في عالم التأليف والتصنيف. قال ابن بسام: «كان في وقته راعي تلعات العلم، وجامع أشتات النثر والنظم، رأس المؤلفين في زمانه، والمصنفين بحكم أقرانه، طلعت دواوينه في المشارق والمغارب، طلوع النجم في الغياهب، وتآليفه أشهر مواضع، وأبهرُ مطالع، وأكثر من أن يستوفيها حد أو وصف، أو يوفي حقوقها نظم أو رصف».

وقال الباخرزي: «هو جاحظ نيسابور، وزبدة الأحقاب والدهور، لم تر العيون مثله، ولا أنكرت الأعيانُ فضله، وكيف ينكر، وهو المزنُ يحمد بكل لسان، وكيف يُستَر، وهو الشمس لا تخفى بكل مكان».

وقال الصفدي: «كان يلقب بجاحظ زمانه، وتصانيفه الأدبية كثيرة إلى الغاية».

وقال الحصْري: «وهو فريد دهره، وقريع عصره، ونسيجُ وحْدِه، وله مصنفات في العلم والأدب، تشهد له بأعلى الرتب».

وإلى جانب هذه الشهادات النثرية، ثمة شهادات أخرى شعرية، تثبت للثعالبي منزلته المتميزة عند المتقدمين. ومن هذه الشهادات الشعرية، قول أبي الفتح علي بن محمد البُستي:

قلبي رهين بنيسابور عند أخٍ
ما مثله ـ حين تستقرى البلاد ـ أخُ
له صحائف أخلاق مهذبة
من الحجا والعلا والظَّرْف تُنْتَسَخُ

وقال ابن قلاقس، يطرى كتابه: «يتيمة الدهر»:

نظمت على جيد الوجودْ
كتب القريض لآلئً
فضل اليتيمة في العقودْ
فضل اليتيمة بينها

ومنها:

أبيات أفكار قديمة
أبيات أشعار اليتيمة
فلذاك سميت اليتيمة
ماتوا وعاشت بعدهم

وليس كتابه: «يتيمة الدهر» سوى دوحة في الخميلة الباسقة اليانعة، المتنوعة الأشجار والأزهار والثمار، التي وضع غراسها أبو منصور الثعالبي، فقد خلّف لنا أكثر من ثمانين مؤلَّفًا، في مختلف المعارف والفنون والعلوم، نذكر منها «فقه اللغة وسر العربية» و«الأحاسن من بدائع البلغاء» و«الآداب مما للناس فيه أرب» و«إعجاز الإيجاز» و«غرر أخبار ملوك فارس» و«الأمثال والتشبيهات» و«أنس الشعراء» و«برد الأكباد في الأعداد» و«الثلج والمطر» و«الجواهر الحسان في تفسير القرآن» و«خاص الخاص» و«سحر البيان» و«مفتاح الفصاحة» و«منادمة الملوك» و«النوادر والبوادر» و«يتيمة اليتيمة» و«يواقيت المواقيت» وعشرات أخرى غيرها، من بينها ديوان أشعاره.

الحركة الثقافية

- □ قصائد خالد الفيصل بالإنجليزية .
- □ الإعداد لافتتاح متحف د. طه حسين .
- □ مهرجان القدس للثقافة والفنون .
- □ الاحتفال الأول لحرفيي الدول الإسلامية .
- □ الأمير تشارلز يصدر مجلة متخصصة .

السعودية


الشيخ عبد الله الخليفي


حسين أمين مرداد


محمد حسين أصفهاني

وفاة الخليفي ومرداد والأصفهاني

فقدت الحركة الإسلامية والثقافية ثلاثة من أبرز رموزها ؛ وفاة فضيلة الشيخ **عبد الله الخليفي** إمام المسجد الحرام وخطيبه ، والأستاذ حسين أمين **مرداد** أحد الرعيل الأول للتعليم ، والأستاذ **محمد حسين أصفهاني** رائد صناعة الطباعة في المملكة .

وُلد الشيخ **الخليفي** في مدينة البكيرية في القصيم عام ١٣٤٨هـ ، وكان والده من مشائخها المعروفين ، وحفظ القرآن في سن مبكرة ، ثم درس العلوم الشرعية على أيدي كبار مشائخ المنطقة ، وانتقل بعد ذلك إلى مكة المكرمة حيث درس علوم القرآن وتجويده ، وصار يلقي دروسًا في المسجد الحرام ومساجد أخرى . كما تولى إدارة عدة مدارس والإمامة في قصر الملك فيصل ـ طيب الله ثراه ـ في الطائف لعامين ، عُين بعدها إمامًا للمسجد الحرام .

وهو حاصل على شهادة كفاءة المعلمين ، وشهادة حفظ القرآن الكريم ، وشهادة التجويد في القراءات السبع ، وإجازة في التدريس بالمسجد الحرام .

وله العديد من المؤلفات والرسائل نذكر منها : «**إرشاد المسترشد إلى المقدم في مذهب أحمد**» ، «**مجموع خطب الجمع**» ، «**التربية الإسلامية**» ، «**المسائل النافعة والفوائد الجامعة**» ، «**دواء القلوب والأبدان**» ، «**الثقافة الإسلامية والدروس الهامة**» ، «**القول المبين في رد بدع المبتدعين**» ، «**أدب الإسلام وحضارته ومزاياه**» ، «**مناسك الحج**» ، «**تحذير الورى عن علامات الربا**» ، «**الحث على العلم والعمل والنهي عن البطالة والكسل**» ، و «**التنبيهات الحسان في فضائل شهر رمضان**» كما أن لـه مشاركات في الكتابة للصحف والمجلات وأحاديث إذاعية .

أما الأستاذ **حسين أمين مرداد** فيعد من الرعيل الأول للحركة العلمية والتعليمية ، وبدأ حياته العملية بالمدرسة الليلية الأولى في مكة المكرمة ، ومنها انتقل إلى المدرسة السعودية عام ١٣٥٥هـ ، وتقلب في مراكز التعليم المختلفة إلى عام ١٣٧٥هـ حيث صار وكيلا لمدرسة مكة المكرمة ، وكانت آخر محطاته .

وللفقيد عدة مؤلفات أبرزها مؤلف في **علم التجويد وكيفية القراءات** .

ويعد الأستاذ **محمد حسين أصفهاني** رائد صناعة الطباعة في المملكة ، وهو من مواليد جدة عام ١٣٣٩هـ ، وتلقى تعليمه في مدرسة الفلاح بجدة ، ثم عمل موظفًا بإدارة الصحة ، لكنه ما لبث أن استقال ليعمل موزعًا للصحف .

وفي عام ١٣٧٢هـ تولدت لديه فكرة إنشاء مطبعة بعدما أدرك بحسه الثاقب حاجة البلاد إلى مثل هذه الصناعة ، ونفذ الفكرة عام ١٣٧٤هـ حيث أنشأ المطبعة بالمشاركة مع المشائخ : محمد سليمان التركي ، وعبد الله الخريجي ، ومحمد سرور الصبان ، فكانت أول مطبعة تقام في المملكة وآلت إليه ـ فيما بعد ـ منفردًا ملكية المطبعة بعد شراء أنصبة الشركاء الثلاثة . وصارت دارًا للطباعة والنشر أدت دورًا بارزا في الحركة الثقافية السعودية .



الأمير خالد الفيصل

ملتقى أبها الثقافي الرابع

يرعى صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل أمير منطقة عسير في الثاني من شهر ربيع الآخر الجاري ١٤١٤هـ افتتاح **ملتقى أبها الثقافي الرابع** الذي يستمر خمسة أيام.

يستهل سموه الملتقى بافتتاح **معرض الكتاب التاسع** الذي ينظمه نادي أبها الثقافي، كما تقام عدة **نشاطات فنية وشعبية ورياضية**، وتوزع **جائزة أبها الثقافية** على الفائزين بها.

ويتضمن برنامج المهرجان مجموعة من المحاضرات والأمسيات والندوات منها محاضرة للدكتور **معجب سعيد الزهراني** بعنوان «**وطننا في عيون الروائيين العرب**»، وأخرى للدكتور **محمد أحمد الرشيد** عنوانها «**رعاية الشباب وتحديات المستقبل**» وثالثة لمعالي الأستاذ **تركي بن خالد السديري** بعنوان «**تنمية القوى العاملة**» وفعاليات أخرى.

وكان سمو أمير عسير قد افتتح في السابع من شهر صفر الماضي فعاليات «**مهرجان التراث والثقافة والمأكولات السعودية في السودة**» الذي استمر أسبوعًا وتضمن عروضًا شعبية ومحاضرات وندوات.

من ناحية ثانية يعتزم نادي أبها الأدبي إصدار **نشرة أدبية شهرية**، وتم تشكيل لجنة للإعداد لصدورها لتكون منبرًا لإبداعات شباب أدباء المملكة، ووسيلة إعلامية للنادي وللحركة الثقافية السعودية.

قصائد خالد الفيصل بالإنجليزية

قام د. **جمال عبد الناصر** بترجمة قصائد صاحب السمو الملكي **الأمير الشاعر خالد الفيصل** أمير منطقة عسير إلى اللغة الإنجليزية.

وينتظر أن يتم قريبًا توزيع ديوان سموه مترجمًا إلى هذه اللغة ليطلع قراء الإنجليزية على نماذج رفيعة من الشعر النبطي.

دليل الرسائل الجامعية في التربية الإسلامية

تيسيرًا على الباحثين في مجال التربية الإسلامية، أصدرت جامعة أم القرى في مكة المكرمة دليلاً لـ «**ملخصات رسائل الماجستير والدكتوراه في التربية الإسلامية** من عام ١٣٩٨هـ إلى عام ١٤١٣هـ».

أعد الدليل د. **نجم الدين عبد الغفور الأنديجاني**، الأستاذ المساعد في قسم التربية الإسلامية والمقارنة بكلية التربية، وتضمن عرضًا لمائة وسبع رسائل؛ ثلاث منها لدرجة الدكتوراه، ويقع في أربعمائة وستة وأربعين صفحة، ويحتوي على منهج الرسالة وخطتها ونتائجها وأهدافها، والمشرفين عليها وتاريخ مناقشتها، وغير ذلك من المعلومات التي تهم الباحثين.

كشف كتاب مشبوه عن الإسلام لمؤلفة لبنانية

كشف الشيخ **جابر بن محمد المدخلي** المشرف على الدعوة والإرشاد في مكة المكرمة • عن كتاب مشبوه يتضمن افتراءات على بنات الرسول ﷺ وزوجاته.

وأوضح فضيلته أن كاتبة لبنانية تخفت تحت اسم «**الشهيدة بنت الهدى**» قامت بوضع الكتاب وعنوانه «**المرأة مع النبي**» وضمنته افتراءات عدة، منها محاولة التشكيك في بنوة زينب ورقية وأم كلثوم بنات الرسول ﷺ والزعم بأنهن ربيباته من زوجته السيدة خديجة رضي الله عنها.

كما تضمن الكتاب تحاملاً ملحوظًا على زوجات الرسول عليه الصلاة والسلام، وبخاصة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

الضعف اللغوي في ندوة أكاديمية

تنظم كلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية في الرياض في الفترة من ١٥ ــ ١٧ رجب ١٤١٥هـ ندوة حول «**ظاهرة الضعف اللغوي في المرحلة الجامعية**».

تهدف الندوة إلى التعريف بمظاهر الضعف اللغوي في المحيط الجامعي ومعرفة أسبابه وتقديم الحلول لعلاجه، وتدور حول محورين: **الأول**: الضعف اللغوي في المحيط الجامعي: أسبابه الداخلية ومظاهره وعلاجه، **والثاني**: عوامل الضعف اللغوي من خارج الجامعة وعلاجها.

ودعت الكلية الراغبين في المشاركة في الندوة إلى إرسال أبحاثهم على ألا يكون البحث قد سبق نشره ولا يتجاوز أربعين صفحة من الحجم المتوسط، وأن يكون مصحوبًا بملخص له، وتحدد يوم الخامس عشر من شوال ١٤١٤هـ موعدًا أقصى لاستقبال المشاركات.

مسابقة بحثية

أعلنت الرئاسة العامة لرعاية الشباب عن بدء قبول المشاركات في مسابقتها السنوية العامة المفتوحة وموضوعها هذا العام: إعداد بحث بعنوان «**أثر الترابط الأسري في تكوين شخصية الشباب**».

والمسابقة مفتوحة للمواطنين من الجنسين على ألا يقل البحث عن خمسين صفحة ولا يزيد على مائة وخمسين صفحة من الحجم العادي، وألا يكون قد سبق نشره أو تقديمه للحصول على درجة علمية أو وظيفية، وأن يرسل مع صورة من إثبات الهوية إلى الإدارة العامة للنشاطات الثقافية بالرئاسة.

وتخصص **خمس جوائز** كالتالي: عشرة

الحركة الثقافية

آلاف ريال مع طباعة البحث على نفقة الرئاسة، ٩ آلاف ريال، ٨ آلاف ريال، ٧ آلاف ريال، و٦ آلاف ريال.

آثار استراحة للحجاج في تيماء

اكتشفت إدارة الآثار والمتاحف في مدينة تيماء بمنطقة تبوك آثار خان أو استراحة للقوافل التجارية أو الحجاج مقامة على مساحة نحو ٦٠ ألف متر مربع يجاورها عدد من المباني الملحقة.

وأوضح د. **حامد أبو درك** مدير الإدارة أن هذه الاكتشافات استخدمت خلال التاريخ الإسلامي، وتعد الأولى من نوعها في هذه المدينة الأثرية.

معرض لفنانة تشكيلية كندية

استضافت قاعة **مركز الخزامى التابعة لمؤسسة الملك فيصل الخيرية** في الرياض **المعرض الأول للفنانة التشكيلية الكندية ميتشيل ديري**.

ضم المعرض لوحات تعكس تأثير البيئة السعودية على مخيلة الفنانة التي عبرت بصدق عن تفاعلها مع أجواء الصحراء، وطبيعة المجتمع السعودي وتكوينه الإسلامي.

معرض تشكيلي جماعي

افتتح في المركز السعودي للفنون في جدة تحت رعاية أمين مدينة جدة د. **خالد عبد الغني** معرض تشكيلي جماعي.

نظمت المعرض الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون، وشارك فيه **خمسون فنانًا وفنانة** من مستويات مختلفة، يمثلون مختلف الاتجاهات والمدارس الفنية.

كتب جديدة

● **قدرنا أن نكون إسلاميين**، تأليف د. **عبد القادر طاش**، صدر عن دار عالم الكتب في الرياض.

● **نادي الطائف الأدبي: تاريخ وصورة**، كتاب وثائقي صدر عن نادي الطائف الأدبي.

● **المد والشاطىء أنت**، ديوان جديد للدكتور **إبراهيم بن محمد العواجي**، صدر عن نادي الطائف الأدبي.



د. إبراهيم العواجي

● **توسعة وعمارة الحرمين الشريفين: رؤية حضارية**، ج٢، كتاب توثيقي يتضمن شرحًا مفصلاً لتوسعة الحرمين الشريفين وعمارتهما، صدر عن مجموعة بن لادن.

● **فراغات**، مجموعة قصصية **لعبد العزيز الصقعبي**، صدرت عن دار شعر في القاهرة.

● **دليل القرآن الكريم**، إعداد **مصطفى محمود أبو صالح**، صدر عن إدارة الثقافة والنشر في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض.

● **السكر المر**، رواية للدكتور **عصام خوقير**.

● **بين الأدب والسياسة**، تأليف د. **عبد الله مناع**.



د. عبد الله مناع

● **مرافىء الأمل**، ديوان شعر للدكتور **محمد السعيد الخطراوي**.

صدرت الكتب الثلاثة السابقة عن نادي جدة الأدبي الثقافي.

● **قرة العين في الفتح والإمالة وبين اللفظين**، تأليف **ابن الناصح**، وتحقيق د. **دفع الله عبد الله سليمان**، صدر عن مركز البحوث بكلية الآداب في جامعة الملك سعود بالرياض.

● **كتاب حُسْن النبا في فضل مسجد قبا**، تأليف الشيخ **محمد علي بن إبراهيم بن علان** المتوفى عام ١٠٥٧هـ، حققه **مأمون محمد أحمد**، وصدر عن مكتبة أحد في المدينة المنورة.

● **مجلاتنا العربية وفن التحرير الصحفي**، تأليف **ياسر الفهد**، صدر عن دار ثقيف للنشر والتأليف في الطائف.

الإمارات — افتتاح «سوق الجمعة»

افتتح - مؤخرًا - في قرية التراث التابعة لجمعية إحياء التراث الشعبي «**سوق الجمعة** » **التراثي**.



سمو الشيخ زايد بن سلطان

أقيم السوق بمناسبة الذكرى السابعة والعشرين لتولي سمو الشيخ **زايد بن سلطان آل نهيان** الحكم، وضم عروضًا شعبية وتراثية، فضلاً عن معارض للملبوسات والمأكولات الشعبية، وأدوات السفر، وألعاب الأطفال. وأدوات الصيد بالصقور، جنبًا إلى جنب مع أحدث الأجهزة التقنية المعاصرة.

تعديلات بجائزة العويس

أجرى مجلس أمناء **مؤسسة سلطان بن علي العويس الثقافية** تعديلات على لائحة الجائزة، وأقر لائحتي الجائزة المالية والتحكيم.

وبموجب التعديلات صار من حق أي أديب يعود إلى أصل عربي الترشح للجائزة، وكذلك الكتّاب العرب الذين يكتبون بلغات أجنبية على أن تترجم أعمالهم إلى العربية الفصحى بموافقتهم، كما صار بالإمكان قبول ترشيح أديب بناء على تزكية خمسة أدباء إذا لم ترشحه مؤسسته الثقافية ووجد حرجًا في ترشيح نفسه.

وتقرر أن تدور جائزة الابتكار العلمي في إطار تاريخي جغرافي يتعلق بدولة الإمارات،

وللمتسابق الحق في اختيار واحد من ثلاثة محاور :

ـ التاريخ البحري الذي يتناول الملاحة وتاريخها في الإمارات وتاريخ صيد اللؤلؤ والحركة التجارية في الإمارات منذ الحرب العالمية الثانية وحتى قيام دولة الاتحاد .

ـ محور تاريخي واجتماعي حيث يختار الباحث واحدًا من ثلاثة موضوعات عن الإمارات تتناول تأثيرات الحرب على المجتمع ، وتاريخ الخدمات الطبية منذ الحرب العالمية وحتى قيام الاتحاد، وتاريخ الحركة الرياضية منذ عام ١٩٥٠م وحتى قيام دولة الإمارات .

ـ محور جغرافي يتناول سواحل الإمارات وجبالها وجزرها .

وأعلن عن **مسابقة خاصة بشباب الإمارات** تحت ثلاثين عامًا هي جائزة العويس للشباب، ومجالاتها أي بحث له صلة بالدولة أدبيًا كان أو ثقافيًا أو اجتماعيًا أو تاريخيًا .

ويتاح لأبناء الدول العربية المشاركة في **جائزة أحسن بحث عن دولة الإمارات** في مجالات الدراسات الإنسانية والبحوث العلمية التطبيقية .

وهناك أيضا مسابقتان تقررتا هما مسابقة **أفضل ابتكار علمي** وهي لمختلف الأعمار، ومسابقة **أفضل عمل فني تشكيلي**.

وتحدد يوم ٣٠ ديسمبر ١٩٩٣م موعدًا أقصى لاستلام المشاركات .

كتب جديدة

● **دراسات في مجتمع الإمارت**، ج٥ ، تأليف مجموعة من الباحثين، صدر عن جمعية الاجتماعيين في الإمارات .

● **السرد على هيئته**، تأليف **ميسون صقر** (إصدار شخصي) .

البحرين

معرض لفن تجليد الكتاب الإسلامي

نظم المجلس الثقافي البريطاني بالتعاون مع متحف فيكتوريا وألبرت **معرضًا في المنامة لفن تجليد الكتاب الإسلامي** .

ضم المعرض نماذج متنوعة من الكتب الإسلامية التي جرى تجليدها باستخدام طرائق وأساليب متعددة، فضلاً عن نماذج فريدة لأغلفة بعض المصاحف والمخطوطات .

كشف أثري

اكتشف في مستوطنة الحجر الأثرية **مدفن كبير يرجع تاريخه إلى فترة حضارة الدلمون** المتوسطة أي في حدود ألفي عام قبل الميلاد .

يتكون المدفن من غرفة شمالية وأخرى جنوبية متساويتين في الطول والعرض تقريبًا إلى جانب ممر من الناحية الشرقية يمتد شمالاً وجنوبًا، إضافة إلى بوابة لإغلاقه عند امتلائه .

وعثر في المدفن على نحو **٣٣ قطعة فخارية** ما بين أوانٍ وجرار وصحون وكؤوس، ومجموعة أخرى من كسر الفخار يبدو أنها تهشمت أثناء تعرض المدفن لتخريب قديم، كما عثر على إناءين من الحجر الصابوني ومجموعة من الخرز وخاتمين من البرونز، وثالث مصنوع من الحجر الصابوني وعظام بشرية مهشمة وأصداف بحرية، وأربعة تماثيل حجرية تعود إلى عهد تايلوس؛ ثلاثة منها تعرضت لتخريب والرابع وُجد مثبتًا عند مجموعة من المرافق .

معرض خليجي للفنون التشكيلية

يقام في المنامة خلال شهر نوفمبر المقبل المعرض التاسع للفنون التشكيلية لشباب دول مجلس التعاون الخليجي .

يشارك في المعرض فنانون شباب من الدول الأعضاء في المجلس تقل أعمارهم عن خمسة وعشرين عامًا في مجالات : الرسم والحفر، والنحت والتصوير الزيتي وفن المجسمات .

سلطنة عمان

أقدم زورق قصب عابر للمحيطات

عثر قرب ساحل رأس الجنيز على بعد ٢٠٠ كيلو متر من مسقط على بقايا ما يعتقد أنه **أقدم زورق عابر للمحيطات مصنوع من القصب** . **ويقدر طوله بنحو عشرين مترًا** .

ويعتقد الآثاريون الفرنسيون والإيطاليون الذين عثروا على البقايا أنها تعود إلى زورق كبير صنع قبل ٤٣٠٠ عام من القصب وقطع مسافة تصل إلى ثمانمائة كيلو متر عبر المحيط في رحلة تجارية .

ولا يُعرف بعد أين تم صنع الزورق الذي تضم بقاياه عشرات القطع من الخزف الهندي واللقى الأثرية الأخرى التي يُظن أنها جلبت عن طريق البحر إلى عمان .

ومن شأن هذا الكشف أن يعزز الاكتشافات الأخرى القائلة بوجود **دور لشبه جزيرة العرب في قيام أول تجارة دولية بعيدة المدى عبر المحيطات** بين حضارات العالم القديم قبل ستة آلاف عام .

الكويت

صحيفة دولية ومركز ثقافي عالمي

تقرر إقامة **مركز ثقافي وحضاري يعبر عما بلغته الكويت في مراحل تطورها**، تكون نواته الأساسية نصبًا تذكاريًا للدولة يتمثلها واقعيًا .

وطرح مشروع إقامة المركز في مسابقة تقدم إليها ٣٦ مكتبًا استشاريًا كويتيًا لإعداد تصميمه . من ناحية أخرى انتهت وزارة الإعلام الكويتية من إعداد التصور النهائي لإصدار **صحيفة شعبية دولية** لنقل قضايا الكويت إلى الإعلام الخارجي بصورة موضوعية .



الشيخ سعود الصباح

وقال وزير الإعلام الشيخ **سعود ناصر الصباح** إن الصحيفة ستكون محلية في البداية ثم تصير دولية، ولن يكون للحكومة شأن بها حيث ستطرح أسهمها للاكتتاب على جميع المواطنين .

ولم يتحدد حتى لحظة كتابة هذه السطور مسمى الصحيفة وموعد صدورها .

الحركة الثقافية

معجم لما ألف عن الصحابة وأمهات المؤمنين

صدر – مؤخرًا – عن مركز **المخطوطات** أحدث معجم بعنوان «ما ألف عن الصحابة وأمهات المؤمنين وآل البيت رضي الله عنهم».

يضم المعجم نحو **١٢٩٣ كتابًا ورسالة محققة** حول موضوعه، وتم ترتيبه على حروف الهجاء حسب عنوان الكتاب، وفي آخره فهرس شامل لأسماء الصحابة الذين وردت أسماؤهم فيه والمؤلفين حسب القرون وكذلك النساخ والمحققين والمترجمين والمستشرقين، إضافة إلى فهرس بالخزائن والمكتبات ودور النشر والمؤسسات والمطابع.

استغرق إعداد الفهرس وتصنيفه ثماني سنوات من جهد المعد **محمد إبراهيم الشيباني**.

كتب جديدة

● **سيكولوجية السعادة**، تأليف **مايكل أرجايل**، ترجمة د. **فيصل عبد القادر يونس**، مراجعة شوقي جلال، صدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

● **الإسلام كبديل**، تأليف د. **مراد هوفمان**، صدر ضمن سلسلة «نافذة على الغرب» عن مجلة «النور» الكويتية ومؤسسة بافاريا في بيروت.

● **العبقرية والإبداع والقيادة**، تأليف **دين كيث سايمنتن**، ترجمه إلى اللغة العربية د. **شاكر عبد الحميد**، وراجعه د. **محمد عصفور**، صدر ضمن سلسلة «عالم المعرفة» عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

قطر – من الكتب الجديدة

● **إنفاق العفو في الإسلام بين النظرية والتطبيق**، تأليف د. **يوسف إبراهيم يوسف**، صدر ضمن سلسلة «كتاب الأمة» عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

اليمن – معرض ٣ آلاف عام حضارة

أقام المصور اليمني **عبد الحميد الغابري** معرضًا في عدن للوحات الضوئية والصور الفوتوغرافية تحت عنوان «**اليمن : ثلاثة آلاف عام حضارة وفن**».

احتوى المعرض على **٢٧٦ لوحة ضوئية وصورة فوتوغرافية** تجسد مراحل التطور التاريخي للإنسان اليمني في شتى المجالات بدءًا من عصر ما قبل الميلاد.

محاضرات وندوات

● «**المرأة في الإسلام**» عنوان ندوة نظمها في اليابان المعهد العربي الإسلامي التابع لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالتعاون مع جمعية الطلبة الأجانب في جامعة قنما اليابانية، وشارك في الندوة مائة وخمسون مفكرًا وعالمًا وطالبًا، منهم **عبد الماجد غلام، وسليم الرحمن بن أحمد وعبد العزيز البداح**.

● «**من ثمرات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**» عنوان محاضرة ألقاها في جامع الأندلس بالدمام الشيخ **إبراهيم بن عبد الله الغيث**.

● «**الصحافة : شجون وفنون**» عنوان محاضرة ألقاها في مقر جمعية البحرين للفن المعاصر بالمنامة **حمد محمد النعيمي**.

● «**مسار وملامح**» عنوان ندوة عن الرواية الجزائرية أقيمت في الصالون الثقافي بدار الأوبرا المصرية في القاهرة شارك فيها د. **إبراهيم روماني**.

● «**مراجعة الفكر الحديث**» عنوان محاضرة ألقاها الشيخ د. **صالح بن سعد اللحيدان**.

● «**الازدواجية في اللغة**» عنوان محاضرة ألقاها د. **علي بن سعيد البشري**.

● «**الشعر الإسلامي وقضاياه**» عنوان محاضرة ألقاها د. **محمود حسن زيني**.

أقيمت المحاضرات الثلاث السابقة في نادي أبها الأدبي.

● «**الفن التشكيلي في المملكة العربية السعودية**» عنوان محاضرة ألقاها في مهرجان الإبداع العالمي للفنون التشكيلية في مدينة المحرس التونسية **عبد الرحمن السليمان**.

● «**القول السديد**» عنوان محاضرة ألقاها في مسجد الأمير خالد بن سعود في العريجاء بالرياض الشيخ **سعيد بن مسفر القحطاني**.

● «**الوقت هو الحياة**» عنوان محاضرة ألقاها في قاعة الشيخ حسن آل الشيخ في جامعة أم القرى الداعية **محمد قطب**.

● «**العلاقة بين مدينة الإسكندرية والأندلس قديمًا**» موضوع محاضرة ألقاها في جامعة مدريد د. **أحمد مختار العبادي**.

● «**واقع الشباب**» موضوع محاضرة جماعية ألقاها في مدرسة أبي زيد الأنصاري في مكة المكرمة المشائخ : **منصور بشير، سليمان الجبيلان وصالح الحمودي**.

● أقيمت في مدينة الأسد الرياضية في اللاذقية **أمسية شعرية** ضمن

مصر

المؤتمر الثاني حول العالم العربي والمتغيرات الدولية

ينظم مركز الدراسات العربي الأوروبي ومقره باريس خلال الفترة من ١٤ ـ ١٦ شعبان المقبل ١٤١٤هـ (٢٥ ـ ٢٧ يناير ١٩٩٤م) **المؤتمر الثاني حول تحديات العالم العربي في ظل المتغيرات الدولية**.

يرعى المؤتمر الذي يقام في القاهرة الأمين العام لجامعة الدول العربية والرئيس الفخري للمركز د. **عصمت عبد المجيد**، وتشارك في أعماله مجموعة من المفكرين.

ويبحث المؤتمر عدة محاور تدور حول القضايا التالية:

التطرف والإرهاب، التحديات السياسية والاستراتيجية، التحديات التي يواجهها العالم العربي، التحديات الخارجية: الإقليمية والدولية، التحديات الاقتصادية والتنموية، قضايا البيئة، ودور المنظمات الإقليمية في مواجهة التحديات العربية.

الإعداد لافتتاح متحف طه حسين



د. طه حسين

ينتظر أن يفتتح خلال شهر ربيع الآخر الجاري (أكتوبر ١٩٩٣م) «**متحف د. طه حسين**» بمناسبة الذكرى العشرين لوفاته.

يتكون المتحف الذي يقع في داره «**رامتان**» من طابقين، ويضم مؤلفات د. طه حسين ومقتنياته الشخصية، إضافة إلى لوحاته التي رسمها كبار الفنانين.

ويشمل الاحتفال بافتتاح المتحف توزيع **كتاب تذكاري** عن الراحل أعدته مجموعة من كبار الأدباء والنقاد يتناول مؤلفاته وسيرته الذاتية ومشواره الأدبي.

وتسعى وزارة الثقافة المصرية إلى أن يصير المتحف مركز إشعاع فكري وحضاري وثقافي من خلال ما يعد لإقامته به من محاضرات وندوات وأمسيات وملتقيات.

إعفاء الكتب والصحف من ضريبة المبيعات

أكد وزير المالية المصري د. **محمد الرزاز** أن البعض قد فهم خطأ القرار الجمهوري الخاص بإعفاء الكتب والمذكرات الجامعية من ضريبة المبيعات.

وأضاف أن القرار يشمل جميع الكتب التي تصدر في مصر سواء منها التعليمية أو الثقافية أو الفنية وغيرها وكذلك الصحف والمجلات بمختلف أنواعها.

مؤتمر عن مدن آسيا الصغرى

يعتزم المركز المصري للدراسات العثمانية وبحوث العالم التركي تنظيم مؤتمر دولي في

الفعاليات الثقافية لمهرجان المحبة الخامس الذي تنظمه وزارة الإعلام السورية، شارك في الأمسية الشعراء: **أحمد عبد المعطي حجازي وبلند الحيدري ومحمد علي شمس**.

● «**التفقه في الدين**» عنوان محاضرة ألقاها في المعهد العلمي بالطائف التابع لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية سماحة الشيخ **عبد العزيز بن عبد الله بن باز**».

● «**لمحات أدبية من قلب الجزيرة العربية**» عنوان محاضرة ألقاها **الشيخ حمد الجاسر**.

● «**أزمة الشعر السعودي**» عنوان محاضرة ألقاها د. **عبد الله الزهراني**.

● «**تركستان الكبرى: ماضيها وحاضرها**» عنوان محاضرة ألقاها **محمد قاسم أمين تركستاني**.

أقيمت المحاضرات الثلاث السابقة في نادي مكة الأدبي الثقافي.

● «**دور الصحافة الإسلامية في ترشيد الصحوة**» موضوع محاضرة ألقاها في نادي الطائف الأدبي د. **عبد القادر طاش**.

● «**العلاج بالقرآن**» عنوان محاضرة ألقاها في جامع الملك فهد في أبها **الشيخ علي مشرف العمري**.

● «**الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية**» عنوان محاضرة ألقاها في المركز الإعلامي السعودي في لندن د. **منصور إبراهيم الحازمي**.

● «**الوحدة العربية.. قضايا وآفاق**» عنوان ندوة نظمها في فندق الكسندر في بيروت ملتقى الحوار العربي الديمقراطي، وشارك فيها عدد من المفكرين والمثقفين العرب.

● «**مستقبل العلاقات العربية الإيرانية**» عنوان محاضرة ألقاها **محمود سريع** في دار الندوة في بيروت بدعوة من مركز دراسات الوحدة العربية.

● «**من حياة الصالحين**» عنوان محاضرة ألقاها في المركز الصيفي للدعوة والإرشاد في القويعية الشيخ **محمد بن عوض الشنيفي**.

● «**سبعة يظلهم الله في ظله**» عنوان محاضرة ألقاها في جامع إمام الدعوة بالصحنة في الدلم الشيخ **عبد الرحمن الوهيبي**.

● «**إن يد الله مع الجماعة**» عنوان محاضرة ألقاها في جامع الإمام أحمد ابن حنبل في القصب الشيخ **خالد بن محمد الرشود**.

● «**عوامل نجاح دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب**» عنوان محاضرة ألقاها في المركز الصيفي بالمعهد العلمي بحوطة بني تميم الشيخ **عبد العزيز ابن محمد السدحان**.

القاهرة تحت عنوان «**المدن والعواصم الإسلامية في آسيا الصغرى والقوقاز**».

يقام المؤتمر خلال الفترة من ٢٦ - ٢٨ ربيع الآخر الجاري ١٤١٤هـ (١٢ - ١٤ أكتوبر ١٩٩٣م) بالتعاون مع منظمة المدن والعواصم الإسلامية في جدة ومحافظة القاهرة ووزارة الخارجية المصرية،

من ناحية أخرى يسعى المركز بالتعاون مع رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة إلى تنظيم ملتقى دولي للأدباء العرب والأتراك بهدف تعريف الجانبين بالحركة الأدبية والنقدية في كل منهما.

نحو فلسفة إسلامية



زكي نجيب محمود

عقدت الجمعية الفلسفية المصرية - مؤخرًا - مؤتمرها السنوي الخامس بالاشتراك مع أقسام الفلسفة في الجامعات المصرية تحت عنوان «**نحو فلسفة إسلامية جديدة**».

ناقش المؤتمر على مدى ثلاثة أيام أكثر من **خمسين بحثًا** توزعت على إحدى عشرة جلسة، وعالجت قضايا: الفلسفة، الحوار الحضاري، الأخلاق والسياسة، الفلسفة الإسلامية المعاصرة، وموضوعات أخرى.

غاب عن المؤتمر وجوه بارزة منها د. زكي نجيب محمود، د. **إبراهيم بيومي مدكور**، ود. **مأمون سلامة**، وتحدث في جلسات المؤتمر أكاديميون ومفكرون يأتي في مقدمتهم د. **أبو الوفاء التفتازاني** رئيس الجمعية، د. **حسين ربيع**، د. **حسن حنفي**، ود. **يحيى هويدي** الذي أثار بحثه «**الوعي العربي المعاصر**» عاصفة من المناقشات حيث قال إن مَنْ أطلق عليهم مسمى «التنويريون» بعيدون كل البعد عما يسمى بحركة الإسلام السياسي.

وحذَّر من وضع «التنوير» في مواجهة التفكير الديني، مؤكدًا أن الإسلام هو دين التنوير والديمقراطية، ووصف مرحلة ما بعد الحداثة بأنها تنقسم بين اتجاهين: اتجاه التنوير المراهق، واتجاه التنوير الإسلامي.

كتب جديدة

● **سيناء**، تأليف د. **جمال حمدان**، صدر ضمن سلسلة «كتاب الهلال».

● **مريم التجلي الأخير**، رواية **لإبراهيم عيسى**، صدرت ضمن سلسلة «روايات الهلال».

صدر الكتابان السابقان عن مؤسسة دار الهلال في القاهرة.



د. حلمي القاعود

● **الورد والهالوك** تأليف د. **حلمي محمد القاعود**، صدر عن دار الأرقم في الزقازيق.

● **التبصرة في ترتيب أبواب للتمييز بين الاحتياط والوسوسة على مذهب الإمام الشافعي**، تأليف **أبي محمد عبد الله ابن يوسف بن عبد الله الجويني الشافعي** (ت ٤٣٨هـ)، تحقيق د. **محمد عبد العزيز عبد الله السديس**، صدر عن مؤسسة قرطبة في القاهرة.

● **النذير**، مجموعة قصصية **لبدر عبد العظيم محمد**، صدرت ضمن سلسلة «إشراقات أدبية» عن الهيئة المصرية العامة للكتاب.

● **الحضارات المبكرة: مصر القديمة في السباق**، تأليف **بروس تريجر** صدر باللغة الإنجليزية.

● **التاريخ الإسلامي: الأدوات وإطار البحث**، تأليف د. **ستيفن همفري**.

● سجن العمر، تأليف **توفيق الحكيم** ترجمه إلى الإنجليزية **بيير كاشيا**.

● **حرب الخليج من القاهرة إلى القرية العالمية**، تأليف مجموعة من الباحثين.

صدرت الكتب الأربعة السابقة عن دار نشر الجامعة الأمريكية في القاهرة.

الأردن: مهرجان القدس للثقافة والفنون

نظم نادي الوحدات بالتعاون مع مؤسسة عبد الحميد شومان في عمان خلال شهر صفر الماضي ١٤١٤هـ **مهرجان القدس للثقافة والفنون**.

تضمن المهرجان الذي استمر ثلاثة أسابيع معارض للفنون التشكيلية، والكتاب (عن القدس)، والزي الوطني الأردني والفلسطيني، إضافة إلى ندوات وأمسيات ومحاضرات اجتماعية وعلمية وثقافية وأدبية وعروضًا فنية شعبية.

من أبرز الندوات: «**الثابت والمتغير في أدب الأرض المحتلة**» و «**المرأة العربية: الدور والتحديات**»، و «**الثقافة العربية والتطبيع**» وغير ذلك.

كتب جديدة

● **دليل الأهل والمربين لتنمية النطق واللغة لدى الطفل العادي والطفل المعاق**، ترجمة **عبد الرحمن عطية**، د. سمير قمصية، تحرير لغوي د. **أحمد عرفات**، صدر عن مجموعة داليا العالمية.

● **الجفرا والمحاورات: قراءات في الشعر اللهجي في الجليل الفلسطيني**، تأليف د. **عز الدين المناصرة**، صدر عن مؤسسة الكرمل في عمان.

● **الرباعيات**، مجموعة شعرية **لمحمد منصور**، صدرت عن وزارة الثقافة.

سورية: معرض للكتاب العربي والإسلامي

تنظم مكتبة الأسد في دمشق في السابع من شهر ربيع الآخر الجاري ١٤١٤هـ الموافق ٢٣

سبتمبر ١٩٩٣م **المعرض التاسع للكتاب العربي والإسلامي**.

يشارك في المعرض عدد كبير من دور النشر إضافة إلى المؤسسات العلمية والمنظمات الدولية ومجامع اللغة العربية وعدد آخر من الهيئات.

يصاحب المعرض برنامج ثقافي يتضمن ندوات وأمسيات ومحاضرات يشارك فيها مجموعة من المفكرين والمبدعين والمثقفين من مختلف أنحاء العالم.

اكتشاف أقدم حمام «ساونا»

اكتشف في مدينة **السويداء** بجنوب سورية **أقدم حمام «ساونا» في التاريخ**، حيث يعود تاريخه إلى عصر **الإمبراطور هدريان** في بداية القرن الثاني الميلادي.

وأظهرت التنقيبات جميع الصالات المكونة للقسم الحار من الحمام أو ما يعرف بقسم البخار، وكذلك قواعد الفخار والأجر الأسطوانية والمربعة، حيث ترتكز على أرضية من الأجر كانت تحمل سقفًا من المادة نفسها، وكانت عملية التسخين تتم بواسطة أفران توقد فيها النيران لتسخين أرضيات الغرف وأحواض الماء الواقعة فوقها.

مهرجان المحبة

اختتمت في الأسبوع الأخير من شهر صفر الماضي ١٤١٤هـ فعاليات **«مهرجان المحبة الخامس»** الذي أقيم في مدينة اللاذقية بمشاركة سبع دول هي: **مصر، البحرين، قطر، الأردن، لبنان، ورومانيا إلى جانب سورية**.

تضمن المهرجان فعاليات ثقافية مختلفة تشمل محاضرات وندوات وأمسيات إلى جانب مهرجان للشعر العربي، ومعارض فنون تشكيلية وعروض سينمائية، ومسابقات رياضية، ومعارض للتصوير الضوئي، والحرف والصناعات اليدوية، والزهور ونباتات الزينة.

كتب جديدة

● **البحث عن الذات**، تأليف **ايجور كون** ترجمة د. **غسان نصر**، صدر عن دار معد للنشر والتوزيع في دمشق.

● **أبو أحمد البيروني أحد أعلام العرب العظام**، تأليف **زهير كتبي**.

● **من كتاب الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء**، تأليف **عمران المرزباني**، تقديم د. أحلام الزعيم.

● **الحوار العربي الأوروبي**، تأليف **عبد النعيم زنابيلي**.

صدرت الكتب الثلاثة السابقة عن وزارة الثقافة.

● **الحرب الإلكترونية من الحرب العالمية الأولى إلى حرب النجوم**، تأليف اللواء **صلاح الدين الأشرم**، صدر عن دار طلاس في دمشق.

● **تحفة ذوي الألباب فيمن حكم دمشق من الخلفاء والملوك والنواب**، تأليف **صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي**، تحقيق **إحسان سعيد خلوصي وزهير حمدان الصمصام**، صدر في دمشق.

● **دوائر الماء والأسماء**، مجموعة قصصية **لرباب إبراهيم هلال**، صدرت عن دار الشادي.

لبنان — كتب جديدة

● **السلاح والخبز: الإنفاق العسكري في العالم العربي ١٩٧٠ ــ ١٩٩٠م**، تأليف **عبد الرزاق الفارس**.

● **القومية العربية: فكرتها ومقوماتها**، الكتاب الأول من «قراءات في الفكر القومي»، تأليف مجموعة من الباحثين.

● **ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م**، تأليف د. **مجدي حمّاد**، صدر ضمن سلسلة «الثقافة القومية».

صدرت الكتب الثلاثة السابقة عن مركز دراسات الوحدة العربية.

● **ثلاثية نيويورك**، رواية **لبول أوستر**، ترجمها إلى اللغة العربية **كامل يوسف**.

● **مذكرات امرأة غير واقعية**، رواية **لسحر خليفة**.

صدر الكتابان السابقان عن دار الآداب في بيروت.


د. سليم الحص

● **زمن الأمل والخيبة: تجارب الحكم ما بين ١٩٧٦ - ١٩٨٠م**، تأليف د. **سليم الحص**.

● **موسوعة المعلومات العامة**، إعداد **حسّانة قمورية البعلبكي**.

صدر الكتابان السابقان عن دار العلم للملايين في بيروت.

● **من اليهودية إلى الصهيونية**، تأليف د. **أسعد السحمراني**، صدر عن دار النفائس في بيروت.

● **الاستشراق في الفكر العربي**، تأليف د. **محسن الموسوي**، صدر عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر في بيروت.


عبد الله البردوني

● **الثقافة والثورة في اليمن**، تأليف **عبد الله البردوني**، صدر عن دار الحداثة في بيروت.

● **حلقات العزلة**، تأليف **محمد علي شمس الدين**، صدر عن دار الجديد في بيروت.

● **آداب الملوك**، لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي، تحقيق د. **جليل العطية**، طبع على نفقة منظمة اليونسكو.

● **الدعاء**، للقاضي **أبي عبد الله الحسين بن إسماعيل المحاملي** (ت ٣٣٠ هــ) تحقيق د. **سعيد عبد الرحمن القزقي**.

صدر الكتابان السابقان عن دار الغرب الإسلامي في بيروت.

● **النصائح الدينية والوصايا الإيمانية**، لعبد الله بن علوي الحداد الحضرمي الشافعي، صدر عن دار الناشر في بيروت.

● **من كواليس التاريخ**، تأليف **سمير شيخاني**، صدر عن دار الجيل في بيروت.

تونس

مهرجان المحرس للفنون التشكيلية

أقيم في بلدة المحرس على بعد ٣٠٠ كيلو متر من العاصمة التونسية **مهرجان دولي للفنون التشكيلية** بمشاركة فنانين من مختلف أنحاء العالم.

تميز المهرجان بكون المشاركين فيه يعملون صباحًا في ورش فردية أو جماعية (حسب التخصص) وفي المساء تنظم لقاءات فنية يحضرها الجمهور.

وأقيمت على هامش المهرجان لقاءات شعرية وعروض مسرحية وموسيقية.

الجزائر

كتب جديدة

● **أكاذيب سمكة**، مجموعة شعرية **لأحلام مستغانمي**، صدرت عن المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية في الجزائر.

● **العربية بين الطبع والتطبيع** : دراسات لغوية تحليلية لتراكيب عربية، تأليف د. **عبد الملك مرتاض**

● **مذكرات في القانون الدولي الخاص**، تأليف د. **علي سليمان**.

صدر الكتابان السابقان عن ديوان المطبوعات الجامعية في الجزائر.

المغرب

الاقتصاد يطغى في «أصيلة»


الأمير سيدي محمد

رعى ولي العهد المغربي سمو **الأمير سيدي محمد** في شهر صفر الماضي ١٤١٤هـ **مهرجان موسم أصيلة الثقافي في السادس عشر** بمشاركة أكثر من **مائتي مفكر ومثقف وخبير وأربعين صحافيًا** من مختلف أنحاء العالم.

تميز الموسم هذا العام باهتمام واسع بندواته الاقتصادية التي طغت على المجالات الثقافية والفنية، حيث أقيمت عدة ندوات اقتصادية أبرزها ندوة عن **دور المؤسسات المالية في التنمية**.

وتضمن المهرجان **ثمانية معارض للفنون التشكيلية**، ومشاغل مفتوحة في فنون: النحت،

رسائل جامعية

● **«الاستشراق الفرنسي وموقفه من تاريخ العهد النبوي»** عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية الدعوة وأصول الدين بالجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، تقدم بها **مصطفى الحاج مالك بوكاري**.

● **«دراسة تقويمية لأهداف المرحلة الابتدائية في المملكة العربية السعودية من وجهة نظر مديري ومدرسي المرحلة الابتدائية بمدينة الرياض»** عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية التربية بجامعة الملك سعود في الرياض، تقدم بها **علي محمد العلي**.

● **«العزلة وأثرها في الدعوة»** عنوان رسالة مكملة لنيل درجة الماجستير نوقشت في كلية الدعوة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في المدينة المنورة، تقدم بها **خالد حسن العبري**.

● **«ابن قدامة ومنهجه الأصولي وطريقة فهمه لبعض القضايا في العلاقات الدولية في القانون الإسلامي في المذهب الحنبلي»** موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في جامعة مانشستر في بريطانيا، تقدم بها **ناصر عبد الرحمن عبد الله اليحيى**.

● **«المناطقية والبيئة العمرانية»** دراسة للمدينة العربية الإسلامية في المملكة العربية السعودية، عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في مدرسة ماكنتوش للعمارة في جامعة جلاسجو ببريطانيا، تقدم بها **فهد بن عبد العزيز السعيد**.

● **«الاستقرار الكهروديناميكي لأسطوانة من المانع تحت تأثير قوي الجاذبية»** عنوان رسالة ماجستير نوقشت في مبنى كليات البنات بالدمام، تقدمت بها **أميرة بنت علي صالح آل ضاوي**.

● **«لغة ابن جني في ضوء كتابه الخصائص : دراسة إفرادية في فقه اللغة»** عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية التربية للبنات في مكة المكرمة، تقدمت بها **روضة أحمد عبد الله خيمي**.

● **«الجماعة في الإسلام ومنهجه في بنائها ورعايتها»** عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الشريعة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض، تقدم بها **ناصر عبد الله التركي**.

● **«الطب الباطني»** موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في جامعة الصداقة بموسكو، تقدمت بها **جميلة سعيد الجناحي**.

● **«الظواهر المسرحية عند العرب»** عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية العلوم الإسلامية والعربية التابعة للمجمع العلمي العالي بدمشق، تقدم بها **علي عقلة عرسان**.

والحفـر، والسيراميك، والصباغة الزيتية والسيريغرافية.

ومن الندوات العلمية والثقافية ندوتا: «**العمارة في المغرب وشبه الجزيرة الأيبيرية وأمريكا اللاتينية: أوجه التشابه**» و «**الكاتب العربي بين نشوته الذاتية والعالم من حوله**».

وشهد المهرجان تسليم جائزة « **شيكايا أوتاميسي**» التي فاز بها هذا العام الشاعر **مازيسي كونيني** من جنوب أفريقيا.

كما أقيمت عروض فلكلورية وموسيقية، ومحاضرات وأمسيات متنوعة.

جائزة الاستحقاق الكبرى

تحصل خمس شخصيات ثقافية وعلمية مغربية على جائزة الاستحقاق الثقافي الكبرى.

وتسلم الفائزون جوائزهم في حفل كبير أقيم في مدينة القنيطرة برعاية سمو ولي العهد **الأمير سيدي محمد**، وهم: **أحمد معنينو، وأبو بكر القادري** (من رموز الحركة الوطنية)، **وأحمد بن شقرون** (رئيس جامعة القرويين)، **وعباس الجراري، وعبد القادر الفاسي الفهري** (متخصصان في الأدب واللسانيات).

وفاز الشاعر **محمد بنيس بجائزة الإبداع الأدبي** عن ديوانه «**هبة الفراغ**»، كما احتفظ بجائزتي العلوم الإنسانية والاجتماعية وجائزة النقد الأدبي والفني.

وفاز الباحث الراحل **أحمد زهور** بجائزة العلوم والتكنولوجيا عن مؤلفه باللغة الفرنسية «**عناصر التحسين الوراثي للنبات**». **ومنحت جائزة الترجمة لمحمد الشركي** عن ترجمته كتاب الطاهر ابن جلون «**طفل الرمال**».

وأعلن **محمد علال سي ناصر** وزير الشؤون الثقافية المغربي أنه سيتم تخصيص **جائزة لكتّاب الرسائل والأطروحات الجامعية** بتنسيق بين وزارتي الثقافة والتربية.

مؤتمر للدراسات الفرانكوفونية

اختتم ـ مؤخرًا ـ في الدار البيضاء **المؤتمر الدولي للمجلس العالمي للدراسات الفرانكوفونية**.

وبرغم أن المؤتمر أقيم تحت إشراف جهات حكومية ودولية إلا أن جلساته عقدت بصفة شبه سرية، في أحد الفنادق، ولم يكشف عما توصل إليه المؤتمرون برغم استمرار المؤتمر أسبوعًا بمشاركة أكثر من **خمسمائة شخص** جاءوا من ثلاث قارات.

باكستان
الاحتفال الأول لحرفيي الدول الإسلامية

يقام في مدينة إسلام آباد خلال الفترة من ٧ ـ ١٥ أكتوبر ١٩٩٤م المقبل **الاحتفال العالمي الأول لحرفيي الدول الإسلامية**.

ينظم الاحتفال **مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية** في إسطنبول التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي بالتعاون مع مؤسسة لوك فيرسا التابعة لوزارة الثقافة الباكستانية.

يتضمن الاحتفال إقامة معرض خاص لحرفيي الدول الإسلامية ودول منطقتي آسيا والباسفيك، وآخر للفنون الفلكلورية والحرفية

● «**تقويم نظام الابتعاث مع التطبيق على وزارة الداخلية**» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب في الرياض تقدم بها **خالد محمد أبو ملحة**.

● «**مقارنة بين القانون السعودي والقانون البريطاني في عملية تمويل الشركات والرأي الإسلامي حول الأسهم والسندات**» موضوع رسالة ماجستير نوقشت في جامعة هَل في بريطانيا، تقدم بها **عبد الله بن صالح عبد العزيز القناص**.

● «**الأسلوب العاطفي: مقارنة بين أسلوب كتابة الموضوعات الاقتصادية والمالية في اللغة العربية والإنجليزية**» موضوع رسالة ماجستير نوقشت في جامعة هيريوت وات البريطانية تقدم بها **عويس أحمد محمد**.

● «**الآثار البيئية لاحتراق آبار النفط والعمليات العسكرية على بعض النباتات الصحراوية في دولة الكويت**» موضوع رسالة ماجستير نوقشت في جامعة الخليج العربي في البحرين، تقدم بها **علي حاجي دشتي**.

● «**مسرحية الكيستيس ليوريبدس**» موضوع رسالة ماجستير نوقشت في كلية الآداب بجامعة القاهرة تقدم بها **محيي مطاوع**.

● «**الذات والآخر في الرواية الأفريقية**» عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في معهد الدراسات الأفريقية في القاهرة، تقدمت بها **إيناس طه**.

● «**دراسة ميدانية للمشكلات الإدارية للمدارس الابتدائية الأهلية في المملكة العربية السعودية**» عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية التربية بجامعة عين شمس، تقدم بها **عبد الله محمد حبحب**.

● «**مرض الكوع التنسي**» موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الطب بجامعة الأزهر، تقدم بها د. **ماجد أحمد صقر**.

● «**المستهي في البيان والمنار للحيران في إعراب القرآن**» عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية التربية للبنات في الرياض تقدمت بها **نوال سليمان الثنيان**.

● «**شرح شذور الذهب للجوجري المتوفى سنة ٨٨٩ هـ: دراسة وتحقيق**» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، تقدم بها **نواف بن جزاء الحارثي**.

● «**آراء القاضي الباقلاني وأثره في علم أصول الفقه**» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية التربية بجامعة الملك سعود في الرياض، تقدم بها **قطب مصطفى سانو**.

المختلفة إلى جانب ندوة دولية حول موضوع «الابتكار في الحرف اليدوية الإسلامية».

ماليزيا: اتصالات لإقامة فرع لرابطة الأدب الإسلامي

أجرى د. **عبد القدوس أبو صالح** نائب رئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية ورئيس مكتبها في الدول العربية اتصالات مع الأدباء المسلمين وأساتذة الجامعات في ماليزيا لبحث إقامة فرع للرابطة في كوالالامبور.

وكان د. **أبو صالح** قد شارك بدعوة من الندوة العالمية للشباب الإسلامي في مؤتمر أقيم في ماليزيا عن الوحدة الإسلامية.

الصين الشعبية: أصغر طبعة مصحف

عثر بحوزة عجوز صينية في إقليم شينجيانج على مصحف يعتقد أنه أصغر طبعة مصحف في العالم.

وقالت **صحيفة شينجيانج ديلي** الإقليمية إن **طول المصحف ٢,٧ سنتيمترا وعرضه ١,٣ سنتيمترا. ولا يتجاوز سمكه سنتيمترًا واحدًا، أما وزنه فهو ٩,٤ جرامًا فقط**، ومحفوظ في صندوق صغير.

قصر جنكيز خان

اكتشف في شمال الصين أطلال يعتقد أنها للقصر الذي مات فيه القائد المغولي **جنكيز خان** قبل سبعمائة وخمسين عامًا.

يعزز هذا الرأي أن بلاط المبنى المكتشف ذو طلاء أصفر، وهو اللون الذي كانت تستخدمه أسرة الإمبراطور فقط.

الصين الوطنية: معرض تايبيه الدولي للكتاب

يقام في الفترة من ١٤ إلى ١٩ يناير ١٩٩٤م المقبل **معرض تايبيه الدولي الثالث للكتاب ١٩٩٤م**.

ينتظر أن يشارك في المعرض دور النشر الرئيسة في تايوان والمكتبات وتجار التجزئة ومستوردو الكتب، فضلاً عن دور النشر الخارجية. وقد وجهت الدعوة إلى ممثلي صناعة الكتاب والثقافة البارزين في مختلف أنحاء العالم للمشاركة في الحلقات الدراسية التي ستقام على هامش المعرض حول صناعة النشر.

ويذكر أن معرض تايبيه ١٩٩٢م شارك فيه **ثلاثمائة عارض** من الخارج، وزاره أكثر من **٣٠٠ ألف زائر**.

الولايات المتحدة: مجلة «حضارة الإسلام»

صدر ــ مؤخرًا ــ العدد الأول من مجلة **«حضارة الإسلام»** التي يشرف عليها مركز دار الهجرة في واشنطن.

تصدر المجلة **باللغتين العربية والإنجليزية**، وتهدف إلى توحيد صفوف المسلمين وتعزيز أواصر الأخوة بينهم.

قراءة المجلات بالكمبيوتر

أصبح في إمكان المشتركين في شبكة الكمبيوتر الإلكترونية في الولايات المتحدة تصفح وقراءة عشر مجلات أمريكية عبر شاشة الكمبيوتر من خلال البريد الإلكتروني.

وفضلاً عن إتاحة الفرصة للمشتركين في هذا النظام للاطلاع على عشر مجلات، فإن هذه الخدمة تمكنهم أيضا من الاشتراك في أية مجلة يرغبونها.

وتوقع متحدث باسم مجلة «نيو ريببلك» الأمريكية أن يصل عدد المجلات المشتركة في هذه الخدمة في نهاية العام الميلادي الجاري إلى خمسين مجلة، مما يتيح للمشتركين فرصة اختيار المجلات التي يودون قراءتها.

ألمانيا: معرض فرانكفورت الدولي للكتاب

يقام خلال الفترة من ٢٠ ــ ٢٥ ربيع الآخر ١٤١٤هـ (٦ ــ ١١ أكتوبر ١٩٩٣م) معرض **فرانكفورت الدولي الخامس والأربعين للكتاب**.

ينتظر أن تشارك في هذا المعرض الذي يعد أكبر معرض للكتاب في العالم قرابة **تسعة آلاف دار للنشر** من مختلف القارات تنتمي إلى ما يزيد على **مائة دولة**.

يتمثل جديد معرض هذا العام في مجموعة من الكتب والمطبوعات الواردة من دول أوروبا الشرقية بعد ترجمتها إلى اللغة الألمانية.

جائزة القصة لكاتب سوري

حصل الكاتب السوري **عصمت رياض** على جائزة إذاعة صوت ألمانيا لأفضل المختارات القصصية في العالم العربي عن قصته **«طيور غير مرغوب فيها»**.

وحصلت الكاتبة المصرية **سلوى بكر** على الجائزة الثانية عن قصتها **«الزرع»**.

بريطانيا: النظيران يلتقيان أبدًا

أقامت مؤسسة ويلكوم ترست الطبية معرضًا في لندن تحت عنوان **«النظيران يلتقيان أبدًا»**.

وعُني بالنظيرين طب الشرق وطب الغرب، حيث احتوى المعرض على **مخطوطات أطباء الحضارة الإسلامية وفلاسفتها**، وأدوات طبية وصيدلانية قديمة، ونماذج لآلات جراحية حديثة استندت تصميماتها إلى رسوم الأدوات الجراحية العربية والإسلامية وأوصافها.

مجلة عربية جديدة

أصدرت دار الزهراء للإعلام العربي في

لندن ـ مؤخرًا ـ العدد التجريبي من مجلة «**شمس الإسلام**»، وهي مجلة إسلامية شهرية متخصصة تبحث في شؤون مسلمي آسيا الوسطى وما وراء النهر وجمهوريات ما كان يسمى الاتحاد السوفييتي.



غلاف العدد التجريبي

يرأس تحرير المجلة **أحمدرائف**، ويعاونه في إدارة التحرير د. **أحمد شوقي**، وتصدر باللغة العربية.

تضمن العدد مجموعة من الموضوعات المتنوعة من بينها لقاء مع الشيخ **جاد الحق علي جاد الحق** شيخ الجامع الأزهر، وحوار مع **مفتي آسيا الوسطى**، وعرض لكتاب «رحلة ابن فضلان»، **وملف العدد عن طاجيكستان فضلاً** عن مقالات أخرى منها: «نظرة ثقافية على أحوال المسلمين في بلاد الاتحاد السوفييتي القديم» و«**بين التراث الإسلامي والعلمانية في آسيا الوسطى**»، و«**المرأة في الجمهوريات الإسلامية**».

الأمير تشارلز يصدر مجلة متخصصة



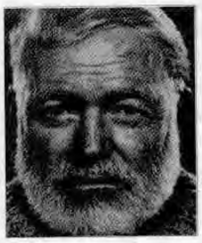
الأمير تشارلز

ذكرت أنباء صحافية أن ولي العهد البريطاني **الأمير تشارلز** يعتزم إصدار **مجلةشهرية** يتولى مسؤولية تمويلها «معهد الأمير تشارلز للهندسة المعمارية وشؤون البيئة» لتعبر عن أفكاره في هذين المجالين.

ينتظر أن يتركز اهتمام المجلة بموضوعات الأمير المفضلة وهي البيئة وما يحدق بها من أخطار وفنون العمارة المختلفة، إلى جانب الموضوعات العامة التي تهم الرأي العام في بريطانيا.

ومن المتوقع صدور المجلة في مطلع شهر مارس المقبل ١٩٩٤م (رمضان ١٤١٤هـ)، وسيتولى رئاسة تحريرها الصحافي **دان كروكشانك** المعروف بتخصصه في الكتابة عن الهندسة المعمارية.

أحدث الكتب



هيمنجواي

● **هيمنجواي : عودة الأمريكي إلى الوطن**، تأليف **فايكل رينولدز**، صدر عن دار بلاكويل.

● **هيمنجواي : رحلة بلا آثار**، تأليف **جيمس ميللو**، صدر عن دار هودر اند ستافستون.

● **حروب صغيرة رحمة قليلة : رحلات في دول أفريقيا المتنازع عليها**، تأليف الصحافي **جيريمي هاردنج**، صدر عن دار نشر فايكنج في لندن.

● **قلب عشق الهند**، تأليف **سارة لويد**، صدر عن دار نشر ليلاند في لندن.

● **الثقافة العربية أمام تحديات التغيير**، تأليف **تركي الحمد**، صدر عن دار الساقي في لندن.

● قارات مسروقة : التاريخ الهندي، تأليف رونالد رايف، صدر عن دار نشر بيمليكو في لندن.

فرنسا

ندوة لمناقشة فكر سارتر



سارتر

شارك عشرون باحثًا جامعيًا ومجموعة من المثقفين في ندوة أقيمت في جامعة السوربون لمناقشة العلاقة بين الأدب والفلسفة في فكر الفيلسوف الراحل **جان بول سارتر**.

نظمت الندوة جماعة الدارسين المتخصصين في أعمال سارتر التي تكونت عام ١٩٧٨م، واعتادت على تنظيم ندوة مماثلة سنويًا.

أحدث الكتب

● **معجم المعتقدات والأمثال والخرافات**، جمع وإعداد **بيير كانافا**.

● **أمريكا الدولار**، تأليف **بيني لورنو**، صدر عن دار دونويل في باريس.

● **مع مودتي الخالصة**، تأليف **فرانسواز ساجان**.

جمهورية التشيك

وفاة إيفان هربك صديق العرب

غيب الموت أحد أبرز رموز الاستشراق التشيك، وهو **إيفان هربك**، المستشرق الذي عُرف بصداقته للعرب والأفارقة.

ولد هربك في براغ عام ١٩٣٣م، وبدأ اهتمامه بالعرب في سنوات شبابه المبكر، وحين حلت نكبة فلسطين ارتفع صوته ـ وكان آنذاك طالبًا ـ إلى جانب الحقوق الفلسطينية، وواصل تأييده لها بعد تخرجه بعدة مقالات ومحاضرات تندد بتشريد شعب من أرضه من أجل إحلال غيره.

كذلك أَوْلى اهتمامًا بتاريخ العرب والإسلام، وقام بترجمة مجموعة من عيون التراث العربي والإسلامي إلى اللغة التشيكية ودفعته حماسته لقضية فلسطين إلى إصدار كتاب بعنوان «**القضية الفلسطينية**» وترجمة بعض إبداع **غسان كنفاني** في كتاب بعنوان «**رجال تحت الشمس وقصص أخرى**».

وأسهم هربك في تعريف التشيك والسلوفاك بالإسلام والثقافة العربية، عبر نقل عدد من كنوز التراث الإسلامي والعربي إلى لغة بلاده، ففي عام ١٩٦٢م ترجم رحلات ابن بطوطة، و«**حي بن يقظان**» لابن طفيل عام ١٩٦٦م، و«**المقدمة**» **لابن خلدون ١٩٧٢م**، و«**مروج الذهب**» **للمسعودي ١٩٨٣م**. ووضع عام ١٩٦٧م كتابًا عن شخصية الرسول ﷺ، **كما استدرك نواقص ترجمتي ومعاني القرآن الكريم** الصادرتين بلغة بلاده منجزًا عام ١٩٧٢م ترجمة جديدة.

على موعد

ثقافة الكوارث

إذا تجاوزنا المفهوم النخبوي للثقافة إلى التعريف الذي يرى أن الثقافة تضم الأفكار وأساليب الحياة والسلوك الاجتماعي في مجتمع معين، والعلاقات المتشابكة داخل بنية هذا المجتمع من جهة، وعلاقته بغيره من المجتمعات من جهة أخرى، وأخيرًا المنظومة المعرفية التي تسري في نسغ الأفكار وأساليب الحياة والسلوك الاجتماعي للمجتمع، فإننا نجد أن معرفة المجتمع نفسه فضلاً عن إدراك العلاقات بين أجزائه يشكل عنصرًا مهمًا في المعرفة الثقافية لمجتمع معين.

ومن هذا المنطلق فإن ثقافة الفرد في المجتمع الإسلامي تعني معرفة الفرد أو مجموع الأفراد لأنفسهم ولمجتمعهم، تلك المعرفة التي تقوم على إدراك الحقيقة والوجود لأعضاء الجسد الواحد.

ومعرفة حاضر العالم الإسلامي لدى الجمهور لا النخبة تشكل معرفة تاريخية ماضوية، وتبتعد عن المعرفة بالفعل، أو الحضور الآلي والاستشراف المستقبلي، فالحواضر الإسلامية مثل سمرقند وبخارى وسجستان يعرفها الناس عبر إسقاط تاريخي يتمثل في معرفتهم بالتاريخ الإسلامي وتراجم علماء المسلمين ومؤلفاتهم في تلك المناطق، ولكن يغيب عن بال الكثيرين موقع مثل هذه الحواضر في نقاط الجغرافيا السياسية الحديثة، ولم تقفز مثل هذه المدن والجمهوريات الإسلامية إلى الذاكرة الراهنة إلا بعد انهيار الاتحاد السوفييتي وقيام جمهوريات الدول المستقلة، ومنها الجمهوريات الإسلامية مثل أوزبكستان وتاجيكستان وأذربيجان وغيرها، ويظل كثير من الناس بعد ذلك يعرفون إقليم الشاش وبلاد فرغانة وما وراء النهر عبر بوابة التاريخ ويضلون الطريق في دروب الجغرافيا، فيجهلون مدن تركستان الشرقية حاليًا.

ودارسو الأدب الحديث والمهتمون بالروايات العالمية قرأوا منذ سنين عديدة رواية «جسر على نهر درينا» لإيفو أندريتش، وأصبح نهر درينا من المواضع المعروفة ثقافيًا لدى القراء، ولم يخطر على بال أحد أن هذا النهر يشق جمهورية إسلامية ستصبح الزاد اليومي لوكالات الأنباء ونشرات الأخبار، والجرح الغائر في وجدان المسلم، والسيف الذي يذبحه من الوريد إلى الوريد، فلم يعرف الناس جمهورية البوسنة والهرسك إلا بعد انهيار يوغسلافيا والمذابح اليومية للمسلمين هناك.

ويستمع الناس الآن إلى الصراع الدائر في جمهورية جورجيا بين الحكومة والثوار الأبخاز، فيمر الخبر عليهم مرورًا عابرًا، ولا يعني الجورجيون أو الأبخاز شيئًا من قريب أو بعيد، وتبقى الأسماء غريبة في السمع، تلفظها الذاكرة كما تلفظ كثيرًا من الأسماء الغريبة والمنكرة، والذي يجهله سواد الناس أن ٩٠٪ من سكان أبخازيا مسلمون حسب دراسة أجرتها سولا بيلنيت إبان الحكم الشيوعي، وكانت أبخازيا تابعة للأتراك الذين أدخلوا الإسلام إليها خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر.

كل هذه الأمور تدفعنا إلى التفكير في ثقافتنا ووعي أنفسنا قبل أن نعي العالم من حولنا، ونلمس أن ثقافتنا في هذا الجانب على الأقل ليست فعلاً وإنما هي رد فعل، بمعنى: هل من الضرورة أن تكون ثقافتنا ثقافة كوارث، وأن نهر المعرفة لا يجري إلا في أخاديد الجراح، وأن التاريخ يصنعه الآخرون ليكون دورنا هو الاستجابة والانفعال، وغاية الدور إلقاء اللوم على الغير أو الآخرين، حتى نصل إلى ما يشبه مرحلة ما بعد الاعتراف والتطهير لدى المسيحيين؟

د. عثمان محمود الصيني